

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر -2-

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمقراطية

ظاهرة الإنحراف في الأوساط الشيبانية في المجتمع الجزائري

دراسة ميدانية تمس متعاطي المخدرات بالجزائر العاصمة و ضواحيها

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الثقافي

تحت إشراف الدكتور:

بوزيرة خليفة

إعداد الطالب:

جاويد حريم

السنة الجامعية: 2022-2023

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى والدي العزيزين، إلى زوجتي التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل

إلى بناتي

ملاك، نور، رانيا، إيمان

إلى ابني

أمين

إلى إخوتي وأختي الوحيدة "صونية"

إلى كل زملائي في العمل

كلمة شكر و عرفان

الشكر أولا وأخيرا إلى الله عز وجل على كل نعمه

أتقدم بالشكر الجزيل

إلى من كانوا السبب في وجودي أبي وأمي حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى السيد المدير العام للأمن الوطني

السيد مدير المدرسة العليا للشرطة

إدارة مديرية السجون

إلى الأستاذ المشرف الذي كان خير داعم لي الدكتور

"بوزيرة خليفة"

إلى كل من ساهم في انجاز هذه الرسالة من قريب أو من بعيد

فهرس الدراسة

مقدمة

الباب الأول: الجانب النظري للدراسة

الفصل الأول: البناء المنهجي للدراسة

- 07..... أسباب إختيار الموضوع.....
- 09 أهمية الدراسة.....
- 12 الإشكالية.....
- 15 الفرضيات.....
- 16 تحديد المفاهيم والمصطلحات.....

الفصل الثاني: ظاهرة الإنحراف الإجتماعي عند الشباب

المبحث الأول: ماهية الإنحراف عند الشباب

- المطلب الأول: تعريف الإنحراف.....
28
- المطلب الثاني: أسباب الإنحراف.....
33
- المطلب الثالث: الخصائص المميزة للمنحرفين.....
45
- المطلب الرابع: العوامل المساعدة على انتشار ظاهرة الإنحراف.....
53

المبحث الثاني: معايير قياس ظاهرة الإنحراف والتدابير الوقائية والعلاجية

- المطلب الأول: المعايير النفسية كقياس للإنحراف.....
61.....

المطلب الثاني: المعايير الإجتماعية كـمقياس للانحراف
63.....

المطلب الثالث: المعايير الإقتصادية كـمقياس للانحراف
65

المطلب الرابع: التدابير الوقائية والعلاجية لظاهرة الإنحراف 67

المبحث الثالث: النظريات المفسرة لظاهرة الإنحراف الإجتماعي

المطلب الأول: الإنحراف من المنظور العضوي
71

المطلب الثاني: الإنحراف من المنظور النفسي.....
75

المطلب الثالث: الإنحراف من المنظور الإجتماعي 78

المطلب الرابع: الإنحراف من المنظور التكاملي..... 87

خلاصة الفصل:..... 91

الفصل الثالث: تعاطي المخدرات عند الشباب

المبحث الأول: ماهية المخدرات

المطلب الأول: تعريف المخدرات.....
95

المطلب الثاني: موجز تاريخي لتطور المخدرات.....
99

المطلب الثالث: الإهتمام بظاهرة المخدرات..... 104

المطلب الرابع: تصنيف المخدرات..... 106

المبحث الثاني: أبعاد ظاهرة تعاطي الشباب للمخدرات

المطلب الأول: تفسير ظاهرة تعاطي

الشباب.....112

المطلب الثاني: أسباب تعاطي المخدرات عند الشباب.....119

المطلب الثالث: إنتشار الظاهرة وتوزعها الإجتماعي.....124

المطلب الرابع: مخاطر تعاطي المخدرات وأضرارها.....128

المبحث الثالث: مشكلة تعاطي المخدرات وآليات المكافحة

المطلب الأول: المخدرات كمشكلة إجتماعية.....139

المطلب الثاني: السياق الإجتماعي لإستعمال المخدرات.....141

المطلب الثالث: أركان جريمة المخدرات.....145

المطلب الرابع: العقوبات المقررة لجريمة المخدرات وآليات المكافحة.....153

خلاصة الفصل:.....163

الفصل الرابع: التنشئة الإجتماعية

المبحث الأول: ماهية التنشئة الإجتماعية

المطلب الأول: تعريف التنشئة

الإجتماعية.....168

المطلب الثاني: دور الأسرة في التنشئة

الإجتماعية.....172

المطلب الثالث: دور المدرسة في التنشئة

الإجتماعية.....176

المطلب الرابع: دور المؤسسات الدينية ووسائل الإعلام في التنشئة الإجتماعية.....

179

المبحث الثاني: وظائف التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية

المطلب الأول: وظيفة التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية التقليدية.....	180
المطلب الثاني: وظيفة التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية الحديثة.....	184
المطلب الثالث:العوامل المؤثرة في التنشئة الإجتماعية في إطار الأسرة.....	185
المطلب الرابع: خصائص الأسرة الجزائرية.....	188

المبحث الثالث: دور التنشئة الإجتماعية في عملية الإدماج الإجتماعي للشباب

المطلب الأول: مفهوم الإدماج الإجتماعي.....	193
المطلب الثاني: أبعاد الإدماج الإجتماعي.....	197
المطلب الثالث : علاقة مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالسلوك المنحرف.....	199
المطلب الرابع: الشباب والتغير الإجتماعي – الثقافي في المجتمع الجزائري.....	212
خلاصة الفصل:.....	221

الباب الثاني: الجانب الميداني للدراسة

الفصل الخامس: عناصر الاختراع الميداني

المبحث الأول: مجال الدراسة

المطلب الأول:	المؤسسات	العقابية	في	الجزائر
227.....				
المطلب الثاني:	تحديد	مجال		الدراسة
237.....				
المطلب الثالث: الدراسة الاستطلاعية				238.....
المبحث الثاني: الأسس المنهجية للدراسة				
المطلب الأول: المنهج المتبع في الدراسة				239.....
المطلب الثاني: التقنيات المتبعة في الدراسة				241.....
المطلب الثالث: تحديد العينة				243.....
المطلب الرابع: خصائص العينة				244.....

الفصل السادس: الانحراف وسلوك التعاطي لدى الشباب، من عوامل فشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في إدماجهم اجتماعيا

المبحث الأول: دور مؤسسة الأسرة في إدماج الشباب اجتماعيا	266.....
المبحث الثاني: دور المؤسسات التربوية والمسجد في إدماج الشباب اجتماعيا	290.....
المبحث الثالث: دور وسائل الإعلام والاتصال في إدماج الشباب اجتماعيا	316.....
إستنتاج الفرضية الأولى	336.....

الفصل السابع: يساهم اختلاط الشباب بجماعة رفاق السوء، ووجود نماذج من المتعاطفين في مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الانحراف واكتساب سلوك التعاطي

- المبحث الأول: وجود نماذج منحرفة داخل الأسرة وعلاقتها بالانحراف واكتساب سلوك التعاطي.....341
- المبحث الثاني: علاقة جماعة رفاق السوء بالانحراف واكتساب سلوك التعاطي.....363
- المبحث الثالث: وجود نماذج منحرفة داخل المؤسسات التربوية والإصلاحية ووسائل الإعلام وعلاقتها بالانحراف واكتساب سلوك التعاطي.....390
- إستنتاج الفرضية الثانية.....410

الفصل الثامن: تساهم عوامل إقتصادية، إجتماعية ونفسية في ظاهرة الانحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب

- المبحث الأول: الجانب الإقتصادي وعلاقته بالانحراف وسلوك التعاطي.....415
- المبحث الثاني: الجانب الإجتماعي وعلاقته بالانحراف وسلوك التعاطي.....441
- المبحث الثالث: الجانب النفسي وعلاقته بالانحراف وسلوك التعاطي.....465
- إستنتاج الفرضية الثالثة.....491
- الإستنتاج العام.....494
- الخاتمة.....498
- المراجع.....502
- الملاحق.....519

حمل التحديث معه الكثير من القيم والمعايير والأهداف الجديدة، مثل التأكيد على النجاح المادي وارتفاع مستوى التطلعات وتوسيع مجال الوسائل التي تقود إلى الأهداف، إلا أنها في نفس الوقت من بين العوامل التي تساهم في رفع درجة التوترات العصبية عند الفرد والتي تعد بدورها مصدرا لكثير من المشكلات الإجتماعية، لذلك ترتفع في المجتمعات الحديثة معدلات بعض الأمراض العضوية والنفسية والإجتماعية، لعل ظاهرة الإنحراف من أهمها ومع ارتفاع معدلات الجريمة ظهرت وتعددت أنماط جديدة لها ثم أخذت هذه الأنماط نفسها تنوع ويكتشف منتمون لها في كل يوم جديد، وقد تكون جرائم الإدمان على المخدرات من أهم هذه الأنماط التي أخذت تنمو في كل اتجاه.

ويقع الإهتمام بدراسة سلوك الإنحراف ضمن المجهود الذي يبذل لفهم الظاهرة بصفة عامة، وسلوك تعاطي المخدرات بصفة خاصة، مما يساعد على فهم جانب من التغير الذي يجري في المجتمع العربي المعاصر، كما يتوقع أن تؤدي نتائج مثل هذه الدراسات إلى تطوير فهم أفضل لهذا النمط من السلوك بصفة عامة، وإلقاء مزيد من الضوء على مصدر المشكلات الإجتماعية.

ولا شك أن دراسة الإنحراف وتعاطي المخدرات قد حظيت باهتمام واضح من قبل علماء الإجرام والقانون، والدراسات المبكرة في علم الإجرام أكدت على فكرة أساسية مؤداها أن نمط الإنحراف مرتبط بأنماط ذهنية معقدة أو نتاجا لظروف إجتماعية ونفسية واقتصادية سيئة كما أن بعض علماء الإجرام قد تبناوا بعض الإتجاهات السيكولوجية في فهم الجريمة.

وتعتبر جرائم المخدرات من أهم المشكلات التي تواجه عالمنا المعاصر، حيث تعد ظاهرة ذات بعد كوني، وذلك بسبب الآثار التي تتركها والتي لا تتعلق بمجتمع معين وإنما تتعداه إلى

كافة المجتمعات، فهي تعمل على تحطيم نماذج بشرية كانت ذات يوم من الأيام مشرفة ومثالا يحتذى به، وجاء الإدمان يحطم مستقبل حياتنا فضاعت المثل والقودة.

وتكمن خطورة المخدرات في تأثيرها على الطاقة البشرية في أي مجتمع، فقد أثبتت الإحصائيات المتعلقة بالإتجار غير المشروعة في العالم أن المتاجرة في المخدرات تحتل المرتبة الثانية بعد المتاجرة في الأسلحة، وهو الأمر الذي يفسر تزايد ضحاياها من أفراد المجتمع لا سيما الشباب، لهذا علينا لزاما الإنتباه لهذه الآفة والعمل جاهدين على محاربتها ووقاية الأفراد منها، وقد جرم المشرع الجزائري شأنه شأن المشرعين الآخرين كل الأفعال المتصلة بالمخدرات، ومر هذا التجريم بعدة مراحل بدأ بالأمر 09-75 المؤرخ في 17-02-1975 المتضمن قمع الإتجار والإستهلاك المحظور للمواد السامة والمخدرات، ثم صدر قانون الصحة رقم 05/85 المؤرخ في 16-02-1985 المتعلق بحماية الصحة وترقيتها، غير أن هذا القانون لم يرقى إلى درجة التكفل بهذه الجريمة من جميع جوانبها، ولتدارك هذا الفراغ من جهة وتكييف التشريع الوطني مع الإلتزامات المترتبة عن الإتفاقيات الدولية التي صادقت عليها الجزائر من جهة أخرى، جاء المشرع بالقانون الوطني رقم 18/04 المؤرخ في 13 ذي القعدة عام 1425 هـ الموافق ل 2004/12/25 المتعلق بالوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الإستعمال والإتجار غير المشروعين بها، ليكون تشريعا خاصا بالمخدرات ضمنه التجريم والعقاب وتدابير وقائية وعلاجية كان الغرض منها العلاج قبل العقاب، ذلك كله من أجل الحد من هذه الظاهرة.

وقد قصد المشرع الجزائري من هذا القانون تحقيق هدفين أساسيين، الأول هو معاقبة الذين يقومون بالإتجار في المخدرات والتحريض عليها بعقوبات صارمة، والثاني هو المعالجة الطبية ما أمكن ذلك للذين تقتصر أفعالهم على استعمالها، وإن تحقيق هذين الهدفين هو إلتزام دولي إلتزمت به الجزائر من خلال مصادقتها على الإتفاقية الموحدة المتعلقة بالمخدرات

لسنة 1961 المتتممة باتفاقية المؤثرات العقلية لسنة 1971، واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية الموافق عليها في فينا بتاريخ 1988/12/20 المصادق عليها بموجب المرسوم الرئاسي رقم 95/41 المؤرخ في 1995/01/28.

ونظرا لخطورة ظاهرة الإنحراف والمخدرات على المجتمع، والتي تعتبر آفة العصر في الوقت الحالي، ولما تثيره من إشكالات وتحديات، وللإلمام بجميع جوانب هذا الموضوع إرتأينا معالجته بصفة خاصة، وبناءا على ما سبق، جاءت دراستنا تحت عنوان: ظاهرة الإنحراف في الأوساط الشبابية في المجتمع الجزائري، فبحثنا في الموضوع سيعرفنا على واقع الشباب داخل المجتمع والكشف عن ظاهرة الإنحراف والتعاطي، وسوف نركز على انعكاس سياسة مؤسسات التنشئة الإجتماعية المتبعة في المجتمع ووجود نماذج من المتعاطين في محيط الشباب من جهة، ومن جهة ثانية المشاكل والعوائق الإقتصادية والإجتماعية والنفسية التي يواجهها الشباب المدمن، والتي تقف حاجزا أمام اندماجه الإجتماعي وعلاجه.

وقد قسمنا الدراسة إلى باين، يحتوي كل باب على أربع فصول لتصبح مجموع الفصول ثمانية فصول.

وتتطرق فصول الباب الأول إلى:

الفصل الأول: يتناول البناء النظري للدراسة الذي يضم الإشكال المطروح وافتراضات البحث، وتحديد المفاهيم.

الفصل الثاني: يتناول الإطار النظري للإنحراف، ويضم ثلاث مباحث وهي: ماهية الإنحراف عند الشباب، معايير قياس ظاهرة الإنحراف والتدابير الوقائية والعلاجية، والنظريات المفسرة لظاهرة الإنحراف الإجتماعي.

الفصل الثالث: يتناول الإطار النظري لتعاطي المخدرات، ويضم ثلاث مباحث وهي: ماهية المخدرات، ظاهرة تعاطي الشباب للمخدرات، ومشكلة تعاطي المخدرات وآليات المكافحة.

الفصل الرابع: يتناول التنشئة والإندماج الإجتماعي، ويضم ثلاث مباحث وهي: ماهية التنشئة الإجتماعية، وظائف التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية، ودور التنشئة الإجتماعية في عملية الإندماج الإجتماعي للشباب.

وتتطرق فصول الباب الثاني إلى:

الفصل الخامس: يتناول الجانب الميداني للدراسة، والذي يمثل لب الدراسة ويتناول مجال الدراسة، الدراسة الإستطلاعية، المنهج المتبع في الدراسة وتقنياته، إختيار العينة وخصائصها.

الفصل السادس: ويكون فيه عرض النتائج مرتكزا على وضع جداول إحصائية متبوعة بتحليل إحصائية وسوسيولوجية تبعا للفرضية الأولى.

الفصل السابع: يتناول عرض النتائج مرتكزا على وضع جداول إحصائية متبوعة بتحليل إحصائية وسوسيولوجية تبعا للفرضية الثانية.

الفصل الثامن: يتناول عرض النتائج مرتكزا على وضع جداول إحصائية متبوعة بتحليل إحصائية وسوسيولوجية تبعا للفرضية الثالثة.

وسنختم هذه الدراسة باستنتاج عام وخاتمة نلخص فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

الكتاب الأول

الكتاب الأول

الكتاب النظري الدراسة

الفصل الأول

الإقتراب المنهجي و النظري

أسباب إختيار الموضوع

أهمية الدراسة

الإشكالية

الفرضيات

تقديم المفاهيم

أسباب إختيار الموضوع:

مما لا شك فيه أن ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب من أهم الظواهر التي تشكل هاجسا قويا لدى شعوب العالم، وهي آفة عالمية في أبعادها وآثارها، ويعد إنتشارها وتداولها وتعاطيها واتساع دائرة الإدمان عليها من أخطر أشكال الدمار الإنساني، الذي يهدد معظم دول العالم يوما بعد يوم، وإنطلاقا من ذلك، فإن إختياري لموضوع ظاهرة الإنحراف في أوساط الشباب في المجتمع الجزائري دراسة ميدانية تمس متعاطي المخدرات بالجزائر العاصمة وضواحيها، يعود إلى عدة أسباب ذاتية وموضوعية، تتمثل بداية في علاقة الموضوع بتخصصي (علم الإجتماع الثقافي)، الإهتمام والقناعة الشخصية بهذا الموضوع، وكذلك الرغبة في تطويره ودراسته في إطار التحضير لأطروحة الدكتوراه، وتستمد هذه الدراسة أهميتها في كونها تعالج موضوعا هاما في أي مجتمع مهما كانت درجة تطوره أو بناءه الإجتماعي والثقافي.

ومن خلال الدراسات التي تناولت كل من ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات، أدلت بأن هذه الأخيرة تعاني من وجود سلوكيات إجتماعية تعيق القضاء عليها وإعادة توازن المجتمع وهي نتاج تقصير مؤسسات التنشئة الإجتماعية، مما أثر على إستقرار وأمن المجتمع لما لهذه الظاهرة السلبية من تبعات خطيرة، تهدد الفئة الشبابية التي تمثل القاعدة المعول عليها في بناء المجتمع.

ومن أهم أسباب إختياري لمشكلة البحث ما يلي:

- خطورة الظاهرة بالنسبة للفرد والمجتمع على حد سواء، حيث أصبحت تمثل مصدرا لكثير من المشاكل الإجتماعية، والتي يمكن الوقوف على مظاهر إنتشارها من خلال الملاحظات اليومية في الوسط الإجتماعي العام في حياتنا اليومية، هذه الملاحظات المتكررة خلقت عندي

الرغبة والفضول العلمي والذي مثل حافزا قويا كافيا للبحث فيها، مغتنما في ذلك فرصة إعداد هذه الأطروحة.

- كون الإنحراف بصفة عامة وظاهرة تعاطي المخدرات بصفة خاصة، حديث الساعة وركن أساسي في هدم وتقويض أي مجتمع، خاصة كوني شاب وأعين إنتشار هذه الظاهرة في الأوساط الشبابية على إختلاف شرائحها، وهي من أهم المشاكل المترتبة عن سوء التنشئة الإجتماعية، مما يؤدي بالضرورة إلى سلبيات كثيرة يعاني منها المجتمع.

- الإقتراب من الواقع ومعاينة الميدان لمعرفة مدى مساهمة مؤسسات التنشئة الإجتماعية في معالجة مثل هذه الظواهر التي تتزايد حدتها سنة بعد سنة، من خلال الإهتمام بعنصر الشباب ومراقبته، مما يؤدي إلى تحقيق الأهداف المرجوة وحمايته من برائم الإنحراف والتعاطي.

- محاولة التعرف على متغير الإنحراف كمتغير نوعي يتطلب معالجة خاصة، وذلك من خلال مساهمة مؤسسات التنشئة الإجتماعية في تحقيق الفعالية المطلوبة، من خلال الوقوف على الواقع العملي والإجتماعي لمؤسسات التنشئة الإجتماعية في تحقيق نتائج إيجابية ملموسة داخل المجتمع.

- محاولة الإطلاع بشكل علمي على المشاكل والصعوبات التي تواجه الشباب المتعاطي وإكتشاف الأساليب المستخدمة داخل المؤسسات الإصلاحية وتأثيرها على التفاعل من طرف الشباب.

- إكتشاف أهم العوائق التي تواجه مؤسسات التنشئة الإجتماعية في التعامل مع مثل هذه الظواهر.

- الإهتمام بالشبيبة الجزائرية لتحقيق تنمية مستدامة، خاصة في ظل التغيرات المستمرة على مستوى الوطني والعالمي في ما يعرف بظاهرة العولمة، ودخول ثقافات دخيلة عن المجتمع ساهمت بطريقة مباشرة وغير مباشرة في هدم الثقافة الأصيلة للمجتمع الجزائري.

- إسقاط ما تم دراسته في الجانب النظري على أرض الواقع، وبالتحديد على المؤسسات العقابية ومؤسسات أخرى.

- إضافة دراسة إلى الدراسات السابقة حول موضوع الإنحراف وظاهرة التعاطي عند الشباب في المجتمع الجزائري، إثراء للبحث العلمي في ذات الميدان، فغالبا ما اهتم العلماء في تفسير هذه الظاهرة من الجانب النفسي، ونحن من خلال دراستنا هذه إضافة للجانب النفسي سنحاول أن نسلط الضوء على الجانب الإقتصادي والإجتماعي لها، وانعكاساتها على الشباب والأسباب التي أدت بهم لتبني سلوك الإنحراف وتعاطي المخدرات والإدمان عليها.

أهمية الدراسة:

إن موضوع الشباب والإنحراف من بين المهام والمسؤوليات المهمة التي يقع على عاتق مؤسسات التنشئة الاجتماعية الإهتمام والإلتزام بها ومتابعتها، وذلك من خلال تشخيص الحالات والظواهر الاجتماعية التي تحتاج إلى الميكانزمات اللازمة لذلك، ومعالجة أي خلل أو مشكل قد يطرأ عليها.

وتكمن أهمية دراسة هذه الظاهرة كونها تمثل شكلا من أشكال السلوك المنحرف وهو تعاطي المخدرات عند الشباب، والذي يعد مجالا خصبا للبحوث الإجتماعية، وهو موضوع يرتبط بمواضيع كثيرة منها العنف والجريمة..إلخ، وبالتالي، فإن أهميته كبيرة لما لهذه

السلوكيات من آثار على الفرد والمجتمع على حد سواء، والتي ترتبط أكثر بفئة المراهقين والشباب التي لها أهمية ومكانة كبيرة في المجتمع وتمثل مستقبله وثروته الأولى.

وتعد ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب، حالة تستدعي التحليل والبحث فيها لإعطاءها أهميتها، وإخضاعها لمعاينة علمية دقيقة حتى نتوصل إلى حلول مناسبة لها وإذا ما وضعنا أمام مشكل الإدمان على المخدرات، فذلك قد يخل بالدور أو العلاقة الاجتماعية للشباب المنحرف المتعاطي، والذين يتعرضون إلى صعاب في مزاوله حياتهم اليومية نظرا لخطورة هذه الآفة، وتواجدهم في المحيط الاجتماعي الخاص بهم وجعلهم مختلفين تماما عن الشباب العاديين الذين يزاولون حياتهم بطريقة عادية وسوية، فإن هؤلاء محرومون تماما من هذه المزايا والأدوار، بسبب نبذهم من محيطهم الاجتماعي، ويكون الاندماج الاجتماعي بالنسبة لهم مشكل وبعيد المزاوله، باعتبارها سلوكيات منافية للقيم الاجتماعية، لإرتباطها بسلوكيات أخرى يبدي أفراد المجتمع تحفظا وحساسية تجاهها، كالعنف والسرقة والإغتصاب والشذوذ... إلخ، وهذا يكمن المشكل الحقيقي إلى جانب خطورة الظاهرة وصعوبة إيجاد علاج نهائي لها.

كما تكمن أهمية البحث، في السعي إلى كشف وتوضيح العلاقة التي تربط بين سلوك التعاطي وعملية التنشئة والاندماج الاجتماعي، التي يتلقاها الفرد عبر الأسرة كمؤسسة تنشئية أساسية، وتأثير ظروفها الإقتصادية والاجتماعية والنفسية عليه، وعلاقتها أيضا بالمحيط الاجتماعي الخارجي، وكيف يؤثر كل ذلك في توجه الشباب إلى تعاطي هذه المواد المخدرة، كما يهدف إلى إبراز دور جماعة الرفاق والمؤسسات التربوية والدينية ووسائل الإعلام وتأثيرها الذي قد يساهم في تبني سلوك التعاطي عندهم في حالة ما إذا صادفوا نماذج منحرفة وتعاطي المخدرات.

ويهدف هذا العمل أيضا، إلى تحقيق درجة من الفهم لظاهرة تعاطي المخدرات في الأوساط الشباب من خلال القراءة والبحث المكتبي، وكذا الإقتراب الميداني من مجتمع البحث الذي من شأنه أن يساهم في إزاحة الستار أكثر عن مثل هذه المواضيع، التي كثيرا ما مثلت طابوهات في مجتمعنا بما تثيره من حرج.

هذا، وتمثل ظاهرة الإدمان على المخدرات موضوعا مشتركا بين تخصصات علمية مختلفة، وما يتضمنه هذا البحث من معلومات وما يطرحه من تساؤلات، يمكن أن يمثل إضافة حسنة للرصيد العلمي حول هذه الظاهرة، وبداية لبحوث ومذكرات أخرى تكشف حقائق الظواهر والمشكلات الإجتماعية، وتساهم في توضيحها وتساعد على معالجتها.

الإشكالية:

عرفت المجتمعات الإنسانية وما زالت تعرف العديد من المشكلات التي أودت بطاقتها المادية والبشرية وتقف في طريق تطورها وسعادتها، ومن بين هذه المشكلات ظاهرة الانحراف وتعاطي المخدرات، والتي ما أصابت مجتمعا إلا وتركت آثارها المدمرة فيه، فلا يمكن أن نتصور أنه هناك خطرا يهدد سلامة أي مجتمع وأمنه، ويثير المخاوف حول مستقبله كما تفعل المخدرات، ذلك أنها تنشر الأمراض والفساد وتقتل في من يتعاطاها طاقات النشاط والإنتاج وتشل حركة التفكير المبدع وتدفع المجتمع إلى مهاوي التخلف والضياع، ويكفي أنها تعطل نور العقل وهو أعظم موهبة خص بها الله تعالى الإنسان وميزه على سائر خلقه¹.

وتشكل المخدرات مصدر قلق بالنسبة للمجموعة الدولية والحكومات والمجتمعات في كافة أنحاء العالم، مع اختلاف في حجم تأثيرها وانعكاساتها على هذه الدول، وهذا تبعا للوعي الإجتماعي السائد وتوفر الإرادة السياسية وتجنيد الإمكانيات للتصدي لها².

والظاهر مما تقدم، أن آفة المخدرات تقتحم ميادين عديدة ترويجا واتجارا، بفضل عصابات خاصة محلية ودولية، قائمة على شبكات منظمة ومزودة بإمكانيات مادية هائلة مكنتها من إغراق الأسواق السرية التي تروج فيها المخدرات بمختلف الأصناف، وقد أدى هذا الإنتشار إلى إحداث آثار مدمرة على كافة المستويات الإنسانية والإجتماعية والإقتصادية وقطاعات هامة من أفراد الشعب، بحيث أصبح التصدي لها ضرورة ملحة يملها واجب المحافظة على مقدرات الشعوب لا سيما الشابة، التي تعد الواجهة الأكثر تضررا من الفئات

¹ - عبد الحميد الشواربي، جرائم المخدرات، مؤسسة الثقافة الجامعية، الجزائر، 1987، ص 14.

² - ولد معمر توفيق، المخدرات بين التجريم والعقاب، مجلس قضاء باتنة، 2015، ص 04.

الأخرى، ومع مرور الوقت تزايد الإقبال عليها وارتفع عدد مستهلكيها، فتحوّلت إلى تجارة رابحة ذات رواج واسع تجلب لأصحابها رؤوس أموال ضخمة دون عناء¹.

وقد انتشرت هذه الظاهرة بشكل ملحوظ واستفحلت بين أوساط الشباب خاصة ورغم اختلاف حدتها فهي لا تعترف بحدود السن ولا تقتصر على فئة بعينها ولا تفرق بين جنس وآخر، هددت الشاب والمراهق المتعلم والأمين، هذه الوضعية التي ضيقت الشباب يلاحظ ملامحها العام والخاص، وقد أضحت المخدرات اليوم ملجأ للشباب لتبرير الفشل ونسيان الهموم وتحقيق السعادة المزعومة والمفترضة، والتي تؤدي إلى تعطيل عقل ويقظة الإنسان.

وقد أثبتت الإحصائيات القضائية والإدارية الدولية وكذا الوطنية، زيادة قضايا المخدرات بشكل مطرد عام بعد عام، فضلا عن زيادة الكميات التي تضبط سنويا رغم التشديد البين في فرض العقوبة، وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة تهريب وترويج والإدمان على المخدرات قد ألفت بظلالها على المجتمع الجزائري بحسب ما تكشفه يوميا وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، وتبين تأثيرها على الفرد من الناحية الصحية والنفسية، الإجتماعية الأمنية..إلخ، ولذلك كان لزاما على الدولة إدراج منظومة قانونية خاصة بظاهرة المخدرات وذلك بتجريمها واتخاذ تدابير وقائية لقمع هذه الجريمة، وفعلا تم تجريم موضوع المخدرات في الجزائر، التي إستهدفت طاقاتها الشبابية التي تزيد عن 70 بالمائة.

هذا، وما زال للجزائر النصيب الأكبر في مجال ظاهرة المخدرات بحكم موقعها الجغرافي فأصبحت في الآونة الأخيرة موقعا خصبا لترويج هذه الآفة، وذلك بسبب الإقبال الشديد عليها

¹- ولد معمر توفيق، مرجع سابق، ص 05.

نتيجة التحولات العميقة التي تمر بها الجزائر، سواء في جانبها الإقتصادي أو الإجتماعي من ناحية، ولقربها من مواطن زراعة وتصدير هذه السموم من ناحية أخرى.

فقد أكدت الإحصائيات أن الخطر الحقيقي القادم إلى بلادنا حاليا يتمثل في القنب الهندي، الكيف، الهروين، والأقراص، إذ صارت ظاهرة بارزة للعيان، وأصبحت كمية المخدرات التي تدخل إلى الجزائر في زيادة مطردة سنة بعد أخرى، وما يدعو قلقا ناقوس الخطر الإحصائيات الرسمية لديوان مكافحة المخدرات، والتي تثبت الإرتفاع المحسوس والإنتشار الواسع لهذه المادة، وهذا ما تؤكد إحصائيات الديوان الوطني بخصوص الكميات المحجوزة من طرف مختلف عناصر الأمن¹.

وتعد الأسرة بالنظر إلى وظيفتها كمؤسسة تنشئية أولى وأساسية بمثابة الوعاء الثقافي الأول الذي يشكل حياة الفرد ويحدد شخصيته وأسلوب تفكيره، وهي في ذات الوقت الجماعة الأولية التي تحدد أنماط السلوك والممارسات الإجتماعية المقبولة ضمن ثقافة المجتمع، وهي إن لم تحضى بالعناية التامة يمكن أن يسير أفرادها في طريق الإنحراف، خاصة في ظل وجود نماذج من المتعاطين داخلها أوفي المؤسسات التربوية والإعلامية وجماعة الرفاق.. إلخ، بالنظر إلى الدور الكبير الذي تلعبه هذه الأخيرة على غرار كل مؤسسات التنشئة في التعريف بالمادة وسلوك التعاطي.

وعليه، فإن إنتشار هذه الظاهرة وتطورها لا يمكن أن يمر علينا دون التسائل عن أسبابها ومصادرها ومجموع الدوافع لإقبال الشباب عليها، وعن الظروف والعوامل التي ساعدت على انتشارها، وذلك بغية فهم واستيعاب الظاهرة بأبعادها وتشعباتها، وهو ما يجعلنا نتساءل عما إذا كان هذا الإنتشار انعكاس لتحول في طبيعة عملية التنشئة الإجتماعية

¹ - إحصائيات الديوان الوطني لمكافحة المخدرات للسنوات 2014، 2015، 2016.

للفرد عبر مختلف مؤسسات التنشئة وفشلها في إدماجه إجتماعيا؟، أو بسبب إلتقاء هؤلاء الشباب بالمادة المخدرة ونماذج من المتعاطين في محيطهم الداخلي والخارجي؟، وهل للتغير الإجتماعي والثقافي السريع علاقة بواقع الإنحراف وظاهرة تعاطي المخدرات عند الشباب؟ ومدى مساهمة هذا التغير الذي مس كل الجوانب الحياتية للفرد، سواء الإقتصادية أو الإجتماعية أو النفسية في السلوك الإنحرافي والتعاطي عندهم؟.

الفرضيات:

الفرضية العامة:

يؤثر إنحصار دور مؤسسات التنشئة الإجتماعية في إدماج الشباب إجتماعيا، في ظل الظروف الإقتصادية والإجتماعية الراهنة، ومخالطته لنماذج منحرفة، على واقع الإنحراف وظاهرة تعاطي المخدرات عند الشباب.

الفرضيات الجزئية:

1/ الإنحراف وسلوك التعاطي لدى الشباب، من عوامل فشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في إدماجهم اجتماعيا.

2/ يساهم اختلاط الشاب بجماعة رفاق السوء، ووجود نماذج من المتعاطين في مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الإنحراف واكتساب سلوك التعاطي.

3/ تساهم عوامل إقتصادية، إجتماعية ونفسية في ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب.

تحديد المفاهيم:

تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية يعد أمراً ضرورياً في البحث العلمي، وهي مسألة مهمة وحساسة فيما يتعلق بالبحوث التجريبية، فالمفهوم هو الوسيلة الرمزية التي يستعين بها الإنسان للتعبير عن المعاني والأفكار المختلفة بغية توصيلها لغيره من الناس¹.

والحقيقة أن الباحثين على وجه العموم وفي العلوم الإنسانية على وجه الخصوص يجدون صعوبة بالغة في تحديد مفاهيم الدراسة، وهي غالباً ما تعتبر رموزاً تعكس مضمون فكر أو سلوك أو موقف أفراد مجتمع البحث بواسطة لغتهم، أو أنها تجريدات لأحداث واقعية²، ومن المنطلق السابق نستطيع القول أن تحديد المفاهيم المرتبطة بالظاهرة الإنحرافية على درجة كبيرة من الأهمية³، وأهم المفاهيم التي بنيت عليها دراستنا هي:

تعريف الانحراف:

1/ التعريف الإجتماعي للإنحراف:

الإنحراف الإجتماعي هو: " مصطلح يستعمل لتوضيح السلوك الذي لا يتماشى مع القيم والمقاييس والعادات والتقاليد التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوكية أفرادها، والدراسات النظرية للإنحراف تهتم دائماً بالسلوك الشاذ الذي يتناقض مع الأحكام الإجتماعية والعرفية الضرورية لعملية التماسك الإجتماعي أو الجماعة"⁴.

¹- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الإجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 03، 1971، ص 173.
²- فضيل دليو وآخرون، أسس المنهجية في العلوم الإجتماعية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1999، ص 92.
³- السيد علي شتا، الإنحراف الإجتماعي- الأنماط والتكلفة-، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية، 1999، ص 15.
⁴- إحسان محمد الحسن، معجم علم الإجتماع، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، ص 103.

وحسب رأي محمد سلامة الغباري الإنحراف هو: " خروج عن التوقعات والمعايير الإجتماعية، والفعل المنحرف هو حالة من التصرفات السيئة التي قد تعيق الحياة نفسها" كما يعرف الإنحراف أيضا على أنه: " خروج على ما هو مألوف من السلوك الإجتماعي، دون أن يبلغ حد الإخلال بالأمن الإجتماعي بصورة ملحوظة أو خطيرة تهدد الإستقرار الداخلي للمجتمع"¹.

ويعرف الإنحراف كذلك على أنه: " الفعل الذي يضر بمصلحة الجماعة أو المجتمع ويهدد كيانه، نتيجة عدم التزام من يأتيه بالقيم والمعايير التي تطبق في المجتمع، والتي تقيمها الجماعة وتحرص للحفاظ عليها"².

فهذه التعاريف كلها تؤكد لنا أن الإنحراف الإجتماعي له علاقة بخروج الفرد أو مجموعة أفراد عما هو متعارف عليه في المجتمع من قواعد وضوابط وقيم وأخلاق وقوانين، والتي تجلب ردود فعل سلبية من قبل المحيطين بهم، باعتبارها تشكل تهديدا أو تحديا للنسيج الإجتماعي وأمنه وسلامته، وهو ما قد يستوجب العقاب الإجتماعي والقانوني.

2/ التعريف النفسي للإنحراف:

يتمثل الإنحراف في: " مظاهر السلوك غير المتوافق مع السلوك الإجتماعي السوي وينطوي على مظهر السلوك السيئ مثل: الهروب من المدرسة ومخالطة رفقاء السوء، الكذب الإدمان على المخدر..إلخ، وهذه السلوكيات تسمى إنحرافا، فالمنحرف كما يراه أنصار مدرسة التحليل النفسي، إنما هو الذي تسيطر عليه رغبات اللهو على ممنوعات الذات العليا، أو

¹- محمد سلامة الغباري، الإنحراف الإجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الإجتماعية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية،، 1980، ص 05.

²- سليم نعامة، سيكولوجية الإنحراف، مكتبة الخدمات الطباعية، بيروت، 1985، ص 21.

بتعبير آخر هو الذي تتغلب عنده الدوافع الغريزية، والرغبات على القيم والتقاليد الإجتماعية الصحيحة"¹.

وبذلك فهو يعني أنه نوع من السلوك غير السوي وغير المتوافق وغير المقبول إجتماعيا والذي يعبر على الإضطرابات والصراعات النفسية والعقلية التي قد تصيب شخصية الفرد تحت تأثير ظروف ووضعيات معينة.

3/ التعريف النفسي الإجتماعي للانحراف:

يعد العالم الأمريكي ويليم هيلي (William Healy) من رواد الإتجاه النفسي الإجتماعي في تفسير السلوك الإنحرافي، حيث عرف الإنحراف على أنه: " الصراع الذي يستمر في نفوس بعض الأشخاص الذين يعجزون عن إتخاذ موقف لحسمه يكون مرضيا للنظام العام فالدوافع الأساسية إلى السلوك الإنحرافي مستترة ومدفونة في اللاشعور، ولا يمكن الكشف عنها إلا بالتحليل النفسي"².

وبناء على ذلك، فالإنحراف هو إعتداء على قوانين المجتمع ونظمه بسلوك يعبر عن إضطراب الشخصية (إجتماعيا ونفسيا)، يدفع إلى الفعل اللاسوي ويقضي بمعاقبة مرتكبه ليتم إيداعه بفعل سلوكه في مؤسسة إعادة التربية لإعادة تأهيله.

¹- محمد ضو، ظاهرة جنوح الأحداث الأسباب والعلاج، دون دار للنشر، حلب، سوريا، 2002، ص 31.

² - William (H), & Augusta (F), New Light on Delinquency and Its Treatment, bollmington, Indiana Univercity Press, 1969, P 175.

4/ التعريف القانوني للانحراف:

هو " أي فعل أو نوع من السلوك أو موقف يمكن أن يعرض أمره على المحكمة ويصدر فيه حكم قضائي"¹.

فكل هذه التعاريف تشير إلى أن الانحراف هو فعل مخالف لكل ما هو متفق عليه في المجتمع، والذي ينتج عن ظروف وعوامل نفسية وإقتصادية وإجتماعية وثقافية، بحيث يعرض صاحبه إلى عتاب ولوم إجتماعي أو عقاب قانوني وقضائي.

5/ التعريف الإجرائي للانحراف:

نقصد بالانحراف تلك التصرفات والأفعال غير المقبولة في المجتمع أخلاقيا ودينيا وقانونيا وعرفيا، والتي تتبلور على شكل عنف أو إجرام أو سرقة، وتناول كل أنواع مخدرات والكحول أو هجرة سرية..إلخ، بحيث قد تلحق أضرارا بالفرد أو مجموعة من الأفراد أو بالمحيطين بهم على مستوى أسرهم أو مجتمعهم.

تعريف المخدرات:

يمكن القول أنه لا يوجد تعريف واضح وجامع بين كل المفاهيم الخاصة بالمخدرات، إذ تعددت التعاريف التي أعطيت للمخدرات بتعدد أنواعها واختلفت باختلاف النظرة إليها.

¹- مصطفى شريك، علم إجتماع الجريمة والانحراف، أكاديمية علم النفس، الجزائر، 2008، ص 15.

1/ المخدرات لغة:

"مشتقة من لفظ خدر، والخدر هو الستر، وجارية مخدرة إذا لزمتم الخدر أي استترت به فلم يراها أحد، وخدرته المقاعد إذا قعد طويلا حتى خدرت رجلاه، وخدرت عظامه أي فترت"¹.

ويعرف المخدر بأنه: " كل مادة ينتج عن تعاطيها فقدان جزئي أو كلي للإدراك بصفة مؤقتة، وتحدث فتورا في الجسم، وتجعل الإنسان يعيش في خيال واهم فترة وقوعه تحت تأثيره"².

2/ التعريف العلمي للمخدرات:

عرفت منظمة الصحة العالمية المخدرات بأنها: " مادة إذا أدخلت الجسم الحي عدلت وظيفة أو أكثر من وظيفة، وهو الحالة النفسية والعضوية التي تنتج عن تفاعل العقار في جسم الإنسان وتؤدي إلى التبعية"³.

أما الدكتور سعد المغربي يعرفها بأنها: " كل مادة خام أو مستحضرة تحتوي على عناصر منبهة أو مسكنة من شأنها إذا استخدمت من غير الأغراض الطبية والصناعية أن تؤدي إلى حالة التعود والإدمان عليها، مما يضر بالفرد والمجتمع جسميا ونفسيا واجتماعيا"⁴.

¹ - أسامة عبد السميع، مرجع سابق، ص 23.

² - أحمد أبو الروس، مشكلة المخدرات والإدمان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1996، ص 11.

³ - حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، علم الاجتماع الجنائي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005، ص 57.

⁴ - سعد المغربي، مرجع سابق، ص 26.

3/ التعريف الشرعي:

لم يرد تعريف للمخدرات منذ العهد الأول للنبوّة إلى غاية المائة السادسة للهجرة، وذلك نظرا لعدم وجود مخدرات أو لعدم معرفتهم بها، فالعرب عرفوا الخمر وتغنوا بها في شعرهم الذي كان يعتبر في وقتهم أشبه بوسائل الإعلام في عصرنا، والتي تم تحريمها تدريجيا نظرا للأضرار التي تسببها، على أنه يمكن أن يستنبط تعريف للمخدرات من خلال ما كتبه الفقهاء من أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وغيرهما من الفقهاء الذين ظهرت في عصرهم هذه المخدرات، حيث جاء في كتاباتهم أنها عبارة عن مواد جامدة غير مائعة تزرع مثل الحشيش والأفيون وغيرهما، تحدث السكر والفتور لمن يتناولها لتغطيتها العقل، سواء تعاطاها الشخص أيا كانت وسيلة التعاطي، بعد زراعتها مباشرة أو تم تصنيعها بإضافة بعض المواد إليها، أو غير ذلك بعدها أي على شكل أقراص أو كبسولات.. إلخ¹.

4/ التعريف القانوني:

تعرف إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية الموافق عليها في فيينا بتاريخ 1988/12/20، والمصادق عليها من طرف الجزائر بمرسوم رئاسي رقم 41/95 المؤرخ في 28 يناير 1996 بأنها²:

- يقصد بتعبير (المخدرات) أية مادة طبيعية كانت أو إصطناعية من المواد المدرجة في الجدول الأول والثاني من الإتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة 1961، ومن تلك الإتفاقية بصيغتها المعدلة ببروتوكول سنة 1972.

¹- فاطمة العربي، ليلي إبراهيم العدوانى، جرائم المخدرات في ضوء الفقه الإسلامى والتشريع، دار الهدى، الجزائر، 2010 ص 31.

²- فاطمة العربي، ليلي إبراهيم العدوانى، نفس المرجع، ص 32.

- ويقصد بتعبير (المؤثرات العقلية) أية مادة طبيعية كانت أو إصطناعية أو أية منتوجات طبيعية مدرجة في الجداول الأول والثاني والثالث والرابع من إتفاقية المؤثرات العقلية لسنة 1971.

- ويقصد بتعبير الجدول الأول والثاني قائمتي المواد اللتين تحملان هذين الرقمين والمرفقة بهذه الإتفاقية بصيغتها التي تعدل من حين لآخر.

5/ التعريف الإجرائي للمخدرات:

المخدرات هي كل مادة يؤثر تعاطيها على الحالة النفسية للإنسان، مما يؤدي إلى إخلال لحالة التوازن العقلي لديه، وهي أيضا العقاقير التي تحدث فقدان الألم والنعاس والنوم والسبات والجمود، ولا بد من النص على تجريمها لكي يعاقب القانون على كل إتصال بها.

تعريف التنشئة الإجتماعية:

1/ لغة: تعني التنشئة في الفعل نشأ بمعنى شب¹.

2/ إصطلاحا: تعرف التنشئة الإجتماعية على أنها: " العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في المجتمع بثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقيه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات"².

وهي: " عملية التثبيت التي تستمر طول الحياة، حيث يتعلم الفرد القيم والرموز الرئيسية لأنساق الإجتماعية التي تتشارك فيها، وهي الطريقة التي من خلالها يتحول الإنسان

¹- معجم لسان العرب، مرجع سابق، ص 42.

²- معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، مرجع سابق، ص 130.

من كائن بيولوجي إلى كائن إجتماعي، يعيش ضمن محيط إجتماعي معين له عادات وتقاليد وقيم يهدف تحقيق التكيف والإندماج فيه"¹.

ويعرف قاموس علم الإجتماع التنشئة الإجتماعية بأنها: " العملية التي يتعلم الطفل عن طريقها كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الإجتماعي الذي توافق عليه هذه الجماعة"².

أما معجم علم النفس والطب النفسي فإنه يعرفها بأنها: " العملية التي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة والمهارات الإجتماعية، التي تمكنه من أن يتكامل مع المجتمع ويسلك سلوكا تكيفيا فيه، وهي أيضا عملية اكتساب الفرد للأدوار والسلوك والاتجاهات التي يتوقعه المجتمع منه"³.

3/ التعريف الإجرائي للتنشئة الإجتماعية:

يمكن القول أن تعريف التنشئة الإجتماعية يختلف باختلاف التخصصات، فمن المنظور السياسي يكون الإهتمام به من خلال القيم والمعايير السياسية، التي يتم تلقيها للفرد باعتبار أن كل نظام سياسي يسعى لأن يغرس في نفوس الصغار القيم والمعتقدات والسلوك الذي يتلائم مع استمرارية هذا النظام، ومن المنظور النفسي الإجتماعي يكون الإهتمام بالشخصية وكيفية تشكيلها، أي التنشئة تكون الوسيلة التي يتم بها تكوين شخصية الفرد ومن المنظور السوسولوجي هي تعلم الرموز للدخول في جماعة إجتماعية، فالتنشئة

¹ - مصطفى زيدان، دراسة سيكولوجية للتربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، السعودية، بدون سنة، ص 73.

² - محمد عاطف غيث، قاموس علم الإجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص 449.

³ - جابر عبد الحميد علاء الدين كفاي، معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة، القاهرة، ج 7، 1995، ص 360.

الإجتماعية هي المسار الذي من خلاله يتعلم الفرد ويستنبط طوال حياته العناصر الإجتماعية والثقافية لوسطه ويدمجها في بنية شخصيته.

تعريف الشباب:

تعني كلمة شباب في اللغة العربية: (القوة والفتاء)، وفي اللغة الإنجليزية (Youth) أول الشيء أي الطازج، ومن الناحية العمرية فإن مرحلة الشباب تتحدد غالبا في الأعمار ما بين (15-24 سنة)¹.

وعرفه الصوفي بأنه: " مرحلة القوة والعطاء في حياة الإنسان، وتنحصر بين العام (15) و (30) من عمر الإنسان"².

والشباب وفق التعريف العالمي والعربي: " هم الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين (15-25 سنة)"³، إذ أقرت الجامعة العربية هذا التعريف عام 1969.

وتهتم دراستنا بفئة الشباب نظرا إلى الصفات التي تنفرد بها هذه المرحلة الهامة من حياة الإنسان، فهي انتقال بين مرحلة الطفولة وسن النضج، فقد اختلف العلماء فيما بينهم حول تحديد حدود هذه الفترة، نظرا لإرتباطها بعملية التنشئة الاجتماعية، فنجد علماء النفس يحددونها من السن السادس عشر إلى السن الثانية والعشرين، حيث يتعرض فيها الإنسان إلى تحولات بيولوجية ونفسية كثيرا ما تسبب فيه الضيق والتبرم والكثير من الإنفعالات، كما نجد عنده لذة الشعور بالذاتية فيتجه بكامل كيانه نحو المستقبل⁴.

¹- ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 12.

²- الصوفي حمدان، تصور تربوي مقترح لمواجهة أخطار إستخدام شبكة الأنترنت لدى فئة الشباب، المؤتمر التربوي الأول الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2004، ص 951.

³- وليد سرحان، ظاهرة تعاطي المخدرات، جامعة البرموك، عمان، الأردن، 1994، ص 17.

⁴- سعد المغربي، ظاهرة تعاطي الحشيش، دار الراتب الجامعية، لبنان، 1984، ص 67.

وتنقسم فترة الشباب إلى أربعة مراحل وهي¹:

مرحلة المراهقة: تمتد من 12 إلى 15 سنة، تمتاز بسرعة النمو البدني وظهور الأعراض الجنسية الثانوية وما يصحبها من تغيرات.

مرحلة اليفوع: تمتد من 15 إلى 18 سنة من العمر، حيث يستمر فيها النمو البدني، كما يتطور ويستمر الجانب النفسي والسلوكي، ويتم فيها نضج الوظائف الجنسية.

مرحلة الشباب المبكر: من 18 إلى 21 سنة، فيها يأخذ النمو البدني اتجاها وظيفيا وتتجه فيه التغيرات العاطفية نحو الإستقرار ويصل فيها النمو العقلي مداه.

مرحلة الشباب البالغ: تمتد من 21 إلى 25 سنة من العمر، فيها يحقق الفرد قمة النضج والتأقلم مع الحياة والمجتمع، والنهج الواقعي الإجتماعي المثالي السليم.

¹ - محمد التومي الشيباني، الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، الدار العربية للكتاب، دون سنة، ص 35.

الفصل الثاني الإطار النظري للإنحراف

المبحث الأول: ماهية الإنحراف عند الشباب

المطلب الأول: تعريف الإنحراف

المطلب الثاني: أسباب الإنحراف

المطلب الثالث: الخصائص المميزة للمنحرفين

المطلب الرابع: العوامل المساعدة على انتشار ظاهرة الإنحراف

المبحث الثاني: معايير قياس ظاهرة الإنحراف والتدابير الوقائية والعلاجية:

المطلب الأول: المعايير الإجتماعية كمقياس للإنحراف

المطلب الثاني: المعايير النفسية كمقياس للإنحراف

المطلب الثالث: المعايير الإقتصادية كمقياس للإنحراف

المطلب الرابع: التدابير الوقائية والعلاجية لظاهرة الإنحراف

المبحث الثالث: النظريات المفسرة لظاهرة الإنحراف الإجتماعي

المطلب الأول: الإنحراف من المنظور العضوي

المطلب الثاني: الإنحراف من المنظور النفسي

المطلب الثالث: الإنحراف من المنظور الإجتماعي

المطلب الرابع: الإنحراف من المنظور التكاملي

خلاصة الفصل

تمهيد:

يتمثل استخدام مفهوم الانحراف الإجتماعي بمعناه الواسع، في تطبيقه على أي سلوك لا يكون متوافقاً مع التوقعات والمعايير التي تكون معلومة داخل النسق الإجتماعي ويشارك فيها بقية أعضاء المجتمع، ومما لا شك فيه أن جميع أصناف الانحراف عن المعايير الإجتماعية تواجه بالرفض والمعارضة من قبل المجتمع، والواقع أن شدة المعارضة والرفض من المجتمع متفاوتة، تبدأ بأبسطها وتنتهي بأشدّها، وذلك بناء على عنصر الرفض الذي يعكسه رد فعل المجتمع للانحراف.

والتعرف على الأسباب الكامنة وراء ارتكاب الشباب لبعض الانحرافات التي تضعهم في خانة الخارجين عن القانون والمجتمع ضرورة ملحة، لنلمس مواطن الداء واقتراح الحلول المناسبة والكفيلة بالقضاء على تلك الظاهرة أو الحد منها.

وتتمثل غاية هذا البحث، في تحديد بعض المشكلات السلوكية التي تصدر عن الشباب مثل مخالطة رفاق السوء والتأثر والإقتداء بنماذج منحرفة يصادفونها عبر مختلف مؤسسات التنشئة الإجتماعية، وتأثير الظروف الإقتصادية والإجتماعية والنفسية التي يعايشها الشباب والتي قد تؤدي في الأخير إلى الانحراف والإدمان على المخدرات وارتكاب بعض المخالفات، ومن خلال وصف تلك المشكلات وتحديد الأسباب المؤدية إليها يمكن اقتراح الوسائل والطرق العلاجية المناسبة لها.

وتكمن أهمية البحث كذلك، في أنه يعنى بفئة الشباب في محاولة لسبر أغوارهم، من خلال دراسة بعض مشكلاتهم السلوكية لوضع الأسس المناسبة للتعامل معهم، والإبتعاد بهم

عن الإنحراف ومسبباته، إذ يعتبرون عماد الأمة ورجال المستقبل، فبصلاحيهم تصلح الأمة وتنبوا مكانتها بين أمم الأرض¹.

المبحث الأول: ماهية الإنحراف:

للإنحراف مميزات تغري المراهقين والشباب الذين لا يملكون الخبرة الكافية في الحياة وغير محصنين منها، في حالة ما إذا سلکوها وقعوا في براثن الإنحراف بمختلف أشكاله، والذي يجرحهم إلى تعاطي المخدرات وإدمانها.

والنفس الإنسانية يختلجها صراع بين الخير والشر وازدواج في طبيعة الإنسان، إذ أن الإنسان بأصل تكوينه مستعد بالفطرة أن ينهج نهج الخير أو نهج الشر، كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله سبحانه تعالى: " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"²، ومن هنا، يتأكد لنا أن الإنحراف حقيقة بشرية وظاهرة قديمة لازمت الإنسان وستظل كذلك قائمة ومستمرة إلى ما شاء الله، ولكن ظروفها وعواملها ووسائل تنفيذها تتغير بتغير الزمان والمكان وطبيعة التغير الإجتماعي والحضاري للمجتمع³.

المطلب الأول: التعريف اللغوي للإنحراف:

مصدر كلمة إنحراف في اللغة العربية: " من الفعل (إنحرف) وأصله الفعل (حرف) أي أمال، ويقال: (إنحرف) إذا مال عن الصواب، فيكون الإنحراف هو الميل عن الصواب"⁴

¹ - خالد الجريسي، إنحراف الشباب وطرق العلاج على ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1999، ص 05.

² - سورة الشمس، الآيات 07-10.

³ - علي حسن محمد طوالبه، علم الإجرام والعقاب، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 1998، ص 05.

⁴ - محمد بن ابراهيم السعيد، أسباب الإنحراف الفكري عند الشباب، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جامعة أم القرى، السعودية، دون سنة، ص 07.

ويقال: (حرف الجبل) أي أعلاه المحذب، ويقال: " (فلان على حرف من أمره) أي ناحية منه و(تحريف الكلم عن مواضعه) يعني تغييره"¹.

التعريف الشرعي للإنحراف:

جاء في قوله تعالى: " ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير إطمأن إليه"² وجاء تفسير قوله تعالى (على حرف) على شك في عبادته³، فقد شبه بالحوال على حرف جبل في عدم ثباته، وقال ابن عطية في تفسيره: " (على حرف) على إنحراف منه عن العقيدة البيضاء"⁴، وقال الزمخشري: "(على حرف) على طرف من الدين، لا في وسطه وقلبه"⁵ وتحريف الشيء عن موضعه يعني تغييره، ومنه قوله سبحانه وتعالى: " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه"⁶.

والإنحراف من المنظور الإسلامي هو: " الإنحراف عن الإستقامة التي أمر بها الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو الميل عن طاعتها والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات والأخلاق"⁷، وذكر مصطلح (الجناح) في آيات كثيرة من القرآن الكريم⁸ بمعاني عديدة نفسية واجتماعية وقانونية.. إلخ⁹، منها: الإثم والضلالة والميلان والزيغ.. إلخ.

¹- جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، الجريمة والإنحراف من منظور الخدمة الإجتماعية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 2001، ص 21.

²- سورة الحج، الآية 11.

³- محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص 329.

⁴- القاضي أبو محمد عبد الحق ابن عطية، المحرر الوجيز، بدون دار للنشر، ج 11، 1988، ص 181.

⁵- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، ج 03، بيروت، بدون سنة، ص 27.

⁶- سورة النساء، الآية 46.

⁷- سليمان بن قاسم العبد، وقاية الأولاد من الإنحراف من منظور إسلامي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب العدد 28، المجلد 14، الرياض، 1999، ص 245.

⁸- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة، ص 112.

⁹- محمد غنيم، الشباب الجامح، دار المعارف، مصر، 1971، ص 61.

ويرتبط التعريف القرآني للانحراف (الجنوح) بتقسيم وضبط سلوك الفرد، ويتمثل بإقدام الفرد على ارتكاب فعل معاقب عليه لمساسه بسلامة المجتمع وأمنه¹.

تعريف الانحراف الإجتماعي:

إن للانحراف الإجتماعي تعريفات متعددة عند الإجتاعيين، ويرى بعضهم أن: " طبيعة الانحرافات تتمثل في خروج أنماط معينة من السلوك على المعايير في مجتمع معين وزمن معين، وهو سلوك يخالف المعايير التي يقدرها الناس إذا إتصفت بالإستمرارية أصبح لها دور سلبي في نظر الناس، وأصبح من الضروري أن تهتم بها وسائل الضبط الإجتماعي"².

وعرف سبورت الانحراف الإجتماعي على أنه: " محاولة من الممثلين (الأفراد) الإبتعاد عن القواعد الثقافية المقبولة للسلوك داخل المجتمع"³، فهو كل سلوك سيئ أو ذميم يصدر من الفرد يعود عليه بالضرر المباشر على نفسه وعلى غيره.

وعرف كوهين الانحراف أو السلوك المنحرف أنه: " عبارة عن سلوك يخالف التوقعات النظامية، أي التوقعات المشتركة والمعترف بها باعتبارها شرعية في نسق إجتماعي معين"⁴.

وعرفه ميرتون على أنه: " السلوك الذي يخرج بشكل ملموس عن المعايير التي أقيمت للناس في ظروفهم الإجتماعية، وأغلب هؤلاء المنحرفين يعانون من حالة فقدان المعايير المتفق عليها داخل المجتمع"⁵، وينقسم إلى قسمين: إنحراف قيمي والذي يكون السلوك فيه إهدار

¹ - أكرم نشأت إبراهيم، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن، مطبعة الفتيان، بغداد، 1998، ص 428.

² - سمير نعيم أحمد، الدراسة العلمية للسلوك الانحرافي، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1985، ص 25.

³ - سامية محمد جابر، سوسيولوجية الانحراف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص 543.

⁴ - Cohen (A.K), the study of Social disorganization and deviant Behavior, Sociology Today, Basic Books, N,Y, 1952,P461.

⁵ - Merton (K), Social Problems and Sociological Theory, from Merton A, Insebet (eds), Contemporary Social Problems , N,Y, 1961,P897.

لقيمة الوقت والجهد والمال والصحة.. إلخ، وإنحراف أخلاقي يكون فيه السلوك خادش للحياء كالإعتداءات والسرقة وتعاطي المخدرات.. إلخ، والإنحراف القيمي أكثر خطورة لأنه يحمل مفاهيم وقناعات ينتج منها سلوك الإنحراف الأخلاقي.

وعرفه مارشال كلينارد على أنه: " سلوك في إتجاه غير مرغوب فيه ويتعارض مع المعايير السائد داخل المجتمع، ويتميز هذا السلوك الإنحرافي بأنه قد تجاوز حدود التسامح داخل المجتمع"¹.

وجاء تعريف بارسونز للإنحراف على أنه: " نتاج التفاعل بين التناقضات الوجدانية في النسق الدافعي للأنا والآخر، وعند هذا الحد يكون التفاعل بين التناقضات الوجدانية القائمة في دوافع المشتركين فيه هو مصدر الإنحراف"². وهو: " اضطراب في توازن النسق المتفاعل"³.

ويرى أكرم نشأت إبراهيم أن الإنحراف: "يتمثل بصفة عامة في مظاهر السلوك غير المتوافق مع السلوك الإجتماعي السوي"⁴.

وعرفته سامية محمد جابر على أنه: " عدم مسايرة المعايير الإجتماعية ... وغالبا ما يتضمن الإنحراف إمتثالا أو مسايرة لمعايير إحدى الجماعات الفرعية أكثر من معايير الجماعة الإجتماعية السائدة، والأشخاص الذين ينحرفون عن بعض المعايير الإجتماعية ليسوا بالضرورة مرضى نفسيا أو عقليا، والشخص المنحرف من وجهة نظر مجتمع معين أو نسق

¹ - Marshall (B.C), Sociology of Daviant Behavior, holt rinebert and Winston, Inc, N,Y,1968, P22.

² - سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص 83.

³ - مصلح الصالح، النظريات الإجتماعية المعاصرة وظاهرة الجريمة في البلدان النامية، مؤسسة الوراق، عمان، 2000، ص

32.

⁴ - أكرم نشأت إبراهيم، جنوح الأحداث عوامله والرعاية الوقائية والعلاجية لمواجهته، الحلقة الدراسية الخاصة بوقاية

الأحداث من الإنحراف، 17-19 تشرين الثاني، بغداد، 1983، ص 34.

إجتماعي بالذات قد ينظر إليه باعتباره ممتثلاً أو مسائراً من منظور فلسفي أخلاقي آخر أو في حقبة تاريخية معينة، ولذلك فإن الانحراف ليس مسألة فطرية تظهر في السلوك والإتجاهات، بل إنه ظاهرة للتفاعل الإنساني في وضع معياري معين"¹.

وجاء تعريف السيد رمضان للانحراف على أنه: " موقف إجتماعي يخضع فيه الفرد لعامل أو لعدة عوامل ذات القوة السببية، مما يؤدي به إلى السلوك الغير المتوافق أو يحتمل أن يؤدي إليه"².

والسلوك المنحرف هو: " السلوك الذي يتعارض أو يتصارع مع المستويات والمعايير المقبولة ثقافياً وإجتماعياً داخل نسق أو جماعة إجتماعية"³، فهو: " كل فعل يتعارض مع الأفكار والمبادئ السائدة في المجتمع"⁴

ويتضح من هذه التعاريف، أن قضية الانحراف تشير إلى ألوان السلوك والتصرفات التي يخرج بها صاحبها على المعايير الإجتماعية المتعارف عليها، فالمعايير هي التي يقدرها الناس وأصبح لصاحب الخروج عليها دور سلبي في نظرهم، ويشمل الانحراف القيم الدينية التي تفوق جميع القيم.

¹ - سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص 539.

² - جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الإجتماعية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 2001، ص 19.

³ - مصطفى عبد المجيد كارة، مقدمة في الانحراف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، الأردن، 1985، ص 28.

⁴ - محمد زكي أبو عامر، دراسة في علم الإجرام والعقاب، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 33.

المطلب الثاني: أسباب ظاهرة الانحراف:

إن للانحراف عوامل وأسباب تؤثر في حدوثه وقوته ودرجته، ولذلك نرى علماء الاجتماع والباحثين يسعون في البحث عن هذه الأسباب لمحاولة تفسير الظاهرة، للتعرف على العوامل وطبيعة العلاقة بين هذه العوامل من حيث تداخلها وتشابكها¹.

ولكي نتمكن من تجنب الشباب متاهات الانحراف، لا بد من التعرف على الأسباب التي تؤدي بهم إلى سلوك الطريق الغير السوي، وبالتالي إغلاق باب ذلك السبيل دونهم وتوجيههم نحو السبل الآمنة التي تصل بهم إلى بر الأمام².

والشباب كما هو معلوم قوة المجتمع وعماده، وصلاح أي مجتمع مرتبط بل متوقف على صلاح شبابها، فالشباب كمثل القلب للبدن إذا صلح صلح البدن كله، وإذا فسد أو إنحرف إنعكس ذلك على المجتمع كله³، هذا وقد أشار الأخصائيون بأن الانحراف بشكل عام والإدمان على المخدرات بشكل خاص عند الشباب، من الموضوعات التي احتلت موقعا هاما في دراسة الشخصية الإنسانية، فميدان الجريمة والانحراف يعتبر من أهم الميادين التي تتعامل معها مؤسسات التنشئة الاجتماعية، غير أنه ينبغي توفر التصورات التي تزيد من وضوح الظاهرة حتى يسهل عمل الإختصاصي أيا كان مجاله (الاجتماعي، النفسي، التربوي، الصحي..)⁴.

¹ - عدنان الدوري، أسباب الجريمة والسلوك الإجرامي، دار السلاسل، الكويت، 1984، ص 63.

² - خالد الجريسي، مرجع سابق، ص 06.

³ - أبو بكر ياسين، انحراف الشباب، أسبابه ووسائل علاجه، دار الصيحة، السعودية، 2010، ص 10.

⁴ - جلال الدين عبد الخالق، الجريمة والانحراف، الحدود والمعالجة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، الأردن، 1999، ص

1/ الأسباب الدينية (قلة الوعي الديني):

كما سبق لنا وأن ذكرنا، الانحراف له أسباب وأمور ممهّدات وطرق تكون في البداية مزخرفات تفرق قصار النظر، من سلكها أصابه نصيب من الانحراف، ومن تلك الأسباب البعد عن الدين وعن العمل به وهو من أعظم أسباب الانحراف¹، هذا وما دام الإنسان يحمل عاملي الخير والشر، وما دام الصراع بينهما يبقى مستمرا، وما دام الانحراف والجريمة هي إحدى النتائج الرئيسية لهذا الصراع، فإنها شغلت وما زالت تشغل بال العديد من فقهاء الدين باستقصاء أسبابها وتحليل العوامل الدافعة إليها تمهيدا للوصول إلى أفضل الوسائل الممكنة لمكافحتها والقضاء عليها أو الحد منها قدر الإمكان.

ومن أهم تلك الأسباب هجر الكتاب والبعد عن السنة النبوية الشريفة، فإن هجر القرآن طريق للخسران، وكثير من شبابنا للأسف بل كثير من المسلمين أصبحوا لا يقرؤون القرآن إلا نادرا، ولا يحثوا أولادهم ولا يشجعونهم على ذلك، حيث أستبدل بغيره من الأمور الحادثة المخالفة لما فيه، سواء في باب الشبهات أو الشهوات مما يقود إلى الضلال والانحراف والميل عن صراط الله المستقيم والسير في السبل الأخرى، ويكون ذلك بترك الواجبات وفعل المحرمات والبدع المحدثات².

وفي واقعنا المعاصر أمثلة لشباب يقع كثير منهم في الانحراف لكنهم يختلفون في التعامل معه عند وقوعه، فمَنهم من يدرك الخطر الذي بدأ في فتح أبوابه وينتبه لسوء عواقبه ويخاف من ربه وعقابه فيندم على ما وقع ويسارع بالاقلاع عن ذلك الانحراف، ومنهم من يشعر بذلك الخطر ويشعر بالألم وما أوقع نفسه فيه من ضرر وتشتت الأمر وضيق الصدر

¹- أبو بكر ياسين، مرجع سابق، ص 13.

²- سليمان بن سليم الله الرحيلي، مرجع سابق، ص 14.

ويتمنى الإستقامة وطمأنينة القلب، إلا أنه تغلبه نفسه وهواه فيرجى العودة إلى ربه ويستمر في إنحرافه، وهذا يرجى منه الخير ويخشى أن يدركه شؤم الإنحراف، ومنهم من لا يتنبه لحاله ويغرق نفسه في كل يوم أكثر في الإنحراف وأحواله، وهذا يخشى عليه أن يأتيه الموت وهو على حاله، ومنهم من ينحرف وينفتح عليه باب الشبهات ويظن أنه بسبب ذلك من السابقين إلى الجنات ويزدري من حوله من المجتمع، وقد تضيق الدائرة به أكثر حتى يزدري إخوانه، وهذا أخطر أنواع الإنحراف لأن صاحبه لا يدري أنه منحرف، فلا يحدث نفسه بالتوبة ويغلق أذنيه وقلبه عن سماع الحق وعن سماع ما لا يحب¹.

وقد يعود الإنحراف حسب محمد عبد الصمد إلى عوامل ذاتية وهي عوامل تتعلق بالفرد ومن أهمها²:

- إنحراف الفطرة واتباع طريق الشيطان والشرك والكفر والنفاق..إلخ.
- ضعف الإيمان والتقصير في العبادات مما يضعف صلة الإنسان بالله عز وجل.
- إتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء والسعي لتلبية شهواتها عن طريق المحرمات شرعا.

كما تعود أيضا إلى³:

- إنحراف العقيدة: وهي خروج الإنسان عن التوحيد بالله ون السنة النبوية الصحيحة.

¹ - أبو بكر ياسين، مرجع السابق، ص ص 11-12.

² - محمد عبد الصمد، ظواهر الانحراف الإجتماعي في المجتمع الإسلامي ومعالجتها، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية المجلد الرابع، الرياض، ديسمبر 2007، ص 150.

³ - محمد عبد الصمد، نفس المرجع، ص 153.

- إنحراف العبادة: وهو في الأصل عدم اتباع ما شرعه الله تعالى في العبادة والإنصراف نوعاً ما عنها بابتداع أشياء في العبادات لم يأمر الله عز وجل بها، أو التبديل فيها أو ترك عبادات أمر الله تعالى بها.

- إنحراف في علاقة الإنسان بالإنسان: وهي العلاقة التي تبنى على الأخوة والتراحم والتعاطف لا ضرر ولا ضرار، فقد يمس الإنحراف اللسان من غيبة ونميمة وكذب ولعن وسب...إلخ، أو إنحراف الجوارح والحواس فيستعملها الإنسان في المعصية أو في ما يغضب الله.

- انحراف في علاقة الإنسان بسائر خلق الله: ويتضمن التقصير في رعايتها وإطعامها وسقيها وتحميلها ما لا تطيق....إلخ.

والآية الخاصة بنفس الإنسان في سورة "الشمس" تكشف عن حقيقة علمية أخرى تتعلق بسلوك الإنسان، وهي أن الظاهرة الإجرامية والإنحراف ليست وراثية كما يروج بعض العلماء والباحثين، لأن السلوك الإنساني يدور بين الخير والشر لما يحمله من الإستعداد لهما أضف إلى ذلك أن السلوك الإجرامي لو كان وراثياً لتساوى فيه قابيل وهابيل لأنهما من أصل واحد ومن رحم واحد¹.

كما أن الإنسان ليس مسيراً ولا مجبراً على الإنحراف واقتراف الجريمة، لا بالعامل الوراثي ولا بأي عامل آخر داخلياً كان أو خارجياً، وإلا أصبح من العبث دعوة المرسلين وإصلاح المصلحين وتوجيه الموجهين، ولكان العقاب في هذه الحالة ظلماً لا عدلاً، وترك العقاب يعني إطلاق العنان للمجرمين والمنحرفين ليسعوا في الأرض فساداً، ويعني التجاوز عن أهم مبدأ تقوم عليه الحياة ويقره القرآن الكريم تضمنه قوله تعالى: " ولكم في القصص حياة يا أولي

¹- علي حسن محمد طوالبه، مرجع سابق، ص 06.

الألباب لعلكم تتقون"¹، فيجب أثناء عرض النظريات المفسرة لسلوك الانحراف والجريمة أن يكون عرضا علميا وموضوعيا، مع موازنتها بأحكام الفقه الإسلامي الذي أغفله أغلب الباحثين العرب عند تحليلهم لهذا السلوك، لأن ذخائر الفقه الإسلامي من المبادئ والنظريات ما لا يقل في رقي الصنعة وفي أحكام الصنعة، عن أحدث المبادئ والنظريات الفقهية التي نتلقاها اليوم عن الفقه الوضعي الحديث.²

وفي السنوات الأخيرة ظهر عدد من الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تنطلق من التصور الإسلامي في معالجتها لظاهرة الانحراف³، فذكر بعض الباحثين أن العوامل والأسباب التي أدت إلى حدوث ظواهر الانحراف في التصور الإسلامي هي ثلاثة⁴:

- 1- إنقطاع أو ضعف صلة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، ويعد هذا السبب وحده كافيا للوقوع في المشكلات التي تؤدي إلى السلوك المنحرف.
- 2- القصور عن إشباع الحاجات الدنيوية كالحاجات النفسية والمادية والاجتماعية ولكن هذا القصور وحده لا يكون سببا لظهور الانحراف، لأن ذلك يمكن تخفيفه إذا صاحبه حسن الصلة بالله عز وجل.
- 3- التغيير الاجتماعي السريع وما يترتب عن ذلك من تفكك اجتماعي، إلا أن دور هذا الأخير في ظهور الانحراف أقل بكثير في المجتمع الذي تهيم فيه القيم الإسلامية، وتبرزها مؤسساتها الاجتماعية فيحتفظ الناس فيها بسلامة فطرتهم.

1- سورة البقرة، الآية 179.

2- عبد الرزاق السنهوري، مجلة القضاء، العدد الأول، عمان، الأردن، 1936، ص 12.

3- محمد شحاته ربيع وآخرون، علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995، ص 591.

4- صالح إبراهيم الصنيع، التدين علاج الجريمة، إدارة الثقافة والنشر، الرياض، 1993، ص 63.

2/ أسباب شخصية ونفسية:

يذهب أنصار الإتجاه النفسي في تفسيرهم لأسباب ظاهرة الإنحراف، أنه توجد حياة نفسية لا شعورية إلى جانب الحياة النفسية الشعورية، فهناك تفكير لا شعوري وإدراك لا شعوري وتذكر لا شعوري، كما أن هناك رغبات ومخاوف لا شعورية، ولكنها تحرك جميعها الفرد وتدفع به إلى كثير من مظاهر الفعل والسلوك التي لا يفتن إلى أسبابها الواضحة أو المعقولة والمنطقية، كما أنها قد تكون سببا في كثير من الإضطرابات النفسية والعقلية والسلوك المنحرف هو إذن صورة أو إنطلاقة رمزية لبعض جوانب الحياة المكبوتة، ولا يتسنى الوقوف عليها وفهمها إلا بدراسة مرحلة الطفولة، فقد يكون السلوك الإنحرافي تعبيراً عن عقدة تكونت في هذه المرحلة، كما قد تكون نتيجة لضعف رقابة الأنا العليا، أو حتى رمزا لشيء بعيد دفين¹.

ويفسر العالم الأمريكي ويليم هيلي أسباب السلوك الإنحرافي أنه يرجع إلى الصراع الذي يستعر في نفوس بعض الأشخاص ويعجزون عن إتخاذ موقف لحسمه يكون مرضيا للنظام العام²، ويرى عالم النفس النمساوي الشهير سيجموند فريد أن شخصية الفرد لا تتأثر كثيرا بالوراثة أو تكوين الجسم بل تتأثر إلى حد كبير بالعوامل النفسية التي تتكون خلال مرحلة الطفولة المبكرة نتيجة العلاقات الخاصة والتصرفات المتبادلة بين أفراد الأسرة، إذ تبقى رواسب هذه الحوادث عالقة بشخصية الفرد أو تنغرس جذورها في حياته العاطفية، وتصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته، فإذا كانت مثلا حياة الطفل العائلية قاسية ومليئة

¹ - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 174.

² - William Healy & Augusta (F,B) op, cit P 175.

بالمغصات فإن اثر ذلك قد ينعكس على حياته المستقبلية مؤديا إلى إنحرافه وإرتكابه للجريمة¹.

وتقوم النظرية الأنثروبولوجية على أن شخصية الفرد هي الأساس وأن دور البيئة محدود وأن العوامل الأساسية في الإنحراف قد تكون:²

- وراثية.
- خاصة بالتكوين العضوي للمنحرف.
- خاصة بالتكوين النفسي.
- خاصة باليموين العقلي.
- خاصة بالتكوين الغريزي.
- خاصة بالصفات الشخصية للمنحرف.

والعوامل الداخلية النفسية هي في أغلب الأحيان عوامل لا شعورية تؤثر في الفرد دون أن يدري عنها شيئا، وهي تتفاعل مع العوامل الخارجية لتوليد سلوك إنحرافي، فهناك عدة عوامل إرتقائية لا شعورية منها على سبيل المثال:³

1/ الإضطراب العاطفي: يرى الكثير من الباحثين أن سوء العلاقة بين الفرد ووالديه وخاصة الأم هو السبب الرئيسي في كثير من حالات الإنحراف والجريمة، ويترتب عن الإضطراب العاطفي كثير من المشاكل منها:

- فشل تهذيب الغرائز البدائية عند الطفل، وفشل السيطرة عليها.
- فشل في تكوين (الأنا) أو الذات (Ego) بصورة سليمة وقوية.

¹- بدر الدين علي، الجريمة والمجتمع، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969، ص 03.

²- طارق السيد، مرجع سابق، ص 28.

³- طارق السيد، مرجع سابق، ص ص 41 - 43.

- عدم القدرة على تكوين الضمير أو (الأنا الأعلى) وهكذا يصبح الأفراد ذوي هذا التكوين غير إجتماعيين في طفولتهم ثم يجنحون بعد ذلك.

2/ الذات العليا المعكوسة: وتكون في الأسر ذات القيم المختلفة عن تلك السائدة في المجتمع، والتي قد تسود فيها النزعات اللا إجتماعية أو الإجرامية، ويحدث أن تؤثر هذه القيم الشاذة في تكوين الضمير أو الأنا العليا لذلك الفرد.

3/ عقدة النقص: أكد " ألفرد أدلر" على ما لدى الإنسان من طموح في الحصول على مكانة هامة في المجتمع، وعندما يدرك الشخص انه إنسان فاشل فإنه يلجأ للانحراف على سبيل التعويض.

4/ التكوين العاطفي الإنفعالي: والمقصود هو سرعة التهيج والحساسية النفسانية ومعناها عدم قدرة الشخص على أن يحتمل تأجيل رغباته وحاجاته حتى الوقت المناسب لإشباعها، ويتسم هذا الخلل غالبا بارتكاب جرائم العنف، ويرى العلماء أن الشذوذ الذي يتعلق بالنواحي العاطفية يعتبر شذوذا أصيلا، أي أنه موجود منذ الميلاد ويطلقون عليه إسم " السيكوباتية".

ومن الممكن أن تحرض بعض اضطرابات الشخصية على السلوك المنحرف ومنه تعاطي المواد المخدرة والإدمان عليهما، إما بسبب أن شخصية الفرد تكون أكثر قابلية للعطب والانحراف، أو لأن هذه الشخصية تجد في المواد المخدرة سبيلا لتغيير وتعديل الحالة النفسية¹.

¹ - طارق بن علي حبيب، الطب النفسي المبسط، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1999، ص 162.

كذلك ظهور حالة التفرد التي نتجت عن التصنيع والتقدم العلمي والتكنولوجي، وسيطرة الآلة على الإنسان واتساع الرقعة الجغرافية التي يعيش فيها الأفراد، وتقدم وسائل الإتصال السلوكية واللاسلكية والإلكترونية، وصغر حجم الأسرة وضعف السيطرة الأبوين واشتغال المرأة خارج المنزل، وسيطرة المادة على عقول الناس وارتفاع مستوى المعيشة، جميع هذه العوامل عملت على تبلور ظاهرة التفرد أي انعزال الفرد وتغريبه عن إنسانيته وإحساسه ووجدانه وابتعاده عن الآخرين، مما خلق عنده عدم الراحة والطمأنينة وازدياد حالة القلق والإضطراب النفسي والسلوكي، الأمر الذي أضعف عنده المعايير الأخلاقية الإنسانية والتعاطف مع الآخرين والإحساس بالمسؤولية الإجتماعية والإلتزام بالتعاليم الدينية القويمة مما يدفعه للانحراف والإستمرار في ذلك¹.

3/ أسباب إجتماعية:

يشهد العالم اليوم تداعيات خطيرة أفرزتها الصراعات والاضطرابات بسبب التغير الإجتماعي المستمر، سواء كانت داخل نطاق الدولة الواحدة أو خارجها، ولعل اتساع رقعة الانحراف والعنف وما صاحبه من انتشار للفوضى وشيوع الدمار ومساس بأمن الأشخاص وممتلكاتهم، هو ما يفسر تفاقم تلك السلوكيات الإجرامية والأفعال الخطيرة الماسة بأمن الدول واستقرار الشعوب، فقد شهدت الساحة الدولية إنتشارا خطيرا للعديد من النشاطات الإجرامية بكافة أشكالها وصورها، التي تستخدم الشباب كأدرعة لأنشطتها الغير مشروعة وتهوي بهم في غياهب الانحراف والجريمة، مغيبتا عقله بشتى أنواع السموم المخدرة، وقد تجاوزت آثارها الخطيرة حدود الدولة الواحدة إلى العديد من الدول سواء كانت على المستوى الإقليمي أو الدولي، مما جعل منها خطرا محققا بالنظام العالمي ككل².

¹- معن خليل العمر، علم ضحايا الإجرام، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 90.

²- خيثر فاطمة، ارتباط جريمتي الإرهاب والمخدرات وآليات مواجهتهما، المدرسة العليا للقضاء، الجزائر، 2016، ص 06.

لقد إتفق كثير من علماء الإجتماع أن الانحراف ظاهرة إجتماعية وأن ما يعتبر سلوك منحرف ناتج عن تشريع الجماعة لبعض أفعال وأعمال أفرادها¹، وفي أوائل القرن التاسع عشر نادى عالم الإجتماع أوجيست كونت بضرورة إتباع المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الإجتماعية، ولما كان الانحراف والجريمة من أهم هذه الظواهر فإن البحث في أسبابها وأساليب تفسيرها كان من أوائل الموضوعات التي لفتت أنظار علماء الإجتماع إليها²، فقد قدم العالم الفرنسي أندريه جيرى تحليلاً للتوزيع الجغرافي للجريمة يتضمن العديد من المقارنات الإحصائية بين معدلات إرتكاب بعض الجرائم في فرنسا وإنجلترا، وحلل في ضوءها أثر بعض العوامل الفردية والإجتماعية على الانحراف والجريمة، كالجنس والسن والحرفة والمستوى الثقافي والفقرو مستوى المعيشة، وانتهى فيه إلى عدة نتائج أهمها³:

- إن أسباب ظاهرة الانحراف والإجرام تتكرر سنويا بنفس الصورة.

- إن الصلة بين الفقر والجريمة غير متحققة، فبعض الجرائم تزداد مع الرخاء الإقتصادي.

- إن الصلة بين الجهل والجريمة غير متحققة، فبعض الجرائم تزداد رغم إرتفاع المستوى الثقافي.

وأصدر العالم البلجيكي كيتليه مؤلفاً بعنوان (الإنسان وتطور ملكاته)، ضمنه دراسة تأثير بعض العوامل الفردية والإجتماعية على الجريمة كالظروف الإقتصادية والطقس والجنس، كما قام بتوزيع المجتمعات إلى فئات بحسب السن والنوع، على أساس السلوك الإجرامي لهذه الفئات، وإنتهى كيتليه إلى القول بأن الظاهرة الإجرامية بوصفها ظاهرة إجتماعية تخضع لقواعد عامة تحكمها شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعية الأخرى، معتبراً

¹ - محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون سنة، ص 23.

² - عمر السعيد رمضان، علم الإجرام والعقاب، جامعة القاهرة، مصر، 1975، ص 06.

³ - علي حسن محمد طوالبه، مرجع سابق، ص 14.

الجريمة كواقعة عديدة فردية (شخصية)¹، وتأثر بهذه الأفكار عالم الإجتماع جابريل تارد الذي ذهب في تحليله للظاهرة الإجرامية والانحراف إلى القول بأن المجرم أو المنحرف يكون ضحية يائسة للنظام الإجتماعي والإقتصادي القائم، وبالتالي يحل فيها الخطأ الجماعي محل الخطأ الفردي، حتى يبدو جميع الناس جناة فيها عدا المجرم².

ويعد إميل دوركايم من أنصار الوسط الإجتماعي أيضا، فقد ذهب إلى القول بأن دراسة التاريخ تؤكد لنا أنه كلما كان لمجتمع متحضرا ومتطورا كلما كانت العقوبة أقرب إلى الرحمة وعلى العكس من ذلك كلما كان المجتمع متخلفا برزت العقوبات الرادعة التي تتميز بالعنف والقسوة، وقد عنى دوركايم أيضا بكل الروابط الإجتماعية وصلتها بالانحراف والجريمة باعتبارها ظاهرة إجتماعية إعتيادية تقع في المجتمعات مهما اتصفت بالتباين من حيث أنظمتها الإقتصادية والسياسية والإجتماعية، لأن الانحراف والجريمة هي الثمن الذي ينبغي أن تدفعه للتقدم الحضاري، وللتغير الذي تقتضيه عجلة الحياة المتطورة باستمرار.

وعلى الرغم من ذلك فقد أعطت هذه المدرسة إلى المجتمع الدور الأساس في تحقيق ظاهرة الانحراف، نتيجة إهماله وعدم إلتزامه بالقيام بالأعباء الملقاة على عاتقه في تربية الفرد وتهذيبه، إضافة إلى تركه يتربى في بيئة فاسدة تدفعه للإندماج تدريجيا مع المنحرفين والمجرمين وبالتالي ارتكاب الجريمة، فالوسط الإجتماعي وفقا لتعاليم هذه المدرسة يمثل المصدر الرئيسي للجرائم، فهو يمثل الغذاء الذي تقتات عليه، لأن العوامل الفردية وحدها لا تقوى على دفع الشخص إلى الانحراف وتجعل منه مجرما، لذلك ومن أجل مكافحة ظاهرة

¹ - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 120.

² - Tarde (G), La criminalité « comparee », 4 édition, Paris, P130.

الإنحراف يجب أن تتجه هذه المكافحة أساسا إلى تغيير الوسط الاجتماعي، وتجعل منه أكثر إيجابية والتزاما للقيام بالدور المأمول منه في تربية الفرد وتوجيهه¹.

ولا شك أن للتغير الاجتماعي تأثيرا كبيرا وسببا مباشرا في حدوث السلوك الإنحرافي ويعرف التغير الاجتماعي بمعناه الشامل بالعملية التحولية للنظم الاجتماعية، وتحتوي هذه النظم أنماط الفعل والتفاعل وما ينتجه من معايير وقواعد للسلوك وقيم وثقافة ورموز فالتغير بمعنى أدق هو عبارة عن التعديلات التي تحدث في شتى أنواع الحياة في مجتمع ما أو شعب من الشعوب كنتيجة لعوامل كثيرة في فترة زمنية محددة²، ورغم تعدد الآراء حول تحديد أو تصنيف موحد لهذه العوامل إلا أنه بالإمكان تقسيم عوامل التغير الاجتماعي إلى عوامل ذاتية (سياسية، إيديولوجية..) وعوامل موضوعية (عوامل طبيعية، عوامل اجتماعية..) وتتداخل معظم هذه العوامل في إحداث التغير الاجتماعي داخل المجتمع³، وقد ترتب على تلك المتغيرات آثار واضحة على الجريمة والسلوك الإنحرافي في المجتمع، فقد أدى التغير الحادث في القيم السائدة بتبوء القيمة لمادية وسيادتها على غيرها من القيم الأصيلة الأخرى وظهرت مصادر سلوكية جديدة، دعمها ذلك التقدم الكبير في مجالات الاتصالات والمواصلات مما أدى إلى سهولة الإحتكاك بين المجتمعات إستوردت معها قيما جديدة على المجتمع ومفاهيم غريبة وعادات منقولة قد لا تتناسب مع القيم الأصيلة السائدة⁴.

وبناء على ما سبق، فإن أسباب السلوك الإنحرافي لا يشير في علم الاجتماع إلى غياب المعيار، وإنما يشير إلى إنتهاك المعايير نتيجة لوجود دافع معين لذلك أو نتيجة لمجموعة من

¹ - durkhiem (E), Les regles la méthode sociologique, (p,u,f), 1977, P10.

² - أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، المفاهيم، الهيئة العامة للكتاب، ط 07، الإسكندرية، 1980، ص 52.

³ - محمد الجوهري وآخرون، التغير الاجتماعي، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 155.

⁴ - محمد شفيق، التغير الاجتماعي وأثره على الجريمة، المجلة العربية لعلوم الشرطة، الأمن العام، العدد 124، يناير 1989 ص 93.

العوامل والظروف أو الضغوط التي تخضع لها الفرد، مثل الشخص الذي يرغب في الإمتثال لمعيار الأمانة ولكنه تحت وطأة الفقر وحاجات الأسرة قد يضطر إلى السرقة أو خيانة الأمانة¹.

ومن جهة أخرى، فقد جعل المنهج الإسلامي قضية السلوك من أشد القضايا أهمية لأنها محور نشاطه وميدان عمله، والمنهج الإسلامي يقدم معالجة صحيحة لمشكلة السلوك الإنحرافي بحيث يمكن بناء نظرية متكاملة لحل المشكلات في ضوء هذا المنهج.

ويرى الأستاذ علي حسن المشرفي أن جميع النظريات الغربية المفسرة لظاهرة الانحراف نشأت في التربية الغربية وتأثرت بظروفها وأحوالها، فهي تفسر سلوك الإنسان الغربي، أما الأمة الإسلامية فلها خصوصياتها في المجال النفسي والسلوكي والأخلاقي والاجتماعي والثقافي.. الخ².

المطلب الثالث: الخصائص المميزة لسلوك المنحرفين:

ترتبط العديد من الدراسات من خلال تحليلها للخصائص المميزة لسلوك المنحرفين بأبعاده البيولوجية والنفسية والعقلية والاجتماعية، ونتطرق بإختصار فيما يلي لأهم الدراسات في ذات الموضوع.

الدراسات البيولوجية:

تتمثل هذه الدراسة بالفحص الطبي الشامل للأعضاء الخارجية والأجهزة الداخلية لمجرم معين بذاته، لملاحظة ما قد يشوبها من نقص أو تشويه أو خلل يساعد الباحث على

¹ - عدنان الدوري، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ذات السلاسل للنشر، الكويت، 1984، ص 95.

² - علي حسين المشرفي، المنهج الإسلامي في تدريس علوم الإجرام، أعمال مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، جامعة الأزهر القاهرة، 1992، ص 770.

تحليل سلوكه الإجرامي¹، والبحث في أسباب تكوين هذا السلوك والربط بين هذا الخلل وبين هذا التكوين، وبالإضافة لهذا الفحص فإن الدراسات البيولوجية قد امتدت لتشمل دراسة تأثير إختلالات الغدد، كتأثير إفرازات الغدد الصماء مثلا على الجهاز العصبي والجهاز النفسي للشخص وأثرها في سلوك المنحرف، وقد أظهرت الأبحاث العلمية التي أجراها بعض العلماء أهمية الدراسة البيولوجية، والتي إنتهت إلى ضرورة الإهتمام بالأنثروبولوجيا التفاضلية، إذ يمكن بموجبها تقسيم الأشخاص بحسب الأشكال الخارجية لأعضاء الجسم وأثر ذلك على تكوينهم النفسي ومشاعرهم وأحاسيسهم، مما يفسر لنا تكوينهم الإجرامي في ضوء هذا التقسيم، إضافة إلى إظهار هذه الأبحاث لأهمية التكوين النفسي للفرد الذي له صلة وثيقة بإفرازات الغدد الصماء، وتأثير إختلالها على سلوك الفرد وتصرفاته²، وقد استخدم أنصار هذه الطريقة الأجهزة العلمية المتطورة في فحص الغدد وأجهزة الجسم الداخلية، إضافة إلى الفحص الطبي الشامل، كأجهزة الأشعة والتحليل البيولوجية وتخطيط الدماغ.

أما عن تاريخ دراسة الأعضاء الخارجية لجسم المجرم، فإنها تمتد إلى زمن بعيد لكنها لم تتخذ منهجا علميا إلا على يد العالم الإيطالي لمبروزو، الذي يعتبر أول من ربط تفسير السلوك الإجرامي للفرد بالعوامل البيولوجية، من خلال نظرتة إلى المجرم بوصفه إنسان يحمل أوصافا خاصة³.

وظهرت النظرية البيولوجية للعالم النفساني الأمريكي ستانلي هول " Stanley Holl " كأول نظرية خاصة بالمراهق، وسميت (النظرية البيولوجية) وهي مخطط لمراحل البشر عبر العصور مسجلة في البنية الجينية لكل فرد، حيث أن مراحل كل فرد منذ الولادة إلى سن الرشد تتناسب مع مراحل التطور البشري بأكمله، وحسب هول في سن المراهقة يكون الفرد

¹- يسر أنور علي، أمال عبد الرحيم عثمان، علم الإجرام وعلم العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص 115.

²- مأمون محمد سلامة، أصول علم الإجرام والعقاب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979، ص 94.

³- محمد شلال حبيب العاني، علم الإجرام والعقاب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 1998، ص 51.

غير مستقر يميل إلى الإنعزال وإلى التقرب أحيانا، وخلال هذه المرحلة يدرك الفرد مفهوم القيم وذلك حسب إمكانياته العقلية والفكرية، كما أنها مرحلة مهمة ذات أثر على الحياة المستقبلية تحدد فيها له الأدوار الإجتماعية، ويعطي "هول" أهمية لأثر المحيط ففي نظره يمر كل الأفراد بنفس المراحل مهما كان المحيط الإجتماعي والثقافي الذي ينمو فيه الفرد، بالإضافة إلى أنه يؤكد أن السلوكيات الغير المرغوب فيها إجتماعيا ما هي إلا انعكاس لمرحلة من التطور البشري عبر التاريخ، ومن ثم فلا شك أنه انعكاس سيختفي وذلك تبعا لمخطط التطور الجيني ودون تدخل من طرف المحيط¹.

الدراسات النفسية والعقلية:

برزت أهمية هذه الدراسات في تحليلها لخصائص السلوك المنحرف من خلال ما ذهب إليه بعض المتخصصين في علم الإجرام، من أن السلوك المنحرف والإجرامي نتيجة خلل في النفس أو نقص في العقل، كما ذهب البعض الآخر إلى القول بأن الإنحراف ليس إلا حدثا طارئا، ولا يتوقف على تحقيق ظرف من الظروف، وبأنه أمر محيط بأعماق النفس لأنه السلوك الناشئ عن الصراع الداخلي والتعارض مع قيم المجتمع ومصالحه، بسبب فشل الإنسان في تحقيق رغباته ومتطلباته الأساسية².

كما أن هناك من يرى بأن الإنحراف ليس إلا عرضا من الأعراض العقلية، ولقد كان من نتائج الربط بين الجوانب النفسية والعقلية للمنحرف بين السلوك الإجرامي إزدهار علم النفس الجنائي، الذي يهتم بدراسة الأحوال النفسية للمجرمين وتحديد درجة ذكائهم ومدى الخلل الذي يصيب عواطفهم وغرائزهم، وتعتمد هذه الدراسات على طريقة دراسة حالة منحرف معين بالذات، وقد كان الأسلوب المتبع في الكشف عن نفسية المنحرف في المراحل

¹ - محمد زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشرق، جدة، 1990، ص 91.

² - محمد شلال حبيب العاني، مرجع سابق، ص 51.

الأولى للدراسات النفسية، يتحقق في جمع البيانات والمعلومات عن المجرم بالاستناد إلى طريقة الإستبيان أو المقابلة، ثم العمل على تجميعها وتنسيقها لغرض استخلاص العامل الدافع في السلوك الإجرامي، وقد استخدمت أحدث الأجهزة والآلات والوسائل الدقيقة في دراسة الظواهر النفسية، ورصد الكثير من إنفعالات المجرم والعديد من الظواهر النفسية المختلفة بشكل يدعو إلى الاطمئنان، مجنبا الباحث مواطن الخلل والزلل قدر الإمكان، وبهذا الصدد فقد تم إنشاء أول معهد للتجارب النفسية في مدينة لايبزك في ألمانيا سنة 1879، ما لبث أن إنتشرت أبحاثه في أرجاء ألمانيا وكثير من البلدان الأوروبية والأمريكية، حيث كان معهدا علميا ناجحا في مجال دراسة السلوك الإجرامي، لأن نشاطه لم يقتصر على رصد الكثير من الظواهر التي يتعذر مراقبتها بالمشاهدة المجردة، بل تعداها إلى إنشاء وتكوين الظاهرة المرضية نفسها بوسائل مصطنعة في الفعل الطبيعي للإنسان تحت الفحص والإختبار، ولعل من أكثر هذه الأعراض وضوحا هي الإختلالات المديرة تحت تأثير التنويم المغناطيسي، حيث ساعدت هذه التجارب على تفسير الكثير من الظواهر التي تعذر دراستها باستخدام الوسائل العلمية والطبيعية، وتستهدف الدراسات النفسية والعقلية فحص مستوى الذكاء والميول والأهواء الغريزية والناحية الشعورية والعاطفية، وتستخدم هذه الوسائل من جهة أخرى لمعالجة المريض نفسيا بأساليب حديثة، أشهرها العلاج بالإيحاء والعلاج بالتنويم المغناطيسي والعلاج بتفريغ الإنفعالات المكظوظة والعلاج بالتحليل النفسي¹.

وكان للفقهاء المسلمين وسائلهم الخاصة في علاج الأمراض النفسية التي تتلائم مع النفس وأهوائها وآفاتهما وعللها، ويمكن القول أن أبرز من استخدم هذه الوسائل في العلاج ابن سينا والغزالي، إذ عالج الأول كثيرا من الأمراض النفسية بطرق مختلفة ذكرها في كتابه (القانون في الطب)، أما الثاني فقد عالج كثيرا من الدوافع الفطرية والمكتسبة والإنفعالات

¹ محمد فتحي، علم النفس الجنائي علما وعملا، مكتبة النهضة المصرية، ط 02، القاهرة، 1969، ص 288.

ومن أهمها الخوف والغضب بأسلوب يتناسب مع دقتها وعمقها وأثرها في السلوك، وذلك في كتابه (إحياء علوم الدين)¹.

الدراسات الإجتماعية:

قام أنصار هذه المدرسة بعدة دراسات وأبحاث، أكدت أن الصلة وثيقة بين السلوك المنحرف وبعض العوامل الإجتماعية، كالفقر والتفكك الأسري وصحبة المنحرفين وغيرها وبالرغم من إجماعهم على أهمية البيئة الإجتماعية في التأثير على السلوك الإنساني، فقد اختلفوا في مدى أهمية بعض هذه العوامل ما بين إقتصادية وأسرية وثقافية وتربوية وغيرها².

وتتمثل الخصائص المميزة للسلوك المنحرف حسب جبرائيل تارد ودوافع الإنحراف في نظريته " المحاكات والتقليد"، أن الإنسان لا يولد منحرفا بل يتأثر بتصرفات الآخرين ويرتكب السلوك الإنحرافي بإيحاء منهم وتقليدا لهم، وأن أنماط تعلم الجريمة والجناح تماثل إلى حد كبير أنماط التعلم في أية مهمة أخرى³.

ونادى عالم الإجتماع الأمريكي ادوين سذرلاند من خلال نظرية "المخالطة الفارقة" بأن السلوك المنحرف يكتسب بالتعلم الذي يتم عن طريق مخالطة الآخرين والتفاعل معهم في الجماعات المتميزة بالقرب والألفة، والتأثر بتوجههم نحو تصرف معين واعتناق إتجاهات ودوافع ومبررات هذا التصرف، ويرى ويليم بونجر أن لبعض العوامل الإقتصادية أثرا سيئا على الأخلاق، فالفقر والبطالة كلها عوامل ودوافع تساعد على الإنحراف، فالسلوك المنحرف حسب هذا التصور هو رد فعل لظروف الحياة التي تمثلها الطبقة الإجتماعية للفرد⁴، وقام

¹ - علي حسن محمد طوالبه، مرجع سابق، ص 53.

² - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 207.

³ - Gabriel (T), Penal Philosophy, Little/ Brown, Boston, 1912, P 35.

⁴ - William (b), Criminality and Economic Condition, Little Brown, Boston, 1916, P 202.

سيريل بيرت بدراسة مستفيضة عن جناح الأحداث الذي أرجعه بصفة عامة إلى سوء البيئة الإجتماعية بما في ذلك من التفكك الأسري والفقرو سوء المعيشة والسكن¹.

ومن جهة أخرى، نستطيع أن نحدد بعض الخصائص التي أثبتت وجود توافق بين المنحرفين من حيث العمر والمستوى التعليمي وطبيعة العمل الإحرفي الذي يقومون به ويمكن توضيح بعض أهم تلك الخصائص المميزة للمنحرفين فيما يلي²:

العمر: عادة ما تبدأ بوادر الإحرف في سن مبكرة للطفل وتستمر حتى مرحلة الشباب، فهي ظاهرة مستمرة عبر الزمن، ويختلف المراهقون الجانحون عن غيرهم من المراهقين الأسوياء الذين هم من نفس الشريحة السكانية، ويتضح من بعض الدراسات أن هناك فئة عمرية معينة تميل إلى ممارسة السلوك الإحرفي أكثر من غيرها والتي تتراوح بين (16-18) سنة وتليها الفئة العمرية من (13-16) سنة، وهي مرحلة عمرية تعد من أشد مراحل الإنسان أهمية لما تتميز به من تغيرات جسمية ونفسية واجتماعية مما يجعلها أكثر استثارة، وهذا يتطلب ضرورة التعامل معها وفق أساليب تربوية إسلامية حتى تتم عملية التنشئة الإجتماعية للحدث بشكل سليم، تتوافق مع القيم والقواعد والمبادئ الصحيحة السائدة بالمجتمع.

العزوف عن الدراسة: في دراسة للأستاذ عبد الله بن ناصر السدحان، حول مشكلة قضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحرف الأحداث، أثبت أن نسبة كبيرة من الأحداث الجانحين غير منتظمين في دراستهم بل إن نسبة معتبرة منهم يتغيبون كثيرا عن الدراسة³.

¹ - عصمت عدلي، نفس المرجع، ص 208.

² - السدحان عبد الله بن ناصر، قضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحرف الأحداث، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، 1995، ص 65.

³ - السدحان عبد الله بن ناصر، نفس المرجع، ص 145.

إن عزوف الشباب عن مواصلة التعليم بهدف الإلتحاق بسوق العمل، يحرمه من حقه في اكتساب العلم والمعرفة ويضيع عليه فرصة اللحاق بأقرانه الذين واصلوا مسيرتهم التعليمية، ونتيجة لهذا تتفشى الأمية بين كثير من الشباب فيشبون جهلاء لا يقدرّون على تمييز النافع من الضار والخير من الشر والفضيلة من الرذيلة، وبذلك يكونون لقمة سائغة لتيار الإنحراف والجنوح¹.

جماعة الرفاق: عادة ما يختار الشخص أصدقاءه من المدرسة أو الجيران أو محل العمل عادة ما يختارهم من المتقاربين مع سنه وميوله وإتجاهاته، ويتوقف تأثير الأصدقاء على نفسية الحدث على نوعية هؤلاء الأصدقاء فمنهم الصالح ومنهم من هو غير ذلك، وإذا كانت الجماعة متمردة ولا تقيم للقانون وزنا فإن تأثيرها يكون بالغ السوء، إذ أن وجود الشخص بين أصدقائه يجعلهم يؤثرون فيه، وتبلغ الخطورة حدا كبيرا إذا انظم الشخص إلى عصابة منحرفة أو إجرامية، وذلك لأن الأحداث يسهل السيطرة عليهم ودفعهم إلى الدخول عالم الإنحراف والجريمة².

الظروف الإقتصادية: في حالة كون الإقتصاد الزراعي هو الإقتصاد السائد، فإن هذا يقلل من الإنحراف نظرا لطبيعة الحياة الريفية بصفة خاصة، أما في المجتمع الصناعي فإن الإنحراف يأخذ صورة أخرى، بسبب طبيعة الحياة في المدن وطبيعة العلاقات الأسرية في جو المدينة، وكذا التقلبات الإقتصادية التي يصحبها عادة زيادة في نسب الإنحراف والجرائم.

التفكك الإجتماعي: هناك بعض الظروف السكنية السيئة والإزدحام وانخفاض مستويات المعيشة والصراعات الإجتماعية، هي أعراض تعكس نمط الحياة في الجماعة المحلية أكثر منها

¹ - خفاجي حسن علي، دراسات في علم الإجتماع الجنائي، مطبعة المدينة، جدة، 1977، ص 86.

² - طارق السيد، مرجع سابق، ص 64.

عوامل تسهم إسهاما مباشرا في الانحراف والجريمة، فالأسر المفككة والأفراد المنحرفون تعكس صورة الأوضاع التي يعيشونها في المجتمع المحلي¹.

بعد عرضنا بعض الدراسات العلمية التي تناولت الخصائص المميزة للسلوك الانحرافي ورغم تعددها وتنوعها والتي تم ردها إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية، إتجاه التحليل العضوي الذي يصيب الفرد، وعيب هذا الإتجاه أنه يرى في العوامل العضوية وحدها خاصية للسلوك المنحرف، وإتجاه الثاني وهو التحليل النفسي ويؤخذ عليه كذلك أنه يرى أن الانحراف نتاجا للأمراض النفسية والعقلية التي تعترى أشخاصا معينين فتدفعهم إلى الانحراف، وأخيرا اتجاه التحليل الإجتماعي الذي يفسر الظاهرة من خلال مجموعة العوامل الإجتماعية المحيطة بالشخص، ونظرا لما تتسم به الدراسات السابق عرضها من قصور يعجز عن بلوغ درجة تعقد ظاهرة الانحراف والإحاطة بكافة جوانبه، ظهر إتجاه ثالث والمعروف بالإتجاه التكاملي والذي يرى أصحابه أن السلوك الانحرافي هو سلوك مركب لا يمكن أن يخضع للتجزئة، أي لعوامل ذات صبغة إجتماعية أو عضوية أو نفسية خالصة، بل أن مزيجا مشتركا من عدة عوامل هو الذي يؤدي إلى السلوك المنحرف².

وقد دلت أعمال العالمين الأمريكيين شلدون واليانور جلوك على الإتجاه التعددي ينظر إلى الإنسان على أنه وحدة عضوية نفسية إجتماعية، وقد وصلوا إلى ثلاث جداول للتنبؤ بالانحراف، أحدهما يحتوي على عوامل إجتماعية مثل معاملة الأب ورقابة الأم واهتمام الوالدين والترابط الأسري والثاني خاص بالعوامل النفسية مثل الرغبة في تأكيد الذات

¹- طارق السيد، نفس المرجع، ص 115.

²- محمد عارف، الجريمة في المجتمع نقد منهجي لتفسير السلوك الاجرامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975، ص 386.

والتحدي والتشكك والميل إلى التخريب والإندفاعية، بينما يتعلق الجدول الثالث بالعوامل الطب العقلية المتأثرة بالجهاز العضوي، مثل التعصب وعدم الإتيان الإنفعالي¹.

ومما لاشك فيه أن التنسيق بين هذه الدراسات يدفع بها نحو نتائج أكثر إستقراراً وتعميماً، وبهذا التكامل في مجالات دراسة خصائص ظاهرة الإنحراف يمكن أن تخطو خطوات أكثر ثباتاً نحو الكمال².

المطلب الرابع: العوامل المساعدة على انتشار ظاهرة الإنحراف:

يجب الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الممثلة لظاهرة الإنحراف، والتي تعتبر من العوامل المساعدة على انتشار هذه الظاهرة عند الشباب، بدايةً بمحيطه الإجتماعي الأسري والمحيط الإجتماعي الموسع الذي يشمل باقي المؤسسات الإجتماعية التي لها دور في تنشئته، وطبيعة هذه المؤسسات ومدى تأثيرها في ظهور سلوك الإنحراف لدى الفرد، ويمكن في هذا الإطار التطرق إلى بعض العوامل المساعدة على انتشار ظاهرة الإنحراف كمنطلق لمحاولات إيجاد تفسير لها، إلى ثلاث أبعاد يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً/: انحصار دور مؤسسات التنشئة الإجتماعية: يكون على الشكل الذي يتمثل في تخلي المؤسسات التي تتوسط الفرد وباقي المجتمع عن دورها وانحصار وظائفها، تاركتا الفرد لوحده في مواجهة التغيرات الإجتماعية والإقتصادية والثقافية... إلخ، التي يشهدها المجتمع الحديث ولغة الشارع التي فسدت أمام سلوكيات شاذة ونماذج مريضة في كل شيء، إبتداءً بسلطة القرار وإنهاءً بمؤسسات هامة نسيت دورها وتخلت عن مسؤولياتها³، والشباب ليس

¹ - محمد علي حسن، علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جناح الحدث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص 68.

² - عبد الفتاح الصيفي، علم الإجرام، دراسة حول ذاتيته ومنهجه ونظرياته، مرجع سابق، ص 276.

³ - عصمت عدلي، الجريمة وقضايا السلوك الإنحرافي بين الفهم والتحليل، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2009 ص 05.

وحده من يتحمل تبعات هذه الوضعية، بل إن الآباء هم أيضا موضوع هذا القلق الناتج عن أزمة المجتمع الحديث، فهم لا يتمتعون بدورهم التقليدي ولا يتحسسون دورا جديدا لهم، إذ لم يعودوا يمثلون مصدرا للمعارف والخبرات الإجتماعية، ولم يعودوا يمثلون مصدرا للقيم الثقافية والمعايير الإجتماعية، وزادت وتيرة التطور التكنولوجي من التباعد بين الآباء والأبناء بخلقها عدم المساواة على المستوى المعرفي، وعلى مستوى الخطاب المختلف من فئة لأخرى ومن جيل لآخر، وخلق نوع من العجز عن الإتصال والتواصل بين الأجيال، وبالتالي فإن الأشخاص الراشدون فقدوا دورهم كموضوع للتماثل من طرف الأطفال والشباب مقارنة بالدور الذي تمثله جماعة الرفاق والزملاء أو الشارع، وبهذا التغير تغيرت تصورات وسلوكات ونمط العلاقات الاجتماعية وتغيرت معها القيم والمعايير الاجتماعية¹.

هؤلاء المراهقون والشباب الموجودون في وضعية سيئة في أسر في مرحلة تحول والمستاءون أيضا من المدرسة بغير نتائج أو مخرج واضح حول مستقبلهم، والذين لا يجدون مكانا واضحا لهم في مجتمع متأزم لا يعرف كيف يستقبلهم، فالمعرفة المتاحة لهؤلاء الشباب بالوسط الخارجي وبالعالم المحيط بهم يجعلهم أكثر رفضا لوضعيتهم وعجزهم، إنهم يشعرون بالحرمان من حريتهم وبأن مشاريعهم المستقبلية معطلة ومهملة، وبأنهم لا يملكون أي سلطة ونفوذ على حياتهم ومستقبلهم، إنهم يطلبون علاقات اجتماعية جديدة وأشكال جديدة من الإتصال، إنهم بإختصار يبحثون عن مكانة لهم ودور في هذا المجتمع كإجابة عن هذا الطلب والبحث دون مخرج أو إجابة، فإن أنماط من السلوك المحتمل لهؤلاء الشباب هي:

- الدخول في نهاية المطاف في النظام الإجتماعي، حتى في حال تقديم لهذا النظام.

- رفض قواعد المجتمع أو الإنقطاع كليا عنه.

1 - Mostefa, Boutefnouchet : La Société Algérienne en Transition, Office des Publication Universitaires, Alger, p 32.

وهو ما يمكن أن يأخذ عمليا عدة أشكال: العنف، التشرذم، السلوك السيكوباتولوجي وهي كلها أشكال من التعبير المختلفة لنفس الوضعية، والمتمثلة في عدم القدرة على إيصال صوتهم للمجتمع، وعدم القدرة على التكيف مع معاييرهم.

كما أن الإهمال وضعف الحياة العاطفية في رحم الأسرة نفسها، وفقر التبادلات بين الأفراد، وأزمة المؤسسات الإجتماعية، خاصة تلك التي تمثل الأهمية في عملية التنشئة الإجتماعية، الأسرة، المدرسة، المساجد... إلخ، وفقد الثقة في المعايير والقيم التقليدية للمجتمع والتي لا يعوضها التقدير المتزايد من طرف الأفراد والمجتمع عامة للنجاح المادي للفرد للإنحراف الإجتماعي، فهذه الأسر تنتج لنا أفراد سيعانون أشكالا مختلفة من الاضطرابات والمشاكل النفسية والاجتماعية من بينها مشاكل في الاندماج الاجتماعي¹.

ثانيا/ أزمة المجتمع الحديث: إن أزمة المجتمع الحديث كثيرا ما كانت محل دراسة وبحث يمكن عرض تصورهما بالإضافة إلى العوامل المرتبطة بالتطور الحضري، والمتمثلة في ضخامة المدينة، وقلة الإمكانيات والتجهيزات، أو عدم توزيعها بالشكل الذي يتيح للجميع الاستفادة منها، وتمركزها فقط في أجزاء معينة من المدينة دون أخرى، وما ينتج عن ذلك من إنحراف وشذوذ وتطرف وجماعات هامشية كنتيجة للتمييز والإقصاء، وتعمل التنشئة الاجتماعية على نقل القيم الحضارية الأصلية والمحافظة عليها من الزوال بفعل قيم لحضارات أخرى، وهذا ما تعاني منه الشعوب العربية والإسلامية من غزو من طرف الحضارة الغربية².

والسلوك الإنحرافي هو سلوك نسبي يختلف من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر، لذلك فهو متغير بتغير أحوال المجتمعات باستمرار، خاصة بما يعد الحداثة وظهور مفهوم عولمة الجريمة

¹ - فاطمة الزهراء مشتاوي، العلاج الأسري والطفل الحامل للمشاكل النفسية، دار النشر دحلب، الجزائر، 2016، ص 21.

² - عبد العزيز خواجه: مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار الغرب لنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005، ص 74.

نتيجة انفتاح الأسواق وتداخل المعاملات الدولية ومن ثم ظهر ما يعرف بالجريمة المنظمة العابرة للحدود التي تعتمد على أحدث وسائل التقنية الحديثة، حيث أصبح المجرمون في ظل معطيات العولمة أكثر قدرة على الحركة وأوفر حظا في الوصول إلى أهدافهم الإجرامية¹.

والإنسانية في سياق التحول من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات العالمي على شفا انقلاب كامل في الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وهذا الانقلاب خصوصا في ظل العولمة بتجلياتها المتعددة يحتاج إلى إطار نظري ومنهجي جديد يكون قادرا على وصف أبعاده المتعددة وعلى فهم عملياته المعقدة، وقد انعكس ذلك هذا الأمر بصورة سلبية على النظام الدولي ودول العالم قاطبة، مما أستتبع أهمية وضرورة زيادة التعاون بين كافة الدول التي تعاني من تفشي أشكال الجرائم ذات الصبغة العالمية ومواجهة المستجدات الجديدة والتطورات المتلاحقة من الجرائم المستحدثة الإقتصادية منها والإجتماعية².

وقد أسفر التطور الذي أصاب الحياة الإجتماعية المعاصرة في مختلف جوانبها إلى ظهور ما يمكن تسميته بتيار الإجرام المعاصر، والذي يقصد به كافة الأنماط الحديثة التي تتنوع إليها الظاهرة الإجرامية بسبب ما يستجد في الواقع الإجتماعي من ظروف وما يطرأ على هذا الواقع من متغيرات تترك آثارها في السلوك الإجرامي فتغير من شكله وأسلوبه بل وطرق مواجهته وإذا كنا نتحدث هنا عن تلك المرحلة المعاصرة التي وصلت إليها الجريمة والسلوك الإنحرافي خلال تطورها التاريخي، والطفرة الهائلة في وسائل الإنتقال والإتصال أدت إلى تذويب الفوارق الحدودية بين المجتمعات، مما كان له أثره الفعال في سرعة انتقال عدوى الإنحراف والجريمة بشكل يفوق انتقال العدوى الجرثومية، ولقد أسفر ذلك كله في النهاية إلى ظهور ما يمكن

¹ - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 53.

² - عصام إبراهيم الترساوي، مكافحة الجريمة المنظمة والمخدرات - التاريخ والسياسات -، إصدارات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2004، ص 20.

تسميته باستدراد منسوب الجريمة في نطاق المجتمعات ذات الظروف المتماثلة، وبصورة ساعدت على زيادة نشاط تيارات التأثير والتأثير في تلك المجتمعات محققا بالتالي قدرا من التقارب والتناسب بين نوعية الجرائم ومعدلاتها¹.

ثالثا: مرحلة المراهقة والشباب: في إطار انحصار دور مؤسسات التنشئة الإجتماعية والأزمة المتعلقة بالمدينة وبالمجتمع الحديث، نجد أزمة أخرى والمرتبطة بالمراهقة والشباب كفئة خاصة من المجتمع، إذ أن الإنفجار الديموغرافي السريع كما يقوي نسبة هذه الشريحة من المجتمع ومن ثمة يقوي شعورهم بالقوة، لكن أيضا شعورهم بالقلق والضجر الناتج عن هذه الوضعية، إذ رغم أهمية هذه الفئة في المجتمع فهي ليست في وضعية قوة ولا تملك زمام أمورها وهي تدرك ذلك، وإذا غاب أو ضعف الوجدان الأخلاقي في أي مجتمع متحضر والذي يتعلق بقيم الحياة الإنسانية فإن ذلك يؤدي بالتالي إلى إنعدام حرص وإهتمام أفراد المجتمع ببعضهم البعض².

إن هذا الشعور بالا أمن لدى فئة الشباب يصبح أقوى بتأثير الحراك الإجتماعي الحاد الذي يشهد المجتمع الحديث، فالمجتمعات الإنسانية في الماضي كانت ذات طابع ريفي أكثر من خلال فترات تاريخية معتبرة، أنتجت لكل جيل من الشباب نفس أشكال التنظيم الإجتماعي تقريبا للجيل الذي سبقه ونفس المنظومة القيمية، بحيث يجد الشاب نفسه في الغالب مهيكلا بصفة تلقائية في المجتمع، فهو يرث مهنة أبيه ويحل محله، فالمستقبل بالنسبة له محدد وواضح المعالم، فهو إذن مستقبل يخلق الشعور بالأمن في نفسية الشاب، لكن مع التغير الإجتماعي السريع في المجتمع الحديث وما صاحبه من تغير في القيم، فإن الشاب يتمتع

¹- سمير أنور زغلول، الأبعاد الحديثة للمتغيرات الأمنية وانعكاساتها على منظومة إعداد ضباط الغد، مجلة كلية الشرطة العدد الثاني، القاهرة، يناير 1993، ص 16.

²- عدلي السمري، السلوك الإجرامي - النظريات - دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 64.

نظريا بفرص واختيارات أخرى لمستقبله بدلا من انتهاج مسلك أبيه، لكن يحتمل أيضا أن لا يجد ما يعمل له لتأمين مستقبله، أو أن يتلقى تكوينا ما لا يؤدي به إلى نتيجة على مستوى حياته المهنية وبالتالي فهو مهدد بالبطالة، هذه الوضعية التي يعبر عنها بشكل جيد و دقيق بمصطلح شبخ البطالة في المجتمع الجزائري، لما يمثله من غموض وعدم وضوح الرؤية بالنسبة للشباب حول مستقبله، ومن هنا لا تفوتنا الإشارة إلى أهمية العمل أو الوظيفة في حياة كل شاب وكل فرد من أفراد المجتمع، كأحد الجوانب الممثلة للبعد الإقتصادي والإجتماعي عامة، ومن هنا نفهم موفق النظريات أو التفسيرات التي تعطي أولوية للظروف الإقتصادية والإجتماعية في تناولها لظاهرتي الانحراف وتعاطي المخدرات¹.

ويمكن تلخيص العوامل المساعدة على انتشار ظاهرة الانحراف في ما يلي²:

- بعد العائلة عن أداء مهامها الأسرية وتحمل مسؤولياتها اتجاه أبنائها.
- ضعف المنظومة التربوية والتي آلت إلى مستويات من الانحطاط الأخلاقي والتربوي والمعرفي والسلوكي بما لا يتيح تكوين الفرد تكوينا شاملا سليما ومتكاملا.
- سيطرة طفيليين في الأعوام الأخيرة على العقيدة الدينية.
- الغزو الرهيب لمجتمعنا من قبل الفضائيات الأجنبية، وما تروجه من أفلام العنف والانحراف والجنس، مما شكل خطرا حقيقيا على قيم ومبادئ المجتمع الإنساني.
- البطالة وما ترتب عنها من اختناق اجتماعي ومن مخاطر تهدد سلامة الفرد نفسه وأمن المجتمع برمته.

¹ - السيد علي الشنا، الانحراف الإجتماعي - الإنماط والتكلفة -، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية، 1999، ص 15.
² - عصمت عدلي، الجريمة وقضايا السلوك الانحرافي بين الفهم والتحليل، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2009، ص ص 125-122.

• الظروف المالية الصعبة التي تمر بها الأسرة، ومستوى الأمية الذي يسجل ارتفاعاً مستمراً داخل العائلات.

• الدور السلبي لمراكز الطفولة، والتي أصبحت مراكز إيواء فقط في غياب تدخل الهيئات المعنية لإيجاد الحلول المناسبة.

وقد أسهم تطور التنظيمات الإجرامية أو عوالة الجريمة المنظمة واتساع نطاقها الإجرامي في زيادة أعدادها وتعدد بنائها، واكتسابها كثير من مظاهر التنظيم والتحديث، واتساع نطاق نشاطاتها، مما ساهم في ظهور عصابات إجرامية تعطي فرصة للأحداث والشباب الدخول في نشاطاتها الإجرامية¹، لأنهم أكثر عرضة لإساءة إستغلالهم وهدفا سهلا، مما يبرئ فرصة سهلة لأسلوب عمل عصابات الجريمة².

ونستنتج من خلال ما سبق، أن هناك العديد من العوامل المتشابكة والمختلفة ساهمت في انتشار ظاهرة الانحراف والجريمة وغيرت من طابعها الإقليمي، وحولتها في غالبية صورها إلى ظاهرة دولية يتعدى قدر إنتشارها وتوسعها نطاق حدود الدولة الواحدة، بسبب مساهمها بمصالح إجتماعية عامة لا يقتصر الإهتمام بها أو حمايتها على مجتمع دون الآخر.

المبحث الثاني : معايير قياس ظاهرة الانحراف والتدابير الوقائية والعلاجية:

يعبر مصطلح الانحراف الإجتماعي لوصف وضع إنحلالي يعتري مؤسسات المجتمع والتوافق القائم بين الشخصية والثقافة، ويؤدي إلى انتشار الفوضى والإضطراب، وبالتالي يؤدي إلى انهيار المعايير وتضييع القيم السائدة، وينشأ الانحراف والتفكك عادة إثر وقوع

¹ - علي عبد الرازق جبلي، العنف والجريمة المنظمة، دراسات في المشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2007، ص 175.

² - درويش عبد الكريم، الجريمة المنظمة عبر الحدود والقارات، مجلة الأمن والقانون، كلية الشرطة دبي، العدد الثاني 1995 ص 96.

تغيرات إجتماعية سريعة، ويتجلى في عدم الإتفاق الجزئي أو التام في الإستجابة للقيم العامة للمجتمع¹.

ويتفق معظم العلماء والباحثين على أن السلوك الإنحرافي هو نوع من الخروج عن قواعد السلوك التي يضعها المجتمع لأفراده، ومن المعلوم أن لكل مجتمع من المجتمعات البشرية نظمه الإجتماعية ومعاييره وأعرافه، التي تضبط سلوك أفراده وأن الخروج عن هذه المعايير يعتبر سلوكا منحرفا، مما يؤدي إلى اعتبار فاعله منحرفا².

بعد أن كانت العقوبة غاية بحد ذاتها، عمدت الدول بتأثير من المصلحين الإجتماعيين والعلماء الجنائيين الذين برزت كتاباتهم منذ أوائل القرن الثامن عشر، إلى الإهتمام ببرامج إصلاحية في المؤسسات العقابية بغرض إعادة تأهيل المجرم إجتماعيا، حتى يبتعد عن مهاوي الإنحراف بعد إطلاق سراحه وعودته للمجتمع، وكلها تدابير ذات بعد علاجي ووقائي تعالج الحاضر تحسبا للمستقبل وتفاديا لما يمكن أن يتعرض له المحكوم عليه من مخاطر الإنحراف فإذا لم يتم تأهيل المحكوم عليه بصورة صحيحة وإذا لم توفر له الظروف الإقتصادية والإجتماعية المناسبة لإعادة انصهاره في مجتمعه بصورة سليمة، فإن فرص الوقوع مجددا في مهاوي الإنحراف تصبح أكثر وفرة، وهذا ما يدعو إلى التركيز على هذه الظروف الإقتصادية والإجتماعية كعامل مهم في الوقاية من الجريمة³.

وتتمثل التدابير الوقائية والعلاجية في وضع استراتيجيات لمواجهة الإنحراف في المجتمع والتي تكون مرتبطة بإدراك مجموعة من الأهداف المجتمعية الملحة، ولعل حماية الأمن والسلام الإجتماعي وضمان حقوق الإنسان في المجتمع وتعزيز جهود التنمية البشرية

¹ - مصطفى الخشاب، دراسة في علم الإجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 51.

² - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 147.

³ - مصطفى العوجي، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، مؤسسة نوفل، ط 02، بيروت 1986، ص 98.

المستدامة وتوفير مناخ المشاركة والديموقراطية ودعم فرص الابتكار والإبداع، تمثل مجموعة من الأهداف الإستراتيجية التي يمكن أن تسعى إلى تحقيقها استراتيجية مواجهة الانحراف والجريمة، ويكون ذلك بتعايش كل القوى الإجتماعية والإقتصادية والسياسية بكل شرائحها الطبقية من خلال التكامل في نسيج واحد دون استغلال أو قهر¹.

المطلب الأول: المعايير النفسية كمقياس للانحراف:

يقصد بالمعايير النفسية مجموعة الصفات والخصائص التي تؤثر في تكوين الشخصية الإنسانية وتكيفها مع البيئة الخارجية، ويساهم في نشأة هذه الصفات والخصائص عوامل مختلفة، وقد أثبتت دراسات عديدة أن هناك بعض الخصائص النفسية تكون أكثر من غيرها في الميل إلى الانحراف وإرتكاب الجرائم، لذلك فإن من تتوافر فيه هذه المعايير والخصائص قد يصبح مصدر خطر في التحول للانحراف.

ويمكن القول بأن التكوين النفسي لا يؤدي إلى الانحراف دائماً، وإنما قد يكمن فيه الإستعداد للانحراف أو الإجرام، ويرى بعض الباحثون أن أي اضطراب سواء أظهر نفسه في صورة سلوك إنحرافي أو إجرامي يمكن أن يكون ناتجا عن تفاعل عدة عوامل أهمها²:

1/ العوامل التكوينية: تشمل هذه الحالات على الآتي:

- حالات الضعف العقلي.
- حالات الإحباط وعدم القدرة على تخطي الأزمات.

¹- أيمن رفعت المحجوب، الشباب طريق السلام الإجتماعي، المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية، القاهرة، 1999 ص 17.

²- طارق السيد، الانحراف الإجتماعي، الأسباب والمعالجة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012، ص 39.

- حالات زيادة أو نقص نشاط الغرائز خاصة الغرائز الجنسية والأشكال العدوانية المختلفة.

- حالات الإصابة بالقلق وفقدان الثقة بالنفس.

2/ العوامل المرسبة: المقصود بالعوامل المرسبة تلك الأزمات أحيانا في صورة إحباط شديد مع ميل للعدوان.

3/ العوامل الإرتقائية: هذه العوامل هي التي تختص بالنمو النفسي للفرد منذ ان يولد، وحتى يصل إلى سن الرشد.

ونستخلص مما تقدم، أن الإستعداد الإنحرافي يتوافر في شخصية تعاني من خلل في أحد العناصر الوراثية والعناصر المكتسبة، من خلال الصراع بين الدوافع الغريزية الفردية وبين متطلبات الحياة الإجتماعية، حيث تلح الغرائز والشهوات على ارتكاب السلوك الإنحرافي (القوة الدافعة للإنحراف) وتنهى المثل السامية والأخلاق الحميدة الفرد وتمنعه عن إرتكاب الجريمة (القوة المانعة للإنحراف)¹، ويظهر هذا الإستعداد كامنا حتى يلتقي بأحد العوامل الخارجية المحيطة بالشخص، التي تتفاعل معه وتظهر في شكل سلوك إجرامي أو سلوك إنحرافي².

ومن الناحية الدينية، قد يعود سلوك الإنحراف لمعايير ذاتية نفسية، وتتضمن الإنحراف عن الفطرة وإتباع الشيطان وإتباع هوى النفس وضعف الإيمان، فضعف الوازع الديني والذات الأخلاقية من شأنه أن يجعل الفرد فريسة للأزمات النفسية والإضطرابات السلوكية

¹- جلال ثروت، علم الإجرام وعلم العقاب، دار الهدى للطبوعات، الإسكندرية، 2007، ص 90.

²- محمد عارف، الجريمة في المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971، ص 222.

التي تؤدي إلى الانحراف، ويؤكد علي حسن المشرفي على أن العوامل تتمثل في الأصول الثلاثة وهي¹:

1- الأصل في الإنسان الفطرة السليمة، وعليها ينشأ الإنسان صالحا، إذا لم يجد من المؤثرات الخارجية ما يصرفه عن حالة الصلاح.

2- الإنسان جبل على غريزة حب الذات، ومن ثم الميل الشديد إلى الإشباع المفرط لمطالب الذات، وهذه الغريزة ذات وجهين نافع وضار، فالوجه الضار قد يجر الإنسان إلى الطغيان ويؤثر في المجتمع، ولذلك جاءت التعاليم الإسلامية لتكف الغريزة الضارة بربط الدنيا بالآخرة، فتكون الغريزة النافعة هي المؤثرة في حب الذات.

3- الإستعداد للتأثر، لأن الطبع البشري يضم استعدادين ينزع كل منهما بالإنسان إلى اتجاه يصاد الآخر، كما في قوله تعالى: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها"²، وهذا التأثير يأتي عن طريق العوامل الخارجية.

ويتضح من خلال ما سبق، أن الإسلام أعطى أهمية قصوى للانحراف والجريمة من خلال النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، تصلح لكل زمان ومكان.

المطلب الثاني المعايير الإجتماعية كمقياس للانحراف:

عندما تنحرف القيم عن مجرى الاعتدال، وتميل الإتجاهات عن جادة الصواب وابتعد الفرد عن المبادئ والمثل العليا، وتشد الإستقامة عن مسارها السوي وتعجز الوظائف عن بلوغ

¹ - علي حسن المشرفي، مرجع سابق، ص 779.

² - سورة الشمس، الآية 7-8.

الغايات، تعتلي النفس وتخرج عن معايير وقواعد الأخلاق لتتحرف العقول وتضطرب الأفكار وتختل الذهنيات وتتصدع سلامة الأسرة، ترتكب الفاحشة والخطأ وتسود الجريمة وينتشر العنف داخل مجتمع ضعيف التماسك.

لقد أصبح واقع الشباب في الكثير من أبعاده يندر بالخطورة، نتيجة تفشي مختلف الآفات والانحرافات وتصاعد ظاهرة العنف والإجرام، خاصة جرائم الأصول وتناول المخدرات والانخراط في مختلف جمعيات الأشرار بشكل لافت للانتباه، رغم بعض مبادرات السياسات الحكومية التي تقدم من حين لآخر من أجل التخفيف عن بعض مشاكله وتوتراته، وتحاول إدماجه في المجتمع ليكون أداة إنتاج وتطوير بدل من أن يكون أداة قتل وهدم لكل ما يرمز للدولة والمجتمع¹.

والانحراف من هذا المنظور يمكن أن يقحم الفرد في هامش المجتمع، كشكل من عدم التوافق مع معايير وقيمه أو كشكل من هويته، أين يجد الفرد المنحرف المدمن مكانته الاجتماعية والإجابة عن مطالبه وتساؤلاته من خلال إندماجه في مجتمع التعاطي، ومنه في الانحراف والجريمة والسلوك الإنتحاري..إلخ.

ومن هذا المنطلق، فإن الانحراف وتعاطي المواد المخدرة يمثل بالنسبة للفرد قيم جديدة أو بالأحرى الثقافة المضادة للمجتمع (CONTRE - CULTURE)، وهي بمثابة رباط قوي بالنسبة للشباب ودعامة مع جماعة المنحرفين بغض النظر كونها حقيقية أو مزعومة، أين يمكن للشباب أن يتواصل مع جماعة المنحرفين وأن يجد بينهم الدفاء والدعم المتبادل الذي لم يجده في محيطه الأسري أو المدرسي..إلخ الذي رفضه.

¹- خالد عبد السلام، عوامل الانحراف الاجتماعي لدى الشباب واستراتيجيات التكفل والعلاج، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، سطيف، العدد 13 ديسمبر، 2014، ص 111.

فالسوك المنحرف يشكل بالنسبة للشباب وسيلة لتحقيق عدد معين من الأهداف على المستوى النفسي والإجتماعي من خلال المحافظة على تلاحم المجموعة، وذلك بالمحافظة على العلاقات بين أفرادها، فالإنحرف هو القاسم المشترك بين هؤلاء الأفراد الذين يشعرون بالإنتماء إلى مجتمع الجريمة، وهم يفخرون بالإنتماء إليه بدلا من إنتمائهم لمجتمع يرفضونه ويرفضهم، والسوك المنحرف من هذا المنظور تحمل معاني أو دلالات معينة، إنها تعبير عن القلق والضجر، تعبير عن حاجة ما، إنها الخطاب الذي من الممكن أن يرجع إليه الشاب عندما لا يجد أي منفذ أو خطاب آخر سوى تحطيم الذات، وهي رسالة يمكن أن تعبر عن التضامن بين أفراد المجتمع، على الأقل بالنسبة لهؤلاء الشباب المنحرفين، فالإنغماس في تيار المادية المدمرة والبعد عن النهج الصحيح في غالبية المجتمعات أورث الشباب بصفة خاصة العديد من العادات التي تمثل طريقا للجريمة لا مخرج منه إلا بعودتهم ثانية للمنهج الأخلاقي القويم¹.

المطلب الثالث: المعايير الإقتصادية كمقياس للإنحرف:

يرى كل من وست و فارنتن (West & Farrington) أن إنخفاض الدخل الأسري هو أحد المعايير الدالة على العوامل التي تميز المنحرفين عن غير المنحرفين، فالأطفال المنتمون لأسر فقيرة ويشغل أوليائهم وظائف أو مهن دنيا هم أكثر انحرافا من الأطفال الآخرين، فإنخفاض الدخل الأسري هو العامل الأكثر تمييزا بين المنحرفين المزمين والمنحرفين غير المزمين والمنحرفين القضائيين يأتون من أوساط إجتماعية فقيرة تتلقى مساعدات من الضمان الإجتماعي أو مصالح العناية بالبطلين.. إلخ².

¹- أحمد ضياء الدين خليل، الظاهرة الإجرامية بين الفهم والتحليل- دراسة نفسية جنائية للجريمة سلوكا ومواجهة، مطابع الطويجي، القاهرة، بدون سنة، ص 356.

²- west (D,j) & Farrington (D,P), the délinquant way of life, heineman, Londres,1977, P157.

وتزداد أهمية البعد الإقتصادي ويزداد معه أيضا الشعور بالأمن، مع زيادة اعتماد الشباب وإتباطهم ماديا بأسرهم وعدم إمكانيتهم التمتع باستقلالهم، في حين تزداد المتطلبات المادية، وذلك مع امتداد فترة الدراسة والتكوين بالنسبة للشباب، وبالتالي تأخر التحاقهم بالحياة العملية التي تضمن لهم مصدرا للمال والإمكانات المادية ما يجعلهم مستقلين عن أسرهم، وهو عامل مهم، إذ لا يكتمل نمو الفرد وبناء شخصيته بكيفية سليمة إلا بحدوث هذه الإستقلالية وبالتمتع بمزايا الأفراد الراشدين في المجتمع، وهو ما يفترض من الناحية السيكولوجية أن ينمو في نهاية مرحلة المراهقة.

وللفراغ والبطالة تأثير نفسي على معنويات الشباب خاصة مع ضعف الإقبال والإهتمام بمختلف النشاطات الثقافية والرياضية كبديل عن فرص العمل، فحجم الفراغ الذي يعيشه الشباب الجزائري والذي يجعله يعيش تائها وحائرا من نفسه، حيث لا يعرف ماذا يفعل وإلى أين يذهب ولماذا هو موجود ومكانته في المجتمع، لذلك يجد نفسه تنطبق عليه القاعدة الفيزيائية التي تقول: " إذا لم تملأ الإيناء ماء فإنه سيملاً هواء"، ومقولة الإمام الشافعي الشهيرة: " إذا لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر"، وبناء على ذلك كثيرا ما تنتابه أفكار مشوشة تدفعه إلى ملء فراغه بكل ما يخطر بباله، حتى ولو كان شيئا يضر به¹.

يضاف إلى ذلك نسبة البطالة المرتفعة جدا مقارنة بما تملكه الجزائر من موارد مالية لكنها لا تنتج الثروة التي بواسطتها تحقق مناصب شغل كثيرة، والذي يبين أن من أهم المشكلات التي تواجه الشباب الجزائري هو ارتفاع نسبة البطالة مع ارتفاع المستوى المعيشي².

¹- خالد عبد السلام، مرجع سابق، ص 124.

²- الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، الشباب في منظومة المجتمع المدني، التقرير السنوي السادس للمنظمات الأهلية العربية القاهرة، 2007.

وغاء المعيشة مع ضعف الدخل المادي، جعل الكثير من أفراد المجتمع يسعون للإستزاق بكل شيء سواء بطرق أخلاقية أو غير أخلاقية، والمتاجرة في كل شيء كالمخدرات والمنشطات ومختلف السموم، وتدير كل شيء للحصول على الثروة مهما كانت عواقبها¹.

المطلب الرابع: التدابير الوقائية والعلاجية لإنحراف الشباب.

إن تفشي ظاهرة الإنحراف وما يصاحبها من جرائم كالعنف وتعاطي السموم داخل المجتمع، والتي أضحت تنتشر بدرجات متفاوتة من منطقة لأخرى، تقتضي الدراسة والتحليل والتأمل فيها بجديّة وموضوعية من طرف القضاة والأطباء الشرعيين والمختصين من علماء النفس وعلماء الإجتماع وباقي المؤسسات المعنية، لتضع في الأخير ميثاقاً تحد من انتشارها خاصة بين الفئات الشبابية، التي أصبحت عرضة لهذه الآفة بسبب تواجدها في الشوارع وفي المؤسسات وغيرها من الأماكن العمومية، والتي تلحق الأذى بالصحة الجسمية والعقلية وتؤثر في أداء الوظائف الإجتماعية أو الإقتصادية².

إذ لا بد من الاهتمام العلمي بموضوع الانحراف المسلط على الشباب بوجه خاص لتستفيد من نتائجه مؤسسة الأسرة بالدرجة الأولى، ولابد من معالجة مختلف الأسباب التي تقف وراءها على المدى القريب والمتوسط والبعيد، ذلك أن الوقاية خير من العلاج، لذلك يجب اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة ووضع آليات اندماجية لفائدة الشباب للتقليل من آثارها السلبية.

¹ - خالد عبد السلام، مرجع سابق، ص 125.

² - محمد سعيد الحفار، المخدرات مأساة البيئة المعاصرة، دراسة عالمية، جامعة دمشق، سوريا، 1993، ص 48.

وهناك ثلاثة مستويات للوقاية من ظاهرة الإنحراف الإجتماعي وهي¹:

الأولى: هي تلك الجهود التي تستهدف منع الظروف المسببة للمشكلات الإجتماعية من الظهور.

الثانية: هي الجهود التي تستهدف الحد من خطورة المشكلة، بالإكتشاف المبكر لها وعزل تأثيراتها عن الآخرين إلى أدنى حد ممكن.

الثالثة: هي كل الجهود التأهيلية التي تستهدف مساعدة الأفراد الذين وقعوا في المشكلة، لعلاج تأثيراتهم وتنمية قدرتهم بما يحول دون عودتهم إلى العمل الإنحرافي مرة أخرى.

ويتجسد الدور العلاجي أو التخفيف من شدة الإنحراف على الأقل بشكل أساسي في:

- الدراسة الواسعة للتعرف على العوامل الأساسية والثانوية التي أدت إلى إنحراف الفاعل.
- تشخيص المظهر والسلوك الإنحرافي وتحديد عوامله ودوافعه ومسبباته.
- وضع خطة التدخل المبني المناسبة التي تتضمن برنامجا محددًا لعلاج السلوك الإنحرافي.

أما بالنسبة لإستراتيجية الحلول الممكنة تتبلور في ما يلي:

إستراتيجية إعلامية: شهدت وسائل الإعلام والإتصال خلال السنوات الأخيرة تطورات تقنية متسارعة ساعدت في تقريب مسافات المعرفة بالإطلالة على كافة المستجدات، ونظرا

¹- ماهر أبو المعاطي وآخرون، الممارسة العامة للخدمة الإجتماعية في مجال رعاية الشباب، مركز نور الإيمان للطباعة القاهرة، 2000، ص 207.

لذلك يمكن لوسائل الإعلام أن تساهم في مكافحة الجريمة والانحراف¹، من خلال طرح مشكلات الشباب وتخصيص محطات إذاعية وتلفزيونية خاصة تتوجه إليهم، ويشرف على إدارتها مختصين في مختلف العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، وتعد برامج توعوية وتوجيهية للأسر لمساعدتها على مرافقة أبنائها والتكفل بمشكلاتهم وقضاياهم، من أجل تفعيل دور الأسرة كمدرسة أولية وأساسية وإستراتيجية مع مساعدة الأسر التي تعاني من صعوبات في تربية أبنائها، وحسن معاملتهم وتحسينهم من كل الانحرافات والآفات الاجتماعية عن طريق نشاطات المساعدة النفسية والاجتماعية وتحسين ظروف الحياة المعيشية بكل أبعادها، والتكفل بأبنائها من خلال إدماجهم في مؤسسات رياض الأطفال الكشافة والنوادي الرياضية والثقافية والمؤسسات التعليمية والتكوينية، وإعداد برامج للشباب تثقيفية وتربوية وترفيهية وتحسيسية، والتوعية بالقيم الدينية والوطنية، وتعزيز روح الإنتماء لمجتمعه وتنمية روح المسؤولية لديه، ورفع مستوى تفكيره وتصوراتهِ ليستطيع حل مشاكله بنفسه بطرق معقولة ومشروعة²، فالبرامج الإعلامية الناجحة والإرشادية تساعد في التبصر لأخطار الانحراف والمخدرات وأهمية القضاء على وجودها في المجتمع³.

إستراتيجية تربوية تكوينية: للمدرسة والجامعة دور مواكب لدور الأسرة والمسجد في تنشأة أفراد أسوياء، ويكون ذلك بتفعيل أدوار المؤسسات التربوية من أجل رفع المستوى التربوي والتكويني للشباب وتحسينه أخلاقيا علميا ومهنيا وثقافيا، ليستطيع التكفل بنفسه وبمشاريعه المستقبلية، كذلك تنشيط المؤسسات التربوية والجامعية ومراكز التكوين المهني بالبرامج الثقافية العلمية والرياضية التي تساعد الشباب على الإندماج الاجتماعي أكثر، عن

¹ - أحمد مظهر عقبات، طرق إنتاج برامج التوعية الإعلامية للوقاية من أضرار المخدرات، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2008، ص 07.

² - خالد عبد السلام، مرجع سابق، ص 127.

³ - أحمد مظهر عقبات، مرجع سابق، ص 08.

طريق تعزيز التكوين العلمي والتربوي النوعي لتحسين الأفراد علميا وثقافيا وتربويا باتباع إستراتيجية بناء شخصية متوازنة من جميع جوانبها الجسمية النفسية العقلية والروحية والإجتماعية، وتدعيم المسابقات والمنافسات العلمية الرياضية والثقافية والأدبية، وجعل كل المرافق التربوية والجامعية في متناول الجمعيات والنوادي المتنوعة لتنشط في أوقات الفراغ والعطل¹، إلى جانب ذلك يمكن إقامة ندوات في المدارس والجامعات لبيان خطر الانحراف وتعاطي المخدرات².

إستراتيجية إدماجية تنسيقية وتعاونية: يعتبر العمل أحد الوسائل الهامة في ضبط السلوك، فالفرد كما يقول " ويلسن " أثناء العمل يتحكم في ذاته ويضبطها، وتوفير فرص العمل يشعر الفرد بمكانته الإجتماعية ويحدد له كيفية إستخدامه لوقته³، كذلك الإنخراط في مؤسسات المجتمع ونشاطاته الإجتماعية الثقافية التربوية والرياضية، وتعزيز مؤسسات الشباب ولجان الأحياء بمختصين في مختلف العلوم النفسية والإجتماعية ذوي الكفاءة العلمية والنزاهة الأخلاقية، وتوفير فرص الإنخراط أكثر للشباب في مختلف مؤسسات المجتمع الثقافية التربوية الرياضية وحتى السياسية، من أجل تفعيل ثقافة المواطنة وتعزيز روح الإنتماء والإندماج الإجتماعي، وإتباع إستراتيجية تنسيقية وتعاونية ما بين القطاعات التربوية والتكوينية والثقافية والرياضية والأمنية، من خلال العمل بشكل تكاملي بين مختلف القطاعات للتكفل الجماعي بمشكلات الشباب وقضاياها، لمحاصرة بؤر الإنحراف بين كل هذه الأطراف، وبالتالي تجسيد برامج النشاطات الجوارية على مستوى كل الأحياء والمناطق ذات

¹ - خالد عبد السلام، مرجع سابق، ص 128.

² - فاطمة العرفي، ليلي إبراهيم العدوانى، جرائم المخدرات في ضوء الفقه الإسلامى والتشريع، دار هومة، الجزائر، 2010 ص 102.

³ - الهادي علي بوسيف أبو حمرة، المعاملة الجنائية لمتعاطي المخدرات، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا بدون سنة، ص 63.

الأولوية، وذلك من خلال وضع الإستراتيجيات الكفيلة بمراقبة المشكلة ومتابعة تطوراتها والسيطرة على جوانبها المختلفة¹.

إستراتيجية ردعية وعقابية: تعتمد مكافحة الانحراف والجريمة أمنياً على القيام على معالجة مشكلات الشباب في ضوء سياسة الدفاع الإجتماعي، عن طريق تدعيم المنظومة التشريعية بنصوص قانونية تتجاوب مع تطورات أشكال الجريمة وتعقيداتها، وضرورة تبني العقاب الردعي ضد المجرمين المنتهكين للقواعد الإجتماعية، إلى جانب النصوص التي تشدد على دور الأسرة ومسئوليتها اتجاه أبنائها لمنع كل أشكال الإهمال أو التعامل القصري، سواء مع الأبناء أو مع الأزواج، ومحاربة ومنع كل أشكال الأنشطة غير الرسمية وغير المراقبة من قبل مؤسسات الدولة، مع التفكير في إدماجها في النسيج الإقتصادي الرسمي، وتجفيف منابع الجريمة من خلال تكفل فعلي وسريع بالأفراد المسبوقين قضائياً نفسياً وإجتماعياً وإدماجهم السريع مهنيًا²، ولا يقتصر نشاط تلك الأجهزة على جانب أحد من هذه الجوانب ويتم ذلك بالتعاون محلياً مع أجهزة المكافحة ثم دولياً³.

المبحث الثالث: النظريات المفسرة للانحراف:

من أجل البحث عن تفسيرات لظاهرة ما، من غير الممكن تصور سبب واحد لها بل هناك مجموعة من أسباب وعوامل متكاملة لا يقصى أحدها الآخر، فالأخذ بمجموع هذه العوامل كفيل بأن يساهم في فهم الظاهرة وتفسيرها.

المطلب الأول: الانحراف من المنظور العضوي:

¹ - زياد ذياب مزهر، المعالجة الأمنية والوقاية لجرائم المخدرات والمؤثرات العقلية، مقال منشور، منتدى الأبحاث القانونية 2012/05/15، ص 21.

² - خالد عبد السلام، مرجع سابق، ص 129.

³ - أيمن محمد الجابري، القواعد المنظمة للتعامل بالمخدرات في دولة الإمارات، الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2011، ص 107.

التكوين العضوي هو مجموعة السمات المرتبطة بشكل الأعضاء ووظائفها، وهذا التكوين قد يكون طبيعياً (في معظم الحالات)، لكنه في بعض الحالات قد يكون غير طبيعي فالتكوين الطبيعي أو التكوين السوي يحدث عندما يتم إستواء الأعضاء الخارجية والداخلية وعندما تقوم هذه الأعضاء بوظائفها بصورة طبيعية، أما التكوين الغير طبيعي فإنه يحدث عندما يوجد شذوذ في حجم الأعضاء الخارجية أو الداخلية، وعندما لا تقوم هذه الأعضاء بوظائفها بصورة طبيعية وهذا النوع من التكوين يطلق عليه التكوين العضوي المريض¹.

ويعتقد أنصار هذا الإتجاه أن هناك علاقة بين السلوك الإجرامي وتكوين جسم الإنسان، ويمثل هذا الإتجاه "سيزار لومبروزو" الذي قدم تفسيراً من خلال دراساته الأولية في نظريته المجرم بالولادة، والذي ما لبث أن عدل موقفه من خلال أعماله المتأخرة مقراً بأن الإنحراف والإجرام لا يورث في حد ذاته بل يورث إستعداداً كامناً له تحركه البيئة الفاسدة، وأيدت كثير من الدراسات إلى حد ما المفهوم العضوي للسلوك الإجرامي على غرار الباحثين "أرنيس توتن" و "أرنست كرتشمير"².

كان العالم لومبروزو ضابطاً في الجيش الإيطالي ثم عمل أستاذاً للطب الشرعي وقد أتاحت له وظيفته أن يفحص عدداً كبيراً من الضباط والجنود المنحرفين، وقام بتشريح العديد من جثث المجرمين فوجد أن هناك صفات مشتركة بين تلك الجثث، ويرى لومبروزو أن المجرم إنسان شاذ من الناحية العضوية ومن الناحية النفسية أيضاً، فمن الناحية العضوية يتميز المجرم حسب رأي لومبروزو بتشوهات في الجمجمة وتضيق في الجمجمة وضخامة الفكين، أيضاً فإن هناك تشوه في الأسنان وكثرة تجاعيد البشرة وغزارة في الشعر...إلخ، أما

¹- طارق السيد، الانحراف الإجتماعي، الأسباب والمعالجة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012، ص 32.

²- عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 204.

من الناحية النفسية فقد لاحظ أن المجرمين أقل إحساساً بالألم، ويتميزون بغلظة في القلب وأنهم لا يشعرون بالخجل أبداً¹.

ثم ظهرت في أربعينيات القرن العشرين دراسة هامة للعالم الأمريكي " وليام شلدون " الذي قسم جسم الإنسان إلى ثلاثة نماذج هي النحيل والقوي والممتلئ، ووجد أن الجسم الرياضي العضلي هو أقرب النماذج صلة بالسلوك الإجرامي، وتأكدت هذه العلاقة في بحث قام به " شلدون واليانورجلوك " في الخمسينيات غير أنهما علا ذلك باقتران البيئة ذاتها بسمات شخصية تشجع الإقدام على ارتكاب الأفعال العدوانية².

وقد انتقل بعض المهتمين بالعوامل العضوية من محاولة الربط بين السلوك المنحرف وبين التكوين البدني، من حيث الملامح العامة أو الصفات التشريحية إلى الخصائص الوظيفية لأعضاء الجسم المتصلة بالجهاز العصبي أو الغدد الصماء أو الخلايا الدموية³.

ويرى بعض العلماء أن هناك صلة وطيدة بين وظائف بعض أعضاء الجسم (الغدد بصفة خاصة) وبين السلوك المنحرف، ويمكن القول بأن اضطرابات الغدد تؤدي إلى اضطرابات حيوية إلى جانب تشوه الجسم أحيانا مما قد يؤدي إلى ظهور مشاكل نفسية مثل الإحساس بالنقص والإحباط إلى جانب فقدان الأمن، ووظائف الغدد قد تصاب بالعديد من أوجه الخلل منها ما هو " خلل أصلي " ومنها ما هو " خلل عارض " يصيب الإنسان في مرحلة معينة من مراحل عمره حيث أثبت العلماء أن هناك فترات من العمر الإنسان يزيد فيها نشاط بعض الغدد وفترات يقل فيها نشاط تلك الغدد وهذا يؤدي إلى أعراض قد تكون نفسية أو عصبية لدى المريض مما يؤدي إلى حدوث بعض التغيرات في سلوكه وقد يؤدي هذا إلى الإضرار

¹ - طارق السيد، نفس المرجع، ص 110.

² - بدر الدين علي، عرض عام لتطور النظريات المتعلقة بسببية الجريمة، بحث مقدم للندوة العلمية السادسة المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1987، ص 18.

³ - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 205.

بالآخرين وارتكاب الأفعال المحرمة قانوناً، أيضاً فإن المرض أو العجز يؤدي في بعض الأحيان إلى عدم الإستقرار النفسي والشعور بالإنزواء والضياع وهذا في حد ذاته قد يشكل ضغطاً نفسية على المريض قد تدفع به إلى سلوك سلوكاً إجرامياً حيث يرى " سيريل بيرت " أن 07 % من مجموعة المذنبين مصابون بالضعف الجنسي أو بالصحة المعتلة¹.

ويرى بعض العلماء أن الإجرام العنيف يرجع إلى خلل عضوي في قاعدة المخ التي يركز فيها كثير من العمليات الحيوية والنفسية، التي تتحكم بدورها في تحديد الإرادة والسلوك ويرى العالمان " ماكس شلاب وإدوارد سميث " أن الإضطراب الكيميائي العضوي الناشئ عن اختلال إفرازات الغدد الصماء مسؤول بصفة عامة عن السلوك المنحرف والإجرامي، ذاهبين إلى أن ذوي الإفراز الزائد في الغدد الجنسية أو الكظرية يكونون في الغالب من مرتكبي الجرائم العنيفة².

لقد كان للمدرسة العضوية نفوذ كبير وأنصار كثيرون في أواخر القرن التاسع عشر إلا أن الإتجاه السائد في القرن العشرين يقلل من شأن المدرسة العضوية ويميل بشكل ملموس إلى الإعتقاد في المدرستين النفسية والإجتماعية، فقد تعرضت نظرية لومبروزو لهزة عنيفة نتيجة الدراسة التي قام بها " تشارلز جورنج " عام 1901 ولم يجد فروقا جسمية هامة بين المجرمين وغير المجرمين³.

وتأثرت النظرية المعيارية أو النموذجية لأرنولد " Arnold " بالنظرية البيولوجية، وقد إقترح في بداية الخمسينيات النظرية المعيارية أو النموذجية للنمو، فبالنسبة له يوجد نموذج

¹ - طارق السيد، مرجع سابق، ص 34.

² - Martin (H) & Lewis (Y), Criminology, Crime and Criminality, 3re ed, Houghton Mifflin, boston, 1983, P 244.

³ - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 205.

لنمو الفرد حيث أن النمو يتم تبعا لأطوار متتابعة ومحددة زمنيا، وذلك حسب المخطط الجيني المشترك بين جميع الأفراد، كما أن الفرد في نظره عبارة عن سيرورة نضوج حيث يتعرض لتغيرات على مستوى الجهاز العصبي المركزي والتركيبات البيوكيماوية، هذه التغيرات تكون مرفقة بتغير على مستوى تصرفات السلوكيات العاطفية، فبالإضافة إلى أنه اقترح فكرة عن التفاعل بين الفرد ووالديه، فهو يشرح أن الوالدين أيضا في تطور وأن نوعية التفاعل الحادث بين كلا الطرفين تابعة لمدى تزامن تطورها، بمعنى أنه إما يبحث الفرد عن استقلالته ويرغب تجريب مختلف الأدوار والسلوكيات التي تمكنه من التمتع بقدراته الفيزيائية المعرفية والاجتماعية الجديدة، وعلى الآباء التخلي عن سلوك التوجيه المستخدم لما كان طفلا وتكليفه بمسؤوليات جديدة حتى يتوصل إلى استقلالته¹.

المطلب الثاني: الإنحراف من المنظور النفسي:

ويمثل هذا الإتجاه "سيجموند فرويد" (S.Freud) الذي قدم تفسيراً جديداً في بناء الشخصية عبر نمو نفسي بيولوجي، وإليه يرجع الفضل في إكتشاف بعض المناطق المجهولة في النفس الإنسانية كمنطقة اللاشعور، وقد شبه فرويد العقل بجبل من الجليد يمثل الجزء الصغير الطافي منه على سطح الماء منطقة الشعور، وفي هذه المنطقة الفسيحة من اللاشعور توجد الدوافع الغريزية، والشهوات والأفكار والمشاعر المكبوتة، إنه عالم سفلي شاسع من القوى الحيوية غير المرئية يمارس سيطرة طاغية على أفكار الإنسان وأفعاله الشعورية²، ولكي يمكن تفسير

¹- منيرة حلمي، مشكلات الفتاة المراهقة وحاجاتها الإرشادية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون سنة، ص 198.

²- عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 92.

السلوك المنحرف طبقا لطريقة تحليل الشخصية لآبد من التعرض لتحليل فرويد للنفس الإنسانية من وجهة نظره تنقسم إلى ثلاث جوانب هي¹:

- **الهو:** النفس ذات الشهوة أو الذات الدنيا، وتحوي النفس ذات الشهوة الميول الفطرية والإستعدادات الموروثة والنزعات الغريزية ومركز الإهتمام لدى هذه النفس هو الإنسياق وراء اللذة وإشباع الشهوات بأي ثمن دون أدنى مبالاة بالقواعد الأخلاقية أو بالقيم الإجتماعية.

- **الأنا:** ويمثل الذات الشعورية أو الحسية أو العقل، وهي مجموعة الملكات العقلية المستمدة من رغبات النفس بعد تهذيبها وفقا لمقتضيات الحياة الخارجية، ووظيفتها هو ترويض الذات (الهو) وإرغامها على التعبير عن ميولها الفطرية وغرائزها بطريقة تنسجم مع القيم الأخلاقية والتقاليد الإجتماعية.

- **الأنا الأعلى:** الضمير أو الذات المثالية، وتشمل مجموعة المثل والقيم والتقاليد والعادات الموروثة عن الأجيال السابقة، وتعتبر مصدر الردع الحقيقي للذات الدنيا، أو بعبارة أخرى هي التي تلعب دور المراقب لنا وتحاسبها دائما على أي تقصير في أداء مهمتها، فتوجه إليها النقد وتؤنبها إذا ما سمحت بتغليب الغرائز والشهوات على متطلبات الحياة الإجتماعية.

ويرى فرويد أن السلوك الفردي يتوقف على مدى العلاقة بين الأقسام الثلاثة السابقة للنفس الإنسانية، فإذا تغلبت الشهوات والميول الفطرية "الهو" فإن السلوك يكون منحرفا وتكون شخصية صاحبه غير ناضجة، أما إذا تغلبت المثل والقيم الموروثة وتحكم الضمير والعقل "الأنا العليا" كان السلوك قويا وكانت شخصية صاحبه ناضجة².

¹- علي عبد القادر القهوجي، فتوح عبد الله الشاذلي، علم الإجرام وعلم العقاب، مطابع السعدني، الإسكندرية، 2007، ص 71.

²- سليمان عبد المنعم سليمان، أصول علم الإجرام القانوني، الجامعة الجديدة للنشر، القاهرة، 1994، ص 253.

ويرجع السلوك الإنحرافي عند فريد سيجموند وتوماس هوبز إلى الصراع القائم بين الرغبات والغرائز الفردية والضغط التي يفرضها أعضاء الجماعة الإجتماعية، فالإنحراف يكمن هنا في عملية الصراع ومن ثم ينظر للإنحراف على أنه نتيجة لفشل عوامل الضبط الإجتماعي في تهذيب الغرائز والسيطرة عليها¹.

ويفسر التحليل النفسي ظاهرة الإنحراف على ضوء الإضطرابات التي تعترى المنحرف في طفولته المبكرة والتي لا تتجاوز السنوات الثلاث أو الأربع الأولى، فهي ترجع في أساسها إلى إضطراب العلاقات في الطفولة الأولى بين الطفل ووالديه إضطراباً يتضمن ثنائية العاطفة، أي الحب والكره معاً، هذه العلاقة التي يتم إسقاطها على السلوك المنحرف التي يصبح رمزا لموضوع الحب الأصلي الذي يمثل الخطر والحب معاً، ويمثل الإنحراف ميكانيزما دفاعياً للتغلب على الإكتئاب والخلع منه، وتفادي الشعور بالعجز الذي يחדش نرجسية الذات أي تقديرها واعتبارها هذا التقدير الذي يرتفع إلى السمو الفائق، وهو يتضمن عدم التوتر الناشئ من تأنيب الضمير، كما يتضمن الشعور بالقدرة المطلقة المتغلبة على مصاعب الحياة.

لذلك فإن مدرسة التحليل النفسي تميل إلى اعتبار أن المنحرف يقبل على الإنحراف طلباً للتوازن بينه وبين واقعه، ويجد في ذلك سندا وعونا له في الحفاظ على هذا التوازن، فهو من وجهة نظر تحليلية وسيلة علاج ذاتي يلجأ إليها الشخص لإشباع حاجات طفيلية لا شعورية، وعندما يكبر تظهر على شخصيته الصفات السلبية والإتكالية وعدم القدرة على تحمل التوتر النفسي والألم والإحباط، والإستعداد الإنحرافي عندما يفضي إلى الإنحراف يحتاج إلى تضافر العديد من العوامل التي تنتج عند تفاعلها معه السلوك الإجرامي، وعندما

¹ - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 15.

ينتقل الإستعداد الإنحرافي من حالة السكون إلى حالة الحركة فإنه يعبر عن نفسه في صورة جريمة¹.

المطلب الثالث: الإنحراف من المنظور الإجتماعي:

إستحوذ المنظور الإجتماعي على تفكير كثير من علماء الإجتماع والمهتمين بدراسة الجريمة والسلوك الإنحرافي، الأمر الذي لا يمكن معه أن نقل من شأن التفسير الإجتماعي للجريمة والسلوك الإنحرافي².

ذلك لأن المفهوم الإجتماعي للجريمة هو الذي يكفل إمكانية تحقيق علم إجتماع السلوك الإنحرافي لرسالته، باعتباره يعني أساسا بدراسة السلوك الضار بالمجتمع بصفة عامة، سواء تضمن هذا السلوك في ذاته جريمة من الوجهة القانونية أم إقتصر مضمونه على عدم قبول المجتمع له وإن لم يجرمه المشرع بعد³.

وإتفق كثير من علماء الإجتماع على أن الإنحراف والجريمة ظاهرة إجتماعية وما اعتبر سلوكا منحرفا يكون ناتجا عن تشريع الجماعة لبعض أفعال وأعمال أفرادها سواء عاقب عليه القانون أم لم يعاقب، أي أن المعيار إلى الإستقامة أو عدمها راجع إلى معيار إجتماعي لا إلى معيار قانوني⁴.

لذا يعتبر الإنحراف والجريمة من المنظور الإجتماعي عبارة عن فعل مخالف للقوانين التي وضعها المجتمع لتنظيم سلوك الأفراد ولحماية المصلحة الإجتماعية، والمجتمع عندها يضع

¹ طارق السيد، مرجع سابق، ص 31.

² سمير نعيم أحمد، الدراسة العلمية للسلوك الإجرامي، مقالات في المشكلات الإجتماعية والإنحراف الإجتماعي، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1969، ص 26.

³ محمود السباعي، حسن المرصفاوي، مبادئ علم الإجرام، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1968، ص 18.

⁴ محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون سنة، ص 23.

القوانين المكتوبة وغير المكتوبة فإنه يهدف من وراء ذلك حماية أفراد وجماعته بغرض تحقيق أمنه واستقراره، فالجريمة كل فعل يخالف الشعور العام للجماعة¹.

وقد أدرك " جاروفالو " أن المجتمع هو الأساس لتجريم أي فعل يرتكب، أي أنه يعتمد في تعريفه للجريمة على معيار إجتماعي²، وينظر الباحثون للانحراف على أنه إنتهاك للقواعد وخروج على حدود التسامح العام في المجتمع وذلك ما ذهب إليه غالبية علماء الإجتماع، ثم بدأ تعريف المفهوم يأخذ في الضيق إلى الحد الذي أعتبر الانحراف فيه مرتبطا بالتفاوت بين الفرص والتطلعات أو مرتبطا بالثقافة الفرعية، هذا فضلا عن تحديده بشكل ملحوظ في الدراسات الإمبيريقية وربطه بقضية معينة من القضايا الإجتماعية المرتبطة بالثقافة الفرعية أو البناء الطبقي أو الدافع الذاتي أضف لذلك محاولة المعهد الدولي لعلم الإجرام لدراسة الانحراف الإجتماعي ومعالجته باعتباره ظاهرة عامة تندرج تحتها أنماطا إنحرافية مختلفة تتمثل في الجناح والجريمة³.

ولتفسير ذلك نقول أن " ميرتن " قدم تفسيراً لمفهوم السلوك الإنحرافي يعتمد على ما يطلق عليه نموذج الإتفاق، ففي كل مجتمع مجموعة من القيم التي تحدد نوعية الأهداف التي يسعى الناس لبلوغها، كذلك فإن كل مجموعة من القواعد المتفق عليها لتنظيم أسلوب وصول الناس لهذه الأهداف، ويقع الإنحراف عندما يتبنى الناس مجموعة الأساليب غير المشروعة لتحقيق قيم المجتمع أو عندما يحدث إنفصال بين الأهداف من ناحية وبين أساليب تحقيقها من ناحية أخرى، ويقول آخرون إن الإنحراف قد ينجم عن محاولة تحقيق الأهداف

¹ - عبد الفتاح الصيفي، علم الإجرام - دراسة حول ذاتيته ومنهجه ونظرياته -، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996، ص 68.

² - إبراهيم عبد الرحمان الطحنيس، دراسات في علم الإجتماع الجنائي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1985، ص 39.

³ - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 18.

المشروعة من خلال أساليب غير مشروعة ويكون ذلك إما بالتخلي عن قيم المجتمع كلية أو باللجوء إلى بعض السبل غير المشروعة لتحقيقها¹.

والإنحراف من المنظور الإجتماعي هو السلوك الضار إجتماعيا، وذلك بغض النظر عن تقدير المشرع له والنص عليه في المدونة العقابية، وغالبا ما يأتي دور المشرع في تجريم السلوك الضار تاليا لمرحلة إعلان المجتمع لرأيه في عدم قبول ذلك السلوك ونبذه من الوجهة الإجتماعية، وهنا يمكن القول بأن عملية الصياغة القانونية من قبل المشرع للفعل الضار إجتماعيا تكمل له فقط مقومات وجوده وتعلن عن غلبة الشعور الإجتماعي العام السابق إبداءه بعدم قبول هذا الفعل².

وفي هذا السياق، ذهب كل من " مورييس وركسل " في معالجتهم للمدخل السوسولوجي لدراسة الإنحراف والجريمة إلى أنها تتميز بكونها نسبية وزمنية ومجتمعية، ذلك لأن المجتمع هو الذي يحدد ما هو خطأ وما هو صواب وهو الذي يقرر متى يكون فعل أو سلوك معين جريمة أم لا، ومن ثم يذهب إلى أن الجريمة تختلف باختلاف المجتمعات في فهمها للصواب والخطأ³.

والإنحراف بمفهومه الإجتماعي مظهر من مظاهر الخلل الإجتماعي، وشكلا من أشكال الخروج على قواعد السلوك التي إستقر عليها المجتمع خروجا ضارا به، ما دامت تمثل تضادا واضحا مع القواعد الطبيعية للأخلاق، إذ تعتبر الأخلاق في مفهومها العام هي المصدر الرئيسي للتجريم الإجتماعي للسلوك الضار المرتكب من قبل الأفراد، فالأخلاق العامة في المجتمع هي

¹ - نبيل السالموطي، الإيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع، النظرية والمنهجية والتطبيقية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية 1989، ص 165.

² - أحمد ضياء الدين خليل، الظاهرة الإجرامية بين الفهم والتحليل، مطابع الطويجي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 14.

³ - السيد علي الشنا، مرجع سابق، ص 20 - 24.

مصدر الحكم بعدم قبول بعض التصرفات الضارة التي ترتكب من الأفراد دون ما التفات إلى موقف المشرع منها بتجريمه لها وإهماله للنص عليها، ويقصد بالأخلاق العامة في مجتمع ما بأنها مجموعة القيم الإجتماعية القادرة على تحقيق غاياته وأهدافه الأساسية والمستمدة أصلاً من نظامه العام وآدابه العامة وعاداته وتقاليده المتوارثة¹، فالإنحراف والجريمة من المنظور الإجتماعي هي: " كل إنتهاك وخرق للقواعد والمعايير الأخلاقية للجماعة"²، إذن فإن المفهوم الإجتماعي للجريمة يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالأخلاق وفي نظر هذا المفهوم فإن مناط وصف الفعل بأنه إنحرافي أو إجرامي أو نفي هذه الصفة عنه ليس النص التشريعي وإنما مبادئ الأخلاق والقيم الإجتماعية التي تسود المجتمع فالمضمون الإجتماعي والأخلاقي للجريمة هو الذي يخلع عليها صفة التحريم³.

ويرى دوركايم (E.Durkheim) أنه ومن خلال عملية التحول البنائي للمجتمع يصبح الأفراد غير متأكدين من أن القوانين الأخلاقية هي التي تضبط سلوكهم، ففقدان الرابط بين الأخلاقيات هو المصدر الجذري للتفكك الإجتماعي، إنه ومن خلال اللامعيارية ما هو موجود من قواعد سلوكية ومعايير غير قادرة على ضبط سلوك الأفراد، ما يؤدي إلى السلوك المنحرف⁴.

أما ميرتون (R.Merton) فيرى أن الأنومي نتيجة للظلم، ويحدث التفكك الإجتماعي عندما يحمل المجتمع مثاليات عليا من القيم وحيث تحول البنى الإجتماعية دون تحقيق الأهداف الإجتماعية لبعض الفئات الإجتماعية، بالإضافة إلى وجود فرص غير متساوية

¹ - عز الدين عبد الله، القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1969، ص 522.
² - يسر أنور علي، آمال عبد الرحيم عثمان، الوجيز في علمي الإجرام والعقاب، دار النهضة العربية، ط 2، القاهرة، 1983 ص 70.

³ - عبد العظيم مرسي وزير، علم الإجرام والعقاب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص 13.

⁴ - نياح موسى البداينة، مرجع سابق، ص 15

لجميع وهذه الفجوة تؤدي إلى اللاعدالة (الظلم)، بالإضافة إلى التمييز بين الفئات الإجتماعية، ويرى ميرتون أن الأنومي تحدث بسبب أن الأفراد على إختلاف مشاربهم يتكيفون مع المثاليات الثقافية بناء على الوسائل المتاحة، وعندما لا تتوافر الوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف، قد يلجأ البعض إلى نمط تكيفي منحرف¹.

ويفترض ميرتون أيضا أن للحياة الإجتماعية المنظمة مسلكين أساسين - البناء الثقافي والبناء الإجتماعي -، ويتكون البناء الإجتماعي من أنماط من العلاقات تربط بين الناس وينتج السلوك الإنحرافي عادة عن عدم التوازن بين الأهداف والغايات المتفق عليها اجتماعيا وبين أساليب تحقيقها، وهذا التفاوت بين الأهداف وبين طرق أو وسائل تحقيقها يولد ثقافة فرعية إنحرافية، قد ينتج عنها سلوك إجرامي حين يصر الأفراد المحرومين - بواسطة البناء الإجتماعي - على التمسك بالأهداف، ولكنهم يتبعون طرق غير مشروعة لتحقيقها، أو قد ينجم عند سلوك إنسجامي مثل تعاطي المخدرات والخمور².

إذن فالسلوك الإنحرافي من وجهة نظر هذه النظرية، هو أحد الإستجابات الممكنة ويمكن للفرد الإنتقال من موقف لآخر من هذه المواقف حسب مختلف المجالات الإجتماعية بدلالة دوره في وضعية معينة، وهي بالتالي ليست أنماط من الشخصية³.

ويقدم دونالد تافت نظريته لتفسير الإنحراف الإجتماعي بصفة عامة، بأنه إذا كانت ثقافة ما تتصف بالديناميكية والتعقيد والمادية، وتمجد الشخص الذي ينجح في الصراع النفسي، ولكنها تسد الطريق أمام الكثيرين لتحقيق هذا النجاح، فإن فشل هؤلاء الذين

¹ - ذياب موسى البدائية، مرجع سابق، ص 16

² - عبد الحميد الشواربي، مرجع سابق، ص 51.

³ - Merton (R), Eléments de théorie et de méthode sociologique, éd, Armand colin, Paris, 1997,P 175.

يضطرون إلى التجمع في الأحياء الفقيرة والمختلفة سوف يؤدي إلى ظهور أنماط سلوك عدائية ومخالفة للمجتمع، لكنها تتلاءم مع المثل العليا الأساسية لهذا المجتمع، فبالنسبة لدونالد تافت الذي يعتبر أن نجاح جماعة على حساب جماعة أخرى تجعل هذه الأخيرة تسلك سلوكا إنحرافيا، وتظهر أنماط من السلوك العدائية كتعاطي المخدرات مثلا، لكن الفشل نفسه قد يكون حافزا للإستمرار من أجل تحقيق الهدف المراد الوصول إليه¹.

وتعتبر نظرية الإختلاط التفاضلي رفقاء الفرد وأصدقائه أهم العوامل التي تؤثر في نوعية سلوك الفرد، فإن صاحب الفرد رفقاء أسوياء يمثلون للقوانين تعود هو الآخر على احترام القوانين وإتباع السبل المقبولة اجتماعيا، وإذا كان المجتمع أو الغالبية العظمى لرفقاء فرد من الأفراد الذين يصفهم مجتمعهم كمنحرفين جاء سلوكه هو الآخر منحرفا وانظم إلى سلوك المجرمين، إذن فالسلوك المنحرف يكتسب بالتعلم الذي يتم عن طريق مخالطة الآخرين والتفاعل معهم في الجماعات المتميزة بالقرب والألفة والتأثر بتوجيههم نحو تصرف معين في مواقف معينة واعتناق اتجاهات ودوافع ومبررات هذا التصرف².

إن مثل هذه الوظائف التي تؤدي إلى انتقال السلوك من أشخاص ليسوا من فئة المجرمين، وليس من خلال التقليد النفسي كما يذهب لذلك "تارد"، وإنما عن طريق تعلم هذا السلوك من خلال انخراط الفرد في تلك الجماعات التي تبيح مثل هذا السلوك الإجرامي، إذ نجد القيم والمعايير الثقافية لا تكثر بزجر الأفراد عن هذه السلوكات، وفي تفاعل الأفراد مع الجماعة يحدث أن تتنازع هذه الإتجاهات السالبة منها والموجب، حيث تتأثر بيئة تنظيمها الإجتماعي، وفي الوقت نفسه تنطوي تماما أو نسبيا عن الجماعات ذات التنظيم المحكم والتي تحذر من السلوك الإجرامي أو المنحرف، رجحت بذلك كفة الإتجاهات السالبة فيقع الفرد في

¹ - عبد الحميد الشواربي، مرجع سابق، ص 51.

² - عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 209.

مهاوي السلوك المنحرف، أما إذا حدث العكس بمعنى زاد تأثيره بجماعة حققت درجة مقبولة إلى جيدة من التنظيم الإجتماعي، وفي الوقت نفسه انعزل عن النمط الثاني من الجماعات (المتفككة)، رجحت كفة الإتجاهات الإيجابية، الأمر الذي يبعده عن منزلقات الانحراف¹.

إذن فالإجرام والانحراف في نظر "تارد" يتعلمه الفرد من خلال احتكاكه بالخبرة الإجرامية بشكل مباشر أو غير مباشر، إذن عملية التعلم تتأثر بالعديد من العوامل من بينها: استمرار التأثير بمعنى إستمرارية الإختلاط التفاضلي أو النسبي بالجماعات الجانحة، فكلما استمر وازداد في درجة أثر ذلك على أن تكون الإتجاهات السالبة، الأمر يزيد من انحراف الأفراد.

ويكاد يكون شبه إتفاق بين علماء الإجتماع والسيكولوجيين على أهمية عملية التنشئة الإجتماعية في تكوين شخصية الفرد، حيث أنه يستنبط مختلف القيم والمعايير الإجتماعية والمهارات التي تشكل شخصيته وتؤدي إلى إندماجه في مجتمعه، ويتعلم من خلالها الأنماط المختلفة من السلوك والتفكير والتصور الذي تتطلبه البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه². وهو يختبر كذلك الأحاسيس والمشاعر الملائمة لظروف الحياة والمطابقة اجتماعيا لأي موقف من المواقف، فيؤهله ذلك إلى المشاركة في الصداقة مع أفراد المجتمع، وعلى العكس من ذلك إن لم يختبر الأحاسيس والمشاعر الملائمة فهو إذا يصبح مغتربا، مترددا، ويكسب عندئذ التوتر والقلق من هذه الناحية.

لذلك يرى الكثير من علماء الإجتماع أن هذه العملية هي المسؤولة عن تزويد القيم الإجتماعية للفرد التي تجنبه الوقوع في أشكال السلوك الانحرافي، وهي المسؤولة كذلك عن

¹- فوزية عبد الستار، ميادئ علم الإجرام والعقاب، المكتبة الجامعية، ليبيا، 1998، ص 55.
²- سعد المغربي الليثي، الفئات الخاصة وأساليب رعايتها، المركز العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ص 220.

وقوعه في أشكال السلوك الإنحرافي، معنى ذلك أن التنشئة الإجتماعية تعد من الحصون الأولى التي يختبرها الإنسان ليتعلم من خلال الممارسة كيف يتصرف مع مواقف الأزمة والمنحرفون ومدمنو المخدرات من هذا المنظور لم يتعلموا جيدا كيف يتصرفوا في وضعية الأزمة، فتكون مؤسسات التنشئة الإجتماعية بمثابة تربة صالحة لنمو ظاهرة تعاطي المخدرات والعقاقير.

وحلل تالكوت بارسونز عملية التنشئة الإجتماعية بالتركيز على ميكانيزمات التعلم التي يتعرض لها الفرد أثناء تفاعله مع الجماعة، وهي: التعليم، التقليد، والتوحد، وقد فسر بارسونز تنشئة الأطفال بالتركيز على مفهوم الدور، إذ هناك أدوار خاصة بالذكور وأخرى خاصة بالإناث، حيث تخص التنشئة الإجتماعية كلا منهم بدور خاص يختلف عن الآخر، وهي أدوار يلتزمون بها في حياتهم المستقبلية، هذا التخصص من العوامل التي تجنب الأسرة الصراع والتوتر، ووظيفته العمل على تماسك الأسرة وبالتالي تماسك المجتمع ككل¹.

ويرى جورج هيربرت ميد أحد أقطاب الإتجاه التفاعلي الرمزي، أن عملية التنشئة الإجتماعية هي عملية تكوين النفس البشرية، والتي تشير إلى مشاعر ومواقف شخصية يستوحها الفرد من آراء وأحكام ومواقف واتجاهات، وتقويم وتصور المحيطين به والمتفاعلين معه، بمعنى آخر أن الفرد يشكل صورته عن نفسه بمساعدة الآخرين المحيطين به والمتفاعلين معه، ومن ثم يتقبلها بإدراكه على أنها صورة موثوق بها ومقبولة من الآخرين، ولا يحصل ذلك بسرعة أو اعتباطا، بل بشكل تدريجي وبأوقات مختلفة ومواقف متباينة في سهولتها وصعوبتها وعبر تفاعله المستمر مع أفراد أسرته وزملائه وأصدقائه، فتشكل عنده الخبرة التفاعلية والإجتماعية التي تنطلق من الأسرة، إذ يواجه فيها الإستحسان والإستنكار والثناء والرفض

¹ - حنان عبد الحميد العناني، الطفل والأسرة والمجتمع، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص 16.

والعقاب والثواب من قبل والديه عند تفاعله معهم، فيتعرف على ما هو مقبول من السلوك وما هو غير مقبول منه، وإزاء هذا المجال السلوكي المحدود جدا يتركز تفكيره في سلوكه اليومي ليعرف معالم نفسه، فإذا حصل على عدم الرضا والإستنكار من أفراد أسرته فإن نفسيته تتأثر وتتصدع فيفقد ثقته بنفسه، التي بدورها تؤثر على سلوكه فيكون مرتبكا أو منسحبا في تفاعله مع الآخرين، ولم يكتفى "ميد" بوصفه النفس بل قسمها إلى قسمين: الأول وهو الذات والثاني وهو الأنا، وتنمو النفس البشرية عبر ثلاث مراحل تطويرية هي¹:

- مرحلة نشوء الذات: التي تولد مع الإنسان، والتي ليس لها صفة من صفات التفاعل الإجتماعي.

- مرحلة نشوء الأنا: خلال التفاعل الإجتماعي مع الآخرين وممارسة أدوار الآخرين.

- مرحلة تعميم رؤية وأحكام الآخرين المحيطين به والمتفاعلين معه.

وتعد عملية التنشئة الإجتماعية في حد ذاتها عملية تعلم، لأنها تتضمن تغييرا ما نتيجة لخبرات معينة، والتنشئة الإجتماعية في نظر أصحاب هذا الإتجاه هو ذلك الجانب المحدود من التعلم الذي يعنى بالسلوك الإجتماعي عند الإنسان، ويمكن النظر إلى التنشئة الإجتماعية باعتبارها تعلما يسهم في قدرة الفرد على القيام بأدوار إجتماعية معينة.

وقد ظهرت نظرية التعلم على يد جماعة من السلوكيين، على رأسهم " ألبير باندورا" حيث عرفوا بإسم أصحاب النظرية الإجتماعية في التعلم، لتأكيدهم على الدور الذي تلعبه الملاحظة والنماذج، أو القدوة والخبرات المتنوعة وعمليات التحكم في السلوك والتأمل الذي يقوم به الطفل عند استجابته للمثيرات المختلفة في البيئة من حوله.

¹- معن خليل العمر، علم إجتماع الأسرة، دار الشروق، الأردن، 1994، ص 126.

ويعد التعلم بالملاحظة فعالا في البيت أو المدرسة، فالطفل يميل للإستهواء والإقتداء بمن حوله خصوصا ذوي المكانة وأصحاب القوة والأشخاص الذين يقدمون له الحب والرعاية كذلك يميل الطفل لتقليد الأطفال الذين يشعرون حيالهم بالتعاطف، ومن هم في مثل سنه وجنسه، كذلك يعد الآباء والأمهات والمدرسين والرفاق من أكثر النماذج استهواء للطفل، وقد أوضحت هذه النظرية كذلك أثر العقاب في كف ومنع السلوك غير المرغوب فيه¹.

المطلب الرابع: الإنحراف من منظور تكاملي:

أوضحت الدراسات السابقة مدى إهتمام كل منها بجانب معين من الجوانب المتعددة للظاهرة الإنحرافية أو الإجرامية، أو إعماده على طريقة بذاتها في دراسة تلك الظاهرة، إعتقادا منها بمدى أهمية ذلك الجانب أو بجدوى تلك الطريقة في فهمها وتفسيرها، ومن ثم تركيز كل منها على إحداها بأمل الوقوف من خلاله على سببها، وعلى كافة العوامل الأخرى المختلفة التي ساهمت في ظهورها وتطورها².

ويوضح ذلك " ويلي مهيلي " في قوله: " بأن مشكلة دراسة الظاهرة الإنحرافية تتركز في مشكلة الشخصية المنحرفة ذاتها، والتي تتأثر في جملتها بالعديد من العوامل البيولوجية والنفسية والعضوية والإجتماعية"³، فقد وجد العلماء أن هناك حاجة إلى تقديم نظرية متكاملة في تفسير السلوك الإنحرافي⁴، نظرا لما تتسم به المدارس السابق عرضها من قصور يعجز عن بلوغ درجة تعقد ظاهرة الإنحراف والإحاطة بكافة جوانبه ظهر إتجاه رابع في تحليل السلوك الإنحرافي هو المعروف بالإتجاه التكاملي.

¹ - حنان عبد الحميد، مرجع سابق، ص 21.

² - أحمد ضياء الدين خليل، الظاهرة الإجرامية بين الفهم والتحليل، دراسة نفسية قانونية للجريمة سلوكا ومواجهة في ضوء مبادئ علمي الاجرام والعقاب، مطابع الطويجي، القاهرة، بدون سنة، ص 106.

³ - Healy (w), The Individual Delinquent, Boston, Little Brown, 1915, P 130.

⁴ - طارق السيد، مرجع سابق، ص 121.

ويرى أصحاب هذا الإتجاه، أن السلوك المنحرف هو سلوك مركب لا يمكن أن يخضع للتجزئة، أي لعوامل ذات صبغة إجتماعية أو عضوية أو نفسية خالصة، بل أن مزيجا مشتركا من عدة عوامل هو الذي يؤدي إلى السلوك المنحرف، ولو أن أغلب النظريات التكاملية تجمع بصفة خاصة بين العوامل النفسية والإجتماعية، وينبغي هنا التفرقة بين العوامل النفسية والإجتماعية وبين العوامل المتعددة، التي تعتمد في تفسيرها على الإحصائيات الجنائية والإهتمام بالجزئيات وتتجاهل السياق العام، وبين النظريات التكاملية التي تربط العوامل في صورة من التفاعل الدينامي، أي تآلف العوامل المسببة للجريمة في ضوء التطور الفعلي للشخصية، كما تبدو متفاعلة مع الوضع الإجتماعي الذي توجد فيه¹.

ومن أنصار المذهب التكاملية الذي يجمع بين العوامل النفسية والإجتماعية، عالم الإجرام الأمريكي " والتر ركسل " صاحب نظرية " الإحتواء "، التي ترجع السلوك المنحرف إلى ضعف أو فشل الإحتواء الداخلي، وهو قدرة الفرد على الإمساك عن تحقيق رغباته بطرق منافية للمعايير الإجتماعية، والإحتواء الخارجي وهو قدرة الجماعة أو النظم الإجتماعية على أن تجعل لمعاييرها الإجتماعية أثرا فعالا على الأفراد، وتظهر قوة الإحتواء الخارجي في درجة مقاومة الضغوط الإجتماعية، مثل سوء الحالة الإقتصادية أو الصراعات الأسرية أو لعوامل جذب ممثلة في صحبة السوء والجماعات المنحرفة، بينما تنعكس صلابة الإحتواء الداخلي في مدى المقاومة لعوامل دفع ممثلة في توترات داخلية واتجاهات عدوانية وشعور بالنقص وعدم الصلاحية، ويرى ركسل أن الصبي الذي ينشأ في مناطق الجناح يضعف إحتواءه الخارجي قد

¹ - محمد عارف، الجريمة في المجتمع، نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1975، ص 386.

يضل بلا إنحراف لو سلم احتواءه الداخلي، ماثلا في متانة ذاته وقوة ضبطه لنفسه وحسن مفهومه عن نفسه وشدة مقاوته لدواعي اللهو والعبث¹.

وهناك نظرية التحول الإجتماعي لعالم الإجتماع الأمريكي " كلارنس جيفري"، الذي حاول فيها إدماج المفاهيم النفسية والإجتماعية للإجرام، مشيرا إلى إرتفاع معدلات الجريمة بين الجماعات التي يتسم تفاعلها الإجتماعي بالإنعزالية واللامعيارية، فالمجرم هو شخص يفتقر إلى العلاقات الشخصية المتبادلة ويعاني من فشله في اكتساب تلك العلاقات، وهو وحيد ومنعزل عاطفيا ولا ينتهي إلى الجماعات الأولية الخاضعة للقانون ويشعر بعدم الأمن وبأنه غير محبوب أو مرغوب فيه ويتسم بالعدائية والعدوانية، وهو بالإختصار نتاج للعلاقات غير الشخصية ولقد ميز جيفري بين التحول الفردي حيث يعزل الفرد عن العلاقات الشخصية المتبادلة والتحول الجماعي، حيث تعزل الجماعة التي ينتمي إليها الفرد عن المجتمع الكبير، والتحول القانوني الذي يتبين في تفرقة العدالة الجنائية بين الجماعات المختلفة بالمجتمع، أي ذلك التحول بين القيم القانونية وبين القيم التي تعبر عنها النظم الأخرى بالمجتمع².

ويقدم "سوثرلاند" (Sutherland) تفسيرا للسلوك الإنحرافي من نفسية الفرد وذاتيته حيث يفتح مفهوم السيرورة المولدة للإنحراف أو الجريمة، والتي ينتقل في خلالها الفرد إلى السلوك الإنحرافي إنطلاقا من الشعور بالظلم، وهو شعور يقود الفرد إلى التخلي عن التزامه مع الآخر ومع القيم الإجتماعية السائدة، وقد تأثر سوثرلاند بأفكار-المدرسة الوسطية- التي شاعت أفكارها في الو.م.أ في 1920، كما يبدوا اعتماده على نظرية التفكك الإجتماعي التي طرحت حول الجريمة، فهو يعتقد أن الجريمة تستبقها ظروف اجتماعية تؤثر في متغيرات

¹ - Sheldon & Eleanor (G), Physique and Delinquency, Harper & Brothers, New York, 1956, P 355.

² - Wolter (R), The Crime Problem, appleton – Century – Crofts, New York, 1961, P 356.

نفسية، مثلت هذه الظروف حالة من عدم التنظيم الإجتماعي التي تعتري البناء الإجتماعي فتختل وظائف أنساقه الإجتماعية، والتي من أهمها نظام الضبط الإجتماعي، والمؤسسات التي تعمل على تأدية هذه المهمة على رأسها الأسرة والمدرسة والنادي، وغيرها من المؤسسات التربوية الإجتماعية¹.

ويجب تضافر الجهود في شتى ميادين البحث المتصلة بالظاهرة الإجرامية، بحيث يتعاون المتخصصون في علم الإجتماع والبيولوجيا وعلم النفس والأنثروبولوجيا والأمراض النفسية والعقلية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ينبغي على النظريين أن يتعاونوا مع التطبيقيين والعلميين في دراساتهم، فإذا كان النظريون يعنون بالنتائج المترتبة على السببية العلمية المجردة، فالعمليون يعنون بدراسة كل حالة على حدة، ومما لاشك فيه أن التنسيق بين هذين الفريقين من العلماء يدفع بالدراسات الإجرامية نحو نتائج أكثر إستقراراً وتعميماً، وبهذا التكامل في مجالات دراسة الظاهرة الإجرامية يمكننا أن نخطو خطوة أكثر ثباتاً نحو الكمال².

¹ - عدنان الدوري، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، مطبوعات جامعة الكويت، 1973، ص 251.

² - عبد الفتاح الصيفي، مرجع سابق، ص 276.

خلاصة الفصل:

تعتبر الجريمة وقضايا السلوك الإنحرافي من المشكلات التي عرفها المجتمع الإنساني في كافة عصوره وعلى اختلاف نظمه وأشكاله، وقد شهد العالم في الآونة الأخيرة موجة ضخمة من الإنحراف والإجرام ساهمت فيها التغيرات الإجتماعية والإقتصادية والثقافية والتكنولوجية، وظهرت أشكال جديدة ومستحدثة من الجريمة والسلوك الإنحرافي.

ولم يبرز الإنحراف بكل صوره ولم ينل ما ناله من إهتمام، إلا تحت وطأة التغيرات الهائلة التي بدأت تصل إلى قممها منذ القرن التاسع عشر، وتزايد التغير الإجتماعي والتحولت المستمرة من التقليدية إلى التحديث، وتعددت العوامل المؤدية إليه وقياسه على أساس مقاييس معيارية تنبع من التفاعل بين المجتمع والثقافة، وتعبّر عن الموجات السياسية للحياة الإجتماعية، وتعبّر في نفس الوقت عن المجتمع وإيديولوجيته.

ويلعب التطور الهائل الذي أصاب أجهزة الإتصال والإنتقال دورا كبيرا في تفشي جرثومة الإنحراف، ونقل عدواها بين المجتمع بشكل أصبح يفوق كثيرا العديد من إجراءات المنع والوقاية، والسلوك الإنحرافي الواحد لشخصين قد يحمل خصائص غير متشابهة، نظرا لإختلاف الظروف الشخصية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية لكل منهما.

وقد أثرت العديد من العوامل في السلوك الإنحرافي والجريمة، وغيّرت من طابعها الإقليمي وحولتها في غالبية صورها إلى ظاهرة دولية يتعدى قدر ضررها نطاق حدود الدولة الواحدة، بسبب مساسها بمصالح إجتماعية عامة، لا يقتصر الإهتمام بها أو حمايتها على مجتمع دون الآخر، وأصبح السلوك الإجرامي يتميز بالتطور المستمر الذي يصاحب أداءه سواء في جانبه الفني المتعلق بفكرة الجريمة ذاتها وطبيعة أهدافها، ثم طريقة إرتكابها ووسيلة إتمامها، أو في جانبها العلمي المعتمد على الإستعانة بكافة ما يزخر به العصر من إنجازات

علمية وأساليب حضارية متطورة، كما أدى التغير الإجتماعي الحادث في المجتمع إلى بروز أنواع جديدة من الانحرافات، وتغيير معدلاتها ووسائلها وأساليب تنفيذها، وصورها وحجمها وإتجاهاتها، كما إرتبطت الجرائم على غرار جريمة المخدرات بتطور الأساليب الإنتاجية وإتساع رقعة التحضر في المجتمع، علاوة على التغيرات الكبرى في المسائل المالية والإقتصادية، وفي الصناعة وطرق المواصلات.

والخلاصة أنه قد ترتب على تلك المتغيرات آثار واضحة على الجريمة والسلوك الإنحرافي في المجتمع، فقد أدى التغير الحادث في القيم السائدة بتبوء القيمة المادية وسيادتها على غيرها من القيم الأصيلة الأخرى، وظهرت مصادر سلوكية جديدة مرتبطة ببعض المتغيرات الإجتماعية والمشكلات الإجتماعية.

وقد تعددت النظريات المفسرة للسلوك الإنحرافي في مختلف العلوم الإنسانية والإجتماعية، ولا شك أن هذه العلوم (الإجتماع، النفس، الإجرام، العقاب..)، مجالها وحدودها وتجارها ونظرياتها كلها تخدم هدفا واحدا، هو الكشف عن أسباب السلوك الإنحرافي وأساليب الوقاية منه ومكافحته، وإصلاح المنحرفين والمجرمين وردهم إلى الحياة الإجتماعية الطبيعية مرة أخرى، والإرشاد الديني له دور بالغ الأهمية في التأهيل الإجتماعي للمنحرفين، إذ أن الدين يوقظ الضمير في نفس المنحرف، كما يساعده على أن يعيش بعد الخروج من غياهب الإنحراف والجريمة بطريقة سوية ومستمرة وأمنة، ويغرس التهذيب الخلقى من خلال غرس القيم الأخلاقية الصحيحة.

الفصل الثالث

الإطار النظري لتعاطي المخدرات

المبحث الأول: ماهية المندرات

المطلب الأول: تعريف المندرات
المطلب الثاني: موجز تاريخي لتطور المندرات
المطلب الثالث: الإهتمام بظاهرة المندرات
المطلب الرابع: تصنيف المندرات

المبحث الثاني: ظاهرة تعاطي الشباب للمندرات

المطلب الأول: تفسير ظاهرة تعاطي الشباب
المطلب الثاني: أسباب تعاطي المندرات عند الشباب
المطلب الثالث: إنتشار الظاهرة و توزيعها الإجتماعي
المطلب الرابع: مخاطر تعاطي المندرات وأضرارها

المبحث الثالث: مشكلة تعاطي المندرات وآليات المكافحة

المطلب الأول: المندرات كمشكلة إجتماعية
المطلب الثاني: السياق الإجتماعي لإستعمال المندرات
المطلب الثالث: أركان جريمة المندرات
المطلب الرابع: العقوبات المقررة لجريمة المندرات وآليات المكافحة

خلاصة الفصل

تمهيد:

أضحى المجتمع الدولي يعاني الكثير من المشاكل والأزمات منها الحروب والإرهاب والأمراض والأزمات الاقتصادية المختلفة، بالإضافة إلى المتاجرة بالأسلحة والمخدرات، ولعل هذه الأخيرة أهمها، كونها تمس الشخص في حد ذاته باعتباره الأساس لتكوين المجتمع، وتمس المجتمع نتيجة المشاكل التي تنتج عنها سواء الاقتصادية أو الإجتماعية وغيرها، وقد ساعد اتساع شبكة الإتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية إلى زيادة مستهلكي ومدمني هذه السموم.

وقد إستفحلت جريمة إستهلاك المخدرات في المجتمع الجزائري، مما يستدعي دق ناقوس الخطر لوضع حد لها من خلال دور المؤسسات والمراكز المتخصصة بعلاج المدمنين، للتقليل من هذه الجريمة وإنجاح دور التدابير العلاجية وتطبيقها في الواقع الملموس، وعوامل الخطر لتعاطي المخدرات لا يمكن أن تحصر في الأسباب الإجتماعية الاقتصادية والثقافية فقط، بل هو مرتبط كذلك بالبنية النفسية للفرد وبما يعترضه من إضطرابات.

ومن جهة أخرى، فإن قرار الفرد اللجوء إلى المواد المخدرة هو نتيجة إلتقاء هذا الشخص بالمادة المخدرة في محيط معين، فظاهرة التعاطي والإدمان ترتبط بصفة عامة بالمادة المخدرة ونوعها، ومدى توفرها، والسياسة التي ينتهجها أصحاب هذه التجارة في تسويق منتوجاتهم وأخيرا ترجع إلى عامل شخصية المدمن وتنشئته الإجتماعية وتاريخه الشخصي وتجربته المتفردة.

المبحث الأول: ماهية المخدرات:

يشير الواقع الميداني لظاهرة المخدرات على الصعيد الدولي، إلى أن عالمنا يعاني من مشكلة المخدرات بأبعادها الدولية والإجتماعية والإقتصادية، وتهديدها للصحة العامة للبشر والنشاط الإجرامي في المخدرات والمؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية يتسم أساسا بالسرية البالغة في جميع حلقاته، بدءا من الإنتاج والتصنيع مروراً بالتهريب والإتجار والتوزيع وإنهاء بالتعاطي والإدمان، وما يترتب عن ذلك من مآسي بالغة على الإنسان والمجتمع¹، وغزت آفة المخدرات شباب أمتنا وتمكنت من كثيرين منهم، وأصبح عدد متعاطي المخدرات في زيادة مستمرة، وقد أصبحت هناك أنواع عديدة من المخدرات والأدوية المحظورة رخيصة الثمن وشديدة التأثير والتدمير، وما أسهل أن يقع الشباب فريسة لمروجي المخدرات الذين ليس لهم وازع من دين أو ضمير، فعندما لا يجد الشاب ضالته في مجتمعه أو غياب الهدف أو ندرة الفرص الملائمة التي تمكنه من إثبات وجوده، فإنه يصاب بالإحباط ويحاول الهرب من واقعه وأسهل وسيلة للهرب هي الإتجاه إلى تعاطي المخدرات².

المطلب الأول: تعريف المخدرات.

يعتبر تعاطي المخدرات من أكثر الظواهر النفسية الإجتماعية التي تعتمد على عدة مفاهيم، ويمكن القول أن إستخدام بعض هذه المفاهيم يرتبط بالمجال الذي صدرت منه ومن المهم في أي بحث علمي التحديد الدقيق للمفاهيم والمصطلحات المستخدمة في ثناياه وذلك من أجل الوصول إلى الدقة المطلوبة وتجنب الخلط، لا سيما في موضوع تناولته الكثير من الإختصاصات كما سبق لنا وأن ذكرنا، وسنتطرق في هذا المطلب إلى بعض التعاريف المختلفة الواردة عن المخدرات والإدمان عليها.

¹- سمير محمد عبد الغني، مكافحة المخدرات في عصر العولمة، دار الكتب القانونية، مصر، 2014، ص 06.
²- ناصر مصلحي، مكافحة المخدرات بين البحث والتقصي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2011، ص 13.

التعريف اللغوي للمخدرات:

يعرف المخدر لغويا بأنه: "ستريميد لجارية في ناحية البيت، ثم صار كل ما وراءه من بيت ونحوه خدرا، يقال جارية مخدرة إذا ألزمت الخدر، وقد يكون الخدر إمذلال يغطي أعضاء الرجل واليد والجسد، وقد خدرت الرجل يخدر ثقل الرجل وامتناعها عن المشي، والخدر من الشراب والدواء فتور يعتري الشارب وضعف، وخدر كأنه ناعس والخادر الفاتر الكسلان"¹.

والمخدر: " من اللفظ (خدر) بمعنى ستر، وخدر الأسد أي لزم عرينه، وخدرت جسمه وعظامه وأعضائه بمعنى أن المخدر يسبب السكون والكسل، والمخدر هو المعطل للإحساس والمبدل للشعور والإدراك، ويلاحظ هنا عدم شمول المنهات في التعريف اللغوي"².

وهو اسم عام يطلق على مجموعة من العقاقير، وهو المرادف للمصطلح الفرنسي (Drogues)، أو المواد الكيميائية المستخلصة من النبات في الغالب أو المخلقة، والتي من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية الموجهة لها أن تؤدي إلى حالة التعود أو الإدمان عليها³.

تعريف تعاطي المخدرات:

يقصد بتعاطي المخدرات: "استخدام العقاقير المخدرة التي لا يسمح المجتمع بتعاطيها بقصد الحصول على تأثير جسدي أو نفسي أو عقلي"⁴.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994، ص 796.

² - عبد اللطيف رشاد أحمد، مرجع سابق، ص 42.

³ - العثماوي السيد متولي، الجوانب الاجتماعية لظاهرة الإدمان، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض 1993، ص 22.

⁴ - ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 78

وعرف مصطفى سوييف التعاطي: " هو تناول ما لا يحق ولا يجوز تناوله، وبناءا على ذلك لا نقول تناول فلان الدواء ولكنه تعاطى المخدر"¹، فهو استهلاك أية مادة طبيعية كانت أو مركبة، وذلك عن طريق التدخين أو البلع أو الشم أو الحقن.

ويمكن أن يتسبب الاستهلاك المتكرر لمادة مخدرة في آجال أكثر أو أقل سرعة الرغبة الملحة للإستهلاك من جديد والحصول على المادة المخدرة بأي وسيلة، بسبب تكيف الجسم مع التأثيرات الحاصلة من المادة المخدرة، فإن الفرد يجد نفسه مجبرا على زيادة الجرعة².

تعريف الإدمان:

المدمن هو الشخص الذي يتعود على تعاطي عقار معين مثل الكحول أو المخدرات، وفي حالة التوقف عن تعاطيه يشعر بحالة من الإضطراب النفسي والجسمي، حتى يتناول جرعة من المادة التي تعود عليها بشكل مستمر بسبب إعماده الفيزيولوجي عليها، بحيث يفقد سيطرته على المخدر سواء السيطرة في الكمية أو الوقت، ويظهر عليه الإضطراب العقلي أو الإضطراب في الصحة الجسمية والعلاقات الإجتماعية والأوضاع الإقتصادية.. إلخ³.

ويحدد تصنيف منظمة الصحة العالمية (1973/169) العقاقير التي تسبب الإدمان، وفقا لقابلية العقار التفاعلي مع الكائن الحي، فإذا أدى إلى الإعتماد النفسي أو العضوي أو كليهما فإن العقار يكون مسببا للإدمان، وعند سحب ذلك العقار فإن الفرد يطور إضطرابا خاصا (الصداع، الألم)، فالإدمان حالة تسمم مزمنة ناتجة عن الإستعمال المتكرر للمخدر، ويظهر ذلك من خلال عدة أعراض أهمها التشوق لتعاطي المخدر والحصول عليه بجميع الوسائل

¹ - مصطفى سوييف، مرجع سابق، ص 24.

² - Marie-Adeline, (sc), introduction à l'étude des toxicomanies, coll, sciences humaines, éd, nathan université, Paris, 1993, P11.

³ - ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 79.

المتاحة للفرد، وظهور عوارض سلبية عند الإنقطاع الفوري عن المخدر إختياريا كان أم إجباريا¹.

إذن، فالفرد المدمن هو الفرد الذي يتعاطى مادة أو مواد مخدرة، وتحول تعاطيه إلى تبعية نفسية أو جسدية أو كليهما معا، ويمر المدمن بثلاثة مراحل هي²:

- 1- مرحلة ما قبل الإدمان: وتتميز هذه المرحلة بتعاطي المخدر بالمناسبات فقط.
- 2- مرحلة الإنذار بالإدمان: وتتصف هذه المرحلة بالإسراف في تعاطي المخدرات والشعور بعدم الإرتياح والتوتر في حالة نقصها.
- 3- مرحلة الإدمان: وتتميز هذه المرحلة بتبعية الفرد النفسية أو الجسدية أو كليهما معا للمخدر، وبظهور مشكلات توافق وتكيف واضحة على المتعاطي.

تعريف التحمل:

وهي: " حالة تنتج عن الإمتصاص المتكرر لمادة ما، الشيء الذي يؤدي إلى التقليل من تأثيرها ويقود الفرد إلى زيادة الجرعة للحصول على نفس التأثير الأول"³.

تعريف الإعتماذ على المخدر(التبعية):

وتسمى أحيانا الإعتياد أو الإستعمال المركز، للدلالة على الحاجة النفسية أو الجسدية للعقار أو المخدر، وقد أصدرت منظمة الصحة العالمية عام 1964 تعميما استبدلت فيه مفهوم الإدمان بمفهوم الإعتماذ على العقار أو المخدر، والإعتماذ كما عرفته منظمة الصحة

¹- منصور عبد المجيد سيد احمد، الإدمان أسبابه ومظاهره والوقاية والعلاج، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الرياض 1986، ص17.

²- عبد اللطيف الرشيد، الآثار الإجتماعية لتعاطي المخدرات، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 1992، ص 68.

³- فاروق سيد عبد السلام، مرجع سابق، ص 115.

العالمية عام 1973 بأنه: " حالة التسمم الدوري أو المزمّن الضار بالفرد والمجتمع، ويتكون بسبب الإستعمال المتكرر للعقار الطبيعي أو التخليقي، ويتصف بقدرته على إحداث رغبة أو حاجة ملحة لا يمكن قهرها أو مقاومتها للإستمرار في تناول العقار والسعي الجاد للحصول عليه بأي وسيلة ممكنة لتجنب الآثار المزعجة المترتبة على عدم توافره، وقد يدمن أكثر من مادة واحدة"¹.

وتتمثل حالة الإعتماد الفيزيقي في "اعتماد الخلايا أو النسيج العضوي على المادة المخدرة وتظهر في حالة الحاجة التي يبديها الجسم الأكثر أو الأقل حدة حسب المادة المخدرة عند الفطام أي عند التوقف عن التعاطي"²، أما الإعتماد النفسي فيقصد به: "الشعور والأحاسيس، وهو تعود الشخص على الإستمرار في تناول المخدر لما يسببه له الشعور بالإرتياح والإشباع، والهدف من ذلك هو تحقيق اللذة وتجنب الشعور المقلق والشعور بالتوتر"³.

المطلب الثاني: موجز تاريخي لتطور المخدرات:

منذ زمن سحيق أخذ الإنسان يتذوق النباتات التي تنمو حوله، فوجد أن لبعضها خصائص علاجية واكتشف أن لبعضها تأثيراً على أحاسيسه، وقد ثبت أن كثيراً من المخدرات التي يساء إستخدامها اليوم كانت موجودة منذ عدة قرون، كالحشيش والأفيون والتبغ ثم جاءت المخدرات المصنعة⁴.

وتعد المخدرات من أقدم العقاقير التي عرفها الإنسان، ومنها نبات الخشخاش (الأفيون) ويحتمل أن أقدم مكان نبت فيه الخشخاش هو منطقة أوروبا الوسطى، عرفه السومريون

¹ - ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 78.

² - Marie-Adeline,(sc), op-cit, P32.

³ - هاني عرموش، المخدرات إمبراطورية الشيطان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1993، ص 29.

⁴ - خيثر فاطمة، مرجع سابق، ص 09.

وكتبوا عنه منذ ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد وانتقل استعماله إلى بابل بعد ذلك، وعرفه اليونانيون القدماء وزينوا بأكاليله آلهاتهم، وعرفه فراعنة مصر القديمة وانتشر في آسيا والهند عن طريق المحاربين المقدونيين¹، وظهرت صورة نبات الخشخاش أو كبسولته على العملات النقدية في العصرين الإغريقي والروماني، لتكشف عن الخاصية المزدوجة للنبات ومنتجاته خاصة الخير وخاصة الشر، حيث اختلف المدلول الرمزي لهذه الصور حسب الآلهة التي تمسك بالنبات أو الكبسولة، ففي أيدي آلهة الأمومة هيرا Hera وآلهة الزراعة Demeter، وآلهة الجمال Aphrodite، كان الخشخاش يعني الرخاء والخصوبة، وفي أيدي إلهي الطب Apollon, Asclepios، كان رمزا للشفاء، وفي أيدي إلهي الموت Persephone، Pluton كان يعني الموت أو النوم الأبدي².

ويعود وجود القنب (الحشيش) إلى الأزمنة الغابرة، والذي استخدم من قبل الآشوريين قبل 4000 سنة قبل الميلاد، وكانت منطقة تركستان (جمهوريات آسيا الوسطى) أقدم منشأ له، والفرس وسكان آسيا استخدموها للحصول على الإنشراح (الكيف)³، وكان يزرع كذلك من أجل أليافه لصناعة الحبال والأقمشة، وكان أول ذكر للحشيش في كتاب ألفه إمبراطور الصين (شنج نانج) عام 2737 ق.م، وذكره الطبيب الصيني (هوانو وسما مايو)، وكانت قبائل الأصقوت تزرع القنب على ضفاف نهر الفولقا، وهم الذين أدخلوه إلى أوربا ابتداءً بالبلقان ثم وصل إلى غاية إيطاليا، وقد استعمل الرومان أليافه لصنع حبال السفن، وبقيت

¹ - فارح بلقاسم، غلاب طارق، المخدرات مؤشرات الإجتياح، موفم للنشر، الجزائر، 2015، ص 39.

² - محمد فتحي عيد، جريمة تعاطي المخدرات في القانون المقارن، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1988، ص 182.

³ - محمد عباس منصور، العمليات السرية في مجال مكافحة المخدرات، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1993، ص 32.

أهمية القنب في أوروبا مرتبطة بأليافه أكثر منه بخصائصه المخدرة، ولم تبدأ أهمية القنب كمخدر في أوروبا إلا بعودة نابليون من مصر¹.

وإبان الخلافة الإسلامية في الشرق الوسط لم يكن القنب منتشرًا إلا في أوساط ضيقة من المجموعات الصوفية، ولم يعرف باسم الحشيش إلا في القرن الحادي عشر الميلادي² وصفه ابن البيطار بأنه يسبب التخدير، وشن ابن تيمية حملة ضد تعاطيه وعده نجسًا في حكم الخمر³، ويعود تاريخ إستهلاك القنب في إفريقيا إلى القرن الثالث عشر الميلادي، ويحتمل أنه أدخل بواسطة القوافل التجارية القادمة من الهند وإيران والمشرق العربي، أما في أمريكا فقد نشر الإسبان زراعته في الشيلي ثم البيرو في القرن السادس عشر، ثم وأصل الفرنسيون زراعته في كندا بعد ذلك، وفي نفس الفترة تقريبًا قام البريطانيون بإدخال زراعته إلى جمايكا من أجل أليافه، ثم انتقلت زراعته إلى المكسيك في نهاية القرن الثامن عشر، وبدأ استهلاكه في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية القرن العشرين عندما هاجر المكسيكيون إليها بغرض العمل، وبظهور الصناعة الصيدلانية اختفى الإستعمال الطبي للقنب وأصبح مرادفًا للمخدر وعومل على هذا الأساس إلى يومنا هذا⁴.

وتعتبر بلدان الأنديز بأمريكا اللاتينية الجنوبية مهد زراعة شجرة الكوكا، حيث تزرع في الوديان الشرقية لجبال الأنديز، وكانت ورقة الكوكا تستهلك من طرف الهنود عن طريق مضغها واستخراج عصيرها، ويرادف هذا الإستعمال وظيفة إجتماعية وعقائدية، وقد تغيرت الوظيفة الإجتماعية والإقتصادية لورقة الكوكا بقدوم الأنكا والتي تعود إلى ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد، وقد وجدت آثار إستهلاكها في كل من الإكوادور، البيرو، بوليفيا وكولومبيا⁵، وقد

¹ - فارح بلقاسم، طارق غلاب، مرجع سابق، ص 33.

² - غسان رباح، قانون المخدرات والمؤثرات العقلية، دار الخلود، 1999، ص 47

³ - هاني عرموش، مرجع سابق، ص 93.

⁴ - فارح بلقاسم، طارق غلاب، نفس المرجع، ص 35.

⁵ - Atlas mondial des drogues, op, cit, P31.

اكتشف شعب الأنكا أهمية الكوكا سياسياً واقتصادياً، واستفادوا من مداخيل ورقة الكوكا على شكل ضريبة، ثم وصل الإسبان إلى أمريكا اللاتينية، وبقيت ورقة الكوكا تلعب دوراً اقتصادياً مهماً إلا أنه كان لصالح الإسبان، وفي القرن التاسع عشر إكتشف المسافرون إلى البيرو ومن بينهم العديد من العلماء الغرب الآثار التي تتركها ورقة الكوكا على المستهلك، فيما يتعلق بقدرتها على المساعدة على تحمل المشاق، وقاموا باستخراج المشتق القلوي لورقة الكوكا كيميائياً، وتم صنع مشروبات تحتوي على نسبة من الكوكايين، ولاقت هذه المشروبات رواجاً كبيراً في العلم حتى إكتشفت الأسرة العلمية الخصائص المدمنة للكوكايين، فكان أن تم منعها في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1906¹.

وهناك عدد لمختلف المشروبات المخمرة والتي ربما تكون أقدم عقار عرفه الإنسان وما زال يستعمله إلى الآن، حيث استعمل خمر العسل منذ 7000 ق.م، وذكرت قوانين تنظيم التجارة بالخمور واستعمالها في شريعة حمورابي في الحضارة البابلية عام 1770 ق.م، ولقد تنوع استخدام المخدرات كدواء مسكن للألم وفي الطقوس الدينية والأغراض العسكرية وعرفت المنبهات (القهوة) قبل 900 عام، وعرفت أمريكا اللاتينية المهلوسات منذ 3500 ق.م وعرف الهنود القنب قبل 3000 عام²، فمنذ 27000 قبل الميلاد كان القنب الهندي معروفاً لدى إمبراطور الصين (شنج نانج)، وكان يوصف لعلاج النقرس والإمساك والذهول، وقد أطلق الأفيون على لوحة سامرية تعود ل 4000 ق.م ووصف بنبات السعادة، كما استعمله قدماء مصر كدواء لعلاج الأطفال كثيري البكاء، وقد زين الإغريق إله النوم عندهم (هينوس) بثمار الخشخاش، وكذلك إله الرومان (سوهوس)³، ويذكر المؤرخ المقريزي أن الأمير سودون الشيخوني حرم الحشيش الذي كان منتشرًا بمصر وسوريا، فلجأ إلى عقوبة خلع الضرس لكل

¹- فارح بلقاسم، طارق غلاب، مرجع سابق، ص 49.

²- محمد عباس منصور، مرجع سابق، ص 37.

³- هاني عرموش، مرجع سابق، ص 44.

من يتعاطى الحشيش¹، كما تم اكتشاف الكحول وشربه منذ العصر الحجري، وهناك عشرات النباتات والفطريات التي تحتوي على كيميائيات ذات خصائص كثيرة تؤثر في العقل قد تم تدخينها أو مضغها أو بلعها أو شمها.

وأكد بارسيلسس (1493-1541) أهمية الأفيون بالنسبة للأطباء والمرضى، وبذل كل ما في وسعه لإقناع زملائه في أوروبا بالقيمة العلاجية للأفيون، وكشف بذلك عن الإستخدام النافع للمخدرات الذي عرفه الإنسان منذ عصور سحيقة، بل يقال أن الإنسان قد عرف نبات القنب قبل أن يعرف القراءة بوقت طويل²، وفي بداية القرن العشرين كان الإستعمال النافع والضار للمخدرات ظاهرة محلية وكان منتشرًا في بقاع قليلة من العالم، كتدخين الأفيون في الصين وبورما وإيران واستهلاك القنب في الهند ومصر والمغرب، ومضغ أوراق الكوكا لدى القبائل الأصلية في أمريكا الجنوبية، وكانت الجوانب الدولية لمشكلة المخدرات قليلة وتظهر في تصدير الأفيون من البلاد الآسيوية والمورفين والهيريون والكوكايين من البلدان الأوروبية، وتهريب الحشيش إلى مصر من بلدان أخرى شرقي المتوسط³.

أما الأمفيتامينات والمنومات والمنشطات، فقد تم اكتشافها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث صنع أول عقار منشط في ألمانيا عام 1887⁴، والمؤثرات العقلية هي في الأصل أدوية طبية تستخدم في علاج المرض وتخفيف الآلام، إلا أن تأثيرها على الإنسان يعادل تأثير المواد المخدرة الطبيعية وتحول الطلب إلى المؤثرات العقلية، حيث وجد فيها المتعاطون والمدمنون بديلا لا تحظره القوانين آنذاك، وباتت تتسرب إلى أسواق الإتجار والتعاطي ويساء إستعمالها، مما إنعكس بأخطار عديدة على صحة الإنسان، ومن ثم فرضت عليها الرقابة

¹ - جميل محمد الميمان، مكافحة المخدرات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1990، ص 17.

² - محمد فتحي عيد، المخدرات والمؤثرات العقلية الإستراتيجيات والتدابير والولايات القضائية، مركز الدراسات والبحوث الرياض، 2012، ص 03 .

³ - الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات (التقارير السنوية للهيئة)، منشورات الأمم المتحدة، نيويورك، 2011، ص 03.

⁴ - هاني عرموش، مرجع سابق، ص 235.

الدولية عن طريق إتفاقية خاصة وهي إتفاقية المؤثرات العقلية لسنة 1971 التي انعقدت في إطار هيئة الأمم المتحدة¹، والحديث الآن هو عن المخدرات الرقمية، وهي عبارة عن أمواج صوتية تسمع بكلتا الأذنين، وتؤدي إلى مفعول المخدرات من حيث الإسترخاء والشعور بالسعادة وتغيير المزاج.. إلخ، وتعمل هذه الأمواج الصوتية على تشويش أمواج الدماغ وتتدخل في التأثير المؤقت على الدماغ، ما يجعل الشخص يعتقد أنه تحت تأثير المخدرات وليس لها جوانب سلبية ولا تؤدي للإدمان².

المطلب الثالث: الإهتمام العالمي والعربي بمشكلة المخدرات.

بدأ الإهتمام العربي بمشكلة المخدرات بشكل رسمي حين أنشأت الجامعة العربية بعد 1960، ثم أتبع بالمنظمة العربية للدفاع الإجتماعي ضد الجريمة، ويتبع لها المكتب العربي لشؤون المخدرات الذي أنشئ عام 1950 لمكافحة تهريب المخدرات، والمكتب العربي لمكافحة الجريمة، وبدأ الإهتمام العالمي بمشكلة المخدرات بشكل رسمي حين أبرمت (15) دولة عربية بروتوكولا (اتفاقية شنغهاي) عام 1909، ثم الإتفاقية الوحيدة للمخدرات عام 1960، وهي أهم اتفاقية، حيث تم تصنيف المخدرات وتوحيد الإتفاقيات السابقة، كما أبرمت بين 1921- 1972 عشر اتفاقيات بدأت باتفاقية الأفيون عام 1921، وفي تعديل عام 1972 تم إضافة بند ينص على وجوب اعتبار جرائم المخدرات من تلك الجرائم التي يتم تسليم المجرمين فيها سواء في الحاضر أو في المستقبل، واتفاقية المؤثرات العقلية 1971 واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية عام 1988، وفي الولايات المتحدة جاء قانون " هاريوس" الذي حرم استعمال الكوكايين والأفيون ومشتقاته إلا بموجب رخصة طبية وشهدت نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات حربا على المخدرات، ففي 1987 عقد المؤتمر

¹- سمير محمد عبد الغني، مرجع سابق، ص 85.

²- ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 11.

العالمي الأول لمكافحة المخدرات في النمسا برعاية الأمم المتحدة وبمشاركة 193 دولة، وتقرر فيه عقد اتفاقية لمكافحة المخدرات في العالم، وفي عام 1990 عقد اجتماع قرطاجنة - كولومبيا الذي نادى بمكافحة زراعة النباتات التي تستخرج منها المخدرات، ومحاربة المخدرات وتجارتها ومروجيها في كل مكان، ووضع برنامج لمكافحة الإدمان ومعالجة المدمنين¹.

والجزائر كغيرها من الدول عرفت منظومتها القانونية والتشريعية قفزة نوعية في مجال السياسة العقابية، بعد اعتماد الدولة لبرنامج إصلاح العدالة في الجزائر منذ سنة 1999 والذي توج بصدور سلسلة من التشريعات والتنظيمات المختلفة، منها القانون 04-18 المؤرخ في 2004/12/25، المتعلق بالوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الإستعمال والإتجار غير المشروعين²، الذي جاء لسد النقص الذي شاب القوانين المنظمة له، خاصة القانون 05-85 المؤرخ في 1985/02/16، المتعلق بحماية الصحة وترقيتها³، والمشروع الجزائري في سياسته لمكافحة المخدرات لم يضع تعريفا له، شأنه في ذلك شأن باقي التشريعات المقارنة، بل ترك الأمر للفقهاء، ولم يتعرض كذلك لتعريفها في قانون 05-85 أو قانون 04-18، وقد فضل المشجع الجزائري أن لا ينظم القواعد الخاصة بتجريم المخدرة ضمن قواعد قانون العقوبات⁴ ولكنه نص عليها ضمن قانون الصحة رقم 05-85، واستمر القضاء الجزائري العمل بهذه القواعد إلى غاية صدور قانون رقم 04-18، وبالتمعن في بنود هذا القانون، نستشف أن المشجع الجزائري يولي عناية خاصة لموضوع المخدرات، وأنه هذا حذو المجهود العالمي المكرس

¹ - ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 09.

² - القانون رقم 04-18، المتعلق بالوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية ومنع الإستعمال والإتجار غير المشروعين بها المؤرخ في 13 ذو القعدة عام 1425، الموافق ل 25 ديسمبر 2004.

³ - القانون رقم 05-85، المتعلق بحماية الصحة وترقيتها، المؤرخ في 26 جمادى الأولى عام 1405، الموافق ل 16 فبراير 1958.

⁴ - الأمر رقم 66-156 المؤرخ في 18 صفر 1386 الموافق 08 يونيو 1966، المتضمن قانون العقوبات المعدل والمتمم.

لمحاربة ظاهرة المخدرات، وبذلك جاءت نصوص هذا القانون تدعيماً للإتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة 1960، وكذا إتفاقية الأمم المتحدة لسنة 1971 المتعلقة بالمؤثرات العقلية¹.

المطلب الرابع: تصنيف المخدرات:

ليست جميع المخدرات من نوع واحد ولا من مصدر واحد، وبالتالي ليس لها نفس التأثير على الإنسان، فهناك أنواع كثيرة متباينة تختلف كثيراً في مصدرها وصفاتها²، فالمخدرات بأنواعها الكثيرة وفصائلها المتعددة يحمل كل منها إسماً علمياً خاصاً بها، فضلاً عن مشتقاته ومركباته المختلفة، فقد قسمها البعض إلى مخدرات طبيعية ومخدرات تخليقية، كما قسمها البعض الآخر إلى طبيعية وكيميائية، ومهما تعددت أنواعها فإنه يستوي أن يكون تعاطيها عن طريق الفم أو عن طريق الأنف أي الشم أو الحقن.

1_ المخدرات الطبيعية:

هي في الأصل نبات يزرع في التربة، عرفه الإنسان قديماً وتحتوي أوراقه أو أزهاره أو ثماره على مادة مخدرة³.

- نبات القنب: أي نبات من جنس القنب، البانجو يكون على شكل أوراق وتسمى أيضاً (المارجوانا أو الكامنجا أو الفولة)، ويستخرج الحشيش من القمم المزهرة لنبات القنب بعد إكتمال نموه من 4 إلى 6 أشهر تقريبا، وهو عبارة عن نبات شجري يتراوح طوله بين نصف متر ومترين أحيانا، أوراقه خضراء ضيقة ذات حافة منشارية، وهو أحادي الجنس⁴، ويستهلك

¹ - محمد بن وارث، مذكرات في القانون الجزائي الجزائري (القسم الخاص)، دار هومة، ط 04، الجزائر، 2009، ص 169.

² - محمد عوض، قانون العقوبات الخاصة، جرائم المخدرات، التهريب الجمركي والتعدي، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، 1996، ص 125.

³ - إيمان محمد علي الجابري، خطورة المخدرات ومواجهتها تشريعياً، منشأة المعارف، مصر، 1999، ص 28.

⁴ - سمير محمد عبد الغني، مبادئ مكافحة المخدرات، دار الكتب القانونية، مصر، 2009، ص 23.

الحشيش كبودرة الحشيش أو زيت الحشيش أو أقراص، وقد يستهلك القنب على شكل أقراص.

- خشخاش الأفيون: كل شجيرة من فصيلة الخشخاش المنوم، وتأتي على شكل أزهار تتحول إلى كبسولات يقومون بكشطها، وتنمو زراعات الخشخاش في منطقة شرق وجنوب غرب آسيا ودول آسيا الوسطى، كلومبيا، المكسيك، لبنان، وتعتبر أفغانستان أكبر منتج للأفيونيات في العالم بنسبة 93% ثم ميانمار (بورما سابقا)¹.

- القات: هو نبات معمر يكون على شكل أوراق بيضاوية مدببة الطرف دائمة الإخضرار يزرع القات على السواحل الإفريقية المطل على المحيط الهندي، وهو واسع الإستعمال في اليمن والصومال، ويستعمله ربع سكان إفريقيا تقريبا، ويؤثر القات في الجهاز العضوي لتعاطيه، مما يؤدي إلى سرعة ضربات القلب².

- شجيرة الكوكا: كل نوع من أنواع الشجيرات من جنس إريتروكسيلون، والكوكايين عقار مخدر محرم وغير مشروع يستخرج من نبات الكوكا، يمنح متعاطيه الشعور بالنشاط والخفة والطاقة والتغير والثقة والحساسية الزائدة، ويعرف هذا المخدر بأسماء أخرى منها (كوك) مشتق من كوكايين، و(سنو) مشتق من اللون، ويتم تعاطيه عادة عن طريق الشم، أو التدخين، وفي بعض الأحيان عن طريق الحقن مع خلطه ببعض المواد المخدرة الأخرى كالهروين.

ويرى كثير من المختصين أن الكوكايين لا يسبب الإدمان الجسدي، ولكنه يسبب الإعتماد النفسي. وإدمان الكوكايين يؤدي إلى تدهور الجهاز العصبي، وتدهور الحالة الصحية بشكل

¹ - محمد فتحي عيد، مرجع سابق، ص 53.

² - نبيل صقر، جرائم المخدرات في التشريع الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص 16.

عام، ومن الناحية النفسية يؤدي إدمان الكوكايين إلى البارانويا أو الهداء، والإكتئاب والهلوسة¹.

2_ المخدرات النصف تخليقية (التصنيعية):

تستخلص من المخدرات الطبيعية، حيث تدخل في هذه الأخيرة كمادة رئيسية ثم تجري عليها عمليات كيميائية بسيطة، والتي تكون المادة الناتجة من التفاعل ذات تأثير أقوى فعالية من المادة الأصلية.

- الكوديين: مخدر مشتق من المورفين يعمل على تهيبط الجهاز العصبي المركزي والكوديين قابل للإدمان إذا استخدم بصفة مستمرة لفترة زمنية طويلة.

- الهيروين: والهيروين من أخطر مشتقات الأفيون والذي يكون على أشكال وألوان كثيرة.

- المورفين: يستخرج مباشرة من النبات المحصول الذي يسمى (قش الخشخاش)، ويمكن الحصول عليه بطريقة الترشيح، يكون على هيئة مسحوق ناعم الملمس أو على شكل مكعبات ويعتبر أقوى مسكن للألم².

- الكراك: وهو من منشطات الجهاز العصبي المركزي للإنسان، يوجد على شكل بلورات بنية اللون، يصنع عن طريق تحويل مخدر الكوكايين إلى كوكايين خالص عن طريق الإذابة في الماء ثم التسخين مع مادة كيميائية قوية المفعول مثل بيكربونات الصوديوم، وبذلك يعتبر الكراك أحدث مادة تم الحصول عليها من نبات الكوكا، ويعتبر أكثر نقاوة من الكوكايين وهو أشد أثرا³.

¹- ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 77.

²- بلقاسم عمار شتوان، تعاطي المخدرات والإدمان – الماهية، الخلفية، التطور-، المادة العلمية لندوة حماية الشباب من المخدرات، منظمة من طرف جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الجزائر، 22-23 فيفيري 2010، ص 03.

³- سمير محمد عبد الغني، مرجع سابق، ص 71.

3_ المواد التخليقية: (المؤثرات العقلية الميثامفيتامينات والمهلوسات):

هي مواد ليست من أصل نباتي ولم تكن معروفة حتى عام 1946 م، عندما اكتشف عقار جديد في ألمانيا لتسكين الألم بديلاً لمستخلصات الأفيون¹، فهي مواد تنتج من تفاعلات كيميائية معقدة بين التركيبات الكيميائية المختلفة، ويتم ذلك بمعامل شركات الأدوية أو بمعامل مراكز البحوث².

المهلوسات: المهلوسات هي المواد التي تؤدي إلى عدم اتزان في العقل، فتحدث تصورات وتخيلات وأحلام وهلاوس بصرية أو سمعية أو شمعية أو جميعها.

- الماكستون فورت: ويصنع من الإيفيدرين.

- الإكستازي XTC : عقار النشوة، ويسمى MDMA، يعني ميثيل داوكسي ميثامفيتامين وهو نوع من أنواع المنشطات له تأثير نفسي، وهو مشتق كيميائياً من السلائف التي يشتق منها الأمفيتامين، وقد صنع لأول مرة سنة 1912 من طرف المخبر الألماني ميرك، وتعود شهرة الإكستازي إلى العالم الكيميائي الأمريكي اليكساندر شلجين³.

- حمض الليسرجيك (الطوابع) LSD : وهو عقار أو مادة مخدرة تساعد على تشتيت الحواس والإدراك، يستخرج من فطر (الجودر)، وبعد تصنيعه يكون مادة بلورية قابلة للذوبان في الماء والكحول، يمكن حصر أعراضه في عرق في الأكتاف واتساع في حدقة العين وارتعاش اليدين مع برودتهما، وتغير في الإحساس والتفكير والإدراك، والإنفعال والقلق لأبسط

¹- أحمد أبو الروس، مشكلة المخدرات والإدمان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003، ص 19.

²- ولد معمر توفيق، مرجع سابق، ص 10.

³- سمير محمد عبد الغني، مرجع سابق، ص 87

الأسباب، والشعور بالضعف في اتخاذ القرارات، يروج عن طريق الطوابع البريدية، حيث توضع مادة (ل س د) مكان الصمغ على الطوابع، وتؤخذ هذه المادة عن طريق الفم¹.

- عقار النسيان GHB: وتعني جاما هيروكسي بيوتيريك أسيد.

- الآيس ICE: وتطلق عليها أسماء كثيرة منها كريستل، ماث، وسميت بالكريستال لأنها مثل البلورات الزجاجية وشرائح الجليد البلورية نصف الشفافة.

العقاقير: هي المواد التي تؤثر بحكم طبيعتها الكيميائية على بنية الجسم ووظائفه، ولمفهوم العقار بعد ثقافي إجتماعي، والتصنيفات المختلفة للعقاقير إنما هي مصنوعة وغير ناتجة عن كينونة العقار ذاته، فالعقار أي مادة من غير الطعام والتي تنتج من غير خواصها الكيميائية أو الطبيعية الفيزيائية بناء على وظيفة في العضوية الحية، فنجد أن بعض العقاقير ذات تأثير قوي وبعضها لا تأثير له، بعضها ذو تأثيرات نفسية وبعضها ليس كذلك، بعضها ذو نفع طبي وبعضها ليس له استخدام طبي، فقد نجد بعض العقاقير تصنف كمخدرات، في حين نجدها مقبولة إجتماعيا (ولا تشكل خرقا للقانون) في مجتمعات أخرى، فما هو مخدر في مجتمع قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر (القات في اليمن، الكحول). ويكاد يكون المعيار العالمي والدوائي من أكثر المعايير إستقرارا، إلا أن أثر الأخذ بهما (الإضافة أو النقصان) متروك للدولة ويستخدم هذا المصطلح على المستوى الدولي بالإستقلال عن مصطلح المخدرات².

المنومات والمهدئات: هي المواد التي تنتهي إلى مجموعة المواد الكيميائية المصنعة، التي تؤدي إلى الهدوء والسكينة أو النعاس، وتستخدم في الأغراض الطبية كعلاج لحالات الصداع والأرق، أو للتخدير العام للجسم أثناء بعض العمليات الجراحية، والمهدئات لا تؤثر على المخ بكامله بل

¹- إيمان محمد علي الجابري، مرجع سابق، ص 32.

²- محمد إبراهيم زيد، التنظيم التشريعي للمخدرات في الدول العربية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض بدون سنة، ص 138.

يقتصر تأثيرها على أجزاء معينة من المخ، خاصة تلك التي لها علاقة بالإنفعالات ووظائف الأحشاء، كالتنفس والقلب والغدد الصماء، وهي في الأصل أدوية لمعالجة القلق وحالات الإكتئاب فهي تهدئ الجهاز العصبي¹.

المثبطات: وهي المواد التي تحدث بطنًا أو نقصانًا في وظائف الجهاز العصبي المركزي، ما يؤدي إلى بقاء ونقصان في بعض الوظائف الأخرى في الجسم، كالبطء في التفكير وفي الكلام وكسل في الحركات واسترخاء العضلات، وهزال عام، وضعف التنفس، وإنخفاض في ضغط الدم، فيشعر المتعاطي أو المدمن بالخمول أو النعاس أو النوم، وتستعمل كأدوية نفسانية لتخفيف المزاج وإضطرابات العقل².

المنبهات والمنشطات: المنبهات عكس المثبطات، حيث أن المنبهات تؤدي إلى زيادة وظائف الجهاز العصبي المركزي ما ينتج عنه سرعة، أو زيادة في بعض وظائف الجسم الأخرى، فتؤدي إلى السهر والنشاط الزائد، واشتداد العضلات وسرعة في الكلام والحركة، مع زيادة في التنفس وارتفاع في ضغط الدم، وإذا أعطيت للإنسان بالمقادير المسموح بها طبيا تزيد من نشاط الجملة العصبية وذلك بتضخيم المؤثرات العصبية المتجهة إلى المخ³.

المذيبات الطيارة: هي المواد التي تحتوي على هيدروكربون (فحوم مائية)، وتؤثر على المخ والكبد والرئتين، ويتم تعاطيها عادة عن طريق الإستنشاق، فتحدث استرخاء ودوخة، وفي بعض الأحيان هلاوس⁴.

¹- لحسين بن شيخ ملويا، المخدرات والمؤثرات العقلية، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 21.

²- فارح بلقاسم، غلاب طارق، مرجع سابق، ص 61.

³- بلقاسم عمار شتوان، مرجع سابق، ص 04.

⁴- ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 76.

المبحث الثاني: أبعاد ظاهرة تعاطي الشباب للمخدرات:

تعتبر المخدرات كما سبق لنا وأن ذكرنا نوع من أنواع السموم، فإن كان القليل منها يفيد في الشفاء فإن كثيرها يؤدي إلى الإدمان عليها، الأمر الذي يترتب عنه أبلغ الأضرار ليس فقط بالنسبة للمستهلك بل على أسرته كذلك¹، ولا تقف أزمة المخدرات عند آثارها المباشرة على المدمنين وأسرههم وإنما تمتد تداعياتها إلى المجتمعات والدول، فهي تكلف الحكومات أكثر من 120 مليار دولار سنويا، وترتبط بها جرائم كثيرة وجزء كبير من حوادث المرور، كما تلحق أضرارا بالغة باقتصاديات العديد من الدول، وهذه الخسائر الإقتصادية الناتجة عن المخدرات إما تكون خسائر ظاهرة أو مستترة، ناهيك عن الخسائر البشرية²، وتشكل مشكلة المخدرات الرعب القائم الذي يهدد كيان المجتمع والذي لم يعتق كبيرا ولا صغيرا وشمل الجنسين معا.

المطلب الأول: تفسير ظاهرة تعاطي المخدرات عند الشباب:

يكون سلوك التعاطي في بادئ الأمر بأخذ المادة المخدرة بطريقة غير منظمة ودورية، حيث يأخذ المتعاطي المادة المخدرة بالصدفة والتسوية أو تقليد أصدقائه، ولكن غيابها لا يسبب له أية مشاكل نفسية أو جسدية، ويتعاطاها في أوقات مختلفة وأماكن مختلفة، وهو التنازل غير المشروع للمخدرات بطريقة غير منتظمة وغير دورية، يتعاطاها الأفراد من أجل إحداث تغيير في المزاج أو في الحالة العقلية، ولكن لا يعمل إلى حد الإعتماد التام عليه، وهو أخذ جرعة من

¹- رويبة إبتسام، مرجع سابق، ص 06.

²- خيثر فاطمة، مرجع سابق، ص 08.

المخدر لتحقيق نشوة ما بطريقة مختلفة وأوقات معينة نتيجة لضغوطات يتعرض لها في بعض الأحيان¹.

وتنوعت تفسيرات تعاطي المخدرات بتنوع العلوم التي درست هذه المشكلة، فنجد منها تفسيرات طبية وصيدلانية (دوائية أو كيميائية)، وفيزيولوجية، ونفسية واجتماعية، كما نجد أن بعض التفسيرات قد ركزت على العقار نفسه، من حيث مكوناته والصفات الكيميائية لهذه المكونات وتأثيرها على الجهاز العصبي المركزي والحبل الشوكي، في حين ركزت تفسيرات أخرى على ردود فعل الجسم البيولوجية إزاء العقاقير المخدرة، كما ركزت تفسيرات أخرى على التأثير الذي تتركه المخدرات على العمليات النفسية للفرد، والأسباب التي تجعل بعض الأفراد دون غيرهم يقبلون إستعمالها دون غيرهم، حيث ربط بعض الدارسين (المدرسة الفرويدية) بين خبرات الطفولة المبكرة وبين السلوك الإنساني، وتنظر التفسيرات الاجتماعية إلى تعاطي المخدرات على أنه سلوك منحرف، أما عن كيفية تعلم هذا السلوك فهناك عدد من التفسيرات لذلك²:

أولاً: التفسير النفسي:

يرى أصحاب هذا الإتجاه أن ظاهرة الإنحراف المؤدية إلى سلوك الإدمان تقوم على أساسين هما³:

¹ - حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة والمجتمع في علم الإجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، ص 21.

² - ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص ص 14-15.

³ - زيدي ناصر الدين، الأسباب النفسية والاجتماعية للإدمان، فعاليات الملتقى الوطني التكويني حول الوقاية من المخدرات في الوسط المدرسي، الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها، الجزائر، 2004، ص 64.

الأساس الأول: يتمثل في صراعات نفسية، ترجع إلى الحاجة إلى الإشباع العضوي والحاجة إلى الأمن وإلى إثبات وتأكيدا فيعكس سلوك التعاطي، وتكراره بالنسبة لأصحاب هذه النظرية الفشل في حل هذه الصراعات والفشل في إشباع الحاجات المذكورة.

الأساس الثاني: يتمثل في الآثار الكيميائية للمخدر، وهو يميز مدمني المخدرات عن غيرهم وبالتالي فإن الأصل في الإدمان وطبيعته بحسب هذه النظرية، يرجع إلى التركيب النفسي للمريض الذي يحدث حالة الإستعداد، ومن ثمة الدور الذي تلعبه آثار المخدر الكيميائية وخواصه.

ويرجع الشعور بالعجز في مواجهة الواقع إلى ما يلي¹:

- البناء النفسي الداخلي للمنحرف: من حيث هو بناء هش يفتقر إلى القوة والتماسك الداخلي والتكامل، لعجزه في إشباع الحاجات الأساسية في مرحلة التكوين والنمو.
- الواقع الخارجي: من حيث ضراوته وقسوته وما يمثله من إحباط ومصاعب تعترض ظروف تحقيق إشباع المطالب الأساسية.

وتكون الصورة العامة للمدمن والإدمان في ضوء نظرية التحليل النفسي كالآتي:

* ينظر التحليل النفسي للإدمان على المخدرات في المستوى القهري، أي ذلك المستوى الذي يتعلق فيه المدمن بالمخدر تعلقا قهريا لا يستطيع فيه التخلي عنه.

* يفرق التحليل النفسي بين المدمنين على المخدرات وغيرهم من المدمنين على مواد أخرى وإن كانت هذه الأخيرة تشير إلى شيء من الإضطرابات الذي لا يرقى إلى المرض أو الشذوذ.

¹- زيدي ناصر الدين، مرجع سابق، ص 61.

* إن مدمني المخدرات تنطوي نفوسهم على اضطراب نفسي عميق، تشبه أعراضه المرض النفسي أو العقلي وأحيانا أكثر حدة.

* يذكر التحليل النفسي إن مدمني المخدرات يندرجون ضمن السيكوباتية في اضطراب الشخصية، ويستدلون على ذلك بأن السيكوباتي يلجا إلى وسائل وطرائق خارجية في تعامله مع صراعاته وحلها، فهو يعتمد إلى تغيير البيئة بما يتفق مع دوافعه اللاشعورية، كما أنه يصب عدوانيته أيضا على البيئة الخارجية وليس على نفسه، بينما المدمن في حله لصراعاته اللاشعورية يستعمل أيضا ويصب عدوانيته على ذاته لا على العالم الخارجي.

وتتمثل مظاهر الإنحراف ومنه الإدمان في الأشكال التالية¹:

- تدهور خلقي وإجتماعي ومهني.
- اضطراب جنسي أو نشاط جنسي مشوش أو غير ناضج.
- نوبات من المرح والإنبساط، وهو الشكل الأساسي للإدمان.
- مظاهر برانويا (Paranoïa) وتحدث في الحالات المتقدمة من الإدمان.
- إضطرابات الشخصية.
- الإكتئاب والإنهيار النفسي.

ثانيا: السلوك المتعلم:

إن سلوك تعاطي المخدرات سلوك متعلم، يتم تعلمه بالطريقة نفسها التي يتم فيها تعلم السلوكيات الأخرى (المقبولة إجتماعيا)، من خلال التفاعل مع الآخرين (الأصدقاء أو المتعاطين)، والدرجة التي تحدد تعاطي الفرد (إنحرافه) عن إمثاله للأعراف الإجتماعية تعتمد على مقدار تفاعله مع مجموعة الأفراد المتمثلين أو الأفراد المنحرفين (المتعاطين)، فإذا كانت

¹ - طارق السيد، مرجع سابق، ص 167.

محصلة التفاعل تميل لمصلحة الممثلين للأعراف الإجتماعية فيتوقع إمتثال الفرد والعكس صحيح.

ثالثا: الظروف الإقتصادية- الإجتماعية:

هناك من يفسر ظاهرة تعاطي المخدرات أن الظروف الإقتصادية والإجتماعية والسياسية الصعبة التي يمر بها المجتمع قد تدفع (وتضغط) على الفرد نحو تعاطي المخدرات (استعمالها أو الاتجار بها)، ففي مثل هذه الحالات تسد المنافذ الإجتماعية المقبولة في وجه الشباب لتحقيق أهدافهم المقبولة إجتماعيا، ما يدفعهم إلى اللجوء إلى أساليب الإتجار بالمخدرات للحصول على الثراء، وتعاطيها للهرب من الضغوط الحياتية، وقد تسوء الحالة الإجتماعية في المجتمع لا يعود الفرد بموجها قادرا على تمييز الصحيح من الخطأ (فقدان المعايير الإجتماعية)، وكنتيجة لذلك لا يميز الفرد بين ما هو مقبول إجتماعيا وما هو غير مقبول¹.

فضلا عن أن نمو التجارة والنشاط العالمي الذي شهدته السنوات الأخيرة قد أتاح للعناصر الإجرامية إمكانية أكبر لإرتكاب جرائم المخدرات والمؤثرات العقلية المختلفة، والتي تهدر الصحة العامة للإنسان وتدمر الأسر والمجتمع².

رابعا: دور التنشئة الإجتماعية:

هناك تفسيرات تركز على أهمية دور التنشئة الإجتماعية في تحصين الفرد ضد الإنحراف، وتقوية الرابط بين الفرد والمجتمع من خلال تقوية إيمانه بالقيم والمعتقدات الإجتماعية¹.

¹- رويثا إبتسام، مرجع سابق، ص 04.

²- ناصر مصلحي، مرجع سابق، ص 19.

وتعاني الكثير من الأسر من الإغتراب، ويتمثل ذلك في طبيعة التغيرات التي طرأت على الأسر في المناطق الحضرية، حيث تجد الأسرة الصغيرة والتي تقلصت وظائفها وخرجت منها المرأة للعمل فترات طويلة من اليوم، وبذلك لا تمارس دورها في دعم القيم الرادعة للسلوك لدى الأفراد بصورة كاملة، وأصبح الأبناء شبه معزولين عن أسرهم المتصدعة وأكثر تكيفا واندماجا مع جماعات أخرى تحقق لهم الرضا، مثل جماعات اللعب ورفقاء السوء، وبذلك يشب الأبناء وهم مشبعون بقيم تلك الجماعات ومتأثرون باتجاهاتهم وأنماط سلوكهم فيسهل انحرافهم للسلوك الإجرامي سواء عن طريق جماعة منظمة أو بمفردهم.

إن دراسات عديدة أثبتت أن هذه الإضطرابات الأسرية تعود إلى أسباب تتعلق ب²:

أ- الوالدين: الخلاف، الزواج الغير موفق، الخيانة الزوجية، عدم التكافؤ بينهما ثقافيا أو إقتصادي أو إجتماعيا، الانفصال أو الطلاق أو الهجر، أو الزواج الثاني أو التضارب في الإهتمامات.

ب- الوالدين والطفل: فرض القوانين الجامدة، سوء استقبال الطفل أو سوء المعاملة وهناك ارتباط بين الإنحرافات السلوكية عند المراهق ودينامية الحياة الأسرية عند الأهل، أي أن الأزمات التي تطبع علاقة الأهل فيما بينهم تستثير مجموعة من ردات الفعل الراضية والإنحرافية والهامشية من قبل الأبناء، وهذا كله يظهر على شكل معاناة صامتة أو ناطقة.

خامسا: الفرصة في سلوك تعاطي المخدرات:

تقوم النظرية العامة في السلوك الطائش في تفسير سلوك التعاطي، على فرضية عامة مؤداها أن الفرد قد يتورط في السلوك المنحرف إذا أتاحت له الفرصة لذلك، حيث تؤكد

¹- عابد عواد أرفيقة الوريكات، سوسولوجيا تعاطي وإدمان المخدرات، مجلة كلية المعلمين، جامعة المستنصرية، العدد 250 بغداد، 1996، ص26.

²- عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق، ص 208.

النظرية العامة في السلوك الطائش لجوتفردسون وهيرشي (GOTTFREDSON & HIRSHI)، أن احتمالية إنخراط الأفراد في فعل منحرف تحدث بسبب وجود الفرصة، مع توفر سمة شخصية أو سمات الضبط الذاتي المنخفض، وقد عرف كل من جوتفردسون وهيرشي السلوك الطائش بأنه: "كل فعل يقوم على القوة والخداع لتحقيق الرغبات الذاتية"¹.

إن توفر صفة الضبط الذاتي المنخفض مع وجود الفرصة لإرتكاب السلوك الطائش يعدان عاملين مؤثرين في إرتكاب سلوك التعاطي، فتأثير هذين العاملين يكون نتيجة لإتحادهما، والتفاعل بينهما هو المؤدي للسلوك المنحرف، والإختلاف بين المجرمين وغيرهم يعود إلى الإختلاف في مستوى ضبط الذات، ونقص ضبط الذات هو نتاج للتنشئة الإجتماعية الناقصة حيث يفشل الآباء في مراقبة الطفل عندما يقترف سلوكا منحرفا، وعندما يتكون الضبط الذاتي في المراحل الأولى عند الأفراد، فإن الإختلافات في ضبط الذات تبقى ثابتة بشكل معقول من الوقت التي تم تحديدها عبر أطوار الحياة غير متأثر بالمؤسسات الإجتماعية.

والسلوك الطائش لا يختلف عن أي خيارات سلوكية، فالناس يرتكبون الجرائم والأفعال المحرمة الأخرى لأن تقييمهم الذاتي للمنفعة التي يجنونها يفوق الثمن الذي يدفعونه، فسلوك تعاطي المخدرات ببساطة فعل يعكس الميل الطبيعي للإنسان لإختيار المتعة الشخصية وليس الألم، فالسلوك الطائش تعبير عن الإهتمام الشخصي، والمنفعة هي الإشباع الفوري والمتعة، والثمن (الكلفة) هو النتائج السلبية لهذه الأفعال، وتعتمد الحسابات على الإدراك والإهتمام بالنتائج بالنسبة للشخص وللآخرين، ويرتبط تقييم الثمن مباشرة مع الضمير ومستوى ضبط الذات.²

¹ - Gottfredson (M,R) & Hirshi (T), A general theory of crime, stanford university press, 1990, P 51.

² - ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 24.

إن التكاليف أو النتائج النسبية لهذه الأفعال أقل أهمية بالنسبة لهؤلاء الذين لم يطوروا قدرا كافيا من ضبط الذات، ويفشل الشخص المتهور أو قصير النظر في أخذ النتائج السلبية المؤلمة لأفعاله بالحسبان، ولدى الشخص عديم الحساسية نتائج أقل كي يأخذها بالحسبان، حيث إنه كلما قل ذكاء الشخص تقل النتائج السلبية التي تؤخذ بالحسبان من قبله، وتقتصر النظرية، أن التنشئة الإجتماعية الكاملة ينتج عنها ضبط ذاتي مرتفع (يوجد علاقة إيجابية بين التنشئة الأسرية وضبط الذات)، ومن غير المحتمل أن يرتكب ذواوا الضبط الذاتي المرتفع أفعالا إجرامية خلال حياتهم، وأن التنشئة الناقصة ينتج عنها ضبط ذاتي منخفض، وبالتالي فإن ذوي ضبط الذاتي المنخفض يحتمل ميلهم إلى الأفعال الإجرامية¹.

المطلب الثاني: أسباب تعاطي الشباب للمخدرات:

السبب بوجه عام هو القوة الدافعة التي لولها لما حدثت النتيجة، إلا أن السبب لا يكون عاملا واحدا بل يتضمن مجموعة العوامل التي تعد جزءا من السبب².

وبعد تفسيرنا لظاهرة التعاطي عند الشباب الذي يعد من أكثر القطاعات المستهدفة من الإتجار بالمخدرات، سنتطرق لأسباب هذه الظاهرة ومنها³:

1- الحجم الكبير نسبيا الذي تشكله هذه الشريحة في المجتمع، حيث يشكل سوقا للمخدرات يمكن الإعتماد عليه وخاصة إذا ما علمنا درجة سهولة الوصول إليه، ووجود عوامل أخرى مسهلة في التعامل معه.

2- تشكل مرحلة الشباب مرحلة عدم استقرار وأزمة، فمن بين الأسباب التي تجعل الأفراد وبخاصة الشباب يتعاطون المخدرات ضغوط الحياة وكثرة الأزمات النفسية والإجتماعية

¹ -Gottfredson (M,R) & Hirshi (T), op,cit, P 54.

² - عابد الوريكات، مرجع سابق، ص 13.

³ - كاره مصطفى عبد المجيد، المخدرات والانحراف، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، العدد 7، الرياض، 1994، ص ص 71- 73.

والإقتصادية التي يتعرضون لها، وعدم وجود تدريب سابق للتعامل مع هذه المشكلات، وسد القنوات التي تمكن الشباب من التعامل معها، ما يجعلهم يبحثون عن مصادر حلول تتمثل في هروبهم من أزماتهم والإختباء وراء المتعة المؤقتة للمخدرات، وبالتالي يسهل اختراقها.

3- نزعة الشباب إلى البحث عن اللذة والمتعة وبخاصة في غياب التنشئة الإجتماعية والتربوية السليمة، ما قد يدفع الشباب إلى تجريب كل ما هو جديد بقصد فحص آثاره ومن قبيل الظهور أمام الرفاق بمظهر التميز.

4- المعتقدات الخاطئة لدى الشباب، والتي تستثمر من قبل مروجي المخدرات فكثيرا ما تشيع أفكارا ومعتقدات غير صحيحة من الناحيتين العلمية والموضوعية حول المخدرات بأنواعها المختلفة، والهدف من إشاعة مثل هذه المعتقدات جذب الشباب إليها بقصد تجربتها والإعتماد عليها، حيث تنشر عصابات المخدرات معلومات عن بعض المخدرات وارتباطها بإطالة اللذة الجنسية.

5- الرغبة في التقليد والخروج عن الأهل والمجتمع، فأحيانا يساء التعامل مع الشباب وينظر إليهم كأطفال والتحدث باسمهم واتخاذ القرارات نيابة عنهم، ويخلق مثل هذا السلوك من قبل الأهل المنافذ عند الشباب ما يجعلهم يخرجون عليها، وابتعدون عن الأهل والإلتفاف حول رفاق السوء.

6- الإتجار بالمخدرات بسبب مصاعب الحياة وطلبها للكسب السريع والثراء الفاحش، حيث يشكل الفقر وعدم تساوي الفرص والظلم الإجتماعي، أهم العوامل التي تدفع الشباب إلى البحث عن طرائق غير مقبولة اجتماعيا (الإتجار بالمخدرات) لتحقيق أهداف مقبولة اجتماعيا مثل الثراء.

وقد لخص كل من (اندر وويد) و (ونفرد روسن) أسباب تعاطي الشباب بإحدى عشر سببا نذكرها فيما يلي¹:

1- لعلاج المرض: هناك بعض المخدرات التي استخدمت ومازالت تستخدم في المعالجة الطبية مثل المورفين، فقد تستخدم المخدرات لعلاج الحالات النفسية كذلك.

2- تغيير المزاج: إن ما يتعرض له الشباب من ضغوط نفسية اجتماعية واقتصادية تجعلهم أكثر عرضة للإكتئاب والقلق، فقد يهرب الشباب من مواجهة هذه الضغوط بالالتجاء إلى المخدرات وخصوصا المنهات والمسكنات.

3- كشف الذات : وهنا قد يستخدم الشباب المخدرات لكشف قدراتهم العقلية، ولاسيما أن هناك أفكار شائعة في المجتمعات عن تأثير القدرات العقلية بإستعمال بعض المخدرات.

4- لتعزيز وتقوية التفاعل الإجتماعي: هناك بعض العقاقير والمخدرات التي تشجع على تفاعل الفرد مع الآخرين، فقد يلجأ الشباب إليها لزيادة الجرأة في التفاعل مع الآخرين وخصوصا مع الجنس الآخر.

5- لتعزيز الخبرة الحسية والسعادة: يسعى الشباب إلى الحصول على اللذة وتجنب الألم وخصوصا عندما تشيع أفكار إجتماعية حول بعض المخدرات مثل الماريجوانا مع الجنس والكونياك مع السيجار.

6- لإثارة الإبداع الفني والأداء: قد تستعمل المخدرات كمثيرات للأداء الفني، خاصة عند أصحاب القدرات الفنية كالكتابة والرسم.

¹ - الرشيد محمد بن ابراهيم رشيد، أضرار المخدرات الإجتماعية، دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع، الرياض، 1990 صص24-26.

7- لتحسين الأداء الجسدي: قد يستخدم الشباب المخدرات من أجل الحصول على لياقة رياضية عالية وتحمل التعب والمشاق، أو قد تستعمل للمحافظة على بنية جسدية قوية (كمال الأجسام أو المصارعة).

8- للعصيان: تعد المخدرات من المواد الممنوع تعاطيها في غالبية مجتمعات العالم، ولذلك قد يستخدمها الشباب كتعبير عن رفض النظام الاجتماعي السائد والخروج عليه، بالإضافة إلى ذلك، فإن الشباب قد يستخدمونها في حالة مرور المجتمع بحالة تفسخ اجتماعي، حيث تضعف المعايير الاجتماعية أو تتصارع أو تكون غائبة عن المجتمع، وقد تستخدم المخدرات للكشف عن مشاعر مكبوتة أو متعارضة مع المجتمع.

9- مجارة ضغط الرفاق: تعد الجماعة نقطة مرجعية مهمة في حياة الفرد تتوزع السلطة فيها بين الأفراد، فمن الأفراد من يحتل مركزا قياديا ومنهم من يحتل موقعا تابعا...الخ، والرفاق في فترة المراهقة تلعب دورا هاما في تشكيل شخصية المراهق، وإذا ما انتشر تعاطي المخدرات بين الشباب في جماعة معينة، فمن المرجح أن ينتشر تعاطيها بين بقية أفراد الجماعة بسبب الضغط الاجتماعي الذي يمارس من الجماعة على أفرادها وإغراءات رفقاء السوء، فلكي يكون مقبولا بين الجماعة يجب أن يسايرهم في عاداتهم واتجاهاتهم، فالجرعات الأولى من العقاقير التي تسبب الإدمان لا تأتي عن طريق المصادفة بل تكون بعد علم مسبق ورغبة في الإستطلاع عن آثارها،

10- لتكوين الهوية: قد يستخدم الشباب المخدرات، من أجل بيان أنهم مميزون عن الآخرين وأن لهم هويتهم التي تختلف عن الآخرين.

11- تجنب ضغوط الحياة ومشكلاتها: إن كثرة المشكلات وتفاقمها لدى الطبقات الفقيرة، أو حتى المرتاحة ماديا، يفسر إنتشار تعاطي المخدرات بين هذه الطبقات.

وإذا أردنا أن نبحث في الأسباب التي تؤدي إلى الإنحراف، وتلك التي تؤدي إلى الإدمان لوجدنا أن هذه الأسباب تكاد تكون واحدة، ويتضح ذلك من التحليل الآتي للعوامل التي تؤدي إلى التعاطي¹.

- قد يتعاطى الفرد لأول مرة على سبيل التجربة ومعرفة مذاق المخدر.
- قد يلجأ الفرد للتعاطي لنسيان ما يواجهه من مشكلات وأزمات.
- تدفع الإنسان الرغبة للتعاطي تقليدا ومجاراتا لزملاء السوء.
- تدفع مشاكل الزواج والطلاق والهجر والإنفصال والكراهية بالبعض إلى حافة الإدمان.
- قد تؤدي ظروف البيوت المحطمة التي ينشأ فيها الأطفال والمراهقون إلى الإدمان حيث يتعرض فيها الطفل لكثير من مظاهر الحرمان من الإشباع المادي والعاطفي، ومن الحب والوفاء والحنان والتوجيه والإرشاد، ويعاني من القسوة والشدة والصرامة في التعامل أو الإهمال والنبذ والطرده وعدم قبول الأسرة للطفل، قد يعاني من جو الخصام والشجار والصراع الذي يعكس صفو المنزل، ولا يقل عن ذلك خطرا تربية الطفل على الحرية المطلقة والفوضى وعدم الانضباط وعدم الإلتزام، فالحرية الزائدة لا تقل ضررا عن الصرامة الزائدة.
- ومن العوامل السببية للإدمان كذلك، أن يكون الأب نفسه مدمنا فيشرب الأبناء على هذه العادة السيئة.
- قد تؤدي حوادث عارضة كالفصل من الوظيفة أو الإفلاس..إلخ إلى الإرتداء في برائن الإدمان.

¹- فاروق سعيد عبد السلام، سيكولوجية الإدمان، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص 207.

المطلب الثالث: إنتشار الظاهرة وتوزعها الإجتماعي:

إن مشكلة تعاطي المخدرات مشكلة عالمية، تحرص الكثير من الدول والهيئات المختلفة على القضاء عليها أو الحد منها حفاظا على شعوبهم وأوطانهم من هذا الوباء الخطير، والجزائر جزء لا يتجزأ من هذا العالم تتأثر به وتتفاعل معه، ولهذا لم تسلم من ظاهرة المخدرات والتي عرفت إنتشارا كبيرا وازداد توزعها الإجتماعي ليشمل تقريبا كل الشرائح الإجتماعية.

وإذا ما تأملنا في العوامل والظروف التي تقود إلى إنتشار الظاهرة وتوزعها الإجتماعي لوجدناها لا تختلف كثيرا عن العوامل والظروف السيئة التي يعاني منها الفرد في ثنايا عملية التنشئة الإجتماعية، تلك العملية التي يفترض أن يمتص الفرد من خلالها القيم والمثل العليا والعادات والتقاليد والأعراف التي يرتضيها الدين والمجتمع، ويتعلم أنماط السلوك المقبول في المجتمع، فالعوامل غير المؤاتية في نشأة الفرد والمحيطه بظروفه الإجتماعية والأسرية والإقتصادية والعملية قد تدفع إلى الإنحراف والإدمان والجريمة.

ويساهم تراجع دور الأسرة في مجال التربية والتوجيه والإرشاد، والغياب الشبه الكلي للحوار والنقاش البناء المتواصل بين الوالدين والأبناء من خطورة آفة المخدرات وتزايد وطأة إنتشارها، بل يلاحظ نوع من التهاون الصارخ واللامبالاة لدى بعض الوالدين الذين غالبا ما يستيقضون من سباتهم بعد فوات الأوان، وبالطبع ليس بإمكان أية مؤسسة أخرى حل محل الأسرة لأداء هذه المهمة مكانها، وفي نفس الوقت نعلم جميعا أن المدرسة هي الأخرى لم تتمكن إلى حد الآن من التوفيق بين مهمة التعليم من جهة ورسالة التربية والتنشئة الإجتماعية الصحيحة من جهة أخرى¹.

¹ - سمير محمد عبد الغني، مرجع سابق، ص 58.

فغياب المتابعة والرقابة الكافية والملازمة للأبناء في المدارس والثانويات والجامعات، سبب مباشر في إنتشار هذه الظاهرة الممقوتة، كما تعود كذلك إلى ضعف الوازع الديني، خاصة وأن كثيرا من مظاهر السلوك العدواني بل والإجرامي المنتشر بين فئات الشباب غير المحصن ترجع أساسا إلى الفراغ واستهلاك المخدرات.

وقد أظهرت دراسة رشاد عبد اللطيف بعض العوامل الإجتماعية المساعدة على إنتشار وتوزع هذه الظاهرة والتي من أبرزها:¹

- عدم وجود رقابة من قبل الوالدين.
- تعاطي أحد أفراد الأسرة للمخدرات.
- القسوة في المعاملة.
- عدم التزام أحد الوالدين بالواجبات الدينية.
- انشغال الوالدين في الأعمال الخاصة.
- التدليل الزائد في المعاملة.
- انفصال الوالدين بالطلاق.
- زواج الوالد بأكثر من امرأة.
- وفاة أحد الوالدين.
- التقليد والمسايرة.
- إشاعة جو المرح ونسيان المشكلات والهموم.

¹ - عبد اللطيف رشاد أحمد، الأثار الإجتماعية لتعاطي المخدرات، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض 1992، ص 173.

ويرجع بعض الأخصائيون سبب إنتشار الظاهرة والترويج للمخدرات في بلادنا إلى شساعة الحدود الوطنية التي تمتاز بها بلادنا، وكذا إلى السعي وراء الربح السريع دون بذل مجهود كبير وهناك أيضا من برر هذا النشاط بأنه الحل من أجل تحسين وضعيتهم الإجتماعية من جراء تفاقم ظاهرة البطالة في بلادنا، وضعف القدرة الشرائية للعديد من شرائح المجتمع خاصة أثناء العشرية السوداء التي عرفتها البلاد منذ مطلع التسعينات، واستغلال المهربين لهذا الوضع والتحالف مع الإرهاب، قصد تحقيق أهدافهم الدنيئة وتسميم عقول الشباب، فمن أهم مميزات جرائم الإتجار غير المشروع بالمخدرات هو العائدات المالية الضخمة التي يحصل عليها القائمون بهذا النشاط¹.

وأصبحت تجارة المخدرات تجارة عالمية تقودها عصابات ضخمة دقيقة في عملها منظمة في إدارتها وتتعامل بمليارات الدولارات، والمخدرات شأنها من الناحية الإقتصادية شأن السلع الأخرى يساهم ترويجها غير المشروع في انتشارها عبر كل دول العالم، وتوافر المادة المخدرة وسهولة الحصول عليها من بين أسباب إنتشار الظاهرة، وبالتالي يكون إحتمال الإدمان عليها كبيرا².

ويساهم إنتشار الإنترنت في العالم وزيادة حجم المستخدمين لها وإستعمالها كآلة لنشر معلومات ووسيط فيه التفاعل بين الأفراد، ونقل المعلومات دون مانع ولا حدود من الجغرافيا في تسهيل تواصل الأفراد ونقل المعلومات والتقنيات والجريمة والمخدرات العابرة للحدود الوطنية،³ فبالإضافة إلى أن مقدم المعلومات قد يكون مروجاً للمخدرات ومتلقياً للعميل يحميان خصوصيتهما، وعالمية الإنترنت وانفتاحها وسهولة الوصول إليها قد شجع الكثيرين على

¹- حامد منان محمد، تفعيل وتطوير عمليات مكافحة البحرية لتجريب المخدرات، مجلة أصداء الأمانة، مجلس وزراء الداخلية العرب، العدد الرابع، أكتوبر، 2003، ص 03.

²- عبد الرحمان العيسوي، مرجع سابق، ص 12.

³- ذياب موسى البيادنة، مرجع سابق، ص 26.

استخدامها كوسيط لتسهيل الإستخدام غير الشرعي للمخدرات، وتحولت الجريمة والمخدرات من سوق محلية إلى سوق دولية، وكل هذه العوامل تشكل تهديدا للشباب على وجه الخصوص وللنفئات المستهدفة من إستخدام المخدرات بصفة عامة، ويمكن وصف تهديد الإنترنت في مجال الطلب على المخدرات ومروجيها أو الأفراد الآخرين ذوي العلاقة، والتي تشمل تسهيل عملية إنتاج المخدرات أو إستخدامها ترويجها أو بيعها دون وصفات رسمية، وتشمل معلومات تسهيل الإنتاج شرحا وتفسيرا للمعدات أو المصادر اللازمة أو العمليات المستخدمة أما المعلومات اللازمة لتسهيل عملية الإستخدام فتشمل شرح لطبيعة وآثار وطرق الإستعمال للمخدرات، وأخيرا تشمل معلومات تسهيل المبيعات شرح - لكيفية الحصول عليه المخدر وأين يمكن أن يوجد أو الآليات التي تسمح بالحصول عليه من خلال الشبكة¹.

يكشف المراقبون عن قيام مصدري ما يعرف بعقاقير " الإبتهاج " في استراليا لترويج جيل جديد وقوي للغاية من العقار المعروف بإسم " إكستازيا " Xtazia عبر البريد الإلكتروني لمواقع الإنترنت المختلفة²، وأشار المراقبون إلى قيام مستخدمي هذا المخدر بالتمويه على عملية بيعه عبر الإنترنت، إذ يطلقون على هذا النوع من العقاقير إسم (الكيماويات البحثية)، ويتم إنتاجها من خلال المعامل التجارية في الولايات المتحدة الأمريكية ثم عرضها عبر الإنترنت بعد ذلك بسهولة تامة، ولاحظ الخبراء إزدیاد مبيعات هذه العقاقير في بريطانيا بصور كبيرة خاصة بعد زيادة فعاليتها، وأن مجرد فتح حوار حولها داخل غرف الدردشة عبر الإنترنت يزيد من توزيعها بعد تعريف الشباب بها، حتى أن الإنترنت تعتبر الآن من أكبر مصادر المعلومات لتعاطي تلك العقاقير المخدرة³.

¹- ذياب موسى البيادنة، مرجع سابق، ص 32.

²- مرفت عبد العزيز، دنيا الإنترنت، الفرصنة عبر الإنترنت، مجلة لغة العصر، العدد 42، يونيو، مصر، 2004، ص 48.

³- ناصر بن عبد الله نويصر، الجرائم عبر الوسائل الحديثة، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، 2009، ص 159.

ويروج تجار المخدرات سمومهم عبر الإنترنت في أسلوب جديد لترويجها على الشباب حيث لجأ عدد من العصابات لنشر سمومهم بين الشباب عبر الأنترنت غرف المحادثة (الشات) ويقع العديد من الشباب ضحية العلاقات بعد أن تعرفوا على أصدقاء السوء عبر الأنترنت وقد سجلت الأجهزة المعنية بمكافحة المخدرات عدة قضايا تعاطي وترويج للشباب كان سببها حيلة جديدة لجأ لها العصابات ترويج المخدرات بين الشباب، بعد أن يبني علاقات عبر الإنترنت ومن ثم يكون هناك لقاءات يتم من خلالها ترويج المخدرات والإدمان بعد ذلك¹.

ويتبين لنا جليا أن ظاهرة إستهلاك المخدرات بأنواعها المختلفة وانتشارها إلى فئة عريضة من المجتمع وتعميمها المشبوه، كان بهدف لتدمير الطاقة البشرية أولا وقبل كل شيء، تلك المتمثلة في القوة المنتجة وهي طاقة الشباب، وهو الأمر الذي ينتج عنه بالضرورة فقدان الأمل مستقبلا في التنمية السوية وما يصحبها من رقي ورخاء إقتصادي وحضاري.

المطلب الرابع: مخاطر تعاطي المخدرات وأضرارها:

المخدرات لعنة تصيب الفرد وكارثة تحل بأسرته وآفة تلحق بوطنه فتهدر كيانه الإقتصادي وبنيانته الإجتماعي²، فتعاطي المخدرات عامل غير مباشر في الجريمة والتدهور الإجتماعي والأخلاقي، وإذا لم يكن تعاطي المخدر هو السبب المباشر في خلق الجريمة، فإن هناك علاقة وثيقة بينه وبين التدهور والإنحلال الإجتماعي والخلقي بصفة عامة، والذي يؤدي إلى الجريمة³.

¹ - سعود الشيباني، تجار المخدرات يروجون لسمومهم عبر الأنترنت، الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، العدد 13078 06 رجب 1429، ص 06.

² - محمد فتحي عيد، المخدرات والمؤثرات العقلية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 2012، ص 119.

³ - سعد المغربي، ظاهرة تعاطي الحشيش، دراسة نفسية إجتماعية، دار الراتب الجامعية، ط 2، لبنان، 1984، ص 168.

وهناك أضرار مختلفة تنتج عن الإدمان، ولذلك ينهى الإسلام الحنيف عنه نهياً قاطعاً وخير ما نتأسى به قول رسولنا الكريم في الرد على من يدعي استعمال الخمر للدواء، فقد روى طارق بن سويد الجعفري بأنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه وكره أن يصنعها، قال: "يا رسول الله إن بأرضنا أعشاباً نعتصرها فنشرب منها، قال: لا، فراجعته وقلت إننا نستشفى للمريض، قال: إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء" رواه الإمام مسلم.

1/ آثاره الصحية: الميل نحو سوء استخدام العقاقير إذا ما اعتاد المدمن على تعاطيها وإذا حرم منها، شعر باشتياق نفسي شديد لها كما يشعر بالتوتر أو الإكتئاب، أما الإدمان الجسمي فيعني أن الجسم يعتاد على تناول العقار بعد الإستعمال المستمر له وعندما يتعود الجسم عليه يصبح على المريض أن يتناول جرعات متزايدة ليحدث نفس الأمر الذي كانت تحدثه الجرعة الصغيرة، ويعاني المريض من مجموعة من الآلام إذا حرم من العقار تعرف باسم (مجموعة أعراض الامتناع أو الانسحاب)، كما يحدث في حالة تعاطي المورفين والهيروين والكحول¹، وأثبت العلم الحديث أن تعاطي المخدرات يؤثر سلباً من الناحية البدنية والنفسية والعقلية²:

- تصيب متعاطيها بالضعف والهزال.
- تشمع والتهاب الكبد والبنكرياس.
- تلف المخ.
- بعض أنواع المخدرات تحدث تشنجا في العضلات، مما قد يؤدي إلى الشلل في مرحلة لاحقة.
- جرعة زائدة من المخدر قد تؤدي إلى الوفاة.

¹- عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق، ص 54.

²- طارق السيد، مرجع سابق، ص 165.

ومن أهم آثارها كذلك¹:

- التأثير على الجهاز التنفسي: ضيق التنفس، التهابات صدرية وقلبية.
- التأثير على الجهاز الهضمي: نقص حاسة الذوق، زيادة حرارة اللعاب والرائحة الكريهة تشنجات عضلية في المرئ والتهابات مؤلمة تعرض صاحبها للسرطان، ويصاب الغشاء المخاطي للمعدة بالتهابات واضطرابات في عملية الهضم فيما يسبب الإسهال والتقيئ وفقدان الشهية.
- التأثير على الجهاز التناسلي: ضعف الرغبة الجنسية، العجز الجنسي المبكر، العقم.
- التأثير على الجهاز العصبي المركزي: النسيان، فقدان الذاكرة، قلة التركيز.
- تأثيرات أخرى: ، إحمرار العينين، تأثير على نبضات القلب، ظهور تجلطات دماغية اتساع حدقة العين، ظهور قشرة مثل النخالة على الجلد، التعب عند بذل مجهود عضلي الكآبة والخمول.

2/ آثاره الدينية: في هذه الأيام تتعرض الأمة الإسلامية والعربية لكثير من المؤثرات والحروب الخفية والعلنية، ومن ذلك دعوات التشكيك والغزو الثقافي، ومن بين الحملات التي تستهدف النيل من كيان المجتمع الإسلامي تصدير كميات هائلة من الخمر والمخدرات إليه، وكذلك الأقراص والحبوب وما إليها من السموم البيضاء التي تقتل من يتعاطاها قتلا سريعا أو بطيئا.

وللأسف هناك بعض البلدان الإسلامية التي أباحت تعاطي الخمر والمخدرات، وأعفت شاربها وبائعها وصانعها من طائلة العقاب المدني بحجة أنها مسؤولة شخصية، وأن الشارب يتحمل هو نفسه نتائج شربه من شكل هدم صحته وذهاب عقله وفقدان وظيفته وانحطاط كرامته وتفكك أسرته وفقره... إلخ، ولكنهم ينسون حقيقة هامة وهي أن الخمر والمخدرات بكل

¹- محمود زكي شمس، أساليب مكافحة المخدرات في الوطن العربي، دار الحكمة للطباعة والنشر، سوريا، 2008، ص 43.

أنواعها محرمة شرعا، وأن تحريمها لم يكن عملا عفويا وإنما هو لصالح الإنسان والمجتمع وإرضاء الله تعالى، فالمخدرات تذهب العقل وبذلك تحجب الفرد عن ذكر الله تعالى وعن عبادته، وهو يقود صاحبه إلى ارتكاب الجريمة والانحراف، فهناك كثير من الجرائم التي يرتكبها أصحابها بسبب تورطهم في الإدمان على الخمر أو المخدرات، حيث تعجز إمكاناتهم المالية عن سد عاداتهم المرضية السيئة فيلجئون إلى السرقة أو الإختلاس أو السلب أو النهب أو التزوير... إلخ¹، وهي كلها آثام ومعاصي نهى ديننا الحنيف عنها، وتوعد من يقومون بها بالعذاب الشديد.

ومن أضرار الإدمان الدينية كذلك، أنه أكبر وسيلة لإفشاء الأسرار ووسيلة لنشر البغضاء والعداوة لقوله تعالى: "إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر"² صدق الله العظيم، ولعل أشد أضرار الإدمان أنه كبيرة من الكبائر المنهي عنها، لأنها تصد العبد عن ذكر الله تعالى وعن العبادة وعن الصلاح، كما في قوله تعالى: "ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون"، والخمر والمخدرات هي مسكر أيا كان نوعه أو المادة المصنوع منها لقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: "كل مسكر خمر وكل خمر حرام" رواه مسلم³، ومتعاطي المخدرات لا ينعم في الدنيا ولا يرجوا النجاة في الآخرة إذا لم يتب ويبتعد عن هذا الوباء، فالعودة إلى الطريق السليم والإعتصام بحبل الله تحصنه ويرزقه الله عز وجل حسن الخاتمة.

3/ آثاره الإقتصادية: هناك أضرار عديدة قد تحدث نتيجة الإدمان على المخدرات والمؤثرات العقلية، إذ يقلل الكفاءة الإنتاجية للفرد، وهذا بدوره يتسبب في نقص الإنتاج على مستوى

¹ عبد الرحمان العيسوي، الصحة النفسية والجريمة الجنائية، المكتب العربي الحديث، بيروت، بدون سنة، ص 203.

² سورة المائدة، الآية 91.

³ عبد الرحمن العيسوي، نفس المرجع، ص 210.

الدولة مما يكبدها خسائر مالية كبيرة، ومن المعروف أن قلة إنتاج الفرد ينعكس على المجتمع دائماً¹.

ويظهر كذلك في كل ما تنفقه الدولة رسمياً لمكافحة كل ما من شأنه أن يعمل على توافر المواد الإدمانية غير المشروعة في السوق، ويندرج في هذا جزء كبير من ميزانية وزارة الداخلية وهو يشمل ميزانية الإدارة العامة لمكافحة المخدرات وجزء من ميزانية الأمن العمومي والجزء المماثل من ميزانية مصلحة السجون وكذلك وزارة الدفاع، ومن خلالها يقوم حراس الحدود والسواحل بمكافحة التهريب، وفي المقابل نجد وزارة العدل التي تساهم من ميزانيتها في تغطية أشغال آليات السلطات القضائية بقضايا المخدرات، وكذلك مجموع الخدمات الطبية والتقنية والإجتماعية التي تقدم العلاج فيما يخص التعاطي والإدمان².

يزداد خطر المخدرات على شبابنا بازياد قدرته المالية على شراء هذا السم الفتاك، كما يزداد هذا الخطر تبعاً لجو الحرية الذي تمنحه الأسرة لأبنائها، وفوق ذلك ينمو هذا الخطر مع زيادة هجمات التهريب إلى بلادنا، والمعروف أن الدخل العادي للفرد يصبح غير كاف في حالة التورط في الإدمان، يضاف إلى ذلك أن هذا الدخل يأخذ في التضائل والنقصان بتدهور حالة المريض يوماً بعد يوم حتى ينتهي به الحال إلى التسكع والتشرد والبطالة، وكلها جرائم يعاقب عليها القانون، وبدلاً من أن يكون الفرد قوة إنتاجية تضيف إلى خير المجتمع يصبح عالة عليه³.

¹ - طارق السيد، مرجع سابق، ص 166.

² - محمد الشريف فيروز، إرتباط المخدرات والإرهاب، المدرسة العليا للقضاء، الجزائر، 2014، ص 16.

³ - عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق، ص 204.

4/ آثاره النفسية: في هذا المجال يمكننا الإشارة إلى التحليل النفسي الذي أشار إليه عدد من الباحثين للانحراف والإدمان، بحيث تم إبراز الحرمان العاطفي من قبل الأسر ودوره في تشكيل الشخصية.

والإنسان عندما يكون واقعا تحت تأثير المخدرات، فإنه يخضع لكثير من الأوهام والتهيئات التي تصور له أشياء لا وجود لها في عالم الحقيقة ولكنه خيال المريض المشوش الذي نتج عن تعاطي المخدر واستبداده بالمريض¹، ولذلك لم يكن غريبا أن يتبين الطب العقلي ما يعرف باسم " جنون الإدمان " و"جنون الإضطهاد" وأن يصف الهلاوس والخيالات والأصوات والمرئيات التي يراها المدمن كأنها حقيقة واقعة، وهي ليست كذلك، فهو يحيل الإنسان إلى بهيمة فاقد الوعي والعقل والإدراك والتمييز بين الصواب والخطأ، بل يعجز عن تمييز المسافات والأطوال والألوان والأصوات².

كما يؤدي إلى ظهور الأمراض النفسية والسلوكية، فتكون نتيجة لتأثير عوامل البيئة والوسط الإجتماعي الذي يتحرك ضمنه الفرد في صياغة شخصيته وفي خلال نموها، فنوع التربية ونوع التنشئة التي يخضع لها الفرد والضغوط والمطالب الصادرة عن البيئة، كلها تؤثر في عملية التوافق النفسي وفي مستوى هذا التوافق يمكن التعرف على الأسباب الكامنة³.

ولذلك كان من الأهمية بمكان ضرورة توفر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدى به الشاب والنموذج الصالح، وصدق إسلامنا العظيم حين يقرأ المرء على دين خليله.

وما يتعلق بالآثار (الأضرار الشخصية) على الشباب حسب د/ رشاد عبد اللطيف⁴:

¹- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 205.

²- عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق، ص 206.

³- خالد الجريسي، انحراف الشباب وطرق العلاج على ضوء الكتاب والسنة، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1999، ص 56.

⁴- عبد اللطيف رشاد أحمد، مرجع سابق، ص 180.

- اللامبالاة والسلبية.
- إهمال الواجبات المدرسية عند المتدربين، والتأخر المدرسي.
- الإكتئاب.
- العزلة عن الآخرين.
- تأنيب الضمير.
- ارتكاب السلوك الإنحرافي والإجرامي كالسرقة والقتل وغيرها.
- الهروب من المنزل.
- الشجار مع الوالدين والإخوة والأقارب والزملاء...
- مرافقة رفاق السوء.
- مضايقة سكان الحي.

5/ آثاره الإجتماعية: تؤثر المخدرات على سلوك من يتعاطاها بطريق آخر من طرق التقليد فغالبا ما يتجمع المدمنون في جماعات متشابهة ومتجانسة من أهل الشذوذ، ويؤدي الانخراط مع هذه الجماعات إلى نتائج خطيرة عن طريق التقليد والمحاكات، فالإنسان بطبعه يميل إلى تقليد من يعاشرهم ويخالطهم ويتأثر بهم، سواء كان ذلك بطريقة شعورية أو بطريقة غير شعورية، ويظهر هذا التأثير بصورة واضحة في حالة أقران السوء من شلل الشبان والمراهقين حيث يؤدي انخراط الشاب السوي في مثل هذه الجماعات السيئة إلى أن يقلدهم ويتمثل بهم ويتخذ منهم قدوة ومثالا سيئا¹.

¹- حامد زهران، علم نفس النمو، الطفولة والمراهقة، عالم الكتب، القاهرة، 1977، ص 204.

ويؤدي استخدام المخدرات إلى سوء التوافق المهني أو الأسري وإلى إيذاء الصحة، ويؤدي الإدمان إلى الطرد من العمل وهدم الأسر وإلى ارتكاب جرائم السرقة، وقد يدفع المدمن بزوجه إلى البغاء لتغطية الإنفاق على عاداته السيئة، وقد يحدث الإدمان الجسدي وحده أو النفسي وحده وقد يحدث الإثنان معا¹.

ويساهم استخدام المخدرات في ظهور أمراض كثيرة تصيب المجتمع، وتشمل الصراعات وحالات الإحباط والعدوان والحرمان والكبت والخبرات السيئة والصادمة وحيل الدفاع النفسي الفاشلة والعادات غير الصحية، وكل هذه الأمراض تعاني منها مجتمعاتنا بدرجات مختلفة، والتفكك الأسري وعدم الاستقرار العائلي يلعب دورا كبيرا في دفع الأبناء إلى الإدمان خاصة في مرحلة المراهقة لمحاولة الهروب من مواجهة الحياة العملية بما تحمله من ضغوط وصعوبات².

6/ أثاره على السلوك الإجرامي: الصلة وثيقة ولا شك بين السلوك الإجرامي وإدمان المخدرات ذلك لأن كلاهما نمط من أنماط الانحراف والخروج على الشرع وعلى القانون والعرف والتقاليد والقيم والمثل والأخلاق، وجميعهم لون من ألوان الشذوذ، وكلاهما منكر منهي عنه وكلاهما كبيرة من الكبائر وفاحشة من الفواحش³، وإذا كانت المخدرات تذهب العقل والعقل هو القوة الضابطة في الإنسان، فإن سلوكه يصبح غير منضبط لأنه يصبح فاقد الوعي والإدراك والفهم، فلا يدرك عواقب الأمور ومن هنا ينجر في تيار الجريمة بحكم فقدان القوة الضابطة والموجهة لسلوك الإنسان وتصرفاته، وكثيرا ما يرتبط إدمان المخدرات بأنواع أخرى من السلوكات المنحرفة، كلعب القمار أو الميسر والمراهنات والنشاط الجنسي غير

¹- عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق، ص 54.

²- طارق السيد، مرجع سابق، ص 166.

³- عبد الرحمن العيسوي، نفس المرجع، ص 205.

المشروع والإختلاط المزري بين الجنسين، وحضور حفلات ماجنة للرقص الرخيص أو للخلاعة وغير ذلك من مظاهر الفساد¹.

وإذا كنا نعرف أن الفضائل الحميدة مترابطة فالرذائل أيضا مترابطة، فإذا وجد الإدمان يحتمل أكبر الإحتمال أن يقود إلى رذيلة أخرى، وهي الجريمة أو الدعارة أو السرقة أو الإختلاس أو حتى القتل، ومن الجرائم البشعة التي يأتيها المدمن كما تدل على ذلك بعض الإحصاءات أن الرجل المدمن قد يفقد عقله ويعتدي جنسيا على إبنته أو واحدة من محارمه، وتلك جريمة مأساوية بشعة، وقد يلجأ المدمن إلى ضرب زوجته لكي يأخذ منها النقود ليشتري بها المخدر.

ومن الأدلة الإحصائية والجنائية، يتضح أن الإدمان يمثل عاملا سببيا لبعض الجرائم كالسرقة وغيرها، ولكن الجريمة نفسها وغيرها من مظاهر السلوك الإنحرافي قد تقود إلى الإدمان، فالتورط في جريمة ما قد يدفع المجرم إلى التعاطي بدعوى الرغبة في نسيان الفرد المجرم مأساته، ولكن الإدمان بدلا من أن ينسيه مأساته تضيف إليه مأساة جديدة وتزيد عنده الشعور بالإكتئاب والحزن وضعف الروح المعنوية، كذلك فإن الجرائم كالتشرد أو لعب القمار قد تؤدي إلى إدمان المخدرات بحكم الإختلاط مع جماعة الشرب الذين هم أيضا من المجرمين، والعنف في العلاقات بين المدمنين وتجار المخدرات وموزعيها من أجل السيطرة على اسواق الإتجار غير المشروع وتحويل المدمنين إلى توزيع المخدرات والإتجار بها².

فالعلاقة بين الإدمان والجريمة هي علاقة سببية دائرية بمعنى أن الإدمان يقود إلى الجريمة، والجريمة بدورها تقود إلى مزيد من الإدمان، ولذلك كان من الضروري في وضع برامج رعاية هؤلاء أن تكون هذه الرعاية شاملة لكافة مظاهر الإنحراف سواء ما كان في شكل إدمان أو جريمة.

¹- عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق، ص204.

²- سمير محمد عبد الغني، مرجع سابق، ص25.

وتعتبر ظاهرة العنف مشكلة خطيرة تواجه كثيرا من المجتمعات في العالم، ومما يزيد في خطورتها أن غالبية من يتورطون فيها هم من الشباب، والشباب ثروة المجتمع وإن كان في بعض الأحيان يتسم سلوكهم بالتسرع وعدم التروي، والمعروف أن الأمراض الإجتماعية ومن بينها مرض العنف شأنه شأن الأمراض الجسمية حيث يصيب المريض السليم عن طريق انتقال العدوى، والشباب هم أكثر فئات المجتمع تعرضا للتقليد والمحاكاة¹.

وتمس مشكلة العنف كثيرا من فئات المجتمع وطبقاته، فهي تمس أسرة الشخص الذي يمارس العنف أو العدوان، كما أنه يخلق الكثير من المشاكل لرجال الأمن والشرطة والمعلمين وحراس السجون ...²، ويعتبر العنف مرضا اجتماعيا أو اضطرابا اجتماعيا أكثر من كونه جريمة، ومن ثم لابد له من البحث عن أسبابه بغية معالجته فظاهرة العنف تعد عرضا معتلا أو مرضيا أو صيحة إنذار أو رسالة خطر على المجتمع أن يحسن قراءتها.

فالمؤسسات التربوية ينبغي أن تتصدى لقضايا العنف والتطرف باعتبارها قضايا تربوية وبالمثل فإن أجهزة الإعلام والثقافة الجماهيرية يتعين عليها أن تقوم بدور إيجابي وفعال في توجيه الشخصية العربية، وصقل مقوماتها وتربيتها على حسن المواطنة الصالحة وعلى الطاعة والانضباط والاعتدال، وعلى رجال الدين والوعظ والإرشاد تقع مسؤولية الإرشاد الواعي وتطهير أذهان الشباب من الشوائب والخبائث وغرس مبادئ الهدى الإسلامي³.

ويؤدي سوء استخدام المخدرات إلى العنف الأسري، كما أن ضحايا العنف الأسري في الأسرة الكحولية أو من تعاطي المخدرات منعزلون اجتماعيا، وخجلون من أن تظهر الندب الفيزيكية وأن تعرض للآخرين، ويعطل العنف الأسري وسوء استخدام المخدرات تطور

¹ - عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الشباب العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 215.

² - Toch. (H). Violent men. an inquiry into the psychology of violence. a pelican Book, 1972,P 216.

³ - عبد الرحمن العيسوي، نفس المرجع، ص 217.

العلاقات الحميمة ويجعل المعنف يشعر بالخوف من مفهوم الذات، كما يسهم في شيوع سلوك الإعتماذية والخوف، كما يصبح جميع أفراد الأسرة مشوشين فوجود أب مدمن مرتبط إلى كون الطفل ضحية عنف جسدي، إن الأطفال في الأسرة التي تتعاطى المخدرات يعانون الأعراض ذاتها بما في ذلك إنحراف الأحداث، مفهوم ذات منحرف، محاولات الإنتحار إضطرابات جنسية، صعوبات زواجية، كما إن الإدمان قد يستخدم كمبرر للعنف الأسري، ما يتيح للفاعل التهرب من مسؤوليته.

المبحث الثالث: مشكلة تعاطي المخدرات وآليات المكافحة:

كانت دراسة المشكلات الإجتماعية منذ زمن بعيد واحدة من الإهتمامات المحورية في علم الإجتماع، غير أن إلزام علماء الإجتماع بمهمة تطوير هذا العلم قد أضعف إلى حد كبير من انشغالاتهم بالبحث في هذا الركام الضخم من المشكلات الإجتماعية، وكان البحث حول الجريمة والإنحراف دائما مصدر إنشغال وإختلاف بين علماء الإجتماع، حيث بين الإنشغال حول ما يتركه من إنعكاسات على دعم الإصلاح والتغير في المجتمع، والرغبة في إقامة علم إجتماع علمي يجري بحوثا غير متحيزة ومتحررة من أحكام القيمة، وهو أمر يصعب تحقيقه عند التركيز على المشكلات الإجتماعية في الواقع¹، ودراسة السلوك الإنحرافي تضرب بجذورها في الإهتمام المستمر بمشكلات الإمتثال والضبط الإجتماعي، وذلك قبل أن يستقر مفهوم المشكلات الإجتماعية بين مجموع المفاهيم التي يستعين بها علماء الإجتماع في هذا الصدد².

¹- علي عبد الرازق جبلي، العنف والجريمة المنظمة، دراسات في المشكلات الإجتماعية، دار المعرفة الجامعية 2007، مصر، ص 15.

²- Mckee (J.B) Introduction to Sociology, Michigan State University, 1969, P242.

المطلب الأول: المخدرات مشكلة إجتماعية:

يعرف هارت المشكلة الإجتماعية بأنها: " أية مشكلة تؤثر فعليا أو بدرجة كافية في عدد كبير من الأفراد بطريقة عامة، حيث يمكن التعامل معها بشكل كلي، لا بطريقة فردية (وفق كل فرد) وتتطلب فعلا اجتماعيا منظما، ومركزا حول تلك المشكلة"¹.

أما (وليامسون وبورين وايفانس) فيعرفون المشكلة الإجتماعية بأنها: "ظرف غير مرغوب فيه من منظور العديد من الأفراد، وهذا الظرف يؤثر في العديد من الأفراد، كذلك ما يجعلهم يشعرون أنهم بحاجة إلى فعل إجتماعي جمعي إزاء ذلك الظرف"².

إن مشكلة المخدرات واستعمال العقاقير والمواد المخدرة مرتبطة بمشكلات إجتماعية وثقافية ليس من المتوقع تغييرها في هذا القرن، والجهود الهادفة للضبط الإجتماعي للمخدرات مثل خفض العرض وإزالة المشكلة الإقتصادية والإجتماعية، ووضع عقوبات شديدة على الإستخدام ذات تأثير معين قد يخفف عدد المستخدمين، أما التأثير القوي على استعمال المخدرات فيأتي نتيجة تغيير إجتماعي كبير، والبحث الدولي عن حلول لمشكلة المخدرات والدعوة لتضافر الجهود تعكسها كلمة (جورجيو جياكميللي) أمام لجنة المخدرات في دورتها الخامسة والثلاثين 1992، حيث قال: " لقد أصبحت الحالة اليوم خطيرة حقا وأعتقد للمرة الأولى أننا لا نغفل إمكانية إستبعاد أن نخسر الحرب (على المخدرات) كليا، ما لم تبرهن الدول على إرادة حقيقية وراسخة ودائمة في كسب هذه الحرب، ونحن نشهد الإنتشار المتفجر لزراعة القنب واستخدامه.. كما أن الهيروين موجود في كل مكان وبخاصة في المدن الصناعية الكبرى، ومدن العالم الثالث، إذ بدأ هذا السرطان يفتك بها، وبلغ فيها انعدام الأمن مستوى لم يسبق له نظير، وارتفع عدد الوفيات بسبب تعاطي جرعات مفرطة من

¹ - ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 72.

² - williamson, boren & evans ,social problems, amazon, atlanta,1974,P 01.

المخدرات خلال عام 1990"، والإحصائيات الصادرة عن المؤسسة الرسمية المتكفلة برسم سياسات مكافحة المخدرات في الجزائر المتمثلة في الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها تؤكد أن المخدرات الأكثر استهلاكاً في الجزائر هي القنب والمؤثرات العقلية¹.

ويكمن المشكل الأساس في الظاهرة فيما يلي²:

- يكمن في إيذاء المخدرات لقطاع كبير ومهم من السكان ألا وهو قطاع الشباب، وإحداث مأس اجتماعية اقتصادية في مجتمع فتى، يشكل عنصر الشباب فيه نسبة كبيرة ومهمة.

- مشكلة المخدرات لا تنتهي بسن الأنظمة والتشريعات الصارمة ضد المتعاملين والمتعاطين لها، أو بالحملات الوقائية والتثقيفية أو بإنشاء البرامج العلاجية، حيث لا يوجد سبب واحد ولا علاج واحد للمخدرات، إن إحدى مشاكل التعامل مع المخدرات هي إهمال العوامل النفسية والاجتماعية الدافعة للتعاطي، والعوامل المحيطة التي يتم فيها تعاطي المخدرات، والتركيز على تقنيات وأساليب تقليدية قائمة على إزالة السمية من بدن المتعاطي بواسطة السحب التدريجي، والتغطية بأدوية نفسية تساعد في حماية المتعاطي من آثار الإنسحاب المفاجئ للمخدر³.

- لا توجد خصائص شخصية معينة لمدمنين قبل الإدمان، فجميع أنماط الشخصيات قد تتعاطى المخدرات تحت ظروف مختلفة.

- أهمية عنصر الشباب في المجتمع وخطورة انغماسه في تعاطي المخدرات، فمرحلة الشباب كما هو معلوم مرحلة عدم استقرار نفسي واجتماعي، ينزع فيها الفرد إلى حب الإستكشاف والتجريب وإلى التأثر بالآخرين وحب تقليدهم، وتكثر في هذه المرحلة الأزمات

¹- فارح بلقاسم، غلاب طارق، مرجع سابق، ص 233.

²- ذياب موسى البدائية، مرجع سابق، ص 04.

³- مراد فاروق عبد الرحمان، دور الرعاية الصحية في علاج مشكلة تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1991، ص 991.

النفسية والإجتماعية التي قد يعجز الفرد عن تخطيها واللجوء إلى المخدرات حلا لهذه الأزمات ومحاولة الهروب منها.

- انتشار الإنترنت وانتشار استخدامها بين شرائح كثيرة في المجتمع، وامتلاك الإنترنت لخصائص جاذبة للشباب ما يجعلها أداة مزدوجة الإستعمال (الوقاية ونشر سلوك التعاطي)¹.

- لا شك أن للمخدرات تأثيرا ملحوظا على مخالفة القانون ومعظمها مخالفات بسيطة ولكنها كثيرة العدد إن أهم أثر لتعاطي المخدرات هو سلوك المدمن من أجل الحصول على المال اللازم لشراء المخدر².

المطلب الثاني: السياق الإجتماعي لإستعمال المخدرات:

من خلال تحليل جاروفالو لعواطف المجتمع التي تثار من خلال تصرفات إنسان ما أدرك وخرج بنوعين من الجريمة هما:³

الجريمة الطبيعية: وهي تمثل السلوك غير الأخلاقي الضار الذي ينطوي على إزدراء المجتمع والمساس بمشاعره الخلقية التي تتمثل في تقديس الأمانة والشعور بالعطف على الآخرين، وتعاقب جميع الشرائع مرتكبي هذه الجريمة بحكم منافاتها لمشاعر الخير والعدالة والفضيلة والقيم.

الجريمة المصطنعة: وهي التي لا تتفق على تجريمها القوانين المختلفة لأنها تتوقف على لنظام السياسي والإجتماعي السائد في كل دولة على حدة والجرائم المصطنعة هي تلك الجرائم

¹ - ذياب موسى البدينة، مرجع سابق، ص 05.

² - عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق، ص 253.

³ - عدلي السمري، مرجع سابق، ص 64.

التي تحدث ضد (العواطف غير الثابتة) أي العواطف القابلة للتحرر، كالعواطف الدينية والجريمة السياسية ويعطي جاروفالو عناية خاصة للجريمة الطبيعية لأنها تمس واجب الأمانة.

ويقصد بالسياق الإجتماعي لإستعمال المخدرات تلك المعاني المشتركة إجتماعيا والشائعة في مجتمع ما حول مخدر ما، ويشمل كذلك التصورات والمفاهيم التي يتوقعها الفرد من نفسه ومن الآخرين عند استخدامه لمخدر ما، ويشمل السياق الإجتماعي الثقافة الإجتماعية العامة بما فيها من نظام قيم ومعتقدات إجتماعية ودينية واتجاهات نحو المخدرات، ويشمل المناخ الإجتماعي والحالة المزاجية للفرد بما يحويه من مؤثرات المكان الذي يتم فيه تناول المخدر والمشاركين في التناول (الأصدقاء)، فمثلا: قد يجد المراهق في مجتمعه أن التدخين صفة تلازم الصفات الذكورية، وبالتالي فإن المدخن هو (الرجل) والمخدر يحدث أثرا ما وعلى المستخدم أن يمر بالخبرة التي يحدثها هذا الأثر، بالإضافة إلى ما يحمله المستخدم من توقعات عن أثر ذلك المخدر.

والسياق الإجتماعي من أقوى المحددات لماهية ذلك العقار وما يفعله للمستخدم (تناول العقار في المستشفى يختلف عن تناوله مع الأصدقاء)¹، والسياق الإجتماعي يرتبط بعدد من العوامل التي تتمثل في المشكلات الإجتماعية وتفشي اللامعيارية والسلوك الإنسحابي والإغتراب بين قطاع كبير من المجتمع خاصة الشباب²، فالسياق الإجتماعي لإستخدام العقار المخدر يؤثر ويحدد أربعة مظاهر جوهرية تتعلق بطبيعة المخدر، وهذه ناتجة عن خصائص المخدر الدوائية والكيميائية، وهي:

1- تعريف العقار

¹- ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 69.

²- عصمت عدلي، مرجع سابق، ص 276.

2- تأثير العقار

3- السلوك المرتبط بالعقار

4- خبرة العقار

إن تعريف أي عقار بإعتباره مقبولاً أو مرفوضاً سيئاً أو حسناً، لا يعتمد فقط على الخصائص الدوائية للعقار وإنما على النتائج الإجتماعية لتناوله، ولتاريخ إستعماله وللقطاعات الإجتماعية التي تستخدمه، وللأغراض التي من أجلها يستخدم والدعاية والمواكبة لإستخدامه، وبإختصار فإن الإعتبار الإجتماعي للعقار وللقانون وللمستخدمين وحتى للمهنيين الطبيين يعتمد كثيراً على العوامل الثقافية غير العقلانية، وبنفس المقدار الذي يعتمد فيه الخصائص الموضوعية لذلك العقار، إن ما يسببه العقار للعقل والجسم وما يدفع الفرد لإستخدامه والرغبة في المرور في خبرة استعماله، ناتجة عن الظروف والأغراض التي تدعو للإستعمال، فكلما كان الأثر الذي يتركه أكثر موضوعية (دقات القلب، مستوى السكر في الدم) كلما أثر على السياق الإجتماعي، وكلما كان الأثر الناتج أثر شخصياً (الخبرة و السرور) كلما كان تأثير السياق الإجتماعي أكثر، إن النظرة الإجتماعية في معارضتها للخرافة الكيميائية للعقار إنما تنطلق من أن النظرة إلى العقار(ا) أنه يسبب النتيجة (ب).¹

إن تأثير العقار والسلوك المرتبط به هي عوامل معقدة وتتوقف على أشياء عديدة منها العامل الإجتماعي والعامل الثقافي، ولأن الإنسان فريد في تركيبته الفيسيولوجية والعقلية فإن تعميم نتائج الإختبارات من الحيوان إلى الإنسان أمر فيه شك، وتظهر أهمية السياق الإجتماعي أن من أهم الأبعاد الرئيسة في الخبرة الإنسانية هو المعنى، والمقصود بالمعنى هو المعنى الإجتماعي وتمتاز هذه المعاني بأنها داخلية وخارجية، حيث يتم إصاق المعنى للسلوك خارجياً من خلال عمليات التفاعل الإنساني، وهي عملية منعكسة داخل الفرد نفسه، وتظهر

¹- ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 70.

كنتيجة لتفاعل إنساني ناتج عن اختبار الفرد، ولعب نشر الثقافة الشبابية العصرية دورا مهما في تطور استهلاك المخدرات خصوصا في الدول النامية حيث أدى تقليد الشباب للنمط الغربي في الحياة إلى زيادة استهلاك المخدرات¹.

إن نفس السلوك الذي يعني أشياء مختلفة لأفراد مختلفين، وبالتالي فإن السلوك (سلوك تعاطي المخدرات) يحمل معاني مختلفة، ويعتمد ذلك على رؤية الملاحظ أو الأفراد المحيطين بالفرد، فمثلا: الهيروين والمورفين عقاران متشابهان من الناحية الدوائية أو البيوكيميائية، ما عدا الهيروين النقي فهو أكثر قوة من المورفين، علما بأن المورفين المستخدم في المستشفيات أقوى من الهيروين المستخدم لدى المتعاطين، فالفرد المدمن قد لا يستطيع التمييز بين حقنة من الهيروين وحقنة المورفين، حتى الصيدلي بحاجة إلى تمحيص دقيق للتمييز بين آثارهما، فليس للهيروين استعمال طبي وهو قاتل، أما المورفين فهو مقبول من المجتمع الطبي وهو أداة طبية قيمة، لا بد لنا من التأكيد على أن خبرة تناول المخدرات وآثارها متباينة وفق المعاني المختلفة التي تظهر في مواقف تناول المخدر، ومن المهم التمييز بين آثار العقار وخبرة تناول العقار أو المخدر، إن ما يحدث في عقل الفرد عند تناول المخدر هو نتيجة لعدة عوامل وليس فقط لآثار المخدر البيوكيميائية، فهناك العديد من التغيرات التي تحصل في جسم المتعاطي وجزء من هذه المتغيرات يمكن رده إلى خبرة الفرد الشخصية.

إن هناك إجماعا إجتماعيا على المعاني التي يحدثها مخدر معين (ليس بالضرورة أن تكون معاني موضوعية)، وهذه المعاني مختلفة من مجتمع لآخر ومتباينة داخل المجتمع الواحد فالمجتمع يحدد ويعرف العقارات المسموح بتناولها والممنوعة، ويحدد الأفراد المسموح لهم

¹- فارح بلقاسم، غلاب طارق، مرجع سابق، ص 148.

بتناولها، ويحدد المناسبات والظروف التي يسمح لهم فيها بتناولها، ويحدد كذلك كمية العقار المسموح بها¹.

المطلب الثالث: أركان جريمة المخدرات.

لقد أولى المشرع الجزائري عناية خاصة لموضوع المخدرات وحذا حذو المجهود العالمي المكرس لمحاربة ظاهرة المخدرات، وبذلك جاءت نصوص القانون تديما للإتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة 1960، وكذا إتفاقية الأمم المتحدة لسنة 1971 المتعلقة بالمؤثرات العقلية² ولا تقوم أي جريمة إلا إذا توفرت على أركانها مجتمعة المتمثلة في: الركن الشرعي، الركن المادي والركن المعنوي.

الفرع الأول/ الركن الشرعي:

لكي يعتبر فعل ما جريمة لا بد أن يكون هناك نص قانوني يجرمه ويلحق بفاعله عقوبة هذا النص هو الذي يمثل ركن عدم مشروعية الفعل المرتكب، وهو الذي يجسد المبدأ القانوني: " لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص"³.

وقد جاءت المادة 12 من القانون 18/04 والتي تنص على أنه: " يعاقب بالحبس من شهرين إلى سنتين وبغرامة من 5.000 دج إلى 50.000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل شخص يستهلك أو يحوز من أجل الإستهلاك الشخصي مخدرات أو مؤثرات عقلية غير مشروعة".

¹- ذياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص 71.

²- محمد بن وارث، مذكرات في القانون الجزائري (القسم الخاص)، دار هومة، ط 04، الجزائر، 2009، ص 169.

³- نصر الدين مروك، جريمة المخدرات في ضوء القوانين والإتفاقيات الدولية، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 27.

وتجدر الإشارة إلى أن أول قانون نظم جرائم المخدرات هو الأمر 09/75 المؤرخ في 17/02/1975، المتضمن قمع الإتجار والإستهلاك المحضورين للمواد السامة والمخدرات والذي عاقب فيه من خلال المادة (05) كل مستهلك بصفة غير قانونية للمواد المخدرة بالحبس من شهرين إلى عام واحد وبغرامة من 500 دج إلى 5000 دج، وألغى العمل به بموجب الأمر رقم 75/76 المؤرخ في 23 أكتوبر 1976، المتضمن قانون الصحة العمومية والذي أبقى على نفس العقوبة وقيمة الغرامة وهذا طبقاً لنص المادة 323 منه، ثم ألغى هذا الأمر بموجب القانون رقم 05/85، المتضمن قانون الصحة وترقيتها، والذي يعاقب من خلال المادة 245 منه كل من يستعمل المخدرات بطريقة غير مشروعة بعقوبة من شهرين إلى سنة وبغرامة من 500 دج إلى 5.000 دج، أو بإحدى هاتين العقوبتين، ثم صدر القانون 18/04 المتضمن الوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وجمع الإستعمال والإتجار الغير مشروعين بها، وجاءت المادة 12 إلى 31، كما أورد بعض القواعد الإجرائية في مواده من 32 إلى 39 وهي التي وردت في الفصل الثالث والرابع من هذا القانون¹.

وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة تتعلق بإنشاء الركن الشرعي، فمن المعلوم أنه إذا انتفى هذا الأخير وجب الحكم بالبراءة، فالمادة 12 تعاقب كل شخص يحوز المخدرات أو المؤثرات العقلية من أجل الإستهلاك الشخصي، أي أنه بمفهوم المخالفة فإنه لا يعاقب من يستهلك المخدرات أو المؤثرات العقلية أو يحوزها بصفة مشروعة.

ومثل ذلك المواد المخدرة التي يصفها الطبيب للمريض للتقليل من الآلام مثل المورفين وكذلك الحبوب المهلوسة التي يصفها الأخصائيون النفسانيون للمصابين بأمراض عقلية أو

¹ - محمد بن وارث، مرجع سابق، ص 171.

نفسية، وذلك بطبيعة الحال بموجب وصفة طبية، وكذا المواد المخدرة المستعملة أثناء العمليات الجراحية لتخدير المريض¹.

ويكون الإستهلاك شرعيا إذا كان بغرض العلاج، ويعرف أيضا بالإستهلاك العلاجي الذي يجوز إستهلاكه دون أن يعاقبه القانون²، خاصة إذا كان المخدر ضروريا له لكنه يخضع لقيود تتعلق بالوصفة الطبية، ويجب أن يتكون هذه الأخيرة صحيحة شكلا وموضوعا، فلا يجب أن تتضمن تزويرا ولا يجب أن تخلوا من المعلومات اللازمة كإسم المريض وتاريخ الوصفة والسنة بالإضافة إلى تحديد دقيق لإسم العقار أو المؤثر العقلي، والكمية التي يصرفها.

أما من الناحية الموضوعية يجب أن يكون الطبيب حسن النية فالهدف من الوصفة العلاج وليس تسهيل التعاطي، بحيث إنه إذا ثبت سوء نية الطبيب بأن يحرر وصفة دون معاينة المريض أو رؤيته، أو تحرير وصفة صورية، أو على سبيل المحاباة فإن القانون 18/04 يعاقب على هذا الفعل بالحبس من خمس 05 سنوات إلى 15 سنة وبغرامة من 50.000 دج إلى 1.000.000 دج.

الفرع الثاني/ الركن المادي:

لقد تضمن الفصل الثالث تحت عنوان "الأحكام الجزائية" في المواد من 12 إلى 31 من القانون 18/04 المتعلق بالوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الإستهلاك والإتجار غير المشروعين بها النص على جميع الأفعال المتعلقة بالمخدرات والمؤثرات العقلية التي تخضع للتجريم بالإضافة إلى النص على العقوبات الخاصة بكل جريمة من الجرائم على حدا³.

¹ - لحسن بن شيخ آث ملويا، المخدرات والمؤثرات العقلية دراسة قانونية وتفسيرية، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص 52.

² - نواصر العايش، إستهلاك المخدرات ورد الفعل الإجتماعي، مطابع عمار قرفي، الجزائر، 1990، ص 31.

³ - محمد أمين صحبي، جرائم المخدرات في الجزائر وفق قانون 18 /04، مجلة الندوة للدراسات القانونية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، العدد الأول، 2013، ص 131.

1/ استهلاك مخدرات أو مؤثرات عقلية بصفة غير شرعية:

ويقصد بالإستهلاك تعاطي الشخص المخدر أو المؤثر العقلي وإدخال هاته المواد في جسم الإنسان بأي طريقة كانت سواء بصفة معتادة أو بصفة عرضية، والذي يكون بطرق مختلفة سواء عن طريق الحقن أو التدخين أو الشم¹، ولا ينص القانون على تكرار الفعل لقيام الجريمة أو تناول مقدار معين من المادة المخدرة، بل أن إرتكاب الفعل ولو لمرة واحدة يعرض صاحبه للعقوبة.

2/ حيازة مخدرات أو مؤثرات عقلية بهدف الإستعمال الشخصي بصفة غير مشروعة:

أما الحيازة فنقصد بها اللإستئثار بالمخدر ووضع اليد عليه على سبيل التملك والإختصاص، ولا يشترط الإستيلاء المادي، بل يعتبر الشخص حائزا ولو كان المحرز للمخدر شخصا آخر نائبا عنه، بمعنى أنه لا يشترط لإعتبار الشخص حائزا لمادة مخدرة أن يكون محرزا ماديا للمادة المضبوطة، بل يكفي لإعتباره كذلك أن تكون سلطته مبسوطة عليها ولو لم تكن في حيازته المادية².

فقد تكون حيازتها المادية تحت يد شخص آخر لكن دون أن تعود إليه ملكيتها، ورغم ذلك يعتبر حائزا ما دام بإمكانه استهلاكها وقتما يشاء، ويعاقب ذلك الشخص بتهمة تسهيل الإستهلاك وفقا للمادة 15 من القانون 18/04، كما أن هذه الواقعة تشكل أيضا مشاركة في الإستهلاك وفقا للمادة 42 من قانون العقوبات، وبما أن الوصف الأشد هو الذي طبق فإن الوصف الأول هو الذي يؤخذ بعين الإعتبار، كما ينبغي التنبيه هنا أن الغرض من الحيازة هو ركن أساسي في الجريمة محل المناقشة وهو الإستهلاك، فإن كان لغرض آخر كالبيع أو النقل

¹ - محمد بن وارث، مرجع سابق، ص 172.

² - نبيل صقر، موسوعة الفكر القانوني، جرائم المخدرات في التشريع الجزائري، دار الهلال للخدمات الإعلامية، الجزائر 2005، ص 45.

تطبق على الفاعل المادة 17 من القانون 18/04 التي عقوبتها أشد، ويبقى تحديد الغرض من هذه الحيازة مسألة موضوع يستخلصه القضاة من ظروف وملابسات القضية لا رقابة عليهم في ذلك من المحكمة العليا خاصة كمية المادة المضبوطة.

بمعنى أن القانون لم يشترط كمية أو حد أدنى للمادة المخدرة، فتقوم الجريمة مهما كانت كمية ضئيلة لها كبيان مادي ملموس أمكن تقديره، وهو ما نلاحظه عند الرجوع إلى القانون 18/04 في المادة 12 منه بنصها على: "...كل شخص يستهلك أو يحوز من أجل الإستهلاك الشخصي مخدرا او مؤثرا عقلية"، فذكر المشرع مصطلح مخدرات أو مؤثرات عقلية بصفة العموم دون تحديد حد معين، وتعتبر هذه المسألة من الأمور النسبية التي تدخل في تقدير محكمة الموضوع، ويمكن الإستدلال على أن حيازة المخدر أو المؤثر العقلي يهدف الإستعمال الشخصي بمراعاة الملائمة ما بين الكمية المضبوطة والغرض الذي أعدت له وفي مطلق الحوال يعود التقدير النهائي في هذا الشأن للمحكمة التي تأخذ بعين الإعتبار ظروف كل قضية بالإضافة إلى اعتبار الظروف الشخصية لكل متهم¹.

الفرع الثالث/ الركن المعنوي.

يقصد بالركن المعنوي الرابطة أو الصلة الدفينة التي تربط بين ماديات الجريمة ونفسية فاعليها، حيث يمكن أن يقال أن الفعل هو نتيجة لإرادة الفاعل ما لم يخضع لسبب من أسباب الإيحاء، وبالتالي فإن قيام هذه الرابطة هي التي تعطي الواقعة وصفها القانوني فتكتمل صورتها وتوصف بالجريمة²، ويلتزم لقيام الركن المعنوي لجرائم المخدرات إنصراف إرادة الجاني إلى ارتكاب الفعل الإجرامي، وباعتبار أن القصد نية باطنية لا تستطيع المحكمة إثباته

¹- مصطفى مجدى هرجة، جرائم المخدرات في ضوء الفقه والقضاء، دار الكتاب الحديث، الإسكندرية، 1992، ص 144.

²- عبد الله سليمان، شرح قانون العقوبات، القسم العام، الجزء الأول (الجريمة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص 261.

بطريقة مباشرة وإنما بطريق الإستدلال والإستنتاج من الأفعال التي أثارها المتهم ومن ظروفها وهو بذلك مسألة موضوعية يرخص فيها قاضي الموضوع لا معقب عليه ما دام إستخلاصه سالفاً¹.

1/ عناصر القصد الجنائي العام في جرائم المخدرات:

ينحصر الركن المعنوي أو القصد الجنائي في جرائم المخدرات بعلم الجاني أن ما يحوزه هو من المواد المخدرة، وفي هذا المقام يشترط أن تكون درجة العلم هي اليقين، ومنه يكون الجاني عالماً بكل الدلائل التي تدل على فعله مجرم قانوناً²، وعلى هذا الأساس فإن الركن المعنوي يتكون من عنصري العلم والإرادة.

أولاً: العلم: العلم عنصر من عناصر القصد الجنائي ويقصد به العلم بالوقائع، أما العلم بقانون المخدرات فهو مفترض لا سبيل لنفيه، ولا يعتد بالعلم إلا إذا صدر من شخص واعي ومدرك، وهذا ما نصت عليه المادة 42 من قانون العقوبات " لا عقوبة على من كان في حالة جنون وقت ارتكاب الجريمة"، والعلم المفترض في جريمة المخدرات هو مسألة موضوعية خاضعة للسلطة التقديرية للقاضي، لكن مثلاً إذا دفع المتهم أنه يجهل أن ما ضبط عنده من المواد المخدرة فإذا أدانته المحكمة وجب عليها إقامة الدليل على ما يبرر اقتناعها³.

أ- العلم بالوقائع: كي يقوم الركن المعنوي يجب أن يعلم الشخص أن المادة التي يتعاطاها أو يحوزها هي مادة مخدرة، وعلى القاضي أن يبين في حكمه ما يفيد اقتناعه بعلم المتهم أن ما يحوزه ويستهلكه هو مادة مخدرة من ظروف الدعوى وملابساتها.

¹- محمد زكي أبو عامر، قانون العقوبات القسم العام، الدار الجامعية، لبنان، 1993، ص 208.

²- عمر الشريف، درجات القصد الجنائي، دار النهضة العربية، مصر، 2002، ص 123.

³- شريف الطباخ، الدفع في المخدرات، وليد حيدر للتوزيع، مصر، 2002، ص 36.

ب- العلم بقانون المخدرات: المبدأ العام أنه "لا يعذر بجهل القانون"، ومنصوص عليه في المادة 60 من الدستور في باب الواجبات، لذلك لا يستطيع شخص أن يدفع بعدم علمه بأن استهلاك المخدرات أو المؤثرات العقلية، والعلم بتجريم القانون له علم مفترض لا سبيل إلى نفيه بحسب الأصل¹، ويتعين على حكم الإدانة أن يقيم الدليل على هذا العلم من واقع أوراق الدعوى²، ويكتفي القانون في مثل هذه الحالات بالربط بين القصد العام وغرض الجاني من وراء فعله الإجرامي وذلك دون إعتداد بالغايات والبواعث³.

ثانياً: الإرادة: وتكون الإرادة معتبرة قانوناً إذا كانت حرة واعية بالافعال المرتكبة، وهنا تقوم المسؤولية الجزائية للشخص، فالإرادة يجب أن تكون سليمة حتى يعتد بها في قيام القصد الجنائي وبالتالي تكون خالية من عيوب الإرادة أو عارض من عوارض الأهلية التي نص عليها قانون العقوبات كالجنون وصغر السن والإكراه⁴، إلا أن صغر السن يعتبر من قبيل الأعذار العامة التي تخفف آثار المسؤولية الجنائية ويعود تقدير هذا الظرف لمحكمة الموضوع صاحبة السلطة التقديرية في هذا الشأن⁵.

2/ عناصر القصد الجنائي الخاص في جرائم المخدرات:

القصد الجنائي الخاص على عكس القصد الجنائي العام، لا يكتفي بتحقيق غرض الجاني أو محاولة تحقيقه وإنما يذهب لأبعد من ذلك حيث يتغلغل إلى نوايا الجاني أخذاً بعين الاعتبار الغاية التي دفعت هذا الأخير لإرتكاب فعله الإجرامي، ولكن يجب التمييز بين الغاية

¹- نبيل صقر، مرجع سابق، ص 167.

²- محمد علي سالم عياد الحلبي، شرح قانون العقوبات- القسم العام-، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 1997، ص 544.

³- علي علي سليمان، النظرية العامة للإلتزام- مصادر الإلتزام في القانون المدني الجزائري-، ديوان المطبوعات الجامعية ط 05، الجزائر، 2003، ص 194.

⁴- مصطفى إبراهيم الزلمي، موانع المسؤولية الجنائية، دار وائل للنشر، الأردن، 2005، ص 201.

⁵- إدوار غالي الذهبي، جرائم المخدرات، مكتبة غريب، ط 02، القاهرة، 1988، ص 115.

والباعث، فالباعث هو الأصول النفسية التي تحرك الجاني لإرتكاب جريمته والبواعث بصفة عامة لا يعتد بها القانون إلا ما ورد النص عليه صراحة وهو نادر الوقوع لخروجه عن دائرة الركن المعنوي¹، ومن صور هذا القصد حسبما ورد في قانون المخدرات:

أولاً: قصد الإستهلاك أو التعاطي: ورد النص على هذا القصد في المادة 12 وكذلك في المادة 13 من قانون المخدرات، ويكون الإستدلال على قصد الإستهلاك أو الإستعمال الشخصيين غالباً من ضئالة الكمية المضبوطة بحوزة المتهم، ويكون استدلال المحكمة معقولاً وكافياً لحمل النتيجة التي انتهى إليها الحكم أن المتهم كان يحوز المخدر أو المؤثر العقلي لتعاطيه والأمر سيان بالنسبة لمن يسلم أو يعرض مخدرات أو مؤثرات عقلية على الغير².

ثانياً: قصد التسهيل للتعاطي: نص المشرع الجزائري على هذا القصد من خلال المادة 15 من قانون 18/04 التي تنص "سهل للغير الإستعمال غير المشروع للمواد المخدرة أو المؤثرات العقلية بالمقابل أو بالمجان.."، ويقصد بتسهيل الإستعمال غير المشروع للمخدر أو المؤثر العقلي تمكين الغير دون وجه حق من تعاطي المخدر، وذلك بتذليل العقبات التي من شأنها أن تعترض طريق هذا الأخير وتحول بينه وبين تعاطي المخدرات أو المؤثرات العقلية³.

ثالثاً: قصد الإتجار: يمكن الإستدلال على اشتراط المشرع الجزائري لتوافر هذا القصد في بعض الجرائم من خلال نص المادة 3/16 من قانون 18/04 بقولها: " .. قصد البيع..". والمادة 1/17 بقولها: " .. أو بيع أو وضع للبيع أو الحصول أو شراء قصد البيع .. أو سمسة .. المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية.."، ويمكن استخلاص هذا القصد من خلال الكميات المضبوطة والقرائن الأخرى، كما تأخذ بعين الإعتبار أدوات ضبطت مع الجاني أو الجناة والتي

¹ - محمد أمين صحبي، مرجع سابق، ص 140.

² - إدوار غالي الذهبي، مرجع سابق، ص 118.

³ - نبيل صقر، مرجع سابق، ص 33.

تفيد اتجارهم بالمخدرات كالميزان أو سكين.. إلخ علق بها فتات المخدر ويكون ذلك دليلا كافيا لتوافر قصد الإتجار لدى المتهم¹.

رابعا: قصد التداول: على عكس المشرع المصري الذي ينص على ضرورة توافر قصد التداول عندما يتعلق الأمر باستيراد وتصدير المواد المخدرة وطرحها في السوق ليتداولها الناس نجد المشرع الجزائري لا يعتد بهذا القصد وإنما يعاقب على استيراد وتصدير المخدرات أو المؤثرات العقلية في مجمل الأحوال².

المطلب الرابع: العقوبات المقررة لجريمة المخدرات وآليات المكافحة:

تناول القانون 18/04 المؤرخ في 25 ديسمبر 2004، المتعلق بالوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الإستعمال والإتجار الغير المشروعين بها في الفصل الثالث منه جرائم المخدرات والتي تختلف في درجة خطورتها، فيمكن حصرها في ثمانية صور: أربع منها جنائيات وأربع منها جنح، علاوة إلى صورتين خاصتين³.

الجنائيات⁴:

1- تسير أو تنظيم أو تمويل إنتاج المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية أو صنعها أو حيازتها أو عرضها أو وضعها للبيع أو الحصول عليها، أو شراؤها قصد البيع، أو تخزينها أو استخراجها أو تحضيرها أو توزيعها أو تسليمها بأية صيغة كانت، أو سمسرتها أو شحنها أو نقلها عن طريق العبور، وهي الأفعال المنصوص والمعاقب عليها في المادة 18 من القانون 18/04، وعقوبتها السجن المؤبد.

¹- مصطفى مجدي هرجة، مرجع سابق، ص 153.

²- محمد أمين صبحي، مرجع سابق، ص 142.

³- أمين نوالي، النظام القانوني لجريمة المخدرات، المدرسة العليا للقضاء، الجزائر، 2016، ص 11.

⁴- رويينة إبتسام، مرجع سابق، ص 35-36.

- 2- تصدير أو إستيراد مخدرات أو مؤثرات عقلية بطريقة غير مشروعة وهما الفعلان المنصوص والمعاقب عليها بنص المادة 19 من ذات القانون، وعقوبتها السجن المؤبد
- 3- زرع بطريقة غير مشروعة خشخاش الأفيون وشجيرة الكوكا أو نبات القنب، الفعل المنصوص والمعاقب عليه بنص المادة 20 من نفس القانون، وعقوبتها السجن المؤبد.
- 4- صناعة أو نقل أو توزيع سلائف أو تجهيزات بهدف إستعمالها مع العلم أنها تستعمل في زراعة المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية أو في إنتاجها أو في صناعتها بطريقة غير مشروعة وهي الأفعال المنصوص والمعاقب عليها بنص المادة 21 من نفس القانون، وعقوبتها السجن المؤبد.

2/ الجنح¹:

- 1- الإستهلاك أو الحيازة من أجل الإستهلاك الشخصي: وهو الفعل المنصوص والمعاقب عليه بنص المادة 12 من القانون 18/04، وعقوبتها الحبس من شهرين إلى سنتين وبغرامة من 5000 دج إلى 50.000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين.
- 2- التسليم أو العرض للغير بهدف الإستعمال الشخصي: والفعل المنصوص والمعاقب عليه بنص المادة 13 من ذات القانون، وعقوبتها الحبس من سنتين إلى عشر سنوات وغرامة من 100.000 دج إلى 500.000 دج.
- 3- تسهيل للغير للإستعمال: الفعل المنصوص والمعاقب عليه بنص المادة 15 و 16 من نفس القانون، وعقوبتها الحبس من خمس سنوات إلى خمسة عشر سنة وبغرامة من 5000.000 دج إلى 1.000.000 دج.

¹- خيثر فاطمة، مرجع سابق، ص ص 17- 19.

4- إنتاج المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية: بطريقة غير شرعية أو صنعها أو حيازتها أو عرضها أو وضعها للبيع أو الحصول عليها أو شرائها قصد البيع، أو تخزينها أو استخراجها أو تحضيرها أو توزيعها أو تسليمها بأية صفة كانت، أو سمسرتها أو شحنها أو نقلها عن طريق العبور، وهو الفعل المنصوص والمعاقب عليه بنص المادة 17 من قانون المخدرات المذكورة أعلاه، وعقوبتها الحبس من عشر سنوات إلى عشرين سنة وبغرامة من 5.000.000 دج إلى 50.000.000 دج.

وقد أضاف المشرع صورتين خاصتين وهما:

الصورة الأولى: عرقلة أو منع الأعوان المكلفين بمعاينة الجرائم أثناء ممارسة مهامهم، أو الوظائف المخولة لهم قانونا، يعاقب على هذا الفعل بنص المادة 14 من القانون 18/04 وعقوبتها الحبس من سنتين إلى خمس سنوات وبغرامة من 100.000 دج إلى 200.000 دج.

الصورة الثانية: التحريض أو التشجيع أو الحث على ارتكاب جرائم المخدرات وهذه الأفعال منصوص ومعاقب عليها بنص المادة 22 من قانون المخدرات.

العقوبات المقررة:

سنتناول العقوبات المترتبة لمرتكب جنحة استهلاك المخدرات والمؤثرات العقلية أو الحيازة من أجل الإستهلاك الشخصي سواء العقوبات الأصلية أو التكميلية، بالإضافة إلى العقوبات المقررة للأجنبي، ونتناول كذلك تطبيق العقوبة المنطوق بها.

الفرع الأول: العقوبات الأصلية والتبعية:

أ- العقوبات الأصلية: وهي العقوبات التي يتعين على القاضي أن يحكم بها إذا ما ثبتت التهمة في حق المتهم، ما لم يستفد من عذر معف من العقوبة، وعرفت المادة 05 من قانون العقوبات العقوبات الأصلية ووزعتها على الجرائم حسب وصفها القانوني¹.

ونصت المادة 05 من قانون العقوبات أنه:

1/العقوبات الأصلية في مادة الجنايات هي:

1-الإعدام.

2-السجن المؤبد.

3-السجن المؤقت لمدة تتراوح بين خمس 05 سنوات وعشرين 20 سنة.

2/العقوبات الأصلية في مادة الجناح هي:

1- الحبس مدة تتجاوز الشهرين إلى خمس سنوات ما عدا الحالات التي يقرر فيها القانون حدودا أخرى .

2- الغرامة التي تتجاوز 20.000 دج.

3/العقوبات الأصلية في مادة المخالفات هي:

1- الحبس من يوم واحد على الأقل إلى شهرين على الأكثر.

3- الغرامة من 2.000 دج إلى 20.000 دج.

ونصت المادة 12 من القانون 18/04 السابق ذكرها على أنه: " يعاقب بالحبس من شهرين إلى سنتين وبغرامة من 5000 دج إلى 50.000 دج، أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من

¹- احسن بوسقيعة، الوجيز في القانون الجزائي العام، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 324.

يستهلك المخدرات أو يحوزها من أجل الإستهلاك الشخصي"، في حين كانت العقوبة المقررة لذلك في ظل القانون 05/85 في المادة 245 منه بالحبس من شهرين إلى سنة وغرامة مالية قدرها 500 دج إلى 5000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين.

ب- العقوبات التكميلية: وهي العقوبات التي تضاف على العقوبة الأصلية، وقد نص قانون العقوبات عليها في المادة 09 منه بالنسبة للشخص الطبيعي وفي المادة 18 مكرر البند رقم 02 بالنسبة للشخص المعنوي¹، وإلى جانب العقوبات الأصلية المتمثلة في الحبس والغرامة، أورد المشرع في القانون 18/04 عقوبات تكميلية جوازية نصت عليها المادة 29، وعقوبات تكميلية إلزامية في المواد 32، 33، 34 منه، كما تضمنت عقوبات تكميلية خاصة بالأجانب نصت عليها المادة 24.

ج- العقوبات التكميلية الجوازية: أجازت المادة 29 من القانون 18/04 للقاضي أن يقضي في حالة الإدانة في الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون وخصوصا جريمة استهلاك المخدرات وحيازتها لغرض الإستهلاك الشخصي، بإحدى العقوبات التكميلية الجوازية في حكم الإدانة.

وتنص المادة 29 على ما يلي: " في حالة الإدانة لمخالفة الاحكام المنصوص عليها في هذا القانون، للجهة القضائية المختصة أن تقضي بعقوبة الحرمان من الحقوق السياسية والمدنية والعائلية من خمس 05 سنوات إلى عشر 10 سنوات".

ويجوز لها زيادة على ذلك الحكم بما يأتي:

- المنع من ممارسة المهنة التي ارتكبت الجريمة بمناسبةها لمدة لا تقل عن خمس 05 سنوات.

¹- احسن بوسقيعة، مرجع سابق، ص 325.

- المنع من الإقامة وفقا للاحكام المنصوص عليها في قانون العقوبات.
- سحب جواز السفر وكذا رخصة السياقة لمدة لا تقل عن خمس 05 سنوات.
- المنع من حيازة أو حمل سلاح خاضع للترخيص لمدة لا تقل عن 05 سنوات.
- مصادرة الأيياء التي استعملت أو كانت موجهة لإرتكاب الجريمة أو الأشياء الناجمة عنها.
- الغلق لمدة لا تزيد عن عشرة 10 سنوات بالنسبة للفنادق والمنازل المفروشة ومراكز الإيواء والحانات والمطاعم والنوادي وأماكن العروض أو أي مكان مفتوح للجمهور أو مستعمل من قبل الجمهور، حيث ارتكب المستغل أو شارك في ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في المادتين 15 و 16 من ذات القانون“.

د- العقوبات التكميلية الإلزامية: ويتعلق الأمر بالمصادرة، حيث تضمن القانون 18/04 على ثلاث عقوبات تكميلية إلزامية من خلال المواد 32،33،34 فنصت المادة 32 على مصادرة النباتات والمواد التي لم يتم إتلافها أو تسليمها إلى هيئة مؤهلة قصد استعمالها بطريقة مشروعة وذلك في كل الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون.

ولقد نظم المرسوم التنفيذي رقم 230/07¹ كيفية التصرف في النباتات والمواد المحجوزة فعند حجز المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية يتم إعداد محضر جرد النباتات، يحدد فيه وزنها، طبيعتها، نوعيتها وأوصافها الطبية مع تحديد تاريخ ومكان حجزها، وذكر التحاليل المنجزة عليها طبقا لنص المادة 02 من نفس المرسوم، حيث يأمر القاضي المختص باقتطاع عينات بكميات كافية، لأجل إقامة الأدلة ومعرفة المواد المحجوزة طبقا لنص المادة 03 من ذات المرسوم، ويتم إتلاف المخدرات التي يمكن استعمالها في الطب والطب البيطري

¹- مرسوم تنفيذي رقم 230 /07 المؤرخ في 30 يوليو 2007، يحدد كيفية التصرف في النباتات والمواد المحجوزة أو المصادرة في إطار الوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الإستعمال والإتجار غير المشروعين بها، الجريدة الرسمية عدد 49.

والصيدليات والمؤسسات المختصة التي تمارس نشاطات طبية أو عملية، ويحرر محضر بذلك المادة 04 فقرة 02.

أما النباتات التي لم تتلف أو تسلم إلى مؤسسة مختصة للإستعمال المشروع، يتم مصادرتها بموجب حكم أو قرار صادر من الجهة القضائية المختصة، ويتم إتلافها بعد صيرورة الحكم أو القرار نهائياً، والمرسوم تنفيذي رقم 230/07 المؤرخ في 30 يوليو 2007، يحدد كيفية التصرف في النباتات والمواد المحجوزة أو المصادرة في إطار الوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الإستعمال والإتجار غير المشروعين بها، الجريدة الرسمية عدد 49 ويتم إتلاف النباتات والمواد المحجوزة المصادرة من قبل لجنة يرأسها وكيل الجمهورية، ويحرر محضر بذلك ويوقع من قبل جميع الحاضرين لعملية الإتلاف¹.

كما نصت المادة 33 من القانون 18/04 على مصادرة المنشئة والتجهيزات والأموال المنقولة والعقارية الأخرى المستعملة أو الموجهة للإستعمال قصد ارتكاب الجريمة أيا كان مالكيها، إلا إذا أثبت حسن نية أصحابها.

كما قضت المادة 34 من ذات القانون بمصادرة الأموال النقدية المستعملة في ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في القانون 18/04، وذلك دون المساس بمصلحة الغير حسن النية سواء أكانت من العملة الجزائرية أو من العملة الصعبة مثل الأموال المستعملة لشراء المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية من أجل الإستهلاك.

الفرع الثاني: العقوبات التكميلية الخاصة بالأجانب:

¹ - أمين نوالي، مرجع سابق، ص 30.

قضت المادة 24 من القانون 18/04 بالنسبة للأجنبي الذي حكم عليه بارتكابه إحدى الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون، بالمنع من الإقامة في الإقليم الجزائري إما نهائياً أو لمدة لا تقل عن عشر سنوات، ويجب أن ينطق القاضي بها في حكمه صراحة مع تحديد المدة بدقة، وعندما يكون حكم منع الأجنبي من الإقامة في التراب الجزائري مقترناً بعقوبة سالبة للحرية، فإن تطبيقه يوقف طيلة تنفيذ هذه العقوبة، ولا يبدأ المنع إلا من اليوم الذي يفرج فيه عن المحكوم عليه.

وقد نصت المادة 13 فقرة 04 أنه: " يعاقب الشخص الأجنبي الذي يخالف عقوبة المنع من الإقامة بالتراب الوطني المحكوم بها عليه، بالحبس من ثلاثة أشهر إلى ثلاثة سنوات وبغرامة من 25.000 دج إلى 300.000 دج".

الفرع الثالث: تطبيق العقوبة:

لقد حدد القانون 18/04 في أحكامه مجموعة من القواعد تساعد القاضي في تقدير العقوبة، وهي الظروف المخففة وحالة العود وحالة الإعفاء من العقوبة.

1/ الظروف المخففة: حددت المادة 26 من القانون 18/04 مجموعة من الظروف تحول دون إمكانية إستفادة المتهم من الظروف المخففة المنصوص عليها في المادة 53 من قانون العقوبات، وهنا لا يكون في مقدور القاضي إلا تقدير العقوبة ضمن الحدين الأدنى والأقصى وهذا راجع إلى الصفة التي يتميز بها الجناة، فهم موظفون إما عموميون أو أشخاص مكلفون بمكافحة المخدرات أو المؤثرات العقلية، فهذه الفئات يفترض فيها النزاهة وحسن السلوك لمساسها بمصداقية الإدارة التي يعملون بها¹.

¹- لحسن بن الشيخ آث ملويا، مرجع سابق، ص 77.

2/ العود: لقد جاء القانون 18/04 في المادة 27 منه بأحكام خاصة فيما يتعلق بالعود وهذا بتطبيق عقوبات على مرتكب الجنحة وتكون كما يلي:

- السجن المؤبد عندما تكون الجريمة معاقب عليها بالحبس من 10 سنوات إلى 20 سنة.
- السجن المؤقت من 10 سنوات إلى 20 سنة عندما تكون الجريمة معاقب عليها بالحبس من 05 سنوات إلى 10 سنوات.
- ضعف العقوبة المقررة للجرائم الأخرى.

3/ الإعفاء من العقوبة: نصت المادة 30 على الإعفاء من العقوبة كل من يبلغ السلطات الإدارية أو القضائية بكل جريمة من جرائم المخدرات والمؤثرات العقلية قبل البدء في تنفيذها أو الشروع فيها، ومفاد نص المادة السابقة أنه في حالة إبلاغ السلطات العامة عن الجريمة بعد علمه بها، فإن موجب الإعفاء المنصوص عليه يتوافر متى كان الإبلاغ صادقا متسما بالجدية والكفاية، ومن شأنه معاونة السلطات للتوصل إلى مهربي المخدرات والكشف عن الجرائم، واعتبار ذلك الإعفاء نوع من المكافأة منحها المشرع لكل من يؤدي خدمة للعدالة¹.

الفرع الثالث: تنفيذ العقوبة:

في حالة تطبيق العقوبة المقررة في المادة 12 من قانون 18/04، كيف يكون التعامل مع المدمنين ومستهلكي المخدرات أو المؤثرات العقلية المحكوم عليهم بعقوبة سالبة للحرية؟.

جاء قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الإجتماعي للمحبوسين بمجموعة من المبادئ والقواعد لإرساء سياسة عقابية تجعل من تطبيق العقوبة وسيلة لحماية المجتمع، وهذا بواسطة إعادة التربية وإعادة الإدماج الإجتماعي للمحبوسين طبقا للمادة الأولى منه، والتي

¹- نبيل صقر، مرجع سابق، ص 64.

تنص على: " يهدف هذا القانون إلى تكريس مبادئ وقواعد لإرساء سياسة عقابية قائمة على فكرة الدفاع الإجتماعي، التي تجعل من تطبيق العقوبة وسيلة لحماية المجتمع بواسطة إعادة التربية وإعادة التربية والإدماج الإجتماعي للمحبوسين"¹.

ونصت المادة 61 من ذات القانون على وضع المحبوس المحكوم عليه الذي ثبت أنه في حالة إدمان على المخدرات الذي يرغب في إزالة التسمم بهيكل إستشفائي متخصص لتلقي العلاج، ويكون ذلك بمقرر يصدره النائب العام المختص، بالوضع التلقائي تحت الملاحظة بناء على رأي الطبيب المختص، أو في حالة الإستعجال على شهادة طبية لطبيب المؤسسة العقابية وينتهي الوضع التلقائي برجوع المحكوم عليه معافي إلى المؤسسة العقابية لقضاء باقي العقوبة.

وقد ذهب المشرع أبعد من ذلك حينما نص على وجوب إخضاع المحبوس الراض للعلاج لمراقبة طبية إذا أصبحت حياته معرضة للخطر، وهذا ما نستخلصه من نص المادة 64 فقرة 03 من القانون 05/04، فإذا ثبت من الكشف الطبي أو التحليل تعاطي المحكوم عليه لأية مادة مخدرة تعين على مدير المؤسسة العقابية تحرير محضر بالواقعة ورفع الأمر إلى النيابة العامة².

¹- القانون رقم 04/05 المتضمن قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الإجتماعي للمحبوسين، المؤرخ في 06 فيفري 2005 الجريدة الرسمية، عدد 12 سنة 2005.

²- رويينة إبتسام، مرجع سابق، ص 45.

خلاصة الفصل:

لم تعد مشكلة المخدرات ظاهرة محلية تختص أو تنفرد بها دولة معينة دون غيرها وإنما هي آفة عالمية في أبعادها وآثارها، ومظاهر خطرها تختلف من دولة إلى أخرى، حيث تعاني بعض الدول من مشكلات الإنتاج وتعاني دول أخرى من مشكلات الإتجار والتوزيع وأخرى من مشاكل العبور ودول أخرى من الإستهلاك والإدمان.

ويعد انتشار المخدرات وتداولها وتعاطيها واتساع دائرة الإدمان عليها من أخطر أشكال الدمار الإنساني الذي يهدد معظم دول العالم يوما بعد يوم، ولا فرق في ذلك بين دولة قوية وغنية وأخرى ضعيفة وفقيرة، وترتكز بؤرة خطورة المخدرات في الطبيعة السرية التي تتسم بها أنشطتها، والتي تبدأ بالإنتاج مروراً بالترويج إلى التعاطي والإدمان، الذي يؤدي إلى تدمير الأفراد وتفكيك الأسر ومن ثم المجتمعات وزيادة معدلات الجريمة والعنف والفساد.

ومشكلة التعاطي المخدرات والتعود عليها من أخطر المشكلات الإجتماعية ذات النتائج السلبية على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع، ولا سيما ما يترتب عليها من أضرار نفسية واجتماعية وإقتصادية وصحية، فهي تشكل سلوكاً منحرفاً جرمياً، وتمثل خسارة فردية

ووطنية، وتؤدي إلى تفسخ إجتماعي ناتج عن ضعف القيم والأعراف الإجتماعية لدى المتعاطي، فلم تعد الحرب على المخدرات مثار اهتمام دولة بعينها بل أصبحت حربا كونية تسعى جميع المجتمعات إلى الإشتراك فيها بشتى الطرق والوسائل، لا بل تعدها بعض الدول تهديدا لأمنها القومي، فدخلت المخدرات عبر حدودها كمن يدخل الجيوش إليها، فهي أشد فتكا وأشد دمارا مما تخلفه المعارك العسكرية، خاصة في الجوانب الإجتماعية والإقتصادية والنفسية والإنسانية.

وقد أضحت المخدرات مشكلة اجتماعية عالمية لم يعد أي مجتمع محميا منها، فهناك نحو 50 مليون مدمن في العالم، وهناك حروب على المخدرات داخل المجتمعات وخارجها¹ وقد تحول الوطن العربي عامة من مصدر إلى مستورد للمخدرات، ومن أنواع محددة من المخدرات إلى أنواع كثيرة، بعضها صعب المنال وبعضها الآخر سهل الوصول وبمتناول يد الطفل.

وبناء على ما تم طرحه، تسعى أغلب الدول حاليا إلى إنشاء أجهزة مركزية مختصة في مكافحة الجرائم المنظمة تعمل بالتنسيق مع جهاز الشرطة الدولية " الأنتربول "، كما هو الحال بالنسبة لجرائم المخدرات والتهريب، إضافة إلى عقد ملتقيات ومؤتمرات دولية لمواجهة هذه الظاهرة التي استفحل انتشارها في كافة الدول، بعدما تيقنت تلك الدول أن مكافحة هذه الظاهرة يتطلب توحيد جهود الجميع قصد وضع حد لها.

¹ - طالب احسن، علاج المدمنين على المخدرات، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، العدد 7، ص 176.

الفصل الرابع

التنشئة و الإندماج الإجتماعي

المبحث الأول: ماهية التنشئة الإجتماعية

المطلب الأول: تعريف التنشئة الإجتماعية
المطلب الثاني: دور الأسرة في التنشئة الإجتماعية
المطلب الثالث: دور المدرسة في التنشئة الإجتماعية
المطلب الرابع: دور المؤسسات الدينية ووسائل الإعلام في التنشئة الإجتماعية

المبحث الثاني: وظائف التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية

المطلب الأول: وظيفة التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية التقليدية
المطلب الثاني: وظيفة التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية الحديثة
المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في التنشئة الإجتماعية في إطار الأسرة
المطلب الرابع: خصائص الأسرة الجزائرية

المبحث الثالث: دور التنشئة الإجتماعية في عملية الإندماج الإجتماعي للشباب

المطلب الأول: مفهوم الإندماج الإجتماعي
المطلب الثاني: أبعاد الإندماج الإجتماعي
المطلب الثالث: علاقة مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالسلوك المنحرف
المطلب الرابع: الشباب والتغير الإجتماعي - الثقافي في المجتمع الجزائري
خلاصة الفصل.

تمهيد:

يركز هذا الفصل على علاقة الإنحراف وتعاطي المخدرات بالتنشئة والإندماج الإجتماعي للفرد الخصائص والوظائف، وعلى الحقيقة التي مفادها أن الطفل يولد وهو مزود بأنماط سلوكية وراثية وبيولوجية مع إستعداد لتقبل التكيف مع بيئته المحيطة، إلا أنه بحاجة لمن يرشده ويوجهه ويأخذ بيده، وهنا يأتي دور الأسرة كمؤسسة مسؤولة عن التنشئة الإجتماعية والضبط الإجتماعي باعتبارها الوعاء التربوي الذي تتشكل داخله شخصية الطفل، على غرار مؤسسات التنشئة الأخرى.

ولذلك تحدث التنشئة الإجتماعية في العديد من مجالات الحماية، العلاقات التبادلية الرقابة.. إلخ، وعلى هذا الأساس تؤثر الأسرة والمدرسة والمساجد ووسائل الإعلام... إلخ على النمو النفسي وتكوين الشخصية وتحديد ملامحها، كما تؤثر في النمو العقلي والجسمي والإجتماعي والطفل بحاجة لتدعيم من هذه المؤسسات من أجل تنشئة إجتماعية سليمة، دون إغفال حاجته لممارسة بعض الرقابة على أفعاله وتصرفاته.

ومن خلال هذا الفصل، نحاول التطرق للتنشئة الإجتماعية عبر مختلف مؤسساتها وأهم أساليب الإندماج الإجتماعي التي تشيع فيها.

المبحث الأول: ماهية التنشئة الاجتماعية.

يولد الطفل مجرد كائن بيولوجي لا يدرك الأشياء ولا يعي حقيقة وجوده، لكنه مزود بمجموعة من الإستعدادات الفطرية تبدأ مع نموه البطيء إلى أن تكتمل قدراته في مرحلة الرشد، فالطفل يولد وهو لا يحمل أي قيم أو عادات أو تقاليد بل يتعلمها أثناء مراحل تطوره المختلفة داخل مجتمعه، وتعد مرحلة الطفولة من بين أهم مراحل الحياة وأخطرها لما لها من أهمية في تشكيل الشخصية، وهي مرحلة تكوينية للطفل يتم فيها النمو الجسدي العقلي الإنفعالي والاجتماعي، وتؤثر تأثيراً عميقاً في حياة الطفل المستقبلية ومراهقته ورشده وشيخوخته، حيث تتوقف طبيعة هذا النمو المستمر والمتفاعل على طبيعة الوسط الاجتماعي الذي ينوموا فيه ولا سيما المحيط الأسري.

وبما أن الطفل يقضي سنوات عمره الأولى في كنف الأسرة، فإن أولى علاقاته الاجتماعية تبدأ مع أفرادها، فهي الجماعة الأولى التي يتعلم منها لغته وعاداته وتقاليده وقيمه، وعن طريقها وبين أحضان الأم تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يلتصق الطفل بأمه ويطمئن لها ولها الدور الكبير في خلق شخصية متكاملة أو شخصية مهتزة عنده، وعلاقتها به تبدأ قبل ولادته وتستمر إلى أن يصبح قادراً على إعطاء الأوامر أو إبداء الرأي وربما تستمر مدى الحياة والسلوكات والأفعال التي يتعلمها الطفل مع أمه هي التي تحدد علاقته بباقي أفراد أسرته فالنمو السليم للطفل والتربية الصحية تتوقفان على كفاءة من يتولى أمره بالرعاية، وبالأخص الوالدان اللذان يعتبران من أهم وأول المؤثرات الاجتماعية التي تلعب دوراً أساسياً في تربيته وتنشئته.

وارتبط مفهوم التنشئة الاجتماعية شأنه في ذلك شأن معظم المفاهيم الاجتماعية بمعاني كثيرة ومتعددة، كشفت في مجموعها عن تباين الأطر والسياقات التي استخدم فيها من

جانب الباحثين، لذا نقر منذ البداية في تعريفنا للتنشئة الإجتماعية أنه يتسم بالطابع الإنتقائي، نظرا لتشعب جوانب التراث العلمي للموضوع وتعدد درجات ملحوظة.

المطلب الأول: تعريف التنشئة الإجتماعية:

تعرف التنشئة الإجتماعية: " بالعملية التي يكتسب الأفراد بواسطتها المعرفة والمهارات والإمكانيات التي تجعلهم بصورة عامة أعضاء قادرين في مجتمعهم"¹، وهي التي: " يتم من خلالها دمج الفرد في المجتمع ودمج ثقافة المجتمع في الفرد، وهي عملية تعلم يستطيع الفرد من خلالها أن يتكيف مع معايير وتصورات وعادات وقيم الجماعة التي يعيش وسطها"².

كما تعتبر: " من العمليات الإجتماعية الأكبر شأنًا في حياة الفرد، لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات الشخصية الإنسانية"³، وهي: " عملية تعليم السلوك الإجتماعي بغية تكيف الفرد من بيئته الإجتماعية، بالإمتثال لمطالب المجتمع والإندماج في ثقافته والخضوع للمعايير الإجتماعية، التي تحقق الضبط الإجتماعي"⁴، وتعد الأسرة المسؤولة الأولى عن هذه العملية والتي بواسطتها يكتسب أفرادها الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع.

أما التنشئة الإجتماعية في ضوء الإسلام، فتسير وفق أحكام التشريع الإسلامي من حيث أهدافها وخططها وغاياتها، وهي تبدأ ببناء الفرد من داخل نفسه بترسيخ العقيدة الصحيحة وتهذيب النفس، فعن طريق " التنشئة الإجتماعية الإسلامية تنمو الأخلاق وروح التعاون والتعلق بالمجتمع، كما تتكون في الفرد نواح وجدانية نحو احترام الإنسان لأخيه الإنسان

¹ - علي الزعل، التنشئة الإجتماعية بعد الطفولة، دار الفكر للنشر، عمان، 1982، ص 09.

² - علي اسعد وطفة، علم الإجتماع التربوي، جامعة دمشق للنشر والتوزيع، دمشق، 1993، ص 37.

³ - خيرى خليل الجملي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993 ص 51.

⁴ - محمد شحات وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دون دار للنشر، جدة، 1995، ص 224.

بصرف النظر عن وظيفته وجنسه ولونه"¹، مما يساعد الفرد على التكيف والإندماج مع الآخرين، والعيش معهم ومخالطتهم والتفاعل معهم، ومشاركتهم في نشاطاتهم الإجتماعية المختلفة، بعيدا عن الإنطواء والإعزالية، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم".

كما نجد الإمام الغزالي في مفهومه للتنشئة الإجتماعية في التربية الإسلامية، قد نصح بمراعاة الاعتدال في تأديب الصبي، وإبعاده عن أصحاب السوء وعدم التساهل معه في المعاملة، كذلك عدم تدليله وشغل وقت فراغه بالقراءة وأحاديث البلاد وبقراءة القرآن الكريم وحض الآباء بتخويف أبناءهم من السرقة وأعمال الحرام، وبهذا نكون قد حفظنا أبناءنا من الضياع.

أما ابن خلدون فقد خصص فصلا للتنشئة الإجتماعية في مقدمته، حث فيه على ضرورة تعلم الطفل القرآن الكريم منذ حدثته، ويذهب ابن خلدون أيضا إلى أن القسوة في معاملة الأطفال تدعوهم إلى المكر والخبث والخديعة².

ومن تعاريف عملية التنشئة الإجتماعية أنها: "عملية تفاعل يتم من خلالها تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وهي في أساسها عملية تعلم، لأن الطفل يتعلم أثناء تفاعله مع بيئته الإجتماعية عادات أسرته وأسلوب حياتها، وبيئته المباشرة ومجتمعه عامة وهي تتضمن عدة عمليات نفسية تنتقل عن طريقها التأثيرات بين أفراد الثقافة التي ينتمي إليها الفرد، وبذلك فهي عملية معقدة، تتضمن من جهة كائنا بيولوجيا له تكوينه الخاص

¹- خيرى علي إبراهيم، المفهوم الإسلامى للتنشئة الإسلامية، مجلة الهداية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، العدد 192 البحرين، 1993، ص 70

²- رشاد صالح دمنهوري، التنشئة الإجتماعية والتأخر الدراسي، دراسة في علم النفس الإجتماعي التربوي، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 1995، ص 26.

واستعداداته المختلفة، ومن جهة ثانية شبكة العلاقات والتفاعلات الإجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، ومن جهة ثالثة تفاعلات دينامية مستمرة بين البيئة والفرد، حيث يؤدي هذا كله إلى نمو ذات الفرد تدريجيا، وهي كذلك العمليات التي يصبح فيها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الإجتماعية، وما تشتمل عليه من ضغوط وما تفرضه من واجبات، حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين ويسلك مسلكهم في الحياة، وهي عملية يكتسب الطفل من خلالها الحكم الخلقى والضبط الذاتي اللازم له حتى يصبح عضوا راشدا مسئولا في مجتمعه"¹.

وعرف زين العابدين التنشئة الإجتماعية على أنها: " العملية التي يكتسب عن طريقها الطفل الخصائص الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه، ممثلة في القيم والإتجاهات والأعراف السائدة في مجتمعه، ومعايير السلوك الإجتماعي المرغوب في هذا المجتمع، وهي عملية مستمرة عبر زمن متصل تبدأ من اللحظات الأولى من حياته إلى وفاته"².

أما بارسونز فهو يرى التنشئة الإجتماعية على أنها: " عملية تعلم تعتمد على التقليد والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في النسق الشخصية، وهي عملية مستمرة تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر في المدرسة وتتأثر بجماعات الرفاق"³.

وحسب إميل دوركايم هي: " عملية إستبدال الجانب البيولوجي بأبعاد إجتماعية وثقافية لتصبح هي الموجهات الأساسية لسلوك الفرد في المجتمع"⁴، وهي كذلك: " عملية التفاعل المركب التي من خلالها يتعلم الفرد العادات والمهارات والمعتقدات ومستويات الحكم الضرورية

¹- رشاد صالح دمنهوري، مرجع سابق، ص 21.

²- زين العابدين درويش، علم النفس الإجتماعي، أسسه وتطبيقاته، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 68.

³- عبد الفتاح تركي موسى، التنشئة الإجتماعية، منظور إسلامي، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 21.

⁴- علي ليلة، الطفل والمجتمع، التنشئة الإجتماعية وابعاد الإنتماء الإجتماعي، مكتبة المصرية، القاهرة، 2006، ص 193.

لمشاركته الفعالة في الجماعات والمجتمعات المحلية"¹، كما أنها عملية التشكل والتغير والإكتساب التي يتعرض لها الطفل في تفاعله مع الأفراد، وصولاً به إلى مكانة بين الراشدين والناضجين في المجتمع، بقيمهم ومعاييرهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهي: "العملية التي يصبح من خلالها الفرد واعياً ومستجيباً للمؤثرات الإجتماعية بما تشمل عليه من ضغوط، وما تفرضه من واجبات حتى يعرف كيف يعيش مع الآخرين"².

وحسب محمد حسن الشناوي هي: "عبارة عن عملية تربية وتعليم هدفها تشكيل شخصية الفرد من جميع الجوانب، سواء الروحية أو العقلية أو الجسمية أو المعرفية أو السلوكية ونحوها، وفقاً لمعتقدات المجتمع وعاداته وتقاليده وأعرافه ونظم تفكيره"³.

ويعرفها جيمس دريمر أنها: "العملية التي يتكيف أو يتوافق الفرد من خلالها مع بيئته الاجتماعية، ويصبح عضواً معترفاً به ومتعاوناً وكفئاً"⁴، أي أنها تساعد في حصول التكيف والتوافق بين الفرد ومجتمع واستيعابه لعملية التأقلم ليكون قادراً كفئاً ومتعاوناً مع الجماعة وكما يقول الأستاذ الدكتور مغربي عبد الغني: "التنشئة الاجتماعية ستستمر إلى غاية موت الفرد"⁵.

وإذا أردنا التعمق في فهم العملية، لوجدناها أكثر شمولاً من مجرد تعلم الأمور الاجتماعية، فهي تنشئة سياسية وطنية دينية أخلاقية قومية أسرية... إلخ، بحيث تؤدي إلى

¹ - محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع، نظريات وتطبيقات، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985، ص 90.

² - لبيب عبد العزيز لبيب، الإتجاهات الوالدية وعلاقتها باتجاهات الأبناء نحو النشاط الرياضي وسلوكه في وقت الفراغ جامعة حلوان، مصر، 1993، ص 12.

³ - محمد حسن الشناوي، مرجع سابق، ص 28.

⁴ - عبد الرحمان العيسوي، مرجع سابق، ص 258.

⁵ - MEGHERBI (A), Culture et personnalité algérienne de Massinissa à nos jours, ENAL/OPU Alger, 1986, P 60.

تكوين شخصية متكاملة، والإنسان يكتسب الكثير من عناصر الأخلاق في مرحلة الطفولة والمراهقة، وإن كان في الإمكان أن يظل يكتسب المعلومات والمعارف والقيم طوال حياته.

ومن خلال ما سبق، يتبين لنا أن التعريفات في مجملها تتفق على أن التنشئة الإجتماعية هي عملية تفاعل وسيرورة إجتماعية.

المطلب الثاني: دور الأسرة في عملية التنشئة الإجتماعية:

من خلال التعاريف السابقة للتنشئة الإجتماعية، كونها العملية التي من خلالها تتشكل شخصية الطفل الإجتماعية، وذلك من خلال تفاعله مع المحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه ليكون كائنا إجتماعيا، فإن الأسرة تقوم بهذه العملية من أجل إدماج الطفل في الإطار الثقافي العام، عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه وتوريثه إياه توريثا متعمدا بتعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب إليه، وتدريبه على طريقة التفكير فيه وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه، فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والقيم والأساليب¹.

وفي سن الطفولة المبكرة، تمثل الأسرة أكبر مؤسسة تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية، لكي يستطيع الأبوان تطبيعه من خلال التعزيز أي إعطاء الكفاءات، وتوفير المثال أو القدوة التي يحتذي بها²، وانتماء الطفل للأسرة يشبع حاجاته الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية، فهذا الانتماء يعتبر أساسيا لتكيف الطفل حتى مع المجتمع خارج نطاقها³.

ومن أهم ما يتعلمه الطفل خلال عملية التنشئة الاجتماعية الإلتزام بالعادات وطرق التصرف الملائمة والآداب الإجتماعية، هذا فضلا عن اتجاهات معينة نحو الآخرين ونحو

¹ - فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة العربية، ط3، القاهرة، دون سنة، ص 121.

² - عبد الرحمان العيسوي، مرجع سابق، ص275.

³ - سميرة احمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص64.

المبادئ والسلطة ونحو الدين والأسرة، بالإضافة إلى تعليم الذكور والإناث الأدوار المهنية التي يرسمها المجتمع لكل منهما¹، وبهذا تصبح الأسرة مدرسة مهمتها إعداد أفراد تتماشى سلوكياتهم وقيم المجتمع، بحيث أن الواقع اليوم هو أن الطفل الواحد لكي يكون صالحا لنفسه ولعائلته ولوطنه يجب أن يعتني به قبل الولادة وبعدها وأثناء الرضاع وبعدها وعند دخوله المدرسة الإبتدائية إلى أن ينهي تعلمه عناية لم تكن تتكفلها لعشرات أمثاله منذ قرون².

ومن أهم الأدوار التي يقوم بها أفراد الأسرة وخاصة الوالدين في تربية الأبناء على هذه المبادئ ما يلي:

1- دور الأم في تربية الطفل: الأم هي العنصر الأول في تلقين الطفل السلوك الإجتماعي فهي التي تساعد على استيعاب أولى اختياراته عن النظام الإجتماعي، وهي التي تزرع في نفسه أولى المخاوف والتعليمات، كما تقدم له أولى المناسبات لإختبار شعوره بذاته وبالآخرين³ فدورها يعد أكثر أهمية في تربية الطفل خاصة في السنوات الأولى من عمره، وذلك لأنها تكون أكثر إلتصاقا به وعاطفتها تكون أقرب من عاطفة الأب، نحوه فهي التي ترضعه وهي التي تقضي معه أكثر الوقت، ومن هنا جاءت أهمية اختيار الأم الصالحة ذات الدين حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك"، فاختيار أم الأبناء يعتبر بمثابة بداية لتربية الأبناء تربية صحيحة.

2- دور الأب في تربية الطفل: لا يقل دور الأب في تربية الأبناء أهمية عن دور الأم، إلا أن كثيرا من الآباء يعتقدون أن مسؤولية تربية الأبناء تقع على كاهل الأم فقط، وأن مسؤوليتهم تتمثل في توفير الحاجات المادية من مأكّل ومشرب فقط، ولهذا تجدهم يقضون معظم وقتهم خارج البيت، فالأب في العائلة العربية كما يرى هشام شرابي: " يمثل دورا أقل بروزا من دور

¹ فوزية دياب، مرجع سابق، ص 122.

² عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون سنة، ص 125.

³ هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر، ط03، بيروت، 1981، ص 111.

الأم خاصة في السنين الأولى من حياة الطفل، وهذا صحيح بنوع خاص في العائلة الكبيرة فالأب يبقى في حياة الطفل الأولى صورة بعيدة بعكس الأم¹، وفي الواقع للأب دور كبير في تربية الأبناء، لا يقتصر فقط على الإتفاق والكسوة وتوفير أسباب المعيشة، بل يتعدى ذلك إلى تعليم أولاده قيم المجتمع ونوع السلوك السوي الذي يحفظهم من الإنحراف والضياع، ووجب عليه أن يجلس معهم ويلاعهم ويستمع إليهم في كل شيء يسألون عنه، كما عليه أن يأخذهم معه إلى المسجد وإلى زيارة الأقارب لأن في ذلك تفتح إجتماعي سليم عند الأطفال وتشرب القيم التي يلمسونها عند والدهم²، ووجب على الوالد أن يكون أمرا وناهيا أي أن ينبه أبنائه في كل مناسبة إلى ما يجب وما لا يجب، أي أن يكون دائم الحرص على تتبع سلوك أبنائه خاصة في تقديم القدوة الطيبة لهم، والتي تعتبر من أعظم وسائل التربية وأكثرها أهمية وفعالية فالطفل تجده دائما يقلد من حواليه وخاصة والديه في طريقة الكلام والمعاملات مع الناس.

وتعد طريقة الثواب والعقاب أيضا من الوسائل الهامة التي يجب على الأب أن يستعملها في تقويم سلوك أبنائه، أي أن يجازي ولده على إحسانه ويعاقبه على إساءته حتى لا يرجع إليها ثانية.

ويمكننا أن نقدم مدى مسؤولية الآباء على أبنائهم إنطلاقا من أن الطفل يولد معتدلا صحيح الفطرة، حيث يؤكد الغزالي أن المسؤولية الكبرى يتحملها الوالدان وكل من يوكل إليه أمر الكفل فيقول: " الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يميل إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له، وإن عود الشر وأهمل إهمال الهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القائم عليه والوالي له³، أي أن الطفل يولد

¹ - هشام شرابي، مرجع سابق، ص 111.

² - خالد أحمد الشنتوت، دور البيت في تربية الطفل المسلم، المطبعة العربية، الجزائر، 1990، ص 20.

³ - عارف مقضي البرجس، التوجه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، دار الأندلس، بيروت، دون سنة، ص 80.

كالصفحة البيضاء خالي من كل خدش أو نقش لا يحمل في قلبه سوء، فإن أحسن والده تربيته أو إلى من يوكل إليه ذلك فإنه ينشأ على هذا وسوف يكون سعيدا في دنياه بتربيته الحسنة، وإن أساؤوا تربيته فإنه سوف يعيش حياة شقاء وتعب ويهلك من حوله بتصرفاته المنحرفة، وتعود مسؤولية ذلك على من قام بتربيته.

لذلك نقول أن تربية الطفل تبدأ أولا في نطاق الأسرة والتي فيها يكتسب الطفل قيمه ومعارفه وفيها يعرف الحق من الباطل والخير من الشر، أي أن الأسرة تعد الجماعة الأولية التي تكسب النشء الجديد خصائصه الإجتماعية الأساسية، وأنها الوسيلة الرئيسية للتنشئة الإجتماعية¹.

ومن أهم الوصايا التي ذكرها الغزالي للأب في تربية طفله نذكر ما يلي²:

- أن يؤنب ابنه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء.
- أن لا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاه فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فهلك هلاك الأبد.
- أن يعلمه كثيرا من آداب الطعام.
- أن يمنع من كل ما يفعله خفية فإنه لا يخفي إلا ما يعتقد أنه قبيح.
- يجب أن يمنع من لغو الكلام ومن اللعن والسب.
- إذا بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويعلم كل ما يحتاج إليه من أمور الشرع.

كما على الوالد أن يراعي تأثير المحيط على تربية ولده، أي يراقب عن كثب من يميل ولده إليهم ليكون على بينة من سلوكه الاجتماعي، فيعمد بعد ذلك إلى أن يرحب بالأخبار منهم

¹- فؤاد بهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، ط 02، القاهرة، 1993، ص 187.

²- عبد الله بن الحسن العيادي، الفكر الاجتماعي وتطوره عند العرب والمسلمين، مطابع سمحة، الرياض، 1992، ص 171.

ويحفظه من قراء السوء¹، فلعلمية التنشئة الدينية أهمية ووظيفة تربوية هامة في تربية الطفل.

المطلب الثالث: دور المدرسة والمؤسسات الدينية في عملية التنشئة الإجتماعية.

إن للتنشئة الاجتماعية دور وأهمية خاصة في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء، فهي العملية التي من خلالها يكتسب الفرد إنسانيته وعلاقته مع الآخرين ويستوعب قيمه الاجتماعية ومختلف جوانب الثقافة الدين، الأخلاق، المهن السائدة في مجتمعه، كذلك تساعده على بناء شخصيته وحسن تكيفه مع غيره حتى يصبح قادرا على دفع عجلة الإنتاج القومي، وهذا بوجود مؤسسات اجتماعية تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية كالأُسرة، المدرسة، الجامعة، الإعلام..إلخ.

ومن الضروري أيضا أن تكون التنشئة الاجتماعية ذات طبيعة متتابعة، بمعنى أن تعمل الأسرة مثلا على تنشئة الطفل وفقا لمجموعة القيم الأخلاقية، بينما تأتي المدرسة والمسجد لتؤكد على القيم الأخلاقية وقيم التعليم، ثم تأتي مؤسسة العمل فتؤدي دورها في ترسيخ القيم الأخلاقية إضافة إلى القيم المتصلة بالعمل، ولذا، فإن عملية التنشئة عملية مستمرة، فالفرد في بداية حياته ينشأ من خلال الأسرة والمدرسة، ثم يستأنف من خلال تفاعله وقدرته على الاندماج في المؤسسات الاجتماعية المختلفة.

وأصبحت المدرسة في العصر الحديث مؤسسة رسمية ذات كيان مستقل، تهدف إلى إعداد أفراد المجتمع للحياة المستقبلية والإسهام الفعال في تقدم مجتمعهم وتطويره، فهي المؤسسة الرسمية التي أنشأها المجتمع وعهد إليها مسؤولية إعداد الأفراد للحياة الاجتماعية وبذلك تكون ذات أهداف مشتقة من فلسفة المجتمع وثقافته وإمكانياته وخطته المستقبلية

¹ - محمد أحمد عز الدين، تربية الولد عند الغزالي، مطبعة الترقى، دمشق، 1963، ص 06.

وينظر للمدرسة على أنها مجتمع مصغر، حيث أن ما يدرس فيها من معارف وخبرات ومهارات وما تؤكد عليه من قيم واتجاهات ومعايير يجب أن يكون مرتبطا بالمجتمع الخارجي الذي تعيش وسطه¹.

وتعمل المدرسة كذلك على نقل التراث الثقافي المتراكم عبر العصور، وكذا المعارف والخبرات والمهارات والقيم... إلخ التي يحتاجها الفرد لفهم بيئته الطبيعية والاجتماعية والتعامل معها بنجاح، ودورها كمؤسسة مختصة في تبسيط وتنظيم هذه المعارف، وتنتقي القيم والأنماط السلوكية التي يرى المقيمون على الشؤون التربوية أنها هامة وأساسية لنجاح التلميذ في المدرسة والحياة من خلال مناهج وأساليب التدريس، وتعمل كذلك على تنظيم خبراته التي اكتسبها من الأسرة والبيئة الخارجية وربطهما معا، وتساعد على بناء الإستعداد لتقبل الخبرة الجديدة والاستفادة منها، ومن خلال المناهج والأنشطة المختلفة ودور المعلم في تحقيق أهداف المدرسة، يتحقق تدعيمها للمعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات الهامة في حياة المجتمع مما يقلل فرص خروج الطفل عنها ويقلل كذلك فرص الانحراف الاجتماعي ويساعد بذلك على استقرار المجتمع.

وحين يعهد المجتمع إلى المدرسة بهذه المهمة الخطيرة، وهي مهمة إعداد الأجيال أو صناعة المواطن الصالح السوي، فإنها بحاجة إلى التزود بكل ما يفيدها في أداء رسالتها من الخبرات والمعلومات والمعارف الطبية والنفسية والاجتماعية².

ويتمثل دور المدرسة في تربية وتكوين الشخصية وإنمائها وإعادة كيانها العاطفي وأحاسيسها الخاصة التي ولد الفرد بها أصلا، ودور المعلم توفير المناخ التربوي والتعليلي الملائم لتحقيق أهداف التربية والثقافة والاحترام واكتشاف الذات عن طريق القدرات والمواهب

¹ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1978، ص 23.

² - عبد الرحمان العيسوي، سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر، دار الوثائق، الكويت، 1987، ص 256.

والأهم هو التوفيق بين ما هو فردي وذاتي وما هو اجتماعي، فالتربية تسعى إلى تكوين الفرد وانطلاق طاقاته وتحريرها وانتمائها في إطار اجتماعي الذي تستمد منه مقوماته ومواجهتها¹.

وفي سياق آخر، تتدرج التربية في حياة الإنسان بدءاً من الأسرة التي تغذي أطفالها الصغار بكثير من المفاهيم والعادات الدارجة، ثم تذهب معظم تلك الأسر بأطفالها بعد تجاوز سن السادسة أو السابعة إلى الكتاتيب المنتشرة في البلدان الإسلامية ليتعلموا القرآن الكريم، لأن تعليم الأطفال ذلك يعد من الأمور المهمة التي يقوم بها الوالد تجاه أولاده، فكان والد الطفل يرسل طفله إلى الكتاب ليتعلم قراءة القرآن وكتابة بعض الكلمات، ثم مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه في الأخلاق، ويلعب الدين دوراً هاماً في حياة الفرد والمجتمع من الناحية الروحية، وله أثر كبير في حياة الفرد، فالدين يفسر للفرد سبب وجوده في الحياة، وعلاقته بالعالم الطبيعي والاجتماعي ويحدد له دوره في الحياة ويفسر ما يحيط به ويحدد له أساليب مواجهة الأزمات والأفعال وعلاقته بالخالق سبحانه وتعالى وطرق التقرب منه.

ويساعد الدين الفرد على التمسك بتعاليمه والقيام بدوره المطلوب منه في الحياة، كما يقوم بعملية الضبط الاجتماعي، والضبط الاجتماعي هنا يكون من خلال العمل على تكوين الضمير لدى الفرد الذي يحدد تصرفاته ووسائل تحقيق الأهداف المؤكدة في الدين خوفاً من السلطة الخارجية، فالفرد يراعي الخالق في كل تصرفاته ويحاسب نفسه على كل ما يقوم به دون الحاجة إلى رقيب خارجي يقوم بهذه المهمة.

وتقوم دور العبادة بتشكيل شخصية الفرد وغرس القيم والعادات والاتجاهات والأنماط السلوكية المؤكدة في الدين، مما يساعد على تكوين الشخصية السوية، وتقوم بربطه بمجتمعه وتوعيته، ويساهم المسجد في تربية الصغار على هذا النحو منذ الصغر، ويحثهم على

¹ - سلامة الخميسي، مرجع سابق، ص 130.

إتباع السنة النبوية وتحفيظ القرآن الكريم، مما يساعدهم على فهم ما هو محرم وما هو مسموح به، ويجنبهم الوقوع في الأخطاء وعدم الانحراف¹.

المطلب الرابع: دور وسائل الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية.

تعتبر وسائل الإعلام نظم للاتصال الجماهيري، فهي تتناول كل جوانب الحياة في المجتمع وتلعب دورا مهما وحيويا في التأثير على الفرد وتوعيته وتوجيهه وربطه بمجتمعه وتشكيل الرأي العام، ومن هنا يكون لوسائل الإعلام دور هام في استقرار المجتمع وتطوره وتقديمه وتحديد معالم تنشئته الاجتماعية، ويمكن تحديد الدور التربوي لوسائل الإعلام في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية فيما يلي:²

- الترفيه.
- تبصير الفرد بما يدور حوله.
- تعلم المهارات والاتجاهات والقيم.
- جذب الاهتمام إلى برامج تربوية واجتماعية.
- العبرة والموعظة.
- إبراز الشخصية القومية.

وتحدد الأسرة والمدرسة درجة استفادة الطفل من البرامج، فالأسرة تنقي البرامج الهامة الموجهة التي يمكن أن يستفيد منها علميا أو ثقافيا أو اجتماعيا، وتوضح له الجوانب الهامة التي يركز عليها وقد تطلب منه تحديد النقاط الأساسية من خلال الاستماع لمناقشتها معه وقيام الأسرة بهذا الدور يعمل على تحقيق الآتي:

1 - سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، ط 3، القاهرة، 1998، ص ص 93 - 94.

2 - سميرة أحمد السيد، نفس المرجع، ص 99.

- تنمية المهارة وحسن الاستماع والتدقيق.
- حب المعرفة والبحث عنها.
- الاستفادة من خبرة المتخصصين.
- حسن استغلال الوقت الفراغ.
- إثراء الحصيلة اللغوية وتحسين النطق.

المبحث الثاني: وظيفة التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية:

الأسرة هي جماعة متكونة من زوج وزوجة وأبنائهما، يقيمون في مسكن واحد¹، وهناك علاقة وظيفية متبادلة بين كل من المجتمع وما يحتوي من أنساق وبين الأسرة، أي أن أي تغيير يطرأ على بناء مجتمع وأنساقه المختلفة يؤثر بدوره على بناء الأسرة، حيث يعرفها مصطفى بوتفنوشت على أنها: "منتوج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي يتواجد فيه والذي يتطور من خلاله"²، ويجب على الأسرة القيام بوظائفها التربوية وفق ثلاث شروط أولها: العناية النفسية والبدنية للأبناء، لأن لها الأثر الكبير في تحديد القدرة العقلية، ثانيا: إبداء حسن المواقف من الأبناء من أجل عملية التربية، وتقوية الإرادة بالتعاون معهم في حل المشاكل وفتح الأفاق للمستقبل، وأخيرا: التنمية المعرفية من خلال المتابعة وتنمية الذكاء والفحوص للمذاكرة³.

المطلب الأول: وظيفة التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية التقليدية:

في العديد من مناطق العالم ما زالت الأسرة تنتج بعض ما تحتاجه لأفرادها، وتمتد يد المساعدة لهم، وعلى الرغم من ظهور المؤسسات التعليمية المختلفة، فإن للأباء دور كبير في

1- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دارا لنهضة العربية، 1984، ص 136.
2-BOUTFNOUCHET Mostefa, La famille algérienne, évolutions et caractéristique récents, Alger, smed, 1982, P30.

3- العربي بختي، التربية العائلية في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 298.

ذلك، خاصة في المراحل التعليمية الأولى، ووظيفة الأسرة في التنشئة الإجتماعية لأطفالها هي الوظيفة الأساسية والدائمة التي حافظت عليها بشكل كبير، وما يساعد الأسرة على قيامها بعملية التنشئة الإجتماعية لأطفالها وجودهم في حالة من العجز والإعتماد شبه المطلق على أفراد الأسرة خلال كامل مراحل الطفولة، مما يجعل هؤلاء الأفراد يمثلون الأهمية القصوى في إشباع حاجاتهم، ومنها في عملية تنشئتهم وإدماجهم إجتماعيا بتفاعلهم معهم¹.

وللأسرة وظائف عديدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الوظيفة البيولوجية: وتتلخص في الإنجاب أو إعادة الإنتاج البيولوجي، والذي يضمن تزويد المجتمع بالأفراد وضمان استمراره.
- الوظيفة النفسية: وتتلخص في إشباع الحاجات النفسية للفرد كالحاجة إلى الحب والأمن والتقدير في المكان الذي يجد فيه الفرد الحنان والدفء العاطفي.
- الوظيفة الإجتماعية: وتتلخص أساسا في عملية التنشئة الإجتماعية والتي يبدو تأثيرها في السنوات الأولى على الخصوص، وهي تتضمن إعطاء الدور والمكانة للطفل وتعريفه بذاته وتنمية مفهومه عن نفسه وبناء ضميره وتعليمه المعايير الإجتماعية التي تساعد على التكيف وتحقيق إندماجه في المجتمع.
- الوظيفة الإقتصادية: ويمثلها النشاط الإقتصادي لأفراد الأسرة، فهي سواء كوحدة منتجة إقتصاديا أو كوحدة إستهلاك، تمثل حلقة مهمة في سلسلة النشاط الإقتصادي للمجتمع.

وتتميز الأسرة الممتدة بالثبات والاستقرار رغم تعاقب الأجيال، وزيادة حجم ونوعية العلاقات الاجتماعية بين أفرادها والتقارب المكاني²، وتتم عملية التنشئة الإجتماعية داخل

¹ - رشاد صالح دمنهوري، مرجع سابق، ص34.

² - محمد أحمد عز الدين، تربية الولد عند الغزالي، مطبعة الترقى، دمشق، 1963، ص 06.

الأسرة الجزائرية التقليدية بمشاركة كل أفراد الأسرة، حيث الطفل لا يبقى دائما بجانب أمه لسيقا بها، وإنما للإخوة والأجداد والأعمام والأخوال والأقارب.. إلخ دورهم التربوي، وبهذا تكتسي عملية التنشئة الإجتماعية طابعا جماعيا تبعا للحياة الإجتماعية، فالأسرة الكبيرة هي التي تلقن الطفل القوانين والقواعد التي تقوم عليها حياته¹، وبالتالي فالطفل في هذه المرحلة يمر بمراحل غير متفرقة في تنشئته وفي تربيته، وبصفة عامة نجد الأسرة التقليدية تعمل وبشدة على تثبيت ملامح الضمير الخلقى عند الطفل، فهي تكسبه العادات للبدن والروح وتعلمه كيف يمكنه التعامل إزاء الآخرين، فكل ما يتلقاه الطفل في هذه المرحلة المبكرة من العمر هو ملاحظة عادات محيطه ويتعلم السلوكيات الواجب القيام بها، وهذا لا يترك المجال لبروز فرديته.

ويتحدد دور الأب في الأسرة التقليدية في تنشئته لأبنائه من خلال إعالته لأسرته وتلبية حاجياتها من مأكّل ومشرب وملبس وكذا حاجيات الأبناء، فالتنشئة الإجتماعية التي يتلقاها الطفل من أبيه هي ذات علاقة سلطوية، فأول ما يتعلمه هو إحترامه وطاعته والخوف منه والطاعة التي يحضى بها منبعها من الطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى، وهي مشبعة بالتقاليد التي تضع الأب على قاعدة أساسية في الأسرة، وأنه الكل في الكل وشخصيته هي السائدة².

وأمام هذه السلطة المطلقة للأب، يجد الطفل نفسه أمام امتثال وخضوع لما هو موجود في التقاليد، فالأب يحافظ على حدود مكانته والأطفال لا يتكلمون أمامه ولا يصطحبهم إلى المسجد إلا عندما يبلغون سن العاشرة، فهم يبكون رؤوسهم مطأطأة وصامتين من أجل خضوع كامل له، فالأب المحافظ لا يحتكر لنفسه مبدأ السيطرة والسلطة، ولكن كل جزائري

¹ - عائشة بن قطب، التحضر وتغير بناء الأسرة الجزائرية، دراسة ميدانية لعينة من الحي وسط حضري بمدينة البليدة رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 123.

² - مسعودة كسال، مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 27.

يملك شعورا وراثيا لعملية السيطرة فهي متأصلة، والأب الذي لا يعرف كيف يحكم ليس برجل، ونجد الأب ينتظر في المستقبل أن يلعب أبناءه نفس الدور الذي لعبه، ويحظون بنفس المكانة التي حظي بها، وأن تقوم على أيديهم السلطة الأبوية في المستقبل، ونجد إلى جانب الأب الجد الذي دوره لا يقل أهمية عن دور الأب في تنشئة الأبناء، فالجد أو الجدة هما اللذان يتدخلان لينقذا أحفادهم من عقاب الوالدين، ويمنحان الطفل كل ما يحتاج إليه من حنان من خلال القصص والحكم والأمثال الشعبية، والتي تكون أغلبها تربية نابعة من ديننا الحنيف، وتترك أثرا كبيرا من المواضيع والدروس التي تكون بمثابة سلاح للأطفال يتسلحون به في حياتهم اليومية، إضافة إلى ذلك نجد الجد يصطحب معه أحفاده إلى الخارج للتسوق والتزهر، وبهذا فهم يعطون الثقة الكاملة لأحفادهم.

أما دور الأم في عملية التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية التقليدية يعد من أهم الأدوار، فهي المسؤولة الأولى عن تربية طفلها منذ أن يكون رضيعا، وهي التي يقضي معها معظم وقته في البيت عندما يكون طفلا، وبالتالي تغرس فيه نوعية القيم والأفكار التي تحدد قيمه الإجتماعية وكذا دوره الإجتماعي، فالطفل يولد بنفس صافية وبريئة ومهيئة للخضوع لسمات التقاليد وإكتساب العادات، فالممارسات اليومية المتكررة تعتبر من الوسائل الأولية المعطاء منذ السن المبكرة من خلال تجربته الشخصية.

وعندما يصل الطفل بين الخامسة والسادسة تهري أغلب الأسر التقليدية أبناءها للدخول إلى المدرسة القرآنية أو المسجد، حيث يقدم الطفل إلى الطالب أو المؤدب رفقة أبيه وفي بعض الأحيان برفقة أخيه الأكبر، وفي يوم الدخول يحمل الأهل للطالب بعض الحلويات والشاي والتي تسمى بالفتوح لتكون فاتحة خير على التلميذ الجديد من أجل استعداداته التعليمية.

وبعد المرحلة الأولية من تنشئة الطفل يبدأ في الإندماج داخل محيطه، حيث يقلد الحركات التي يراها أمامه ويستمتع للأقوال والقصص والأمثال الشعبية، ويعرف النواهي التي

تحدها الأسرة ويحضر الحفلات والأعراس، فبفضل الأسرة يقتدي فكر الطفل بذهنية الجماعة، إذ ترسخ فيه قواعد الأدب وحسن السلوك التي هي بمثابة القاعدة الأساسية للتربية، وحينما يرتكب خطأ فإنه ينال عقابه البدني في أغلب الحالات، وإذا ابتعد عن الخطأ فإنه سوف يكافأ.

وكخلاصة لدور الأم، يمكننا القول بأن دورها ذا أهمية كبيرة في تنشئة الأبناء والتربية التي تمنحها لهم تكون نابعة من قيم وعادات الأسرة التقليدية، كما أن دور الأب لا يقل أهمية عنها، فهو المعيل الأول للأسرة وهو الذي يعمل على اصطحاب أبنائه للمسجد لأداء الصلاة ولتعلم القرآن الكريم، وهو الأمر والنهي عن كل منكر في البيت، والذي يعمل دائما على أن يكون أبنائه على أحسن تربية.

المطلب الثاني: وظيفة التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية الزوجية (الحديثة):

تتكون الأسرة النواة أو الزوجية من الزوج والزوجة وأبنائهم المباشرين، وتتميز بكون الحياة قاصرة بينهم، وتعتمد على دخل الزوج وأحيانا الزوج والزوجة¹، وتختلف وظيفة التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة الجزائرية الحديثة عما كانت عليه في الأسرة التقليدية، وهذا راجع لعدة عوامل ساهمت في ذلك، كنزوح معظم الأسر من الريف إلى المدينة وتغير طبيعة العمل، وكذا انتشار التعليم ووسائل الإعلام المختلفة التي كان لها التأثير الكبير في تغير التنشئة الإجتماعية.

وبروز المدرسة كمؤسسة للتنشئة الإجتماعية وكمنبع ومنهل لبث القيم يفقد العائلة بعض وظائفها، كما يهدد كيانها الداخلي رغم الإيجابيات التي تحملها المدرسة للأسرة فالمدرسة تقوم بغرس قيم ومعايير أخرى للفرد ربما غير تلك التي عهدتها في العائلة، لأن خطابها

¹ - سناء الخولي، مرجع سابق، ص 65.

غالبا ما يكرس في الفرد الفكرة التي مفادها أنه ابن للمجتمع كموطن، وليس ابن لوالديه فقط، وهذا ما يجعل الصراع بين العائلة والإبن من جهة والعائلة والمدرسة بقيمها من جهة أخرى محتدما، كما أن لإرتفاع المستوى التعليمي للأبناء مقارنة بما هو عليه أوليائهم، يجعل الأب يغير مواقفه تجاههم في تلك السيطرة التي كان يظهرها من قبل وتقل لتعوض بقيم كالأخوة والإقناع..

أما عن وسائل الإعلام المختلفة، فإنها تساهم في زعزعة النظام الداخلي للعائلة خاصة على مستوى النسق القيمي، وهذا مع العلم بأن القيم والرموز التي تبثها هذه الوسائل خاصة التلفزيون من نتاج دائرة ثقافية أخرى مختلفة عن المعادلة الإجتماعية أو البنية التقليدية للمجتمع الجزائري وعن معطياته السوسيوثقافية¹، مما يقلل من الإتصال داخل الأسرة.

والشيء الملاحظ في الأسرة الجزائرية الحديثة، هو غياب أفراد آخرين كالجددة والجد والأعمام.. إلخ، الذين كانوا يمثلون دورا تربويا أصيلا داخل الأسرة الجزائرية التقليدية، ففي الأسرة الزوجية غالبا ما نجد الجد والجددة متواجدان فيها، وبهذا فإن نوعية التنشئة الممارسة داخلها تبقى في غالبيتها محصورة بين الأب والأم فقط.

كل هذه العوامل وغيرها جعلت من الأسرة تتغير وتعمل من أجل أهداف تربوية جديدة من أجل تربية لائقة بالطفل.

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في التنشئة الإجتماعية في إطار الأسرة:

مما لا جدال أن للأسرة أثر كبير في التنشئة الإجتماعية والإندماج الإجتماعي لأفرادها حيث إتضح أن ضمير الفرد وفكرته عن نفسه وأسلوبه الخاص في معاملة الناس وفي حل مشكلاته، وما يكتسبه إبان الطفولة من إتجاهات دينية وقومية وغير ذلك.. إلخ، يصعب

¹ - Megherbi (A), Le miroir aux Alouettes, (Alger, ENAL, OPU, 1985,P17.

تحريره منها فيما بعد، كما يتضح أن اتجاهاتنا نحو الناس وصلاتنا العاطفية بهم هي اتجاهات وصلات نتعلمها في محيط الأسرة، على غرار صلتنا بأمهاتنا وآبائنا وإخواننا، واتجاهاتنا نحو الأصدقاء والزلاء والزوجة والأولاد والغرباء..إلخ، ففي الطفولة توضع بذور الصداقات والعداوات المقبلة.

فالأسرة هي النواة والجماعة الأولى التي ينشأ فيها الأفراد باعتبارها مجتمع مصغر، ومنها تتكون المبادئ والعلاقات الاجتماعية والطباع وفيها تنشأ أسس العلاقات بين الأفراد، فهي الوسط الاجتماعي الأكثر أهمية في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية باعتبارها المصدر الأساسي للفعل أو السلوك الذي يقوم به الأبناء، والمتهم الأول في كل عملية خروج عن القيم ومعايير المجتمع، وعليه، فإن بنية الأسرة ووظيفتها تحدد إلى حد كبير طبيعة المجتمع وبنيته فأبناء الأسرة النووية يختلفون في تربيتهم عن الأسرة الممتدة، كما أن نوعية علاقات السائدة بين الوالدين وأبناءهم والمشاكل التي تعيشها الأسرة تؤثر تأثيرا كبيرا على الأبناء وعلى تصرفاتهم سواء داخل الأسرة أو في الشارع أو في المدرسة أو في أي مكان آخر، وكما سبق لنا القول أن الأسرة من أولى الجماعات التي ينتمي إليها الطفل وأشدها صلة به.

وبناء لما سبق، تتأثر التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة بكل ما يحيط بها من مؤثرات ثقافية واجتماعية وإقتصادية وإنفعالية، تتحدد على ضوءها استجابات الأطفال وتكيفهم ونمو شخصياتهم، ويؤكد بيرت على أهمية هذه العوامل الأسرية بقوله: " إن أبشع العوامل وأكثرها خطرا وتدميرا لحياة الفرد، هي العوامل التي تدور حول حياة الأسرة في الطفولة"¹، ومن هذه العوامل التي تتأثر بها التنشئة السرية ما يلي:

- الظروف الاجتماعية والمادية والثقافية التي تعيش الأسرة في وسطها، فكثيرا ما يكون لها تأثير في تحديد مستقبل الطفل الاجتماعي ومستقبله المهني، وذلك لأن حياته المهنية

¹ - علي أسعد وطفة، مرجع سابق، ص 80.

مشروطة بتعليمه، فالطفل الذي يولد في أسرة فقيرة يواجه صعوبات وعقبات متعددة، منها انخفاض مستوى المعيشة وازدحام المسكن وعدم توفر الشروط الصحية المناسبة وسوء التغذية ونقص فرص التعلم، كل هذه العوامل يكون لها تأثير على تربية الطفل والتي قد تجعل منه فردا منحرفا، حيث أكدت الكثير من الدراسات على أن: " نسبة الأطفال المنحرفين ترتفع عادة في الأسر التي تنتمي إلى الطبقات الدنيا"¹.

- مركز الطفل بين إخوته كأن يكون البكر أو الوسط أو الأصغر²، فكثير من الأسر يكون اهتمامات بالطفل الأول خاصة إذا كان ذكرا يختلف عن اهتمامها بالأطفال الذين يأتون بعده وهذا ما يكون له تأثير بالغ في شخصيات الأطفال، وفي نوعية العلاقة التي تنشأ بينهم وبين المحيطين بهم.

- العلاقات الإجتماعية السائدة بين الوالدين وبين الآباء والأبناء لها تأثير مباشر على التنشئة الإجتماعية للأطفال، ولا شك أن ذلك يؤثر تأثيرا واضحا على عملية التنشئة الإجتماعية، وأيضا على تفاعل العلاقات داخل الأسرة، فالطفل يستمع منذ نعومة أظافره إلى الخلافات الدائرة بين الأم والأب وبين الأخوة³، وهذا ما يؤثر على طريقة تربيته.

- علاقة الإخوة ببعضهم البعض والتي تتوقف على نوع المعاملة التي يتلقونها من الآباء حيث أنه إذا كانت هناك مساواة في المعاملة بين الأبناء أدى إلى زيادة التعاون فيما بينهم فالوالدين إذا كانوا يساوون بين الذكر والأنثى وبين الصغير والكبير هنا تنشأ علاقة محبة وتعاون بين الأخوة.

¹- صابر طعيمة، منهج الإسلام في تربية النشء وحمايته، دار الجيل، بيروت، 1994، ص 311.

²- علي أسعد وطفة، مرجع سابق، ص 48.

³- علياء شكري، وآخرون، دراسات في علم الإجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991، ص 224.

- أعمار الآباء والأمهات فالأطفال من آباء متقدمين في السن يتلقون تربية تختلف عن أطفال لآباء صغار في السن.

- عدد أفراد الأسرة فالتنشئة الإجتماعية في الأسرة التي يكون عدد أفرادها كبيرا تختلف عن التنشئة في الأسر صغيرة العدد¹، أي كلما قل عدد أفراد الأسرة كلما تحكّم الوالدان أكثر في تربية الأبناء.

المطلب الرابع: خصائص الأسرة الجزائرية:

تمتاز الأسرة الجزائرية بخصائص إجتماعية متنوعة، حسب ما كشفت عنه الدراسات المهمة بدراسة العائلة الجزائرية، والتي تتميز بنوعين من الخصائص خصائص إجتماعية تقليدية وخصائص إجتماعية حديثة أو معاصرة.

الخصائص الإجتماعية للأسرة التقليدية:

تتميز الأسرة الجزائرية التقليدية بخصائص إجتماعية متنوعة من أهمها²:

- العائلة الجزائرية هي عائلة الأب فيها أو الجد هو القائد الروحي للجماعة، ينظم فيها أمور تسيير التراث الجماعي، وله مرتبة خاصة تسمح له غالبا بالحفاظ على تماسك الجماعة المنزلية بواسطة نظام محكم.

- العائلة الجزائرية هي عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية تحت سقف واحد " الدار الكبيرة" عند الحضر، (والخيمة الكبيرة) عند البدو، إذ نجد عدد كبير من الأشخاص يعيشون جماعيا¹.

¹ - علي اسعد وطفة، مرجع سابق، ص 48.

² - مصطفى بوتفنشنت، العائلة الجزائرية التكوينية والخصائص الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص37.

- العائلة الجزائرية التقليدية هي جماعة من الأشخاص الذين يعيشون في كنف حام لهم وهناك شكلين من العائلة يمكن تحديدهما، هناك: عائلة مركبة من بيت الأب ومن أبنائه المتزوجين، وعائلة مركبة من الكثير من الأقرباء الذين يعيشون جماعيا، وهذه الخاصية للحياة الجماعية داخل الأسرة التقليدية هي بالدرجة الأولى ميزة البناء الإجتماعي الريفي، إذ تجمع هؤلاء الأفراد جميعا قرابة الدم والإندماج من نسب وجد واحد، وهي ممتدة على العموم نظرا لبعض العوامل الإقتصادية والثقافية، كضرورة تجمع جميع أفراد العائلة للعمل في القطاع الفلاحي الذي يتطلب يد عاملة كثيرة.

والخاصية الجماعية الأساسية بالدرجة الأولى التي تشارك فيها الأسرة الممتدة، هي تدخل أغلب أعضائها في مسألة تربية الأبناء، حيث نجد إلى جانب الوالدين تدخل الجد والجدة ومحاولة الإشفاق على الطفل وحمايته عندما يقسوا عليهم آباءهم، كما نجد تدخل الأقارب كالخال والعم والعمة..إلخ، ومحاولة تربية الطفل والتحكم فيه حسب رغباتهم.

وبصفة عامة، يمكننا القول بأن العائلة التقليدية تمثل إحدى نماذج العائلة العربية الإسلامية، حيث تحتوي على ثلاثة أجيال: الأجداد الآباء والأحفاد الذين يسكنون مع بعض تحت سقف واحد مهما ارتفع عددهم، وذلك بحكم انتمائهم إلى نفس العائلة، وإلى جانب هذه الخصائص الإجتماعية التي ذكرت، فهناك العديد من الخصائص التي لا يمكن حصرها كلها ولكن ما يمكن قوله هو مدى استقرار هذه الخصائص الإجتماعية التقليدية و مدى تغيرها خاصة إذا علمنا أن الظروف الإجتماعية والتاريخية التي مر بها المجتمع والأسرة الجزائرية كان لها دور كبير في بروز خصائص جديدة لنمط الأسرة الجزائرية الحديثة، والتي تحمل حتما أنماط مختلفة أو متقاربة مع الأسرة التقليدية.

¹- حورية محفوظ، رغبة المرأة في إنجاب الذكور، دراسة ميدانية لمكانة الذكر في الوسط العائلي في الجزائر العاصمة رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر2، 1996، ص 33.

الخصائص الإجتماعية للأسرة الجزائرية النووية:

تتميز الأسرة الجزائرية الحديثة كما يرى محمد السويدي بتقلص حجمها من النظام الأسري الممتد إلى النظام الأسري النووي، فبعد أن كانت الأسرة الجزائرية في طابعها العام أسرة ممتدة أصبحت اليوم تتسم بصغر الحجم، فالريف الجزائري الذي كان يمثل طابع الحياة الإجتماعية القائم على الإقتصاد الزراعي وتربية الماشية في مقابل محدودية عدد المراكز الحضرية والسكان، أصبح اليوم يتجه نحو الإنكماش في مقابل النمو السريع للمراكز الحضرية¹.

فالساسة التصنيعية التي انتهجتها الجزائر منذ السبعينات أدت إلى بروز ظاهرة الهجرة الداخلية المكثفة من الأرياف إلى المدن قصد الرفع من مستوى المعيشة، وهذه الظاهرة تنعكس أكثر ولو ظاهريا على نمط العائلة وطبيعة الزواج، وسرعان ما انسجمت هذه الأسر النازحة بأشكال متفاوتة بحسب الفروق الإجتماعية التي غيرت من بعض أو من أغلب خصائصها التقليدية، وأولى هذه الخصائص كما سبق وأن ذكرنا تقلص حجمها من النظام الأسري الممتد إلى النظام الأسري النووي.

ولكن رغم هذه التغيرات التي حدثت على الأسرة الجزائرية، إلا أنها بقيت إلى حد بعيد محافظة و متمسكة بقيمها و ببعض وظائفها التقليدية، بحيث نلاحظ أن هذا الشكل الجديد الذي بدأت تتسم به المراكز الحضرية يتميز بكثرة الإنجاب، إذ يتراوح معدل أفراد الأسرة الزوجية بين خمسة وسبعة أفراد، وبقائها محتفظة في كثير من الأحيان بوظائف الأسرة الممتدة، ومن ثم يمكن القول أنه بعد الإستقلال بدأت تتشكل بوضوح أسر جزائرية تجمع بين

¹- محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 88.

خصائص الأسرة الحضرية ووظائف الأسرة الريفية، وهذا على مستوى الجيل الأول والثاني من النازحين، أما الجيل الثالث ففي الغالب يتجه نحو الأسرة الحديثة الزوجية¹.

ما يجب على الوالدين والمربين مراعاته في تنشئة أبنائهم:

- الوفاء بمسؤوليتهم الشرعية والإهتمام بتنمية بذور الإيمان في نفوس أولادهم حتى يشبوا مؤمنين مخلصين ومستقيمين في سلوكهم، وأحسن قاعدة لتعلم السلوك الأخلاقي للطفل " ليست هي مطالبته بإطاعة التعليمات فحسب، وإنما أن نقول للطفل إفعل كما نفعل وليس إفعل كما نقول"²، فكثير من السلوكيات يتعلمها الطفل عن طريق ملاحظته لسلوك الوالدين، ولا يتعلمها من أقوالهم " فشخصيته تنمو وتتكون بفعل ما يلاحظه ويسمعه ويراه من جانب والديه أكثر بكثير مما يتعلمه منهما مباشرة³.

- الإجابة السليمة الواعية على تساؤلات الأطفال بما يتناسب مع مستوى إدراكهم وفهمهم.

- تنشئتهم تنشئة دينية منذ الطفولة المبكرة على أساس ما ينفعهم في دينهم وديناهم.

- الإعتدال في التربية وعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم به.

- مساعدة الطفل في النمو وعدم التثبيت عند مرحلة من مراحل نموهم.

- مراعاة أن التربية لها أهميتها القصوى التي تعتمد على القدوة الحسنة الصالحة والسلوك الفاضل، فمن شب على شيء شاب عليه⁴.

¹ - محمد السويدي، مرجع سابق، ص 89.

² - زيدان عبد الباقي، الأسرة والطفولة، دار الشباب للطباعة، القاهرة، 1980، ص 232.

³ - هشام شرابي، مرجع سابق، ص 85.

⁴ - محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشروق، جدة، 1990، ص 258.

وبناء على ما تقدم، يتضح أن سيرورة عملية التنشئة الإجتماعية في الأسرة الجزائرية مهيأة لجعل الطفل قادرا على تعلم القيم ونماذج السلوك، واكتسابه الأدوار والإتجاهات المتوقعة من أفراد المجتمع، فضلا عن تكيفه واندماجه في الوسط الإجتماعي كفاعل ومؤثر إجتماعي، ومن ثم تحويله من كائن بيولوجي إلى كائن إجتماعي.

المبحث الثالث: دور التنشئة الإجتماعية في عملية الإندماج الإجتماعي للشباب.

تقر الأدبيات الكلاسيكية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، أن الاندماج هو الأساس مجموعة من التفاعلات بين عناصر مختلفة داخل مجموعة ما، وهو ما يؤدي إلى إحساسها بضرورة التماثل والانسجام فيما بينها بآليات وطرائق مختلفة ومتنوعة، ولذلك فإن الإندماج يحيل على وضعية فرد أو جماعة أو شريحة اجتماعية، هي في تفاعل مع أفراد آخرين أو مجموعات أخرى تتقاسم معها نفس القيم والمعايير داخل المجتمعات التي تنتمي إليها، ومن هذا المنطلق، فإن ما يقابل مفهوم الإندماج هو التماثل والتواصل والانسجام والتفاعل، فهذه المفاهيم قد تمثل تكملة لمفهوم الإندماج في دراسة المسارات الاجتماعية، كما أنها قد تساؤله من خلال التركيز على الظواهر التي قد يغفلها مفهوم الإندماج، أو التي قد لا يتعرض لها بالشكل الكافي، كما أن مفهوم الإندماج يستعمل من طرف الفاعلين الاجتماعيين المختلفين سواء أكانوا سياسيين أو رجال فكر أو اقتصاد أو منشطين أو متدخلين في الحقل التربوي الاجتماعي، أو دارسين وباحثين في مجالات معرفية مختلفة، وتتلخص أفكار كلين فيرنون حول التحليل للظواهر الاجتماعية، من خلال تفسيره للمؤثرات الاجتماعية للفرد ودوره داخل المجتمع، بدرجة تجانس فئات المجتمع التي تنعكس على نفسيته، فالتناقضات المتطرفة الحاصلة داخل المجتمع، تنعكس عليها وتولد انعزالية أو صراع مع الآخرين، ومع بيئة اجتماعية ونمط النظرة التي ينظر بها الأفراد له، إذا لم تكن احترافية وتقديرية تنشئ تقنية غير سوية لديه، أما عن الخبرات التي يتمتع بها خلال سيرته والاحتكاكات التي يعيشها تكون

بنية معرفية تساعده على التفاعل إذا كانت ايجابية والعكس، خاصة المرحلة العمرية التي يمر بها من فترة الطفولة والمراهقة التي تكون أكثر اضطراباً من غيرها، كعملية الرجوع أي النتائج التفاعل التي تؤثر بشكل مباشر على نفسية الفرد، فإذا كانت سلبية فتؤثر عليها سلباً والعكس دون أن ننسى الطموح والقيم السائدة في مجتمعه، فإذا كان هناك تعارض بين طموحاته الفردية وقيم المجتمع فهذا سيخلق حالة إحباط نفسي¹.

المطلب الأول: مفهوم الاندماج الإجتماعي:

يوضح الدكتور عبد الرحمان العيسوي أنه: "عندما ينضم فرداً ما إلى عضوية جماعة معينة، فإنه يتأثر بهذا الانضمام والاختلاط وتفاعله معها، لكنه يؤثر أيضاً في وظائفها، فهو يمثل لمعاييرها، وتواجهه بها يؤثر ويتغير ويغير من طبيعتها ووظائفها، أي عملية التفاعل هي أخذ وعطاء أو تأثير وتأثير متبادل"².

والاندماج هو عملية تخص الفرد مباشرة، وهي ترتبط بدرجة قبوله بين الجماعة التي يريد أن يكون جزءاً منها، وتقتضي عملية الاندماج هذه أولاً التكيف مع معطيات الحياة، أما إذا لم يكن هناك تكيف فعلي فلن يكون هناك اندماج.

والدمج لغة يعني: "الإدخال، دمجت الشيء أي أدخلته فيه"³، أما اصطلاحاً فنقصد به: "الانضمام إلى جماعة أو زمرة ذات أهداف متجانسة إلى حد ما مع بعضها البعض، مع وجود بعض الفروقات فيما يتعلق بأساليب قاداتها، كما قد يعني الدمج في الثقافة بمعنى توحيد ثقافتين، ويتضمن ذلك الاحتفاظ ببعض السمات وتحويل وتعديل السمات الأخرى ويعرف كذلك على أنه اندماج أشخاص وأشياء معاً لتشكيل مجموعة واحدة أو كيان موحد

1- معن خليل العمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، دراسة تحليلية ونقدية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1991، ص 164.

2- عبد الرحمان العيسوي، مرجع سابق، ص 260.

3 - طاهر الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983، ص 406.

فالتكامل الاجتماعي هو تنسيق بين مختلف الطبقات والجماعات المتفاوتة، وغيرها من الأنماط الاجتماعية في وحدة متكاملة مندمجة"¹.

ويشير مفهوم الاندماج إلى: "ذوبان الفرد في مجموعة العمل داخل المؤسسة، ليصبح عنصرا فعالا يتأثر ويؤثر في المؤسسة الإنتاجية، كما يستعمل بعض الباحثين مصطلحات أخرى معادلة للاندماج منها: التلاؤم والتوافق والتكيف والتكامل، غير أن موضوع الإدماج أو الاندماج (Intégration) له أبعاد عديدة ودلالات متباينة، سواء من الناحية المعجمية أو الناحية الصرفية، فالمعنى المعجمي لهاتين اللفظين يعني دمج دموجا في الشيء بمعنى دخل فيه واستحكم"².

وحسب مادلين قرافيتش فإن مصطلح الاندماج غامض ومعقد ويدل على أن جزء أو جماعة تدخل في الكل، ولكن بدرجات متفاوتة وبشكل مختلف حسب الميادين³.

أما فريد بريك تولون فيرى بأن الاندماج هو سيرورة ضم فرد في جماعة أو مجتمع محلي أو مجتمع، والاندماج يفترض أن المندمج يقبل بقواعد جماعته الجديدة وفي نفس الوقت تعترف الجماعة به كعضو فيها وينتمي إليها⁴.

وبالاستناد إلى بارسونز فإن الاندماج هو أحد وظائف النسق الاجتماعي، وهو يضمن التنسيق بين مختلف أجزاءه من أجل أن يشتغل هذا النسق بشكل جيد⁵.

¹ - إدارة العمل الاجتماعي، معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1983، ص 85.

² - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج 61، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008، ص 295.

³ - Grawitz, Madlin : L'exique des sciences sociales, édition Dalloz. Paris, 1991, P 225.

⁴ - Teulon, Freed : 100 mots clés en sciences économique et sociales, édition Ellipse, Paris, 1999, P 34.

⁵ - مصطفى فهمي محمد القطان، علم النفس الاجتماعي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979، ص 4.

أما في الكتابات العربية، فقد وردت كلمة الاندماج، بمعنى التكامل والتوحد، ويقصد بالاندماج في معناه العام كما جاء في معنى مرادف لمعنى الاندماج كلمة - تكامل - والتي يقصد بها تكيف الجماعات والأفراد في إطار المجتمع المنظم لأنشطة مختلفة، وهي راضية عن هذا الأداء وعندما يصبح الفرد متكيفا اجتماعيا ومتبنيا المثل العليا لجماعته، وهذا النوع من الاندماج يظهر في الجماعات الصغيرة أكثر منه في الجماعات الكبيرة¹.

ويرى محمد عاطف غيث أن الاندماج يحدث بين جماعات تتميز بنفس الإطار الثقافي العام ضمن العلاقات بين الأفراد والجماعات².

كما يدل مصطلح الاندماج على ملائمة الفكر والسلوك الاجتماعي للوسط الاجتماعي ومشاركة الأقلية في الأنساق الاجتماعية لأغلبية، كما يعني أيضا هجرة بعض السمات الثقافية واكتساب سمات جديدة من خلال الاتصال والمشاركة، بحيث يصعب تمييز الثقافة الخاصة عن ثقافة المجتمع الكلي.

أما أحمد زكي بدوي فيعرف الاندماج بأنه: "التوازن المتبادل بين مختلف الجماعات والذي قد يسمح بقيام مجتمع منظم، فالاندماج يكون بتكامل أشياء أو أشخاص معا لتشكيل مجموعة واحدة أو كيان موحد"³.

في حين يعرفه محمد علي محمد بأنه: "ذلك التكامل الذي يحدث بواسطة القبول الاجتماعي، ويتمثل في درجة تفاعل الفرد مع زملائه ومع الجماعة التي ينتمي إليها"⁴.

1 - إبراهيم، بيومي مذكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 17.

2 - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة، الإسكندرية، 1989، ص 251.

3 - أحمد بدوي زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، لبنان، 1978، ص 221.

4 - محمد علي محمد، المجتمع المصنع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975، ص 79.

كما أن للاندماج مفاهيم عديدة، فمن وجهة نظر علم النفس الاجتماعي يعني الاندماج النظر إلى الإنسان كوحدة نفسية جسمية لا تتجزأ، ويتم التعبير عنه من خلال مختلف التفاعلات بين مختلف عناصر مجموعة ما، الشيء الذي يؤدي إلى الإحساس بالتماثل مع هذه المجموعة والانتماء إليها، كما يرتبط الاندماج بعناصر عديدة مثل العائلة كمؤسسة التنشئة الاجتماعية وبالشغل كعامل أساسي من عوامل الإندماج، وبالقانون كمجموعة من الحقوق والواجبات التي تربط الفرد بالآخرين وبالمجتمع ككل.

بينما الاندماج الفيزيولوجي فيعبر عنه بالتكامل العضوي، وهو تناسق نشاطات عدة أعضاء لتأدية عمل معين، أما الاندماج السيكولوجي فيعبر عن التفاعلات والميول بين مختلف أعضاء مجموعة معينة، بحيث تبدو هذه المجموعة في تكاملها أو تناسقها كوحدة نفسية جسمية لا تتجزأ، أما الاندماج الاجتماعي والذي سوف نتناوله بنوع من التفصيل فيما بعد فهو الذي يتكامل فيه أعضاء المجموعة الواحدة من حيث الوظائف التي يؤديها لبعضهم البعض، مثلهم في ذلك مثل تكامل أعضاء الجسد السليم في وظائفها¹.

كما أن لمفهوم الإندماج أبعاد واستعمالات متعددة، وهو يمثل أحد المفاهيم الرئيسية في علم النفس الاجتماعي، وانشغالات العديد من علماء الاجتماع أمثال كونت ودوركايم وبارسونز، وعموما يمكن القول أن الإندماج هو عملية إدخال جزء في الكل، أي انصهار مجموعة صغيرة في مجموعة أكبر لتكوين مجموعة موحدة، كما يعبر عن الإندماج في مجموعة بالتفاعل الحاصل بين أعضائها، وينجر عن هذا التفاعل شعور بالانتماء للمجموعة ومبادئها².

¹ - عز الدين دخيل، أعمال الندوة العلمية الدولية للإندماج والاندماج، الرهانات والاستراتيجيات والمرجعيات، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي، جامعة تونس، (بدون تاريخ)، ص 4 - 7.

² - عز الدين دخيل، نفس المرجع، ص 105.

المطلب الثاني: أبعاد الإندماج الإجتماعي:

أولاً- البعد السيكولوجي: هذا النوع من الاندماج يعبر عنه في علم النفس الاجتماعي بالتجاذبات والتفاعلات والميول بين مختلف أعضاء مجموعة معينة، بحيث تبدوا هذه المجموعة في تكاملها أو تناسبها كوحدة نفسية جسمية لا تتجزأ¹.

ثانياً- البعد الاجتماعي: يعيش الناس معا داخل المجتمع، مشتركين وموحدين في رقعة جغرافية ويشعرون بالانتماء لجماعة بشرية، وفق نظام متكون من عمليات اتصال وتواصل قائمة على مبادئ خاصة بهذا المجتمع الذي يتكون من أفراد ومؤسسات متنوعة، تسيّر نشاطات الأفراد وتثيرها وتضبطها بقصد تحقيق أهداف مشتركة، وحدود جغرافية تقوم عليها حياة الأفراد، وتصبح جزءاً من المجتمع نتيجة التفاعل والارتباط المادي والعاطفي بينهم متحدون بعادات وتوحدتهم قوانين خاصة ومصالح مشتركة متفقون عليها جميعاً، وحين نربط معنى المجتمع بمعامل الزمن ومن هذا الوجه يصبح المجتمع هو الجماعة التي تغير دائماً خصائصها الاجتماعية، بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه وراء هذا التغيير وتدخل عمليات مختلفة².

وتصل بين مكونات المجتمع الثلاث: الأفراد، المؤسسات والبقعة الجغرافية قنوات الاتصال والتواصل، تتمثل في نظام للقيم الموجهة لسلوك الأفراد وعلاقات اجتماعية منظمة تستند لمعايير وادوار وتقوم على أساس المصالح والاهتمامات المشتركة، فالمجتمع هو حقيقة سيكولوجية نشعر بها ونلتمس أثارها ونتائجها، وله أهداف (المجال) يحدد الأدوار في الحقوق والواجبات، ويتميز بالاستقرار والاستمرار بفعل قدرة الإنسان على استخدام الرموز وصنع

¹ - ناصر إبراهيم، مرجع سابق، ص7.

² - مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، دار الفكر، ط 03، دمشق، 1986، ص23..

الثقافة من جيل إلى آخر، فهو كيان معقد التركيب من حيث مؤسساته وتخصصاته، وتشابك العلاقات ويزداد التعقيد كلما تطور.

ويشير جورج ثيودور سون في قاموسه إلى أن التربية نظام أنشأه المجتمع، ويتضمن أدوار ومعايير التي من شأنها نقل المعرفة والثقافة من جيل إلى آخر، وزادت من مهامها تكوين أفراد تكويننا يتفق مع الأهداف النامية في المجتمع، عبر الاتجاهات والقيم المرغوبة بينهم وتخليص الثقافة من أي شوائب والتركيز على العناصر الثقافية الايجابية.¹

ثالثا- البعد التربوي: إن تأسيس المنظمات والمؤسسات الاجتماعية تساعد على تنمية الفرد وإعطائه الفرصة للمساهمة الايجابية في ذلك، وأن لا تجبره على الالتزام بأنماط سلوكية جامدة، ولابد للتربية أن تتوفر فيها المقومات ومعطيات العملية الديمقراطية حتى تنجح في تنشئة أفراد ديمقراطيين يعتنقون مبادئها ويكتسبون سلوكياتها، ومن ثم تساهم التربية في تكوين المجتمع الديمقراطي، والعلاقة بين التربية والمجتمع تتضمن معالجتها للأبعاد والمضامين والأهداف الاجتماعية للتربية، وتتشابه في اهتماماتها بدراسة التربية والبناء الاجتماعي وبين التربية والتفاعل الاجتماعي والتغيير والتربية عملية اجتماعية خاصة، وتتعمق فيها الدراسات التربوية الناشئة عن التفاعل العلمي بين التربية وعلم الاجتماع الحديث، وقد مر التطور العلمي في مختلف المجالات وهو فرع أساسي، وعلم الاجتماع التربوي باختصار هو علم دراسة العلاقة بين التربية والمجتمع، ويعد أحد فروع العلوم الاجتماعية التي تختص بدراسة الأهداف والطرق والأساليب والمؤسسات التربوية، والمناهج وعلاقات ذلك كله بالقوى والعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية في المجتمع، أي علاقة التربية بكل ما هو اجتماعي.

¹ - مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 121.

والتربية تتضمن كثيرا من الأنشطة، حيث تركيزها قوي على علاقة الإنسان بمجتمعه وبيئته، والإنسان يتعلم حتى يكتسب إنسانيته من خلال عمليات التعلم والتطبع الاجتماعي حيث أنه لا يستطيع العيش منعزلا، ولابد له أن يتعلم أدواره الاجتماعية ويتعرف على حقوقه وواجباته، وبهذا يمكن أن نعرف التربية المدنية على أنها الجانب التربوي الذي يخلق شعور العضوية في الجماعة، وبهذا يشعر الفرد بالانتماء للجماعة وشعور هذه الأخيرة بجمعها وتركيبها، وكل فرد يشعر بالروابط المشتركة.

فالتربية تحددها الظروف الاجتماعية والزمنية والمكانية، فهي عملية التعايش السلمي والايجابي مع الجماعة، ويمكن اعتبارها وسيلة من وسائل التكيف معها، والتربية عملة نقل أفكار وحقائق ومعاني والنظريات والقوانين العلمية بكشفها والعمل على تطويرها، أي تعني بالسلوك الإنساني تنميته وتطويره نحو الأفضل، وعملية تعليم وتعلم لأنماط متوقعة من السلوك الإنساني، والمحافظة على بقاء المجتمعات واستمراريتها، وبقاء قيمها ومثلها ومعاييرها من جيل إلى جيل، فهي تتعلق بتعلم أفراد المجتمع اتجاه مواقف اجتماعية مختلفة على أساس ما يتوقع منهم المجتمع الذي ينشئون فيه¹.

المطلب الثالث: مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك المنحرف:

أولا/ الأسرة:

تؤثر الأسرة على النمو النفسي السوي أو غير السوي للطفل، فهي البيئة الأساسية الصالحة لتنشئة الطفل، والوسيلة التي بواسطتها ينقل ويحفظ التراث بين الأجيال، كما أنها مصدر الأمان النفسي والدفء العاطفي لكل فرد من المجتمع²، كما أنها تؤثر في نموه العقلي

1- عبد الرحمان العيسوي، مرجع سابق، ص 168.

2- حنان عبد الحميد العناني، مرجع سابق، ص 53.

ونموه الإنفعالي ونموه الإجتماعي، وكذلك فإن عملية التفاعل الإجتماعي الذي يحدث في الأسرة يأخذ طابع الإحتكاك المباشر، عكس المؤسسات الأخرى التي تأخذ طابع اللوائح والأنظمة وللأسرة تأثير بالغ في عملية التنشئة الإجتماعية على أن لكل أسرة سلوكها الذي تطبع طفلها عليه، بما تنقله إليه من قيم واتجاهات، وهي تتفاوت فيما بينها من حيث المعايير الإجتماعية ومن حيث التزام الطفل بهذه المعايير، بحسب تمسك الأسرة بها أو تأكيدها على معايير وقيم معينة أكثر أو دون أخرى¹.

وقد دار جدل كبير حول التغيير الذي طرأ على الأسرة نتيجة للتغيير الإجتماعي عامة من حيث بنائها أو أدائها لوظائفها، حيث يرى البعض أنها فقدت وظيفتها في المجتمع بفعل ظهور مؤسسات أخرى زاحمتها على هذه الوظائف، وزيادة تدخل الدولة في الحياة الأسرية، وأن هذا التغيير من أسباب سوء التنظيم الأسري، فالأسرة المستقرة والتي تشبع حاجات الطفل ومتطلباته وتؤدي وظائفها كما ينبغي تساعد الطفل على تكوين شخصيته على أسس سليمة وعلى العكس من ذلك، فإن الأسرة المضطربة تعد مكانا ملائما لكل الانحرافات السلوكية والإضطرابات النفسية، ويتدخل في عملية التنشئة الإجتماعية الأسرية تأثير عدة عوامل منها ما يلي:

1 - تأثير الوالدين:

لقد أوضحت العديد من الدراسات أهمية سلوك كل من الأم والأب في تشكيل السلوك عند الطفل وتطوره، والطفل عندما يلقي العناية من طرف الأم بالحاجات الفيزيولوجية الأساسية دون أن يلقي العناية نفسها بالجوانب الشخصية، فإنه يتعرض لآثار خطيرة على خصائصه الشخصية ومستقبل حياته ومشاكل في السلوك منها القلق، الخوف، التوتر

¹ - رشاد صالح دمنهوري، مرجع سابق، ص 33.

العاطفي غير العادي¹، ويكون تأثير أفراد الأسرة من خلال الأساليب التي يعتمدونها في تعاملهم مع الطفل وترتيبهم له، وهذه الأساليب يمكن أن تتمثل فيما يلي: المساندة العاطفية، أسلوب الضبط بالإقناع أو العقاب، نمط العداء والقسوة، تذبذب الوالدين، الحماية الزائدة، تسلط الوالدين، التدليل، الإهمال، نبذ الطفل انفعاليا، تفضيل طفل من أحد الجنسين، الإعجاب الزائد، اختلاف طريقة التربية بين الوالدين، محاولة كسب الأطفال في جانب أحد الوالدين الإعتماضية والإتكالية...إلخ، كل هذه الأساليب لها تأثيرات مختلفة على تنشئة الطفل ونمو شخصيته، فإما نمو طبيعي وتحقيق الإستقلالية بالذات والثقة بالنفس والقدرة على تكوين علاقات اجتماعية ناجحة خالية من القلق والعصابات، وإما نقص في الذكاء وانطواء على النفس، وعدم القدرة على التكيف مع المجتمع، والميل إلى السلوك العدواني وتعاطي المخدرات².

2 - تأثير الإخوة:

إن علاقات الطفل داخل أسرته تتسع لتشمل بالإضافة إلى علاقاته مع والديه إخوته وعلاقته بهم ذات أثر كبير أيضا في تشكيل شخصيته ونموه الوجداني، ففي صحبته لإخوانه مجال كبير للتعلم المقصود وغير المقصود، ويتدخل في ذلك عوامل منها الوضع الترتيبي لإخوة حيث يؤثر الكبير في الصغير، كما يتأثر الولد الوحيد بسمات إخوته البنات، وتتأثر البنت الوحيدة بسمات أخواتها الذكور، ومن العوامل الأخرى أيضا علاقة الزوجين ببعضهما، والتي تنعكس على الأبناء، فإذا كانت علاقة طيبة فإنها تنعكس على الأطفال بالدفء والمودة وبالتالي يؤثرون في بعضهم البعض تأثيرا إيجابيا والنعكس صحيح، كذلك الشأن بالنسبة لعلاقات الآباء بالأبناء، فإذا كان الآباء يعاملون أبنائهم معاملة غير عادلة فمن الطبيعي أن نجد في

¹- رشاد صالح دمنهوري، مرجع سابق، ص ص 34-36.

²- حنان عبد الحميد العناني، مرجع سابق، ص ص 59-60.

علاقات الأبناء فيما بينهم قدرا من المنافسة والغيرة، قد يزيد لدرجة أن الطفل يرى في أخيه غريما يهدد مركزه عند والديه، هذا كله يشكل خطرا على نمو الطفل العاطفي والإجتماعي وسيعاني من القلق والخوف باستمرار ويشعر بالغيرة والحسد في علاقاته الإجتماعية مع الرفاق ومع المدرسين ومع زملاء، فالطفل يتعلم من خلال علاقته مع إخوته معايير الجماعة والصواب والخطأ، وذلك عن طريق الإيحاء والقدوة والتقليد، فإذا كان الأخ سيئا فإن ذلك سوف ينعكس على الطفل سلبيا فيتعلم منه معايير غير السوية¹.

وفي دراسة لفكتور سيسرلي وجد أن أثر الإخوة في تنشئة إخوانهم يكون أقوى من أثر الوالدين، فالإخوة الأكبر يعلمون الإخوة الأصغر، والأخ الأقرب عمرا لأخيه يمكنه أن يفهم مشاكله بشكل أفضل، وأن يتواصل معه بشكل أفضل من الوالدين، خاصة في مجالات العلاقات مع الرفاق والمعلمين، والموضوعات المتصلة بمشكلات هوية الطفل، والسلوك الجنسي، والمظهر الخارجي..... إلخ².

3 - تأثير حجم الأسرة:

كلما زاد عدد أفراد الأسرة سواء الإخوة والأخوات أو أفراد آخرين كالجد والجددة، كلما كان حجمها أكبر، وعادة ما تتسم اتجاهات الآباء في الاسرة كبيرة الحجم بالإهمال، وذلك لصعوبة الإهتمام بالأطفال وصعوبة الحث والإقناع، مما يضطر الوالدين إلى فرض قيود صارمة وسيادة جو السيطرة والتسلط، وسوء الأحوال الإقتصادية في الأسرة الكبيرة الحجم يساعد على قيام الصراعات والمشاحنات بين الوالدين وهذا بدوره يؤثر على أسلوب تعاملهم مع أبنائهم، وبالرغم من ذلك، فإن الأسرة كبيرة الحجم تساعد أفرادها على الإحساس بالأمن الإنفعالي، فيجد الطفل من إخوته أو أحد أقاربه في المنزل العون عند الحاجة، كما أن أبناء

¹ - حنان عبد الحميد العناني، مرجع سابق، ص ص 48-54.

² - محمد عودة الريماوي، في علم نفس الطفل، دار الشروق، مصر، 1998، ص 352.

الأسرة الكبيرة يتمتعون بالإستقلالية وبالتوافق الأسري بالرغم من تعرضهم للعديد من الإحباطات، وتأثير حجم الأسرة على ظهور السلوك الإنحرافي يختلف بحسب تأثيره وارتباطه بعوامل أخرى، كضيق المسكن مثلا، والمستوى الإقتصادي والإجتماعي للأسرة¹.

4 - تأثير المستوى الإقتصادي والإجتماعي للأسرة:

تختلف أساليب التنشئة الإجتماعية من أسرة لأخرى باختلاف المستوى الإقتصادي والإجتماعي لكل منها، حيث يسود جو التسلط من طرف الآباء في المستوى الإقتصادي المنخفض، ويميلون إلى ممارسة العقاب البدني بدلا من حث الأطفال وتشجيعهم، وهو ما يعرض الطفل للألم والإحباط، وكذلك لإهمال مركزه الإجتماعي داخل الأسرة، وعدم الإهتمام بالعلاقات الإجتماعية، كما أن انعدام التوجيه والمراقبة ييسر له التمادي في استخدام الأساليب العدوانية للتشرد والجناح.

إن الأسرة ذات المستوى الإقتصادي والإجتماعي المنخفض تميل إلى إهمال الطفل، ولا تحقق له رغباته نتيجة لضعف إمكانياتها، مما يساعد على اتجاهه للتفكير في السرقة والتهرب من أداء واجباته، وبالتالي عدم القدرة على التوافق الدراسي، وهو ما يؤدي إلى بروز الحقد على زملائه وأقرانه بسبب مقارنة وضعيته بوضعيتهم مما يؤدي به إلى الإنحراف، وقد يعمل المستوى الإقتصادي والإجتماعي للأسرة على دفع الوالدين لتخلي طفلهم عن الدراسة من أجل الإلتحاق بالحياة العملية، وذلك من أجل مساعدة الأسرة على تلبية حاجات أفرادها المادية وهو ما يجعل الطفل يتواجد في الغالب في أوساط غير قانونية مخالفة لمعايير المجتمع ومحفزة للإنحراف في انحراف والجريمة، بداية بارتباطه بمجموعات المراهقين المعرضين لظروف أسرية صعبة.

¹ - رشاد صالح دمنهوري، مرجع سابق، ص ص 64-65.

كما يظهر تأثير العامل الإقتصادي والإجتماعي على تنشئة الطفل في اتجاه هذا الأخير نحو والديه، وهو ما أوضحه "ميلتبر" الذي وجد أن إعجاب الأطفال المنتمين للمستوى الإقتصادي والإجتماعي المرتفع بوالديهم كبير، وأن شعورهم بالكراهية نحوهم ضعيف جدا، بينما الأطفال المنتمين للمستوى المتوسط أبدوا مشاعر الرضا نحو والديهم واحترامهم نظرا لتسامحهم ومساعدتهم لهم، وأظهر بعضهم المبالغة في الإعتماد على الوالدين أو الشعور بالعداء نحوهم في حين أن الأطفال المنتمين للمستوى الإقتصادي والإجتماعي المنخفض كان شعورهم يمتاز بالتذبذب والعداء، وهم الأقل شعورا بالأمن والأكثر إحساسا بالكبت والقمع من والديهم وعدم قدرتهم على التمتع بصحبتهم¹.

ثانيا/ المدرسة:

تستمد المدرسة فلسفتها وأهدافها ومادتها وأساليبها من طبيعة المجتمع وثقافته، وهي بذلك تستجيب لمطالب المجتمع وتطلعاته، ولما كانت المجتمعات متغيرة بشكل دائم وفي جميع مظاهر الحياة بها، لابد أن ينعكس هذا التغيير على أنماط سلوك أفرادها وعلاقاتهم وقيمهم ومعاييرهم الإجتماعية، ومن هنا تأتي مسؤولية التربية في إعداد الجيل الصاعد للقيام بأدواره الإجتماعية المتوقعة منه، وبذلك تشكل شخصيته تلاءم متطلبات دوره في مجتمعه في فترة زمنية معينة، ومن هنا فإن الدور الرسمي للعملية التربوية يتطلب منها إعداد الأفراد لمواجهة الظروف والتغيرات التي تحدث في المجتمع والتكيف معها، فالمدرسة في قيامها بإعداد الأفراد لممارسة أدوارهم المستقبلية تكون صورة مصغرة للمجتمع الكبير، فهي البيئة الإجتماعية التي تساعد التلميذ على تحقيق النمو الشامل المتكامل واكتشاف ميوله وقدراته، والعمل على تنميتها وتوجيهها للتخصص الذي يناسب قدراته وحاجات مجتمعه، فكل ما يكتسبه التلميذ من معلومات وخبرات ومهارات يساعد ليس فقط على ممارسة دوره في المجتمع ولكن أيضا

¹ - رشاد صالح دمنهوري، مرجع سابق، ص ص 66-67.

على فهم طبيعة النظام الإجتماعي السائد، وفهم مؤسسات مجتمعه والأسس التي تركز عليها فيعرف أبعاد دوره الإجتماعي على ضوء النظام الإجتماعي السائد في مجتمعه، ويتعرف على أبعاد التغيرات في مجتمعه، بحيث يستطيع مواجهتها والتكيف معها والإستفادة منها، وكذلك التكيف والتعامل بنجاح مع الجماعات المتعددة بمجتمعه، ويشمل نمو الطفل على مجموعة واسعة من عمليات الاتصال الاجتماعي، وتعلم دوره الذي يجب أن يقوم به اتجاه العديد من الجماعات، وهذا من أهم الجوانب لانتماء شخصية الفرد، والمدرسة توسع من علاقاته الاجتماعية، فهو ينظم إلى جماعات جديدة ومختلفة والعلاقات العابرة، ومع الوقت تتطور وتتعد تفاعلاته الاجتماعية باتساع محيطات تفاعله التي تغير السلوك وتعمل على تنمية شخصيته¹.

مما تقدم، نرى أن المدرسة ذات مسؤوليات محددة وهامة، فدورها كمؤسسة رسمية يتطلب إعداد الدليل الجديد للإسهام في المجتمع والتكيف معه، والعمل على استقراره وتقدمه، وهو ما يتطلب منها كمؤسسة اجتماعية تربوية رسمية أن تستجيب للتغيرات الاجتماعية، وأن تهنيء الأفراد وتساعدهم على تقبل كل ما هو ذو قيمة عملية، وأن تعدهم ليكونوا هم أنفسهم أداة تغيير وتجديد فعالة في المجتمع، ويساعد المدرسة في قيامها بهذا الدور فهم المعلمين لأهداف التربية ودورهم التربوي، إذ أن المعلم هو ممثل المجتمع الخارجي بالنسبة للتلميذ، ويؤثر بقيمه من خلال التفاعل مع التلاميذ².

إن التحاق الطفل بالمدرسة من التغيرات النوعية في حياته، حيث يتزامن ذلك عادة مع انتقال الطفل حسب وجهة نظر "بياجي"، إلى انساق جديدة من التفكير، فهو يسر شيئاً فشيئاً إلى التفكير العلمي، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الطفل في هذه المرحلة سيتطور نموه

¹ - سلامة خميسي، مرجع سابق، ص136.

² - سميرة احمد السيد، علم إجتماع التربية، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، 1988، ص ص 59-62.

الأخلاقي الذي هو على علاقة وثيقة بتطوره المعرفي، وتطوره الإجتماعي وتنوع المؤسسات التي لها دور تنشئته الإجتماعية، من هنا يظهر دور المؤسسات التربوية التي تزيد أهميتها بالنسبة للفرد مقابل تواجد دور الأسرة دون التقليل من أهميتها، ومن ناحية أخرى، فإن التحاق الطفل بالمدرسة يعني غيابه عن البيت لساعات أطول، وقدرته على رعاية نفسه أثناء هذا الغياب، وتمتعه بالسعادة وهو يؤدي هذه المهمة، والتعاسة إذا ما تدخل الوالدين للقيام بهذه المهمة بالنيابة عنه، وهنا يتغير دور الوالدين، فعلاقتهم بأطفالهما تتحول نحو التنظيم المشترك، أي التنظيم الذي يتشارك في وضعه الآباء والأطفال بعد أن كان تنظيما يقوم به الوالدين وحدهما.

ويتعرض إذا الطفل في هذه المرحلة إلى نموذج تربوي جديد هو المعلم، وما له من خصائص يفرضها المكان والوظيفة من السلطة، الثواب والعقاب، التعليم، الجدية ... إلخ الذي سيكون منافسا قويا لنموذج الوالدين، وسيكون في الأغلب أكثر تأثيراً¹.

ومن هنا، تظهر أهمية التنسيق بين هاتين المؤسستين من أجل تنشئة سليمة للطفل وعدم تعرضه إلى مواقف من التناقض والتضارب بين قيم كل من المؤسستين، هذا التضارب الذي يمكن ان يكون سببا في نفور الطفل من المدرسة، ورفضه للقيم المعروضة عبر هاتين المؤسستين، ومن ثمة اندماجه في جماعات المنحرفين كنتيجة لفشل كل من الأسرة والمدرسة في إدماجه بشكل سوي في المجتمع، ولا تقتصر العملية التربوية على المدرسة الابتدائية فقط بل تمتد إلى مراحل متقدمة من حياة الطفل، ويصبح للمؤسسة التربوية والتعليمية دورا أكثر أهمية بالنسبة له مع نموه وتطور تفكيره واتساع مجال علاقاته الإجتماعية، وتزامن كل ذلك

¹ - عودة الريماوي، مرجع سابق، ص ص 345،349.

مع مرحلة هامة وحاسمة في حياته وهي مرحلة المراهقة، والتي يبدي فيها ميولا أكبر للإعتماد على النفس وتحقيق الإستقلالية عن الأسرة وارتباط أكثر بجماعة الرفاق والأقران.

ويمثل الإخفاق المدرسي أحد العوامل الهامة التي تمثل بوابة واسعة قد تؤدي إلى الإنحراف، وهو مرتبط بعدة عوامل منها ما يلي: الإحتكاك في مرحلة التحاق الطفل بالمدرسة بجماعة رفاق لا علاقة لهم بالدراسة فيعمد هو الآخر إلى ترك الدراسة، فاتحا بذلك بابا شاغرا لا يبقى له بعد ذلك إلا تخطي خطوته للدخول في عالم الإنحراف والمخدرات، سوء التوجيه المدرسي، عدم فهم الدروس لتأخره في التحصيل، ظهور مشاكل مع أحد الأساتذة فقد الثقة والقدرة على المواصلة بسبب النتائج الدراسية السيئة، غياب التشجيع من طرف الوالدين وأفراد الأسرة عامة، وتخلي الوالدين عن أداء دورهما التربوي الممتد إلى المدرسة الإخفاق العاطفي، حيث يمر الطفل في هذه المرحلة بتقلبات عاطفية مختلفة، فالميل إلى الجنس الآخر أمر وارد وطبيعي، والفشل في تكوين علاقات عاطفية سوية وبناءة قد يفقد الفرد توازنه ودافعه نحو النجاح، فيتحول اهتمامه عن الدراسة، إن إدراك الطفل بالنظرة السلبية التي يلقيها المجتمع إلى الفاشل دراسيا يؤدي به إلى الهروب من الواقع عن طريق تعاطي المخدرات، التي تساعد على وضع مشاريع وهمية لحياة مستقبلية تعويضا عن الحياة الدراسية.

وبناء على ما سبق طرحه، فمسار الطفل ومصيره في الدراسة مرتبط إذن بتأثير الوالدين ومدى أدائهما لدورهما التربوي ومدى فهمهما أيضا لهذا الدور، فإما أن يلقي الطفل من والديه التسهيل في فهم المواد التعليمية والتشجيع لبذل جهد أكبر، وإما أن يلقي الازم والتوبيخ لعدم قدرته على فهم أمور يراها الوالدان بسيطة وكل الأطفال يفهمونها، فيشرعون في تلقينها له في جو يسوده التقليل من شأنه، فيتكون لديه الشعور بالنقص والنفور من فكرة اللجوء للوالدين في حالة مواجهة الصعوبات، وقد يهتمونه بالتفاهة وعدم حب الدراسة وقلة

الجهد المبذول، عندها يبدأ في النفور من الدراسة والمدرسة بسبب صعوبات لا يمكنه تجاوزها بمفرده ولا يمكنه الإستعانة عليها بغيره¹.

ثالثا/ تأثير جماعة الرفاق:

تعرف جماعة الرفاق على أنها جماعة تتألف من زمرة من الأولاد، تمثل لهم الجماعة مصدر قوة وقدرة تشبع في نفس الوقت حاجاتهم للطمأنينة وتوطيد الذات، فيشعرون بأنهم مترابطون وأنهم عناصر واحدة، وأنهم يتوغلون بجرأة في إجتماعية تزيدها خطورة حاجتهم إلى التنافس².

وتعتبر جماعة الرفاق من الجماعات الإجتماعية المرجعية التي تلعب دورا مؤثرا في عملية التنشئة الإجتماعية خارج نطاق الأسرة وفي المدرسة وخارجها، وكلما تقدم الطفل في العمر قل تأثير أسرته في عملية تنشئته مع زيادة تأثير جماعة الأصدقاء والرفاق بسبب ميله لإقامة علاقات وصداقات مع الأفراد من نفس فئته العمرية، لأنهم يمثلون طموحه وحيويته وهواياته ومصالحه... هذا الإنتماء إلى فئته العمرية يعطيه الإنطلاق نحو أهداف شخصية تغذي روحه وقدراته الإجتماعية، والتفاعل والتعاون والإستقلال الشخصي عن المؤثرات الأخرى، ويبدو تأثير هذا الإنتماء على الطفل في التحكم في اختيار ألوان ملابسه وتسريحة شعره وميله نحو لون غنائي معين أو هواية ما أو رياضة محببة، وقد يكون تقليد أصدقائه ورفقائه محاولة منه لتقوية روابطه معهم والمحافظة عليها وعلى مكانته داخل المجموعة كفرد من أفرادها. فهي تحقق له الإنتماء والإستقلالية في نفس الوقت كفرد متفرد بشخصيته مسئول عن نفسه عكس ما قد يشعر به في إطار أسرته أو في إطار المدرسة من اعتمادية أو تبعية للأشخاص

¹- قدوش سعاد، مرجع سابق، ص ص 74-75.

²- مصباح عامر، التنشئة الإجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ مدرسة الثانوية، دار الأمة الجزائرية، الجزائر، 2002 ص160.

الآخرين، ومن فرض للسيطرة من طرف هؤلاء الأشخاص وعدم إعطائه فرصة للمشاركة والتعبير عن آراءه وطموحاته، وهو ما يدفعه للتمسك أكثر بجماعة الرفاق والأصدقاء، هذا من جانب ومن جانب آخر، تقوم جماعة الرفاق بتنشئة الفرد تنشئة إستباقية متوقعة بتقديمها أدوارا يتوقع ممارستها مستقبلا ونماذج يمكن التماثل لها، وفي حالات أخرى تقوم الجماعة بإقناع أفرادها بأن آرائها تمثل طموحات المجتمع وآماله، مثل القيام بالأعمال التطوعية والخيرية أو العمل بالمؤسسات الإنسانية دون أجر أو مقابل مادي.

يجد الفرد في الجماعة العمرية جماعة رفاقه وأصدقائه، أحكاما وتصورات ومعايير وقيم تعبر عن أهداف وبواعث، فهي عبارة عن مرآة اجتماعية أخرى بالإضافة إلى الأسرة والمدرسة تعكس أحكام ومعايير تختلف إلى حد ما عن أحكام ومعايير أسرته، يحاول الفرد فيها لأول مرة أن يستقل بعيدا عن أوامر والديه، لكي يكون مسؤولا عن نفسه ويكون سلوكه وميوله مقتنياته، ذوقه وقدراته الإبداعية قد نمت حسب الأضواء المنعكسة عليه في المرآة الإجتماعية المتمثلة في أحكام وتصورات أصدقائه وأقرانه، وهنا تضاف معايير وملامح شخصية انتقاها إلى جانب معايير والديه التي أرسوها في مرحلة طفولته الأولى¹.

وتتزايد أهمية العلاقات الإجتماعية للطفل بتقدمه من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة، وذلك بسبب تشعب تلك العلاقات من جهة وازدياد تأثيرها في مجمل حياته وسلوكه من جهة ثانية، فالمراهقة باعتبارها جسر الإنتقال من الطفولة إلى الشباب ومرحلة التحولات الحاسمة، تكسب علاقات الناشئ بأقرانه وعلاقاته الإجتماعية بصفة عامة طابعا خاصا وتجعلها أكثر شمولاً وعمقا، ويتطلب أداء المراهق لدوره الجديد كرفيف مكافئ لأشخاص يختلفون عنه في العمر تغييرا جذريا في الدور السابق الذي اعتاد عليه في طفولته، ويرجع جانب كبير من عجز المراهقين عن تحقيق التغيير في الدور، إلى التعارض بين انشغال المراهق في

¹- معن، خليل عمر، مرجع سابق، ص 136.

إجراء التغيير المذكور وبين استمرار الأهل في معاملته كطفل، وفي الحفاظ بصورة ما على إتكاليته السابقة، ويجد المراهق نفسه في موقف صعب بين الرجوع إلى أهله طلباً للدعم العاطفي الذي اعتاد التمتع به كطفل وبين الإنطلاق إلى تحقيق الإستقلالية¹. ويترجح هنا مشكل الإتصال بين الأهل وإبنهم المراهق وعلاقته بهما، إذ تشغل مسألة إقامة علاقات سليمة بين الأهل والراشدين مكاناً بارزاً بين المسائل أو الحاجات الأساسية لتطور ونمو المراهق، إذ ليس من السهل على المراهق الذي اعتاد أن يكون إتكالياً واستغرق مع أهله في علاقات أعطته دوراً ثانوياً، أن يتحول إلى ذات مستقلة قادرة على تحريك الأشياء بإرادته، إذ يعني فطام المراهق عن والديه بلوغه مكانة يقف فيها على قدميه، ويختار ولاءه وقيمه بنفسه وينساق مع أفكاره الفردية، ويبني نظرتة الخاصة عن الحياة، وإذا ما مشت الأمور على مسارها الطبيعي وتمكن المراهق من إثبات وجوده في عالم الراشدين، فإنه سيكون قادراً على ممارسة اختياراته الخاصة، وستنفتح أمامه فرص كبيرة لتحقيق ذاته ومجاهدة سلسلة لا متناهية تنتظره على درب حياته²، أما إذا تعرضت هذه المرحلة إلى عوامل إعاقه، مثل صعوبة الإتصال بين المراهق وأهله أو غياب تأثير الأهل تماماً وتوجيههم لطفلهم، أو بالعكس تدخلهما المستمر ومحاولة إبقاء سيطرتهم على طفلهم، فإن ذلك سيدفع بالمراهق إلى أنماط من السلوك الإنسحابي، بل والتصرف أحياناً بدافع الإنتقام من الأهل، حتى في حال وعيه بخطورة سلوكاته، كتعاطي المخدرات مثلاً أو الإنقطاع عن المدرسة، وبالتالي الإنغماس أكثر في جماعة الرفاق التي يزيد تأثيرها عليه، فقد يثور المراهقون الذين لم يفتنوا بعد، ويتمردون على والديهم ويفعلون نقيض ما يعتقدون أن والديهم يرغبون منهم أن يفعلوه، بهدف التعبير عن رفضهم لتسلط والديهم وغضبهم منهم.

¹ - ميخائيل إبراهيم اسعد، مشكلات الطفولة والمراهقة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص 359.

² - ميخائيل إبراهيم اسعد، نفس المرجع، ص 381.

يلقى تقبل الوالدين للطفل المراهق أو رفضهم له أثرا كبيرا على شخصيته، وقد يكون تقبله خيرا غذاء لنمو ذاته، في حين أن الرفض يعرقل عملية النمو وقد يقضي على تطلعات المراهق وطموحاته الشخصية، ويجهل الكثير من الأهل كيف يحققون هذا التقبل، فقد ينتهون إلى الوقاية المفرطة أو التدليل المفرط، الذين يعبران في جوهرهما عن تسلط أعمى فالتدليل المفرط يعطي المراهق الحق في أن يكون دوما على صواب، ويعيق تصحيح أخطاءه ويؤدي بالتالي إلى خضوع الوالدين لنزواته والتعاطف معه، هذا التعاطف المزيف الذي يجده الأهل كذريعة للتسلط على طفلهم المراهق والتحكم بمصيره، هو أحسن بالنسبة للمراهق من التسلط عليه تجبرا ورفضه صراحة، حيث يمكنه الثور عليهما مباشرة، وليس الفطام معناه الخروج النهائي عن الوالدين، وهو لا يتوقف على الظروف المادية فقط، بمعنى أن من هو من حيث الظروف المادية تحت سلطان الأهل لم يخرج بعد، وأن من مكنته الظروف المادية من الإستقلال المادي عن الأهل قد حقق أعلى درجات الخروج أو الفطام، إذ يتمثل الخروج الحق بالإستقلالية والقدرة على اتخاذ القرارات وتحمل المسؤولية وليس بالثورة على الوالدين أو بالسلوك الذي يتعارض مع المعايير والقيم الإجتماعية¹، وغياب التواصل والصحة الراشدة قد تعرض المراهق إلى تجارب سيئة، فالفضول الجنسي قد يبعث المراهق إلى التعرض لأطفال صغار أو الإشباع ضمن جماعة الرفاق، وهو ما قد يطبع المراهق ويدفعه للإنغماس أكثر في مثل هذه الممارسات الجنسية، وبالتالي البحث الدائم عن وسائل أخرى للإشباع، كاللجوء إلى المخدرات والدوافع التي تقود المراهق لتعاطي المخدرات وما أكثرتها، لا تحمل نفس الأهمية ولا تؤدي إلى نفس الحتمية، فالمراهق إما أن يتوقف عن التعاطي وإما أن يستمر في التعاطي المتباعد وإما أن يصير مدمنا، فالفضول والبحث عن الإثارة كلها دوافع للتعاطي ولكنها لا تدفع دائما للإدمان، ولكن التعاطي بدافع العلاج الذاتي للصعوبات النفسية والإجتماعية يزيد من

¹ - ميخائيل إبراهيم اسعد، مرجع سابق، ص386.

احتمال الإدمان، ويعكس إخفاق التربية في تكوين فرد متزن وواعي وقادر على مواجهة المشكلات والصعوبات وتجاوز الإحباط.

من النقائص التربوية إذن، التدليل الزائد للطفل وإتاحة حياة الترف اللامحمود، مما يجعله ينتهج سلوكا نزويا فيتعاطى المخدرات في جماعة الرفاق مع الجهل بالعواقب أو تقديم الإمتيازات فقط والتفكير فيها دون المخاطر، وهو أمر يعكس عدم القدرة على ملء الفراغ بما يفيد، فيتعزز لديه سلوك التعاطي، ومقابل ذلك، فإن الطابع المتمتذ الذي قد ينتهجه الوالدان المشبع بالأوامر والفروض والإنفرد بتقرير المصير، ونقص فرص التنفيس مقابل كمية الجهد الجاد، قد يشكل عامل ضغط شنيع يخلق صراعات اجتماعية لدى المراهق الذي يلتمس العلاج من المخدرات، فتؤدي التربية الصحيحة إلى مراهقة سوية، بينما تنتج المراهقة المتأزمة عن أخطاء نتيجة الإهمال أو إساءة التصرف، مما يقود المراهق إلى إحدى الحالات الثلاث: السلوك الإنسحابي أو العنف والتمرد أو الإنحراف، وهو في كل هذه الحالات عرضة لتعاطي المخدرات.

المطلب الرابع: الشباب والتغير الإجتماعي- الثقافي في المجتمع الجزائري:

لقد شهد البناء الإجتماعي في الجزائر في النصف الثاني من القرن الماضي تغيرات على جميع المستويات، كما أن مسارات التغير لا تزال سائدة حاليا وسوف تتواصل وإن كان بوتيرة أقل من السابق، على اعتبار أن نقطة التحول الأساسي كانت في الفترة الإستعمارية وبالضبط مرحلة حرب التحرير من 1954-1962، وقد نجم عن هذه التغيرات في البناء الإجتماعي تغيير شامل في كافة الفئات الإجتماعية، سواء من حيث أشكال وجودها وسيرها الخاص، أو من

حيث العلاقات التي تربطهم بغيرها من الفئات، كما شملت كافة القيم والمقاييس والممارسات الفردية والجماعية¹.

وعلى الرغم من أن التغيرات في المجتمع الجزائري بدأت تبرز منذ دخول الإستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830، الذي عمل على مصادرة الأراضي وتجهيل الشعب وغلق كل فرص التطور والتقدم أمامه، فإن الحديث عن المسار التنموي في المجتمع الجزائري يتحدد بمعلمين يعتبران شاملين للتغير، بنيت على أساسهما الملامح الأساسية للمجتمع الجزائري وهما: حرب التحرير الوطني 1954-1962، والمسار التنموي بعد الإستقلال 1962-2017، وهما مترابطان يؤثر الأول في الثاني، وقد أسفرت الحقبة الإستعمارية على ترك الفرد الجزائري يتميز بثلاث خصائص²:

- إنسان مستغل إما كمجرد عامل وهو الغالب وإما مالك تابع.
- إنسان جائع بسبب سياسة التفقير المطبقة عليه، والتراكم الأول للرأسمالية الإستعمارية.
- إنسان جاهل على صعيد التعليم والتكوين المدرسي.

من هنا، كان على الحكومة السياسية التأقلم مع هذه الظروف ومحاولة إيجاد أسرع الحلول للقضاء على الفقر والجوع والجهل، فعمدت إلى وضع خطط واستراتيجيات تنموية لها أهداف محددة تنفذ خلال فترات زمنية معينة، تهدف إلى تطوير الإقتصاد والإكتفاء الذاتي في مجال المساهمة في الصناعة، بغرض أن تؤدي هذه الأهداف إلى هدف أبعد وهو توفير حياة أفضل للمواطن، وللحاق بركب المجتمعات المتقدمة، وهذا ما يفسر العلاقة الإرتباطية بين

¹- ناجي سفير، محاولات في التحليل الإجتماعي، ترجمة عمر بن ناصر، التنمية والثقافة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 12.

²- بهلول محمد بلقاسم، سياسة تخطيط التنمية وإعادة تنظيم مسارها في الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999، ص 74.

التنمية والتغير الإجتماعي الحاصل في المجتمع، إذ تعتبر التنمية الأسلوب المحقق والموجة للتغير الإجتماعي.

وعند معالجة المسار التنموي في الجزائر، نجده قد مر ولا يزال يمر بمرحلتين يمكن القول بأنهما متناقضتان: المرحلة الأولى والممتدة من 62-88، والمرحلة الثانية من 88 إلى حد الآن ولكل مرحلة خصائصها وملامحها الخاصة.

إذا تطرقنا للمرحلة الأولى نجد أنها قد مرت بالعديد من المراحل الجزئية والخطط، وقبل التطرق للأسس التي قامت عليها والأهداف التي جاءت من أجلها والمشاكل والتغيرات التي نجمت عنها، نحاول عرض باختصار ظروف بروزها.

لقد عرفت المجتمعات البشرية قضية الإستقرار والتغير منذ أقدم العصور، كما أثبت التاريخ أن الإنسان كان ولا يزال حريصا على الإحتفاظ بالأوضاع القائمة كما هي¹، وعليه كان لابد من وضع معايير وقوانين تضبط السلوك الإنساني حتى لا يحدث انحراف عن الوضع القائم، فأصبح التغير سمة تعبر عن الإنحراف، والثبات هو الوسيلة الوحيدة لإستمرار النسق الإجتماعي وبقائه، وقد انعكس هذا التقديس للأوضاع القائمة على وسائل الضبط الإجتماعي في المجتمع، وأصبح الدين والعادات والتقاليد وغيرها من الضوابط التقليدية قيمة كبرى باعتبارها ضوابط للسلوك، كل ذلك تحقيق للثبات والاستقرار حفاظا على الأوضاع التقليدية القائمة².

وعليه، فإن أي نسق إجتماعي سواء بطيئا أو سريعا محل دراسة وتحليل من قبل علماء الإجتماع، لأنها ظاهرة لصيقة بالمجتمع البشري ويقصد به الإنتقال من حالة إلى حالة أخرى

¹- يونس فاروق زكي، الخدمة الاجتماعية والتغير الإجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، 1970، ص232.

²- الزعبي محمد أحمد، التغير الإجتماعي بين علم الإجتماع البرجوازي وعلم الإجتماع الإشتراكي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 02، 1979، ص 35.

والمجتمع الجزائري كأبي مجتمع بشري عرف العديد من التغيرات الإجتماعية عبر مختلف الحقب التاريخية، لعل أبرزها اندلاع الثورة التحريرية وحصوله على الإستقلال الذي كان بمثابة تغيير جذري في الأوضاع الإجتماعية الثقافية الإقتصادية والسياسة في الجزائر، ومن أبرز آثارها إنشاء قاعدة صناعية وفتح العديد من المدارس والجامعات للقضاء على البطالة والجهل والامية، ومن نتائجه كذلك انقسام العائلة الكبيرة التي كانت تضم مجموعة من الأفراد لتصبح أسرة نووية، كل هذه النتائج المتعلقة بالتغير الإجتماعي في الجزائر، قد فرضت ضرورة إعادة توزيع الأدوار والمراكز الإجتماعية بما يتفق مع الوضع الجديد، وتماشيا مع الأدوار والمراكز الإجتماعية التي تحدد مكانة كل فرد داخل البناء الإجتماعي، ونحاول في عناصر لاحقة معرفة التغير الذي طرأ على مكانة الشباب الجزائري والأدوار التي أسندت إليه.

الإستراتيجية التنموية في الجزائر:

تمتد الجذور الأولى للسياسة التنموية في الجزائر لمرحلة الكفاح المسلح إذ برزت بعض الوثائق الإيديولوجية التي وضعت أثناء الحرب مثل ميثاق طرابلس الذي وافق عليه المجلس الوطني للثورة الجزائرية قبيل الإستقلال سنة 1962، لكن هذه الأفكار لم تتبلور إلا من خلال المؤتمر الأول للحزب المنعقدة سنة 1964، والتي صيغت في وثيقة تاريخية عرفت بميثاق الجزائر¹.

وما يمكن قوله على هذه المرحلة التي أعقبت الإستقلال مباشرة، أن للجو السياسي السائد في هذه الفترة آثاره السلبية على السياسة التنموية في الجزائر، إذ إمتازت بعدم الإستقرار السياسي وضعف الدولة التي أنهكتها النزاعات من أجل السلطة، رغم هذا فقد

¹ - عنصر العياشي، نحو علم إجتماع نقدي، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 104.

برزت إلى الوجود في هذه المرحلة ثلاثة مشاريع إجتماعية سياسية تعبر عن مصالح القوى الرئيسية في المجتمع.

إذا كانت الآليات الإستراتيجية التنموية في الجزائر في المرحلة الأولى ترتبط ارتباطا وثيقا بحرب التحرير الوطنية، وبالتحديد بالفترة الإستعمارية، فإنها في المرحلة الثانية من 1988 إلى الآن ترتبط بمجموعة من المؤثرات، لعل أبرزها تحولات نهاية القرن الماضي على الصعيد العالمي وكذا أحداث 05 أكتوبر 1988، فقد كان للتغيرات العالمية السريعة الآثار البارزة للبناء الإجتماعي للمجتمع الجزائري، بدءا باضمحلال وتلاشي الحرب الباردة وبروز القطب الواحد، والتحول في بنية النظام العالمي وآلياته، وتطوير شبكات الإتصال والمعلوماتية وتشريع قوانين دولية لضبط الحركة الإقتصادية العالمية، وظهور أفكار وثقافة غربية يريدونها الغرب أن تكون موحدة لشعوب العالم في إطار ما يعرف بالعمولة، هذه التغيرات الدولية جعلت الجزائر كبلد نامي من أكثر البلدان إختراقا للرأسمالية ونظمها وقوانينها ومؤسساتها والمتمثلة في:¹

- الإتجاه نحو الخصخصة وإعادة الهيكلة وتسريح العمال.
- حرية الأسواق ونشر ثقافة السوق وتعدد أنماط التبعية.
- التوسع في القطاع الخاص وتحريره من الكثير من القيود الإقتصادية وتشجيع رأسمالية محلية مشبوهة وطفيلية.
- حرية التجارة وحركة رؤوس الأموال الخارجية.
- تراجع على صعيد العدالة الإجتماعية، حيث ارتبط الإنتقال إلى نمط غالب من النمو الرأسمالي ببعض التجسيدات لسوء التوزيع في الثروات والمداخيل.

¹- بلقاسم سلاطونية وآخرون، المجتمع العربي- التحديات الراهنة وأفاق المستقبل-، سلسلة علم فاجتماع، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999-2000، ص 180.

فالتغيرات الحاصلة في البناء الإقتصادي للمجتمع الجزائري بالإضافة لأحداث 05 أكتوبر 1988، وما حدث فيها من تقتيل وتخريب قد انجر عنها العديد من التغيرات على الجميع، الأبنية الإجتماعية الإقتصادية السياسية والثقافية، مما أوصل الجزائر إلى ما يعرف بأزمة المجتمع الجزائري، ولعل أهم ما يميز هذه الأزمة على المستوى الثقافي هو الإختلال الحادث في سلم القيم والمعالم والمعايير التي تحكم وجود المجتمع، العجز عن تحقيق الإنتقال من وضعية تقليدية متميزة بسيطرة بنى إجتماعية قائمة على روابط الدم والعرق والإنتماء إلى مجموعات تضامنية محدودة في الزمان والمكان، تحدد هويتها عوامل مثل الدين واللغة في عزلة عن التحديات والضغوط التي يفرضها وسط ثقافي متنوع ومتجدد في بنائه، ومعايير هو دلالاته القيمية والمعيارية وعقيدية مرتبطة بدور الأفراد والمجموعات ومكانتهم في البناء الإقتصادي¹، وعند الحديث عن الأزمة الجزائرية في بعدها الثقافي لا نغفل إحدى القضايا الهامة التي تنعش الجانب الثقافي للأزمة، وهو ما يتعلق بمسألة الهوية، والتي تطرح اليوم وبحدة في صورة نقاش حاد بين تصورين يرى كل منهما أن تصوره يحدد هوية الجزائري الثقافية.

التصور الأول الذي يتبناه دعاة الأصالة والحفاظ على الثوابت، والتصور الثاني يدعو إليه أنصار التحديث والتفتح على العالمية، كما نتج عن هذا النقاش طرح المسألة اللغوية (مكانة كل من العربية الأمازيغية الفرنسية) في الحياة العامة في المدرسة وعالم الشغل والإعلام، وقد جعل هذا الطرح الثقافي الأشكال الأخرى للصراع الإجتماعي الإقتصادي تفقد أولويتها المعهودة في السابق، فالطرح الإقتصادي الذي كان مسيطرا ضمن الخطاب الرسمي

¹ - سليمان الرياشي وآخرون، الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص 184.

ولدى الفئات المثقفة ترك مكانة لسيطرة أخرى ربما، وهي الرؤية الثقافية للصراع الإجتماعي في الجزائر¹.

أما عن البعد الإجتماعي للأزمة الجزائرية، فيكفي القول أن حوالي 12 مليون جزائري بحاجة ماسة إلى مساعدة إجتماعية بعد رفع الدعم عن المواد الأساسية نتيجة لتضخم المديونية، بالإضافة إلى حل المؤسسات وما انجر عنه من تسريح للعمال، فالوضع الإجتماعي في الجزائر يكون قد بلغ الخط الأحمر، وهذا ما أثار الأعمال الإرهابية التي عملت على هجرة الريفيين والقاطنين في المناطق الجبلية إلى المدينة هروبا من التقتيل والتخريب وبحثا عن الأمن والإستقرار.

الشباب والتغير الثقافي في الجزائر:

للثقافة تأثير واضح على سلوك الشباب، فخصوصيات الثقافة تربط الأفراد داخل المجتمع بعضهم مع بعض بعد أن يدمجوها في أنفسهم، ومن ثم تشكل عموميات من حيث أوجه الإلتقاء والتشابه بين أفراد المجتمع، وكذا من حيث تماسك الجماعة ووحدة أهدافها كما تعمل هذه العموميات الثقافية على إكساب أفراد المجتمع الشعور بالإنتماء والتضامن والتعاون وتجنبيهم الصراع والتمزق²، فالثقافة تزود الأفراد عامة والشباب على وجه الخصوص، بالقدرة على مجابهة صعوبات الحياة ومشكلاته الخاصة، من خلال إمداده بخبرات الأجيال السابقة، وما تتضمنه من أنماط سلوكية وممارسات يومية لا تتعارض مع متطلباته وحاجاته التي يسعى دائما لإشباعها، وإن حدث تعارض بين الثقافتين (تعارض بين القيم والعادات والتقاليد السائدة) يحدث صراع بين الجيلين، ويتجه الشاب لتقبل والتكيف مع ما يشبع حاجاته من عادات وتقاليد وقيم، والتي تنطبع على سلوكاته وتصرفاته، وبالتالي

¹- سليمان رياشي وآخرون، مرجع سابق، ص 220.

²- أبو جاد وصالح محمد علي، سيكولوجية التنشئة الإجتماعية، دار ميسرة، ط 02، عمان، 2000، ص 123.

تكون شخصيته من خلال عدة مصادر التي تمثل في مجملها مؤسسات التنشئة الإجتماعية وتعتبر مرحلة الشباب أكثر المراحل العمر تأثيرا بالتغيرات الثقافية والإجتماعية السريعة التي يشهدها المجتمع.

والمجتمع الجزائري كسائر المجتمعات الإنسانية، شهد العديد من التحولات الإقتصادية السياسية الإجتماعية والثقافية عبر مراحل تاريخية مختلفة، إحتل فيها الشباب مكانات مختلفة ولعب أدوارا بارزة في تنمية المجتمع، حيث كان لهذه التحولات والأحداث الأثر الإيجابي والسلبي على وضع الشباب ومكانتهم في المجتمع الجزائري، فرغم ما أفرزته المرحلة الأولى من فرص للشباب من أجل البروز وإبراز مكانتهم بفتح المجال أمامهم للتعليم والتكوين في الخارج والعمل في مختلف القطاعات العسكرية والمدنية، مع الحصول على مرتبات وامتيازات وحوافز مادية ومعنوية، فتحت لهم أفقا واسعا في حياة إجتماعية وإقتصادية كريمة.

إلا أن المرحلة الثانية لم تكن إفرزاتها إيجابية، خاصة على فئة الشباب الذي عرف تهميشا وإقصاء في هذه المرحلة، بدءا بأزمة البطالة الخانقة التي يعيشها شباب المجتمع الجزائري وما انجر عنها من سلبيات وانحرافات تتمثل في:

- كان لبطالة حاملي الشهادات الجامعية دور في عزوف التلاميذ الذكور عن الدراسة وتسربهم من المدارس الجزائرية، بجميع أطوارها وفي سن مبكرة بحثا عن فرص للكسب والعيش، مبررين ذلك ببطالة حاملي الشهادات بعد قضائهم لمدة طويلة من عمرهم في الدراسة دون الحصول على عمل في آخر المطاف.

- الإقبال المتزايد على الوظائف العسكرية وإن كانت شروطها في بعض الأحيان تعجيزية.

- اللجوء للجرائم كالسرقة، القتل، المخدرات.....

- التطرف، وقد عرف المجتمع الجزائري بعد أحداث أكتوبر 88، موجة تطرف عالية من قبل الشباب الذين حملوا السلاح وصعدوا الجبال، كما أن أغلب العمليات الإنتحارية التي حدثت منفضوها شباب في مقتبل العمر.

- كما أن أزمة السكن التي يواجهها المجتمع الجزائري دور في زيادة حدة المشاكل بالنسبة للشباب والمتمثلة في:

- العزوف عن الزواج وتأخر سن الزواج تسبب في ظاهرة العزوبة عند الذكور والعنوسة عند الإناث من جهة، وظهور العلاقات غير الشرعية من جهة أخرى.

- زنا المحارم، والتي تحدث عادة بين الشاب وشقيقته أو ابنة الأخ أو ابنة الأخت....

- الهروب من المنزل الأسري والبحث عن متنفس غالبا ما يكون وكر المخدرات أو الدعارة

وخلق التزاوج بين الأزمتين (السكن والبطالة) شبابا فاقدين للأمل بائسين لا يشعرون بالإنتماء لبلدهم مضطربين نفسيا..، كما لا ننسى من جهة أخرى، أن الشباب الجزائري كان عرضة للأعمال الإرهابية، سواء من خلال استغلاله في الأعمال أو كضحية التفجيرات أو الإعتداءات، كذلك الآثار الناتجة عن التطور السريع في التكنولوجيا وشبكة الإتصال (رغم إيجابياتها)، والتي تعتبر متنفسا للشباب من خلال ما تقدمه من خدمات تثقيفية وتواصلية ..

كما تكمن أهمية الشباب في المجتمع فيما يحمله من قدرة على التجديد والتغيير، وما يحملونه من قيم جديدة تقودهم لمواجهة القيم التقليدية السائدة في المجتمع، ولهذا يعتبر الشباب منبع لكل تغير ثقافي واجتماعي في أي مجتمع مهما كان بناءه السياسي والإقتصادي والإجتماعي¹.

¹ - محمد علي محمد، الشباب العربي والتغير الإجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص ص 22، 23.

خلاصة الفصل:

يحتاج الإنسان منذ ولادته إلى رعاية خاصة ومشاعر العطف من المحيطين به لتوفير مطالبه البيولوجية والنفسية والاجتماعية، ويتعلم التمييز بين الخطأ والصواب وتطوير الضمير والمهارات التي تلعب دورا هاما بمختلف جوانبه، وعلاقات الفرد لا تتوقف عند المساحة الفردية، وإنما تتجاوزها إلى أوسع النطاقات وفي أوساط مختلفة، كالمؤسسات الاجتماعية التي يتردد عليها الفرد وسط أسرته والمدرسة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، والتي لها دور وأهمية خاصة في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء، فهي العملية التي من خلالها يكتسب الفرد إنسانية وعلاقته مع الآخرين، ويستوعب فيه قيمه الاجتماعية ومختلف جوانب (الثقافة، الدين، الأخلاق، المهن السائدة في مجتمعه)، كذلك تساعد على بناء شخصيته وحسن تكيفه مع غيره حتى يصبح قادرا على دفع عجلة الإنتاج القومي، وهذا بوجود مؤسسات اجتماعية التي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية.

وإذا أردنا التعمق في فهم العملية لوجدناها أكثر شمولاً من مجرد تعليم الأمور الاجتماعية، فهي تنشئة سياسية وطنية دينية أخلاقية قومية أسرية... بحيث تؤدي إلى تكوين شخصية متكاملة، والإنسان يكتسب الكثير من عناصر الأخلاق في مرحلة الطفولة والمراهقة وإن كان في الإمكان أن يظل يكتسب المعلومات والمعارف والقيم طوال حياته.

وتجدر الإشارة إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية مستمرة تقوم على التفاعل بين الفرد والمجتمع، فيصبح الفرد في نهايتها مستهلكاً ومنتجاً لثقافة مجتمعه، وهذه العملية ليست مؤقتة بل مستمرة، لأن الفرد يجد نفسه دائماً أمام مواقف جديدة وأدوار وجماعات جديدة تتطلب سلوكيات جديدة، بحيث كشفت دراسة بعض الجرائم التي يرتكبها الكبار في المجتمع على أن عملية التنشئة الاجتماعية لا تنتهي بنهاية مرحلة الطفولة، بل هي تحدث طوال رحلة الحياة بشكل إنمائي، لأنها تساعد على تحقيق نمو وإعادة تكييف الفرد للموقف

والظروف الجديدة، إذن هي عملية مستمرة ومتصلة لا تتوقف عند مرحلة معينة، بل تستمر وتتصل تبعا لتغير كل مراحل النمو ولتغير الظروف الاجتماعية.

ففي مرحلة الطفولة يكتسب الطفل كثيرا من قوانين السلوك من خلال تفاعله مع أفراد أسرته، وفي مراهقته يبدأ بالتساؤل حول عدالته وقوانين السلوك هذه، فهذا ما تقوم به المدرسة عبر نمط من التطبيع في إطارها أو نطاقها، وفي مرحلة الرشد حيث تخضع المعتقدات للتحدي وتحديث أنواع جديدة من الفهم، ويحدث هذا التطبيع في مجال العمل أو السجون والإصلاحات، وحتى المجالات الثقافية والترفيهية في حياة الفرد متسلسلة في شكل تطبيعات وهذه أهداف التنشئة، فهي عملية تقوم على التفاعل الاجتماعي، بمعنى آخر عملية التشكيل الاجتماعي لخدمة الشخصية، وهي عملية تحويل الكائن الحيوي البيولوجي إلى كائن اجتماعي.

الفصل الخامس

عناصر الاقتراب الميداني

المبحث الأول: مجال الدراسة

المطلب الأول: المؤسسات العقابية في الجزائر
المطلب الثاني: تحديد مجال الدراسة
المطلب الثالث: الدراسة الاستطلاعية

المبحث الثاني: الأسس المنهجية للدراسة

المطلب الأول: المنهج المتبع في الدراسة
المطلب الثاني: التقنيات المتبعة في الدراسة
المطلب الثالث: تحديد العينة
المطلب الرابع: خصائص العينة

تمهيد:

سيتم التطرق من خلال هذا الفصل إلى الإطار المنهجي للدراسة الميدانية، من أجل التحقق من فرضيات البحث، وبذلك إعطائها الصبغة العلمية والموضوعية، ومن أجل ذلك تم عرض مجال الدراسة والتطرق إلى العينة ومواصفاتها وطريقة إختيارها، مع توضيح الأدوات والتقنيات المستخدمة في الدراسة من أجل جمع المعلومات والمعطيات، مع ذكر المنهج المتبع وطرق التحليل التي تم الإعتماد عليها.

المبحث الأول: مجال الدراسة:

تمثل مجتمع بحثنا في بداياتنا الأولى للدراسة، في مجموعة من الشباب المنحرفين الذين تم إدانتهم بتعاطي المخدرات، وهم يقضون محكوميتهم داخل مؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالقلعة-تيازة-، باعتبارها أحد مؤسسات التنشئة الإجتماعية التي تولى أهمية ولها دور كبير في إعادة تربية وتأهيل المحبوسين، عبر البرامج المتاحة في المؤسسة أثناء التنفيذ العقابي وبعده لمساعدتهم على تخطي الآثار السلبية للعقوبة السالبة للحرية، وفرصة التكيف داخل المؤسسة العقابية للتأقلم مع طبيعتها القاسية، وتشجيعهم على تقبل برامج إعادة التأهيل الاجتماعي وحمائتهم من العودة للإجرام، وتقضي على الخطورة الإجرامية لدى الجاني أو التخفيف منها حيث أن هذه البرامج لا تحمي الجاني فقط من العود، ولكنها تمتد لحماية المجتمع من الخطر الإجرامي الذي يهدده، وكذا إعادة تربية وإصلاح وتأهيل نزلأئها للعودة إلى أحضان المجتمع، من خلال آليات برامج الإصلاح والرعاية القبلية والبعديّة من أجل إدماجهم إجتماعيا، من خلال علاقة وطيدة بين رعاية المحبوس وتأهيله داخل المؤسسة العقابية، وبين آليات الرعاية اللاحقة والمرافقة التي تقدم له بعد الإفراج عنه، إلا أنه ولأسباب موضوعية وخاصة تم تغيير أو بالأحرى تنويع مجالات الدراسة، لتشمل مجالات أخرى متعددة ورسمية، يتواجد بها شباب متعاطي للمخدرات، ليكون بحثنا أكثر موضوعية وأكثر غنى وتنوع بالنسبة لعينة البحث.

من هذا المنطلق، ومن خلال هذا المبحث سنحاول التطرق إلى مفهوم المؤسسات العقابية ودورها في إعادة الإدماج الإجتماعي، مع تحديد المجال المكاني واستطلاع.

المطلب الأول: مفهوم المؤسسات العقابية، أنواعها وتنظيمها في الجزائر ودورها في إعادة الإدماج الاجتماعي.

لقد كانت السجون صورة لكل ما هو غير إنساني ورمزا للظلام والقسوة وممارسة كافة أنواع الإهانة والإذلال التي تحط بكرامة الإنسان، حيث أن الإجراءات الصارمة والمراقبة المشددة إلى جانب سياسة العزلة التي كانت تفرض على المساجين، من شأنها أن تخلق اضطرابات نفسية وسلوكية لديهم، مما تجعل من عملية إصلاحهم وإعادة تأهيلهم هدفا صعب المنال.

ومن أجل ذلك، اتجهت الإصلاحات الحديثة إلى خلق مؤسسات عقابية تتميز بجو اجتماعي حيث لم تعد العقوبة غاية في حد ذاتها، فبعد أن كان دور السجن ينحصر في حبس المحكوم عليه وإنزال أبشع العقوبات عليه من أجل تحقيق الزجر والردع، ظهرت عقوبات سالبة للحرية تعد المحور الذي تقوم عليه السياسة العقابية الحديثة، حيث تغير دورها وأصبح تربويا وإصلاحيا يقوم على فكرة إعادة تربية المحبوسين وإصلاحهم، وعليه إهتمت معظم النظم العقابية بطرق وأساليب المعاملة العقابية، لاسيما التربية والتأهيل.

ونظرا للتطورات التي عرفت المنظومة التشريعية في إطار إصلاح العدالة، تبنى المشرع الجزائري على غرار التشريعات الأخرى إصلاحات عميقة في هذا المجال، مست السجون كمؤسسات عقابية بمرافقها وبنياتها، كما مست السجناء من خلال التكفل بحقوقهم وحفظ كرامتهم الإنسانية باعتبارها مؤسسات اجتماعية، يتم فيها تنفيذ الحكم القضائي الصادر بحق من ارتكبوا أفعالا مخالفة للقانون، وأصبحوا بموجب القانون أفرادا محكوم عليهم يستوجب إيداعهم بمؤسسات الاحتجاز وفق آليات جديدة، وما تمليه لوائح ومواد قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين للتعامل معهم.

1. / مفهوم السجن: مفهوم السجن قديم جدا، وقد وردت الإشارة إلى كلمة السجن في القرآن الكريم في قصة سيدنا يوسف (عليه السلام)، عند قوله تعالى: (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)، وقوله تعالى أيضا: (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه...) ¹.

لغويا: السجن (المؤسسات العقابية) في اللغة معناه المنع، ومعناه الشرعي هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه، سواء أكان في بلد أو بيت أو مسجد أو سجن معد للعقوبة أو غيره.

وورد تعريف سجن في قاموس المعجم الوسيط: سجن وجمعه سجون مكان يحبس فيه المسجون ²، وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي في باب حبس: الحبس هو المنع والمحبس، وفي باب سجن: هو المحبس وصاحبه سجان والسجين المسجون ³.

كما عرف المشرع الجزائري في المادة 25 من قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين 04/05، المؤرخ في: 2005/02/06 السجن أو المؤسسة العقابية على أنها: "مكان للحبس تنفذ فيه وفقا لقانون العقوبات السالبة للحرية، والأوامر الصادرة عن الجهات القضائية، والإكراه البدني عند الاقتضاء" ⁴.

إصطلاحا: يقصد بالسجن تلك المؤسسات المعدة خصيصا لاستقبال المحكوم عليهم بعقوبات مقيدة للحرية وسالبة لها، وهي تشترك في ذلك مع الحكم بالأشغال الشاقة والاعتقال

1- سورة يوسف، الآية 39-33.

2- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط 04، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004، القاهرة، ص 220.

3- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2013، ص 319.

4- انظر المادة 25 من القانون 04/05، المؤرخ في: 2005/02/06 المتضمن قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين، الجريدة الرسمية عدد 12، الصادرة بتاريخ: 2005/02/13 ص 13.

حيث يحرم المحكوم عليهم من الخروج أو متابعة الحياة بشكل عادي وفي أجواء طليقة والحيلولة دون ممارسة أي نشاط ما، وعادة ما يرتبط مفهوم السجون بعدة مفاهيم وتسميات مثل الإصلاحيات أو مراكز التأديب أو دور الإصلاح والتهديب أو التقويم أو مؤسسات إعادة التربية والتأهيل.

II. / تنظيم الإدارة العقابية في الجزائر:

إذا كانت مهمة السجن مهمة أمنية بحتة تهدف لحراسة المحبوسين، فإنه وفي ظل السياسة الجنائية الحديثة، أصبحت توفر برامج وأنظمة تربوية لإعادة الإدماج الاجتماعي بعد نهاية العقوبة، وهي المهمة الحديثة التي وجدت من أجلها المؤسسات العقابية الحالية، حيث تجمع بين الغرض العقابي مع الأهداف الإصلاحية، ومما لا شك فيه أن تنوع أغراض المؤسسات العقابية يقابله تنوع في أنواع المؤسسات ذاتها، وتعتمد كل مؤسسة أنظمة حسب فئة المحبوسين فيها.

وإدارة العقابية تمثل مجموع الوسائل المادية والبشرية التي تشكل مرفقا عاما مخصصا لضمان تنفيذ الإدانات الجزائية، بهدف تفريد العقوبة واحترام الأمن العام، وهي مديرية بوزارة العدل تسمى - المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي-، تتكون من إدارة مركزية ومصالح غير ممرضة، كالمؤسسات العقابية ومؤسسات عمومية إدارية مكلفة بتكوين مستخدمي الإدارة، كالمدراس الوطنية لموظفي إدارة السجون بالقليعة، سور الغزلان والمسيلة...).

وبناء على ما سبق ذكره، ينبغي عرض تنظيم الإدارة العقابية بشكل عام، حتى يتبين موضع المؤسسات العقابية من هذا التنظيم.

أولا/ وزير العدل: حسب المادة 07 من المرسوم التنفيذي رقم 332 - 04 المؤرخ في 24 أكتوبر 2004 الذي يحدد صلاحيات وزير العدل، يسهر هذا الأخير على تطبيق العقوبات ويقف على

حسن سير المؤسسات العقابية، والمراكز المتخصصة لإعادة تأهيل الأحداث التي تدخل ضمن مجال اختصاصه، ويعد وينفذ كل تدبير ذا طابع تشريعي أو تنظيمي ويسهر على تطبيقه، كما يقترح كل تدبير خاص لضمان إعادة تربية المسجونين وتكوينهم وإعادة إدماجهم اجتماعيا.

وهذه الإختصاصات، تبرز الدور الكبير الذي يلعبه وزير العدل في إنشاء وسير ومراقبة عمل المؤسسات العقابية، بالشكل الذي يحقق غرض العقوبة من منظور السياسة العقابية في الدولة.

ثانيا/ تنظيم الإدارة المركزية في وزارة العدل: تتكون الإدارة المركزية في وزارة العدل حسب المرسوم التنفيذي رقم 04 - 333 من:

- أمين عام.
- رئيس الديوان.
- المفتشية العامة.
- مديريات (هياكل) وهي:

- ✓ المديرية العامة للشؤون القضائية والقانونية.
- ✓ المديرية العامة للموارد البشرية.
- ✓ المديرية العامة للمالية والوسائل.
- ✓ المديرية العامة لعصنة العدالة.
- ✓ المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي.

ثالثا/ تنظيم المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي: المديرية العامة لإدارة السجون ينظمها المرسوم التنفيذي رقم 04 - 393 المؤرخ في 04 ديسمبر 2004، الذي بين تكوينها وحدد مهامها.

1/ تكوين المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي: تتشكل من:

- مدير و 04 مساعدين (مديري دراسات).
- مفتشية مصالح السجون.
- مديريات وكل مديرية تضم مديريات فرعية:

- ✓ مديرية شروط الحبس.
- ✓ مديرية أمن المؤسسات العقابية.
- ✓ مديرية البحث وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين.
- ✓ مديرية الموارد البشرية والنشاط الاجتماعي.
- ✓ مديرية المالية والمنشآت والوسائل.

2/ مهام المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي:

- تسهر على تطبيق الأحكام الجزائية بغرض إصلاح المساجين.
- تسهر على توفير ظروف ملائمة للحبس وأنسبها، واحترام كرامة المساجين والحفاظ على حقوقهم.
- وضع برامج معالجة وإعادة تربية المساجين، عن طريق التعليم والتكوين والنشاطات الثقافية والرياضية في المؤسسات العقابية والورشات الخارجية.
- تسهر على وضع مخططات أعمال التحضير لإعادة الإدماج الاجتماعي للمساجين.
- تشجع على البحث العلمي في مختلف الميادين المتعلقة بالوسط العقابي.
- تسهر على ضمان الأمن وحفظ النظام والانضباط في المؤسسات العقابية والورشات الخارجية.
- تراقب شروط النظافة والصحة في المؤسسات العقابية والورشات الخارجية.

- تضمن التأطير الفعال لمصالح إدارة السجون من خلال التسيير الرشيد للموارد البشرية وكذا تسيير مساهمهم المني والتكوين الأولي والمتواصل لهم.
- تعمل على تزويد المصالح المركزية والمصالح الخارجية لإدارة السجون بالهياكل والوسائل المالية والمادية الضرورية لسيرها.

رابعاً/ تنظيم المؤسسات العقابية: (المرسوم التنفيذي 109 - 06 المؤرخ في 8 مارس 2006):

1/ تنظيم مؤسسات البيئة المغلقة باستثناء مراكز الأحداث: تتكون من:

أ- مدير ونواب معينين.

ب - مصالح تضم أقسام:

* مصلحة كتابة الضبط القضائية:

أقسامها: - قسم متابعة تنفيذ قرارات العدالة المتعلقة بالحبس.

- قسم الإحصائيات والتسيير المعلوماتي للوضعية الجزائية للمحبوسين.

مهامها: - متابعة الوضعية الجزائية للمحبوسين.

* مصلحة كتابة ضبط المحاسبة:

أقسامها: - قسم مسك وتسيير أموال وودائع المحبوسين.

- قسم بريد المحبوسين ووسائل الاتصال عن بعد.

مهامها: - مسك أموال وودائع المحبوسين وتسييرها.

* مصلحة المقتصد:

أقسامها: - قسم الميزانية والمحاسبة.

- قسم الوسائل العامة.
- قسم الإطعام وتسيير المواد الغذائية.
- مهامها:
 - تسيير الممتلكات المنقولة والعقارية.
 - تسيير المخزونات والمواد الغذائية.
 - تحضير ميزانية المؤسسة وضمان تنفيذها.

*مصلحة الاحتباس:

- أقسامها:
 - قسم تصنيف المحبوسين وتوزيعهم داخل المؤسسة.
 - قسم حفظ الأمن والنظام بأماكن الحبس.
- مهامها:
 - حفظ الأمن والنظام داخل أماكن الحبس.
 - السهر على تصنيف المحبوسين وتوزيعهم.
 - تنظيم الحراسة والمناوبة.
 - السهر على انضباط الموظفين في أماكن الحبس.
 - مراقبة سير عملية مناداة المحبوسين.

*مصلحة الأمن:

- أقسامها:
 - قسم المعلومات والوقاية من الحوادث.
 - قسم تسيير الأمن الداخلي للمؤسسة.
- مهامها:
 - السهر على أمن المؤسسة والأشخاص، من خلال متابعة نشاطات الأمن الداخلي والاستعمال العقلاني للموظفين وتسيير العتاد والأجهزة الأمنية.
 - السهر على تنفيذ مخطط الأمن الداخلي الخاص بالمؤسسة.

***مصلحة الصحة والمساعدة الاجتماعية:**

- أقسامها: - قسم التكفل الطبي بالمحبوسين.
 - قسم التكفل النفسي بالمحبوسين.
 - قسم المساعدة الاجتماعية للمحبوسين.
- مهامها: - تنظيم التكفل الصحي والنفساني للمحبوسين.
 - السهر على تنفيذ إجراءات الوقاية من الأوبئة والأمراض.
 - تنظيم ومراقبة وتقييم نشاط الموظفين التابعين للمصلحة.
 - التكفل بالمشاكل الاجتماعية للمحبوسين.

***مصلحة إعادة الإدماج:**

- أقسامها: - قسم متابعة النشاطات التربوية والاجتماعية للمحبوسين.
 - قسم تطبيق برامج إعادة الإدماج الاجتماعي.
- مهامها: - تنفيذ مقررات لجنة تطبيق العقوبات الخاصة بإعادة إدماج المحبوسين.
 - متابعة تطبيق برامج تعليم وتكوين المحبوسين.
 - تنظيم محاضرات ذات طابع تربوي وديني وثقافي.
 - تسيير المكتبة.
 - إذاعة برامج تلفزيونية وإذاعية ومتابعة النشاط الإعلامي.
 - تنظيم ورشات العمل التربوي.
 - تنسيق أنشطة إعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين مع الهيئات

المختصة.

***مصلحة الإدارة العامة:**

- أقسامها: - قسم تسيير الشؤون الإدارية للمؤسسة.

- قسم متابعة تسيير المستخدمين.

- قسم نظافة وصيانة المجال.

مهامها: - تسيير الشؤون الإدارية للمؤسسة.

- السهر على انضباط الموظفين.

- المساهمة في تنظيم العمل اليومي للموظفين.

- تسيير الشؤون الإدارية للموظفين.

- السهر على نظافة مرافق المؤسسة ومتابعة أعمال الصيانة والترميم.

*مصلحة التقييم والتوجيه: وهي مصلحة في مؤسسات إعادة التأهيل وإعادة التربية.

أقسامها: - قسم تقييم شخصية المحبوس.

- قسم توجيه المحبوس.

مهامها: - دراسة شخصية المحبوس.

- تقييم خطورة المحبوس.

- إعداد برنامج فردي لإعادة التربية والإدماج لكل محبوس.

- اقتراح توجيه المحبوس إلى المؤسسة المناسبة لدرجة خطورته.

2/ تنظيم مراكز الأحداث: وتتكون من:

*مصلحة كتابة الضبط القضائي.

*مصلحة ضبط المحاسبة.

*مصلحة المقتصد.

*مصلحة الملاحظة والتوجيه:

أقسامها: - قسم الملاحظة.

- قسم التوجيه.

مهامها: - دراسة شخصية الحدث.

- إعداد التقارير الموجهة لقاضي الأحداث الخاصة باقتراحات توجيههم

ومختلف التدابير التربوية الملائمة.

*مصلحة إعادة التربية:

أقسامها: - قسم متابعة وتنسيق عمل التأطير التربوي والمعنوي للحدث.

- قسم المساعدة الاجتماعية وإعادة الإدماج.

مهامها: - متابعة وتنسيق عمل التأطير التربوي والأخلاقي للحدث.

- متابعة التكوين المدرسي والمهني للحدث.

- اقتراح الحلول والتدابير الكفيلة بالإدماج الاجتماعي للحدث.

- التكفل بالمشاكل الاجتماعية للأحداث.

*مصلحة الصحة:

أقسامها: - قسم التكفل الطبي بالحدث.

- قسم المتابعة النفسية للحدث.

مهامها: - تنظيم التكفل الصحي والنفسي للحدث.

- تنظيم ومراقبة وتقييم نشاط الموظفين التابعين للمصلحة.

- السهر على تنفيذ إجراءات الوقاية من الأوبئة والأمراض.

*مصلحة الإدارة العامة والأمن:

أقسامها: - قسم الشؤون الإدارية.

- قسم متابعة تسيير المستخدمين.

- قسم الأمن.

- مهامها:
- تسيير الشؤون الإدارية للمركز وموظفيه.
 - تنظيم العمل اليومي للموظفين والسهير على الانضباط.
 - السهر على أمن المركز والأشخاص.
 - تسيير الوسائل والعتاد الأمني.
 - السهر على تنفيذ مخطط الأمن الداخلي الخاص بالمركز.

المطلب الثاني: تحديد مجال الدراسة:

تتمثل دراستنا الميدانية في دراسة واقع الإنحراف وتعاطي المخدرات لدى عينة من مجتمع البحث، وحتى تكون النتائج أكثر تعبيراً عن فرضيات الدراسة، تم إجراء الدراسة الميدانية للموضوع المدروس في المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج، وبالتحديد على مستوى مؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالقليلة ولاية تيبازة، وذلك لعدة إعتبارات أهمها:

- التسهيلات المقدمة من أجل إتمام الدراسة الميدانية لهذا البحث، مقارنة بمؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالحراش ولاية الجزائر العاصمة، التي وقع عليها إختيارنا بداية الأمر، ولكن لأسباب وإعتبارات خاصة بها، تم رفض طلبنا على أن تكون مجالاً لدراستنا.

- تاريخ ومكانة المؤسسة التي تعد واحدة من بين (162) مؤسسة عقابية في الجزائر، منها (147) مؤسسة مغلقة و (12) مؤسسة بيئة مفتوحة، (03) مراكز للأحداث، والتي تفي بغرض بحثنا من حيث قربها المكاني، مما يسهل علينا أعباء التنقل إليها، و منحنا ترخيص مباشرة عملنا بها.

وتجدر الإشارة، أنه خلال اللقاء الدولي المنظم من طرف مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة بالعاصمة النمساوية فيينا بتاريخ 21 ماي 2019، تم إختيار المؤسسة العقابية للقليلة بولاية تيبازة كنموذج لبرنامج تكوين إلكتروني عالمي، لفائدة موظفي المؤسسات العقابية عبر العالم، رفقة مؤسستين عقابيتين من دولتي سويسرا والارجنتين، وفقا

للقواعد الدولية لحقوق الإنسان، يتضمن تطبيقات وبرامج عمل حول آخر وسائل وتقنيات معاملة النزلاء، من خلال نظم عقابية مبتكرة، الرامية لتصحيح سلوك النزلاء، ودفعهم نحو اندماج حقيقي في المجتمع، بعد انقضاء فترة عقوبتهم.

ويعتبر ذلك بمثابة تنويع وشهادة أممية لمسار إصلاح إدارة السجون بالجزائر، وتثميننا لمجهودات كافة مستخدمي القطاع، حيث تعد الجزائر نموذجا في احترام حقوق الإنسان سيما توفير الظروف لتحفيز النزلاء على الإهتمام أكثر بالعلم والتكوين خلال فترة عقوبتهم.

وقمنا كما سبق لنا وأن شرحنا، باختيار عينات من مؤسسات رسمية أخرى، لها صلة مباشرة بالإجرام عامة وتعاطي المخدرات خاصة، عن طريق أو باستخدام علاقاتنا الشخصية.

المطلب الثالث: الدراسة الإستطلاعية:

تعتبر هذه الخطوة مرحلة تمهيدية للعمل الميداني، والهدف منها التعرف على طبيعة مجتمع البحث وتحديدته، كما أنها تسمى بالمرحلة الإستكشافية، وبعض الباحثين يؤكدون على ضرورة إجراء البحوث الوصفية على مرحلتين: أولهما المرحلة الإستكشافية والصياغة، والثانية مرحلة الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة أو التشخيص، "فالدراسة الإستكشافية تساعد على تحديد معالم البحث، أما الدراسة الوصفية فإنها تستهدف جمع الحقائق وبيانات عن ظاهرة تغلب عليها صفة التحديد"¹، وهذا التحديد يتطلب إجراء دراسة استطلاعية من أجل تحديد معالم البحث، من حيث ضبط عنوان البحث وصياغته، ضبط عينة البحث، وكذلك منهج وأدوات الدراسة.

إن القراءة والعمل الإستطلاعي هما مرحلتان تتداخلان وتتكاملان فيما بينهما، من أجل التحديد الجيد للموضوع بالتكامل بين النظري والميدان، والعمل الإستطلاعي وخاصة

¹ - عدلي أبو طاحون، منهج وإجراءات البحث العلمي، ج2، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1998، ص29.

المقابلات الأولية مع عينة البحث والمحيطين بها، تسمح بالتعرف أكثر وعن كثب على مجتمع البحث، وبالتالي وضوح تصور الظاهرة أكثر وطريقة الإقتراب منها ودراستها، وذلك بعد استخلاص أهم العوامل والمؤشرات المرتبطة بها والمميزة لعينتنا، وهو ما يسمح ببناء إشكالية بحث وطرح تساؤلات نوعية يمكن أن تأتي بإضافة، وبعد ذلك بناء فرضيات البحث قبل مرحلة البحث الفعلي.

المبحث الثاني: الأسس المنهجية للدراسة:

بعد عرض الإطار النظري للدراسة الذي يعمل على تهيئة الأرضية النظرية لمشكلة البحث، يأتي بعده الجانب الميداني للتحقيق والكشف عن الواقع، ويتم ذلك من خلال تحديد مجال ومنهج الدراسة، إضافة إلى الأدوات المستخدمة وطبيعة العينة وكيفية إختيارها، ومن ثم بناء إطار منهجي للدراسة الميدانية.

وتعتبر المنهجية العمود الفقري لأي بحث علمي، فهي التي تحدد الخطوات التي يجب على الباحث إتباعها من أجل إنجاز بحثه، فهي: " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها حين نكون بها عارفين"¹.

المطلب الأول: المنهج المتبع:

نظرا للأهمية الأساسية التي يكتسبها المنهج في البحوث الإجتماعية، والذي هو " مجموعة من القواعد العامة التي يتم وضعها قصد الوصول إلى الحقيقة في العلم، إضافة لهذا فهو الطريقة التي يتبعها الباحث في الدراسة للمشكلة لإكتشاف الحقيقة"²، و" المنهج هو الطريق

1- عبد الرحمان بدوي، منهج البحث العلمي، مكتبة النهضة العربية، مصر، 1968، ص 04.
2- عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 32.

الذي يسلكه الباحث للتعرف على الظاهرة أو المشكلة موضوع الدراسة والكشف عن الحقائق المرتبطة بها، بغرض التوصل إلى إجابات على الأسئلة التي تثيرها المشكلة أو الظاهرة، من خلال استخدام مجموعة من الأدوات لتجميع البيانات وتحليلها، والتوصل إلى النتائج التي تساعد للإجابة على تلك التساؤلات"¹.

وعند قيام أي باحث بدراسة ما، عليه إختيار المنهج المناسب والملائم لطبيعة المشكلة وبناء على أهداف البحث، والمتمثلة في التعرف على ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب الجزائري، واستنادا إلى الفرضيات التي تمت صياغتها، والتي لا يمكن التأكد منها إلا بالنزول إلى الميدان وإتباع منهج محدد ومضبوط.

ونظرا لأن دراستنا كما قلنا سابقا تتمثل في الكشف عن ظاهرة الإنحراف والتعاطي عند الشباب، توجب علينا إتباع المنهج الوصفي، وذلك من أجل وصف وتفسير وتحليل النتائج المتوصل إليها وتعميمها بدقة، والمنهج الوصفي هو: " وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها وإلقاء الضوء على جوانبها المختلفة وجمع البيانات اللازمة عنها، مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادئ والقوانين المتصلة بظواهر الحياة، والعمليات الإجتماعية الأساسية والتصرفات الإنسانية"².

فالمنهج الوصفي "لا يقتصر فقط على جمع البيانات وتبويبها، بل يتعدى إلى ما هو أبعد من ذلك، لأنه يتضمن قدرا من التفسير لهذه البيانات"³، كما يعتبر أسلوب فعال في جمع البيانات والمعلومات، وبيان الطرق والإمكانيات التي تساعد في تطوير الوضع إلى ما هو أفضل

¹ - احمد عبد الله اللح و مصطفى محمود أبو بكر، البحث العلمي، الدار الجامعية، الجزائر، 2002، ص 03.

² - إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الإجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 03، بيروت، 1994 ص93.

³ - العجيلي سرگز، عيادا مطير، البحث العلمي، أساليبه وتقنياته، دار الكتب الوطنية، ط1، ليبيا، 2002، ص 115.

فهذا المنهج يزود الباحث بالمتغيرات التي تتحكم في الظواهر قيد الدراسة، سواء كانت تلك الظواهر تربوية أو اجتماعية أو نفسية.

كما إعتدنا على المنهج الإحصائي من أجل تحويل البيانات الكمية إلى بيانات كيفية وتكمن أهمية المنهج الإحصائي في البحث الإجتماعي، في الأهمية التحليلية بعد جمع المعلومات وتلخيصها وتصنيفها، ويتضمن هذا المنهج طرقاً منظمة تقوم بتنظيم المعلومات وتبويبها ثم يستخرج الإرتباط بين صفات المعلومات وبعد ذلك يتم تحليلها¹.

المطلب الثاني: تقنيات البحث وطرق جمع المعلومات:

أدوات جمع البيانات:

تعتبر مرحلة جمع البيانات من أهم خطوات البحث الميداني، التي يبني على أساسها تقييم البيانات والنتائج، وعملية إختيار التقنيات المناسبة مرتبطة أساساً بالهدف المنشود من الدراسة، والذي يتوقف على عدة إعتبارات، ولهذا فقد تمت الإستعانة في هذا البحث بمجموعة من الأدوات البحثية من أجل تحقيق البحث الميداني وهذه الأدوات هي:

أ/ الإستبيان:

يعتبر الإستبيان من أكثر أدوات جمع البيانات إستخداماً وأكثرها إنتشاراً في البحوث الإجتماعية والنفسية والتربوية، وهو " نموذج يضم مجموعة من الأسئلة موجهة إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حول موضوع أو مشكلة أو موقف ما "².

1- معن خليل العمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان - الأردن، 1004، ص 82.

2- إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 85.

ويعرف الإستبيان على أنه: " تصميم فني لمجموعة من الأسئلة تهدف إلى إبراز نقاط موضوع البحث، تقدم إلى عينة عشوائية من المجتمع للإجابة عليها، ويجب أن تكون العينة ممثلة لكافة الطبقات أو الطبقة التي يراد بحثها"¹.

ومن مزايا الإستبيان أنه إقتصادي من حيث التكاليف، ويعطي الحرية للمبحوث في الإجابة، ويسهل عملية تحليل النتائج.

ب/ المقابلة:

المقابلة من بين أدوات جمع البيانات الميدانية التي تحتل مركزا هاما في البحث السوسولوجي، وتعرف بكونها: "تفاعل لفظي شفوي مباشر بين الباحث والمبحوث أو المستجيب"²، أو هي: "وسيلة لجمع البيانات من أشخاص لهم صلة مباشرة بالظاهرة التي يدرسها الباحث، وفيها يكون الباحث في موقف مواجهة مع المستجيب وي طرح عليه أسئلة ويقوم بتدوين إجابته"³.

ج/ الملاحظة:

لا يكاد يخلوا بحث من الملاحظة كأداة تدعيميه مهمة، حيث إستعملناها من خلال الزيارات الإستطلاعية، والتي جاءت من النوع الغير مباشر، ويتم هذا وفق " أسس منظمة ومركزة بعناية وموجهة إلى غرض محدد، بحيث تسجل الملاحظة بدقة كبيرة من طرف

1- سغاتي أمين، تبسيط كتابة البحث العلمي، المركز السعودي للدراسات الإستراتيجية، ط03، مصر، 1993، ص 88.

2- مسعودة كنونة، أسس المنهجية في العلوم الإجتماعية، دار البحث، الجزائر، 1999، ص 191.

3- سمير أحمد نعيم، المنهج العلمي في البحوث الإجتماعية، جامعة عين الشمس، ط04، مصر، بدون سنة، ص 119.

الباحث"¹، وهي التقنية الكيفية التي: " هي من وسائل البحث، يلاحظ من خلالها بعض الظواهر المفترضة سلفاً"².

المطلب الثالث: تحديد العينة:

إن التعرف على مجتمع البحث وتحديد عناصره من أخرج المراحل التي يمر بها البحث العلمي، فتحديد العناصر التي يدرسها الباحث وينتقها من مجتمع البحث يتوقف على إلمامه بالإشكالية تحديدا وصياغة، فهدف كل باحث هو الوصول إلى الكمال في بحثه، ولا يتم لنا ذلك إلا " بالإستعلام لدى كل عنصر من عناصر مجتمع البحث الذي نهتم بدراسته"³.

بعد تحديد المجتمع الكلي نقوم بتحديد العينة التي هي: " طريقة من طرق البحث وجمع المعلومات، تؤخذ عينة من مجموع ما للانتقال من الجزء إلى الكل"⁴، أي أن العينة " المجموعة الممثلة للمجتمع الكلي"⁵.

وعلى ضوء موضوع الدراسة التي تتمحور حول ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات من طرف الشباب، ونظرا لحساسية الموضوع باعتبار سلوك التعاطي مخالف للقانون والقيم الإجتماعية والثقافية...، فإن مجتمع المتعاطين مجتمع منغلق على نفسه، وهو عالم خطر لا يمكن الولوج إليه بسهولة، وقد يسبب للباحث مشاكل حقيقية على كل الأصعدة، مما يعقد عملية الإتصال بالأفراد المتعاطين للوصول إلى النتائج المرجوة، وعليه، تم الإعتماد على عينة مماثلة لهم باختيار عناصرها بكيفية قصدية تقوم على أساس تحكيمي لا مجال فيه للإحتمال

1- كامل محمد المغربي، أساليب البحث العلمي في العلوم الإنسانية والإجتماعية، الدار العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2000 ص 131.

2- إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 85.

3- مورييس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة: كمال بوشرف وآخرون، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2004، ص 301.

4- إبراهيم مذكور، معجم علوم الإجتماع، نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المختصين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975، ص 22.

5- عبد العزيز رأس مال، منهجية وتقنيات البحث في علم الإجتماع، معهد علم الإجتماع، الجزائر، 1992، ص 22.

والصدفة، وذلك من خلال التوجه إلى الشباب المتعاطي المتواجدين في المجالات التي سبق لنا توضيحها، حيث تكونت العينة من (220) شابا من المتعاطين للمخدرات.

وتعني العينة القصدية " تلك العينة التي ينتقي الباحث أفرادها بما يخدم أهداف بحثه وبناءا على معرفته، دون أن يكون هناك قيود أو شروط غير التي يراها هو مناسبة، من حيث الكفاءة أو المؤهل العلمي أو الاختصاص أو غيرها، وهذه العينة غير مماثلة لكافة جهات النظر لكنها تعتبر أساس متين للتحليل العلمي، ومصدر ثري للمعلومات التي تشكل قاعدة متناسبة للباحث حول موضوع الدراسة"¹.

وبالتالي هي: "العينة التي يتم انتقاء أفرادها بشكل مقصود من قبل الباحث، نظرا لتوافر بعض الخصائص لأولئك الأفراد دون غيرهم، و تلك الخصائص هي من الأمور الهامة بالنسبة للدراسة"².

المطلب الرابع: خصائص عينة الدراسة:

تمكننا خصائص العينة من رسم صورة واضحة وشاملة عن مجتمع البحث، ونحاول من خلال هذا المطلب إعطاء صورة تحليلية عن أهم خصائص عينة الدراسة من خلال جداول بيانية، وسوف تشمل عددا من المؤشرات: الجنس، السن، المستوى التعليمي، الحالة العائلية والمهنية.

1- كاظم جودة، وآخرون، أساليب البحث العلمي في ميدان العلوم الإدارية، زهران للنشر، عمان، 1997، ص 177.
2- عبيدات وآخرون، مرجع سابق، ص 26.

الجدول رقم (01): توزيع أفراد العينة حسب الجنس:

النسبة	التكرار	الجنس
%87.27	192	ذكر
%12.72	28	أنثى
%100	220	المجموع

يبين الجدول أعلاه توزيع المبحوثين حسب الجنس، حيث نلاحظ أن أغلبية المبحوثين المتعاطين من فئة الذكور، التي تصل نسبتهم إلى 87.27%، وذلك مقابل نسبة قليلة من الإناث حيث تمثل 12.72 % من مجموع المبحوثين.

وتعبر قراءة الجدول أعلاه، عن تفاوت في توزيع نسب الإناث مقارنة بالذكور، ويرجع ذلك إلى أن طبيعة الظاهرة تجلب اهتمام الكثير من الذكور عكس الإناث، فالذكور عادة أكثر إدماناً من الإناث، وهذا يتطابق مبدئياً مع طبيعة التنشئة الإجتماعية في المجتمع الجزائري عبر مختلف مؤسساته بداية بالأسرة، حيث تتميز العائلة بحرصها الشديد على تربية الفتاة ومراقبة سلوكياتها وتصرفاتها منذ حداثتها، إذ ينظر إليها على أنها كائن قاصر وجب الوصاية عليه، وأن شرف العائلة يتوقف على شرفها، وتمارس عليها ضغوطات وقيود من طرف الجميع فلا تجد مجالاً للانحراف إلا نادراً أو لظروف معينة قد تدفعها لذلك، هذا عكس الذكر الذي يتمتع بحرية التصرف وأكثر احتكاكاً بالمحيط الخارجي، مما يزيد من احتمالات وقوعه في الانحراف والتعاطي، ناهيك عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية وغيرها التي قد تدفعه إلى ذلك.

ومن جهة أخرى، نلاحظ أن هذه الظاهرة أصبحت تمس مختلف الشرائح دون تمييز حيث أن المرأة والرجل أصبحا شريكين في الانحراف وسلوك التعاطي، ولو بنسب متفاوتة

ليقتحم الجنس اللطيف مؤخرا وبقوة هذا المجال مقارنة بوقت مضى، حيث أكدت آخر الإحصائيات أن نسبة النساء المتعاطيات في العالم بلغت 5%، وفئة الشباب ما بين 15 و 30 عاما هي الفئة الأكثر استهلاكاً للمخدرات، لتبقى الأرقام المقدمة لا تعكس الواقع المير الذي تعيشه المجتمعات التي تعاني من الإنتشار المهييب لهذه الظاهرة، خصوصا وأن نسبة النساء المنحرفات واللواتي يتعاطين المخدرات في ارتفاع مستمر سنة بعد سنة، ويمكن للمتعدد على مختلف المحاكم أن يقف على حجم الظاهرة، أين تتم محاكمة عدد لا بأس به من القضايا المتورط فيها نساء، أغلبن قاصرات، متهمة باستهلاك المخدرات وحتى ترويجها، بعد استغلالهم من طرف العصابات المروجة للمخدرات وذلك لإبعاد الشبهات عنهم.

ولا تختلف كثيرا أسباب تعاطي المخدرات لدى النساء عنها لدى الرجال، بالإضافة إلى أسباب أخرى، مثل الفراغ وسوء التوافق النفسي واضطراب الشخصية وحب التجربة والجهل بمخاطر المخدرات، وغيرها من الأسباب المؤدية كلها إلى تبني سلوك التعاطي، ولكن وصمة العار الاجتماعية التي ترتبط بالمرأة تكون أكبر من ارتباطها بالرجل، فتجار المخدرات يقومون باستغلال كافة هذه الظروف الأسرية والاقتصادية والاجتماعية وحتى النفسية والعاطفية المواتية للإيقاع بالفتيات في عمليات الإستهلاك والإتجار بالمخدرات.

وكان المروجون لظاهرة المخدرات سابقا يستهدفون في معظم الأحوال فئة صغار السن والمراهقين والشباب، ولكنهم بدؤوا منذ فترة قصيرة في توسيع مجالات استهدافهم لتمس فئة الفتيات خصوصا القاصرات منهن، وهذا ما يستدعي دق ناقوس الخطر، كون الظاهرة مضرّة لأي مجتمع، لأنها تشل قدرات الفتيات اللاتي ستصبحن أمهات في المستقبل، وتنشئ جيلا ضعيفا وتبعاً لذلك، تصبح عاجزات عن المساهمة الفعالة في بناء مجتمعهن، فلا مفر من حقيقة أن المرأة نصف المجتمع، وانحرافها يقود حتما إلى التخلف الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي... إلخ والمؤسف في الأمر، أن إقبال الفتيات على تعاطي المؤثرات العقلية والنفسية والمخدرات

خصوصا الطالبات والمراهقات، لم يعد في كثير من الأحيان سرا بل أصبح نوعا وشكلا من المباهاة، وترى في كثير من المجتمعات العربية الآن ظاهرة تدخين السجائر والشيشة عند النساء والفتيات خاصة في الأماكن العامة شيئا عاديا ومنتشرا.

الجدول رقم (02): توزيع أفراد العينة حسب فئة السن:

السن	التكرار	%
أقل من 22 سنة	39	17.72%
27-23	84	38.18%
32-28	68	30.90%
33 سنة فما فوق	29	13.18%
المجموع	220	100%

يلعب مؤشر السن دورا مهما عند دراسة الظواهر الاجتماعية في تحديد أفكار الأفراد واتجاهاتهم، إذ يسمح لنا بالكشف عن الجيل الذي يتعرض لتلك الظاهرة، وفي هذه الحالة معرفة الفئة العمرية الأكثر عرضة لخطر تعاطي المخدرات، كما يساهم في فهم الأسباب والدوافع التي تترك هؤلاء المبحوثين يقعون في هذه المشكلة، مما يساعد الباحث في استقصاء نتائج بحثه.

ونلاحظ من خلال قراءتنا لبيانات هذا الجدول، أن الفئة التي يتراوح سنها ما بين 23- 27 سنة تشكل أعلى نسبة والمقدرة بـ 38.18 %، تليها الفئة العمرية المحصورة بين 28- 32 سنة بنسبة 30.90 %، في حين تمثل نسبة 17.72 % أفراد العينة التي تكون أعمارهم أقل من 22 سنة، وفي الأخير 13.18 % عند الفئة العمرية 33 سنة فما فوق.

وبما أن مجتمع بحثنا يتمثل في فئة الشباب، وبعد قراءتنا للنسب في الجدول أعلاه لاحظنا أن متوسط العمر للمبحوثين يقدر بنسبة 38.18 % في فئة السن التي تتراوح بين 23-27 سنة، تأتي بعدها فئة السن التي تتراوح بين 28-32 سنة، ويتجلى لنا من خلال ذلك، أن مرحلة الشباب من المراحل الإنسانية الأكثر تعقيدا، لها صفاتها الخاصة، فالشباب قوة بين ضعفين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما في قوله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة، يخلق ما يشاء وهو العلي القدير)¹، وفي بيان أهمية مرحلة الشباب في الإسلام، حثه على الاهتمام باغتنام مرحلة الشباب قبل أن تمضي، فقد جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشباب أنه قال: " اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك"، ويصل الجسم في هذه المرحلة إلى النضج والكمال إذ يأخذ هيكله الخاص به ويصبح قويا ورشيقا وجميلا، وفي هذه المرحلة يقوم الأشخاص بتكوين العائلات والتكاثر والاستقلال بشكل أكبر في حياتهم، وهي أطول مرحلة عمرية، ففي هذه الفترة نجد لدى الفرد إلى جانب الصفات البيولوجية المعروفة والحياة الداخلية له تتكون شخصيته وتبدأ في الظهور بخطوات معتبرة، ويتسبب هذا في الشعور بالذاتية والانطلاق في آفاق الحياة الفسيحة، هذه الانفعالات يصحها ميل واضح نحو الخيال والتصورات الجامحة، وذلك فيما يتعلق بتكوين شخصيته.

وانطلاقا مما سبق، قد تعرف أو تسبب نفسية الشباب بوضعها المتميز وبوصفها مرحلة مستقلة من مراحل النمو، بمشكلات لما لها من خصائص مميزة، خاصة تحت تأثير الأوضاع سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو انتماءه إلى محيط أسري معين...إلخ، فقد توصلت معظم الدراسات التطبيقية التي أجريت على المستويين العربي والدولي، إلى أن الشباب هم أكثر الفئات

¹- سورة الروم، الآية 54.

عرضة للانحراف وتعاطي المخدرات، باعتبارها مرحلة مباشرة وامتدادا لفترة المراهقة، ومركز الهدف لتجار المخدرات ومروجيها، وتشير التقارير الدولية المتعلقة بإساءة استعمال العقاقير المخدرة وأنماطها واتجاهاتها، إلى أن الشباب هم المتعاطون الرئيسيون للعقاقير المخدرة غير الشرعية، وقد اتبع تعاطي العقاقير المخدرة نمطا عمريا معينا، وبالمقابل نجد أن الإسلام قد حرص على تقديم عدد من المعالم التي تهدي إلى الانضباط في مرحلة المراهقة والشباب بصفة خاصة، بسبب ما تتميز به هذه المرحلة تحديدا.

ومن جهة أخرى، ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أن تعاطي المخدرات بين الأحداث والذين تقل أعمارهم عن 22 عاما يتزايد تزايدا خطيرا، بل أنه يمتد ليشمل الأطفال الصغار والمتمدربين، الذين ينتشر بينهم استنشاق وتعاطي الغازات (المذيبات الطيارة) على أنواعها، نظرا لكونها مادة غير محظورة، وهي في متناول الطفل في البيت والمدرسة وكذا الحشيش، فالمرهقون عادة يجنحون إلى تجربة كل شيء جديد بالنسبة لهم في الحياة، خاصة ما يعتبرونه من مفاتيح النضوج والرجولة، وقد يحملون مفاهيم خاطئة عن المخدرات والتدخين حيث يبدأ حافز التعاطي أول مرة من باب محاولة التجريب والاستطلاع كأول خطوة، سواء تحت تأثير الرفقة أو تقليد بعض الأصدقاء، حيث يحصلون على المادة المخدرة عادة منهم خاصة إذا ما كانوا يعانون من القلق والاضطراب، ويتم التعاطي عادة في جماعة، وبعد مدة معينة يصبحون مدمنين عليها، ويبررون استمرارهم في التعاطي بالرغبة في الحصول على المتعة لذلك، فإن مراقبة صداقات الأبناء وتحذيرهم من التجربة الأولى خاصة مع السموم البيضاء، من خلال وضع مفاهيم سليمة عن الرجولة والحياة، لهو من أسس الوقاية ضد هذه المخدرات.

وتكمن المشكلة في مستقبل الطفل والمراهقين مع المخدرات، في أن التعاطي يخضع لقانون المرحلة، فإذا كان من مستنشقي المذيبات الطيارة في سن صغير، فالاستعداد للإدمان في سن مبكر وتعاطي المخدرات الصلبة وارد وبشدة، وبالتالي فإن عامل السن يعد عامل خطر أو وقاية

فكلما اتجه الشخص نحو التعاطي في سن مبكر أو في المراهقة، كلما كان له استعداد للكثير من المشكلات السلوكية والإدمان عند الكبر، والعكس صحيح.

وفي الأخير، يمكن للشباب أن يشكلوا قوة ايجابية لدفع عجلة التنمية عند تزويدهم بالمعرفة والفرص التي يحتاجونها، وإبعادهم عن براثن الإنحراف والتعاطي ومسبباته، على وجه الخصوص التعليم واكتساب المهارات اللازمة للمساهمة في اقتصاد منتج، خاصة مع تزايد مطالب الشباب بفرص أكثر إنصافاً في مجتمعاتهم لمواجهة التحديات التي يعيشونها، والتي تعد ملحة الآن أكثر من أي وقت مضى، في ظل التصاعد الرهيب للجريمة بكل أنواعها وتطورها واستقطاب سوق الترويج للمخدرات لهذه الفئة خصوصاً، ففي عالم المخدرات شباب مراهقون وكبار تاهت بهم السبل، أرواح قلقة وبيوت مهدمة لا تعرف الاطمئنان، فكم من فتى أضاع مستقبله وكم من فتاة تعيش في عالم مجهول، ضحاياه وآثاره واضحة لمن يعيشون في دائرة الظلام والوهم، دائرة المخدرات، وتكاد تجمع الدراسات النفسية والاجتماعية التي أجريت حول أسباب تعاطي المخدرات، وبصفة خاصة بالنسبة للمتعاطين لأول مرة، على أن عامل الفضول وإلحاح الأصدقاء يعتبر من أهم الحوافز عند التجربة، كأسلوب من أساليب المشاركة الوجدانية مع هؤلاء الأصدقاء، فالله سبحانه وتعالى حذرنا من إتباع أهواء المضللين فقال سبحانه وتعالى " ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل"¹.

¹ - سورة المائدة، الآية رقم 77.

الجدول رقم (03): توزيع أفراد العينة حسب الحالة المدنية:

النسبة	التكرار	الحالة المدنية
% 72.72	160	أعزب
% 21.81	48	متزوج
% 05	11	مطلق
% 00.45	01	أرمل
%100	220	المجموع

يتبين لنا من خلال قراءة معطيات الجدول، أن غالبية أفراد العينة غير متزوجين، حيث وصلت نسبتهم إلى 72.72 %، في حين كانت نسبة المتزوجين في مجموعة المبحوثين تقدر بـ 21.81 % ونجد أن حالات الطلاق قدرت نسبتهم بـ 05 %، وفي الأخير الأرامل 00.45 % .

ونلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه، أن ظاهرة التعاطي تمس الفئة العازبة أكثر مقارنة بالفئات الأخرى، وقد يعود سبب ذلك إلى عدم استقرارهم عاطفياً نتيجة لظروف اقتصادية واجتماعية قاهرة يعيشها هؤلاء الشباب، جعلتهم يعزفون عن الزواج، بسبب صعوبة تحمل مسؤولية الحياة العائلية (الحصول على مسكن، تلبية الحاجيات الأساسية... إلخ)، مما يصعب عليهم التفكير في الزواج، فنجدهم يلجئون إلى المخدرات لجلب الخيال والتصوير والهروب من الواقع الذي يعيشونه.

وتعد ظاهرة تأخر الزواج من الظواهر الاجتماعية السلبية والخطيرة التي استفحلت مؤخراً في مختلف المجتمعات العربية بما فيها المجتمع الجزائري، وبالأخص لما نلاحظه اليوم من آثار وانعكاسات سلبية، تظهر أساساً في تفشي بعض الأمراض النفسية كالقلق والخوف أو الوحدة والعزلة عند الجنسين، وتنامي الإحباط وبعض العقد النفسية، أو العصبية والفراغ

العاطفي، أو النقمة على الحياة والمجتمع الذي ينتمي إليه الشباب، وفي كثير من الأحيان قد يؤدي كل ذلك اللجوء إلى الانحراف وتبني سلوك التعاطي.

وإذا رجعنا إلى أسباب هذه الظاهرة فنجدها متعددة، منها ما هو واضح للعيان ويعرفه الخاص والعام كأزمة السكن، ضعف الدخل الفردي، البطالة، عدم تكافؤ فرص العمل عند الشباب حسب مستوياتهم واختصاصاتهم، غلاء المهور، تعقد الظروف الاقتصادية وصعوبة الظروف المعيشية، أولوية مواصلة التعليم الجامعي والحصول على وظيفة كإستراتيجية شخصية لتحقيق الذات، وللإستقلالية المادية خاصة عند بعض الفتيات، ومنها ما يمثل أسباب خفية المنطلق من الواقع الاجتماعي المعاش، كتغير القيم بمعناه الواسع، فتأخر سن الزواج بصفة عامة في المجتمعات يتحدد انطلاقاً من ظروف وطبيعة كل مجتمع عن الآخر، لأن مسار الزواج يتأثر بالتغيرات الزمنية والمكانية وما يصاحبها من تغيرات اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، ومنهم من يرى هذا الأخير أو حتى ظاهرة العزوف عن الزواج أمراً عادياً، ناتج عن تعقد المجتمع ولا ينظر إليه على أنه أمر خطير، لأن للشباب قنوات أخرى يشبع فيها رغباته ومنهم من يراه خاصة في بعض المجتمعات العربية كقضية خطيرة، لما ينجر عنها من نتائج سلبية تهدد كيان الأسرة وتوازن الإنسان النفسي والعاطفي والاجتماعي، فالمسألة كلها مرتبطة بطبيعة المنظومة العقائدية والقيمية عند كل مجتمع من جهة، وبطبيعة التغيرات المختلفة خاصة الاقتصادية والإعلامية والاجتماعية، التي أثرت على قيم ومعايير السلوك الاجتماعي للأفراد من جهة أخرى.

وتشير آخر الإحصائيات الرسمية المقدمة من طرف الديوان الوطني للإحصاء الجزائري لسنة 2022، أنه توجد 12 مليون فتاة جزائرية عازبة، وأكثر من 05 ملايين أعزب، وقد يعود السبب في ذلك إلى تغير القيم الاجتماعية ونمط الحياة، وتعقيد متطلبات تكوين الأسرة، وكذا تغير الظروف الاقتصادية وهيمنة القيم المادية على الحياة الاجتماعية، فقد تراجعت قيم

التكافل الاجتماعي والتضامن العائلي لسد ضعف إمكانيات الشباب المادية، مع انتشار البطالة عند الفئات المتعلمة والغير متعلمة، وغيرها من الأسباب التي سبق طرحها سابقا، يقابلها عدم كفاءة ونجاعة محاولات تجديد استراتيجية السياسات الاجتماعية التي تتبعها الدولة لمسايرة تطور الحاجيات الضرورية لأفراد المجتمع، فأثناء تخطيط مشاريع الهندسة المعمارية للسكنات مثلا، نجدها تركز على الحجم الصغير للسكن من حيث المساحة وعدد الغرف، غير عابئة أو مهتمة بالقيم الاجتماعية المتعلقة بخصوصية وطبيعة الأسرة الجزائرية، وطبيعة الفضاء العلاقتي بين أفرادها، مما بولد في كل مرة ظاهرة أزمة السكن وتعطل مشروع الزواج عند الشباب.

ويمكن إضافة أمر آخر، وهو التوجهات الحديثة ذات الطابع المادي التي صاحبت تفكير الشباب والشابات في طريقة اختيارهم لشريك حياتهم، والتي تغيرت شروطها بشكل جذري عن سبقوهم، الذين كانوا يركزون على الجانب الأخلاقي والتربوي في عملية الإختيار، فنجد طريقة تفكير فتاة اليوم ونظرتها للحياة الزوجية ترتكز على الجانب المادي أكثر، إذ تحلم الكثير من الفتيات بالشباب الوسيم والبيت والسيارة، وغير ذلك من المتطلبات المادية أكثر من سلوك الرجل وأخلاقه، وبالموازاة مع ذلك أيضا، لاحظنا توجهها جديدا يحمل صبغة مادية عند بعض الشباب من خلال تركيزهم على المرأة التي تعمل أو التي تملك سكنا وسيارة، أو تنتهي إلى أسرة ميسورة الحال، كذلك عزوفهم عن كبيرات السن واختارهم الصغيرات للزواج، دون مراعاة شروط أخرى أساسية في تكوين أسرة ناجحة، إذ يبني زواجه على الحسابات الرقمية والمصلحة الشخصية والمادية، بدلا من إيجاد آليات عقلانية أكثر منها عاطفية للاستقرار الأسري¹.

1- صباح عياشي، الآليات العقلانية للاستقرار الأسري في الإسلام من منظور سوسيوولوجي، أعمال المؤتمر الدولي، -الإسلام والعقل بين الحاضر والماضي في العموم الطبيعية والعموم الاجتماعية والإنسانية، تنظيم المجلس الإسلامي الأعلى، مارس 2010/31، 30، 29.

وكخلاصة لما سبق طرحه، فإنه من الضروري اختيار كلا الزوجين على أساس الخلق والدين الذي يحفظهما ويحفظ الأسرة، ويقومان بواجبهما على أكمل وجه، ثم تستمر مسؤولية الأسرة في النية الصادقة بين الزوجين في أن يرزقهما الله الذرية الصالحة، ثم رعاية الأطفال وتنشئتهم وتربيتهم تربية صحيحة سليمة، تراعي كافة الجوانب الفطرية والانسانية والخلقية والواجب على الأب والأم أن يشرفا ويوجها ويتابعا تربية الأبناء، ويقدمان لهم التوجيه والدعم والمساعدة.

الجدول رقم (04): توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي:

النسبة	التكرار	المستوى التعليمي
17.72%	39	إبتدائي
45.90%	101	متوسط
34.09%	75	ثانوي
02.27%	05	جامعي
100%	220	المجموع

يقدم لنا هذا الجدول معلومات عن المؤهل العلمي، ويوضح لنا المستوى التعليمي لمجموع أفراد العينة الذي يتراوح بين الابتدائي والجامعي، فنسجل أعلى نسبة تتمثل في المبحوثين الذين لديهم مستوى متوسط والتي تصل إلى 45.90 %، تليها نسبة 34.09 % من لديهم مستوى تعليمي ثانوي، في حين سجلنا نسبة 17.72 % تمثل المبحوثين الذين لديهم مستوى إبتدائي، والشيء الملاحظ أنه توجد نسبة ضئيلة للجامعيين في مجتمع بحثنا تقدر ب 02.27 %.

من المعلوم أن التعليم هو قبلة الأنظار، فالاتجاه إليه في تزايد مستمر جيلا بعد جيل حتى أصبح مقصدا لغالبية الأفراد من أجل الحصول على مستويات رفيعة من التحصيل والتثقيف، ومرجع ذلك، أن المؤهل العلمي يعد المعبر الذي يسلكه الشاب للانطلاق إلى رحاب الأعمال ذات الرواتب المرتفعة وإلى عالم المهن، علاوة على ذلك، أن مجالات العمل الفني تزداد فيه الدرجات العلمية العالية، كما يلاحظ أن الإقبال على المزيد من التعليم الجيد يؤدي إلى زيادة عدد المتعلمين، وأن الطلب عليه سوف يستمر لأن الحاجة إليهم في سوق العمل يزداد في إضطراد¹.

ومما سبق، نلاحظ من خلال المستوى التعليمي لأفراد العينة، أنه يتدرج من المستوى المتوسط إلى الثانوي ثم الابتدائي وبنسبة ضئيلة جامعي، أي أن أغلبية أفراد العينة ليست متعلمة تعليما عاليا، و كما سبق لنا وأن وضحنا آنفا، فإن المستوى التعليمي له أثر واضح على درجة فهم الحياة خاصة بالنسبة للشباب، كون أن طبيعة الحياة مليئة بالتجارب التي قد تصادفهم أثناء ممارسة حياتهم العادية.

ومن خلال تحليل النسب السابقة، يمكن القول أن التمتع بمستوى تعليمي مرتفع يعبر عن خزان المستوى العالي الذي يسهل عمليات الفهم والإندماج الإجتماعي والتواصل، بما يتناسب ووظائف الأفراد داخل المجتمع، فالمؤسسات التعليمية تأتي من حيث الأهمية بعد الأسرة في التربية والتنشئة الاجتماعية، التي أوكل لها المجتمع مسؤولية تربية أبناءه، وتعد عاملا مؤثرا في تكوين شخصية الفرد، فتمده بالتكوين العلمي والتربوي السليم وتقرير اتجاهاته في حياته المستقبلية وعلاقته بالمجتمع.

وبالمقابل، نجد أن فئة المستويات التعليمية المتدنية، والذين لم يسعفهم الحظ في إتمام دراستهم، قد يعكس فشل هذه المؤسسات في أداء مهمتها، الذين قد تواجههم صعوبات في

1- جاسم مجيد، مرجع سابق، ص 128

الإندماج الإجتماعي ومشاكل في تسيير حياتهم، مما يولد لديهم الشعور بالكراهية والتمرد على مجتمعهم، بانحرافهم وتبني سلوكات غير أخلاقية، كما هو حال العديد من هؤلاء المبحوثين.

ومن جهة أخرى، قد تؤدي عوامل مؤثرة أخرى خارجية إلى سلوك هؤلاء المتعاطين حيال المدرسة، من خلال التسرب وعدم الاهتمام بالتعليم، على غرار الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشونها، وبالنظر إلى مستواهم المنخفض فإنهم لا يدركون نسبة خطورة المخدرات وما الأضرار العديدة والمتنوعة التي تنتج عن تعاطيها، إذن نسبة الانحراف ترتفع أكثر عند الشباب الغير المتعلمين.

وفي سياق متصل، وباعتبار السجون والإصلاحات أحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي حملت على عاتقها إعادة تأهيل وإدماج المسجونين داخلها، أطلقت الجزائر في عام 2002 برنامجا لإصلاح وأنسنة السجون والمؤسسات العقابية بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، تضمن تطويرا لبرامج التعليم والدمج المهني، وهي تواصل تجربة ناجحة في دمج المساجين وتطوير نظم التعليم والتكوين في المؤسسات العقابية المتواجدة عبر القطر الوطني وتجعل من تطبيق العقوبة وسيلة لحماية المجتمع، بواسطة إعادة التربية والإدماج الاجتماعي للمحبوسين، بشكل يحفظ كرامتهم ويرفع من مستواهم العلمي والثقافي والفكري.

وقد أكد برنامج تعليم المسجونين في الجزائر نجاعته، حيث تمكن محبوس من الحصول على شهادة دكتوراه في علم الاجتماع سنة 2022، من داخل مؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالقليلة التي يقضي فيها عقوبته، وذلك في سابقة من نوعها بالجزائر، بعدما سمح له بمناقشة أطروحة دكتوراه التي حصل بموجبها على درجة "مشرف جداً"، في تخصص علم اجتماع المنظمات والموارد البشرية تحت عنوان: " تمثلات التكنوقراطية في المتصل السوسيو-اقتصادي-، أمام لجنة مناقشة مؤلفة من أربعة كوادرو وأساتذة جامعيين، وانتهت بحصول الطالب السجين على شهادته بتفوق.

وأفادت المديرية العامة للسجون وإعادة الإدماج الجزائرية، بأن هذه النتيجة العلمية المحرزة في مجال التعليم العالي للمحبوسين، تعد سابقة أولى من نوعها في تاريخ قطاع السجون، وتدل على نجاعة وفعالية الجهود المبذولة على صعيد تطبيق برنامج تعليم المحبوسين، من خلال توفير كل الظروف المساعدة على ذلك، وقد شددت على وجوب تمكين الطلاب من كل الوسائل البيداغوجية لإتاحة الفرصة في المساهمة في تأطير المساجين من أجل إعادة دمجهم وتأهيلهم، إذ سبق أن كانت ثمة نتائج جيدة في شهادتي البكالوريا والتعليم المتوسط.

وفي نفس السياق، توج نزيل من المؤسسة العقابية بالحراش فارسا للقرآن، أين أقيم الحفل الختامي في المؤسسة العقابية بالقليعة بمناسبة "ليلة القدر"، خلال مسابقة وطنية في حفظ وترتيل القرآن الكريم بمناسبة شهر رمضان لسنة 2022 لفائدة المحبوسين، المنظمة من طرف إدارة السجون الجزائرية على مستوى كل المؤسسات العقابية، والتي تعتبر الأولى من نوعها على المستوى الوطني، تهدف إلى بعث الأمل في نفوس السجناء وتهذيب النفوس، وكذا قصد مساعدتهم على تصحيح أخطائهم وتقويم سلوكهم، حيث أن المحور الديني يحتل مكانة هامة ضمن برامج إعادة الإدماج، والقيم الأخلاقية الدينية تساهم في إعادة تشكيل شخصية المحبوسين.

وتندرج هذه النشاطات ضمن البرامج البناءة التي يتم تنظيمها على مستوى المؤسسات العقابية لفائدة المحبوسين، على غرار التعليم العام والتكوين المهني والحرفي والنشاطات الرياضية، الثقافية والتربوية، التي تهدف إلى تقوية القدرات العلمية والفكرية للمحبوسين وتمكينهم من الحصول على شهادات ومهارات تساعدهم على الاندماج في المجتمع بعد الإفراج عنهم.

وما يمكن قوله، أن تأثير الإنقطاع عن الدراسة والتسرب المدرسي، وعدم استغلال أوقات الفراغ بطرق مفيدة، والتمسك بالتربية والأخلاق الحميدة، يعتبر من بين العوامل المهمة لظروف تعاطي المخدرات، خاصة بين الأطفال والمراهقين والشباب، كما يعد الجهل والامية من بين العوامل المهمة للوقوع في فخ الانحراف، وكما قال فيكتور هيقو: "من فتح مدرسة استغنى عن السجن"، باعتبارها مؤسسة تربوية نظامية مسؤولة عن توفير بيئة تربوية سليمة للطفل تساعد في تنمية شخصيته في جميع جوانبها: الجسمية، والعقلية، والاجتماعية، والإنفعالية والروحية... وغيرها، وتتابع رسالة الأسرة وتتعاون معها في التنشئة الاجتماعية للنشء، وتوفير فرص الابتكار.

الجدول رقم (05): توزيع أفراد العينة حسب الحالة المهنية:

النسبة	التكرار	الحالة المهنية
15.90%	35	موظف
32.27%	71	عامل
03.63%	08	طالب- متربص
48.18%	106	بطال
100 %	220	المجموع

من خلال نتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أن أكبر نسبة من المبحوثين بطالين، والتي تمثل 48.18 %، تليها نسبة العاملين ب 32.27 %، في حين نسجل ما نسبته 15.90 % تشير إلى المبحوثين الموظفين، وفي الأخير نسبة 03.63 % من المبحوثين الذين يزاولون الدراسة أو تربص.

إن للبطالة دور أساسي في اتجاه شباب اليوم إلى الانحراف وتعاطي المخدرات، وهو ما أثبتته العديد من الدراسات، فمن خلال نتائج الجدول، نلاحظ أن أغلبية المتعاطين عاطلين

عن العمل بنسبة 48.18 %، حيث تعاني الجزائر كثيرا من الارتفاع غير العادي في نسبة البطالة وهو أمر يؤثر مباشرة على جهود التنمية بصفة عامة، وعلى الاقتصاد الوطني بصفة خاصة وباعتبار الشباب هم أساس المجتمع ومورده البشري الدائم وسبب ازدهاره وتقدمه، خاصة الذين يمتلكون مؤهلات علمية ومهنية، هذه الطاقة البشرية الهائلة وجب الاعتناء بها تعليمها وتكوينها، ومن ثم توظيفها في جميع المجالات والقطاعات.

ولكنه بالمقابل، نجد عدم تكافؤ بين عدد الباحثين عن عمل ومناصب الشغل المتوفرة، ما نتج عنه ظاهرة البطالة التي عجزت الدولة منذ سنين عن القضاء عليها أو تقليصها، رغم المجهودات المبذولة من طرفها لتوفير مناصب شغل، كل هذه الأمور انعكست سلبا على الشباب وجعلتهم يفكرون في حلول أخرى، كالهجرة لمن استطاع إلى ذلك سبيلا، وحتى أنها دفعت بعضهم إلى الانحراف والتعاطي، فانحرف الشباب الجزائري اليوم أصبح أمرا مقلقا، حتى أن الدولة حاولت وضع آليات عقابية مشددة لتخفيض نسبة الانحراف في المجتمع بصفة عامة، وعند الشباب والمراهقين بصفة خاصة، إلا أن كل خططها في هذا المجال باءت بالفشل، وهذا راجع لعدم قدرتها على توفير مناصب الشغل الكافية، خاصة للمتعلمين منهم وأصحاب المهن والحرفيين، الذين تزداد أعدادهم عاما بعد عام، فالشباب البطال اليوم يتعرضون لخيبة أمل كبيرة بسبب عدم تمكنهم من تحقيق أحلامهم وطموحاتهم، فالحصول على منصب شغل دائم يعني الاستقرار، شراء سيارة أو بيت، تكوين أسرة... إلخ، فالعامل المادي (الحصول على راتب شهري ثابت أو غيره) هو الأساس عندهم.

ومما سبق، فإن الآثار المترتبة عن مشكلة البطالة عند الشباب قد تكون وخيمة، وسببا في ظهور عدة ظواهر اجتماعية سلبية، فمن الناحية الاقتصادية فإن البطالة عادة ما ترتبط بانخفاض الدخل أو انعدامه، الأمر الذي قد يوقع الشباب العاطل عن العمل وأسرته في الفقر والحرمان، وعدم التمكن من إشباع الحاجيات الأساسية، وكذلك صعوبة الحصول على

الخدمات بأنواعها (الصحية والتعليمية...)، الأمر الذي قد يؤدي إلى السلوك الانحرافي أو حتى الإجرامي لتلبية هذه الحاجيات، فالفقر هو البيئة التي تهيأ فيها كل الفرص لارتكاب الجريمة.

ونجد بأن البطالة - في حال طالّت مدتها - قد تدفع الشاب إلى العزلة الاجتماعية، ومن ثم تضعف علاقاته الاجتماعية فيصاب بالاغتراب، ويتخلى عن التزاماته بالمعايير والقيم الاجتماعية السائدة، وفي بعض الأحيان، يمكن أن تدفعه إلى الإنحراف والبحث عن مختلف سبل الربح السريع بطرق غير مشروعة، سواء من خلال المتاجرة وتهريب المواد المخدرة، والتي تدر عليه أموالاً طائلة، أو اللجوء إلى المخدرات من أجل التعاطي واستهلاكها، بحثاً عن نسيان الهموم والمشاكل.

ومن ناحية أخرى، ومن خلال معطيات الجدول، نلاحظ أن سلوك التعاطي قد ينتشر حتى في أوساط الموظفين والعمال البسطاء، وذلك قد يعود إلى اكتسابهم هذا السلوك قبل دخولهم سوق الشغل، أو لظروف العمل ومحيطه، أو أنهم لم يتمكنوا من خلال ذلك العمل المتوفر تحقيق طموحهم، خاصة في ظل الإرتفاع المستمر في المستوى المعيشي وضغوط الحياة مقارنة بما يكسبونه من راتب أو مداخيل، مما يجعلهم يتهربون من واقعهم من خلال التعاطي للعيش في عالم يرون طموحاتهم قد تحققت فيه، كما أن الكثير منهم ورغم ولوجهم سوق العمل، إلا أن مداخيلهم غالباً ما تذهب في اقتناء المواد المخدرة، مما يجعلهم يتخبطون في مشاكل لا نهاية لها بسبب تلك السموم.

وبالمقابل، غالباً ما يعتمد الشخص المدمن البطلال في مصاريف معيشتة على أفراد أسرته فالإدمان يؤدي لتبذير الموارد المالية على المخدرات، بدلاً من أن تصرف على الكثير من الأمور الهامة في حياة الأسرة، بالإضافة لتحويل الشخص المدمن من منتج إلى مستهلك، يشكل عالة على الأسرة، يسعى للحصول على المخدرات بأي طريقة كانت، ولو كانت غير شرعية كالسرقة والنصب والاحتيال.

وتزداد أهمية البعد الاقتصادي ويزداد معه الشعور بالأمن، مع زيادة اعتماد الشباب وارتباطهم ماديا بأسرهم، وعدم تمكنهم بالتمتع باستقلالهم الذاتي، مع تزايد المتطلبات المادية مع امتداد فترة الدراسة والتكوين بالنسبة لهم، وبالتالي تأخر التحاقهم بالحياة العملية التي تضمن لهم مصدرا للمال والإمكانات المادية، ما يجعلهم مستقلين ماديا عن أسرهم، وهو عامل مهم، إذ لا يكتمل نمو الفرد وبناء شخصيته بكيفية سليمة إلا بحدوث أو الحصول على هذه الاستقلالية، والتمتع بمزايا الأفراد الراشدين في المجتمع، وهو ما يفترض من الناحية السيكولوجية أن يتم بعد نهاية مرحلة المراهقة ودخول مرحلة الشباب.

وفي الأخير، فإن هذه الوضعية يعبر عنها بشكل جيد ودقيق بمصطلح "شبح البطالة" في المجتمع الجزائري، لما يمثله من غموض وعدم وضوح الرؤية بالنسبة للشباب حول مستقبله ومن هنا نلتمس أهمية العمل أو الوظيفة في حياة كل شاب وكل فرد من أفراد المجتمع، كأحد الجوانب الممثلة للبعد الاقتصادي والاجتماعي والنفسي عامة، ونفهم ذلك من خلاله موقف النظريات أو التفسيرات التي تعطي أهمية كبيرة للظروف الاقتصادية والاجتماعية في تناولها لظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات، ومواجهة أزمة البطالة تعتبر من بين أهم التحديات التي يجب رفعها في الظرف الراهن وفي المستقبل، هذه الظاهرة التي تمس عددا معتبرا من فئات الشعب الجزائري بمختلف شرائحه، فالبطالة في الجزائر تعد السبب الأول لتفشي ظاهرة الفقر وما ينجر عنها من آفات اجتماعية خطيرة تهدد أمن المجتمع.

الفصل السادس

الفرضية الأولى

المبحث الأول: دور مؤسسة الأسرة في إدماج الشباب اجتماعيا

المبحث الثاني: دور المؤسسات التربوية والدينية في إدماج الشباب اجتماعيا

المبحث الثالث: دور وسائل الإعلام والاتصال في إدماج الشباب اجتماعيا

استنتاج الفرضية الأولى

تمهيد:

بعد تعرضنا في الفصل السابق إلى كل ما له علاقة بمجال الدراسة والمنهجية المستعملة والخطوات العلمية الأساسية، ننتقل في الفصول الموالية إلى عرض النتائج ومناقشتها، ثم ننتقل إلى تحليلها ومقارنتها بفرضيات البحث، ومن خلال هذا المحور سنقوم بالتحليل السوسولوجي الذي يعني تحديد الإرتباطات السببية التي تفسر العلاقة بين المتغيرات، إلى جانب أن الربط الإحصائي بين متغيرين يشير دائما إلى علاقة سببية بين هذه المتغيرات.

وقد قمنا باستخراج مجموعة من المؤشرات الدالة على ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب، وتمت صياغة تلك المؤشرات المختارة على شكل أسئلة في إستمارة بحثنا، لتكون نتائجه أكثر دقة ووضوحا، لتحديد الجوانب المتعلقة بالإنحراف وسلوك التعاطي الذي يؤدي إلى الإدمان داخل الوسط الشبابي، وتكون هناك مؤشرات فرعية أخرى سوف نلتقي بها من خلال ما سنعرضه لاحقا من جداول إرتباطية.

سنحاول الكشف من خلال الجداول الإرتباطية المتعلقة بهذا الفصل، عن العلاقة السببية التي تربط بين مؤسسات التنشئة الإجتماعية وسلوك الإنحراف والتعاطي، وهذا من خلال الجداول التي تخدم بصفة مباشرة هذه الفرضية، ولكن لا يمكننا معرفة ذلك بطرح أسئلة مباشرة، فحسب المنهجية التي إعتمدها (ألان توران)، فقد أكد أن أسئلة إبداء الرأي والمواقف يصعب علينا صياغتها بطرح سؤال مباشر، بل علينا وضع عدة بدائل ومؤشرات، لأن الإجابة سوف تكون دائما سلبية، نظرا لطبيعة النفس البشرية التي تميل دوما إلى المواقف السلبية، كما أن قضية الإنحراف والتعاطي ليست فردية، بل ناتجة عن عدة عوامل ترتبط بالوضعية النفسية والمحيط الإجتماعي والظروف المادية...إلخ.

الانحراف وسلوك التعاطي لدى الشباب، من عوامل فشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في إدماجهم اجتماعيا:

سنتطرق من خلال هذا الفصل إلى الجداول الترابطية التي نحاول من خلالها التحقق من الفرضية الأولى، بربط المتغيرات بالمتغيرات المناسبة، للوصول إلى صدق من عدم صدق الفرضية التي تتمحور حول أن الانحراف لدى الشباب وسلوك التعاطي، من عوامل فشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في إدماجهم اجتماعيا.

فمن بين العمليات الاجتماعية التي تقوم بدور هام داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي تسعى إلى تحقيق التجاذب والترابط والتآلف نجد عملية "الإندماج الاجتماعي"، باعتبارها أحد العمليات الأساسية التي يتعرض لها الأفراد من خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض، والتي تعكس مدى الحاجة للاجتماع البشري، وضرورته لإشباع الحاجات المادية والمعنوية، والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف والاستقرار، فالإندماج الاجتماعي هو "الاستعداد والقدرة على التغير والتعامل مع الظروف الاجتماعية المختلفة، وما تحفل به من متغيرات إجتماعية وعادات وتقاليد والقوانين التي تنظم علاقات الأفراد ببعضهم البعض"¹.

وتعتبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية ظاهرة إنسانية تتميز بكثير من التعقيدات، ذلك لأنه يتفاعل ضمنها العديد من العوامل ذات الجوانب النفسية والاجتماعية..إلخ، فمؤسسات التنشئة الاجتماعية تحدد الأطر والقنوات التي تنظم علاقات الأفراد في المجتمع، وهي التعبير عن شكل وطبيعة هذه العلاقات، وهي أيضا المنافذ التي تنظم من خلالها أنشطة وجهود الأفراد لإشباع حاجياتهم.

¹ - صالح بن محمد الصغير، التكيف الاجتماعي للطلاب الوافدين، مجلة العلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، المجلد 13، العدد 01، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2001، ص 33.

والاندماج الاجتماعي نوع من الاحتكاك والتفاعل والتواصل، تفرضه الظروف المشتركة داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ولا يندمج الإنسان داخل المؤسسات الاجتماعية إلا إن وجد بينهم تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة¹، فالتعايش هو القبول بالآخر مما يؤدي إلى تحقق علاقة إيجابية ومتبادلة وفي مصلحة الأطراف المتعايشة²، لهذا بحث دوركايم عن العوامل التي تحقق اندماج الفرد داخل المجتمع، ووجد أن درجة الاندماج الاجتماعي في المجتمع ترتبط بتأثير القوانين الاجتماعية التي تحكم المجتمع، من قانون وأسرة والمؤسسات التربوية والدينية... إلخ، فكلما كان تأثير هذه العوامل قويا على الفرد كلما كانت درجة الاندماج كبيرة والعكس صحيح، لهذا فإن المعدل الاجتماعي لظاهرة الإنحراف وسلوك التعاطي يجد تفسيره سوسولوجيا، ذلك لأن البنية الأخلاقية للمجتمع هي التي تحدد ذلك، من خلال القوة الجمعية ودرجة الاندماج الاجتماعي للأفراد في المجتمع³.

وسنحاول من خلال هذا الفصل، فهم مختلف الأدوار التي تلعبها مختلف المؤسسات الاجتماعية الموجودة صلب المجتمع، والتي ترسم معالم التنشئة الاجتماعية لدى الفرد وتحقق إندماجه الاجتماعي، من خلال مؤسسة الأسرة والمؤسسات التربوية والدينية والإعلام.

1- أبو خليل شوقي، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، دار الفكر المعاصر، ط 1، بيروت، 1997، ص12.
2- فريديريك معنوق، قاموس علم الاجتماع (إنجليزي- فرنسي- عربي)، مراجعة: محمد دبس، أكاديمية بيروت، 1993، ص97.
3- إميل دوركايم، الانتحار، ترجمة: حسن عودة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2011، ص384.

المبحث الأول: دور مؤسسة الأسرة في إدماج الشباب إجتماعيا:

تعتبر الأسرة الخلية الأساسية في المجتمع والأصل الذي نشأت عنه جميع المؤسسات الاجتماعية الأخرى، فهي أول المؤسسات ظهورا بل أنها أسبق من المجتمع نفسه، وكانت الأسرة قديما تقوم بكل الوظائف الاجتماعية، وتنتج أفرادا يكونون أعضاءا فاعلين فيه، ومع تطور الحياة وتعقدتها أنشئت مؤسسات اجتماعية أخرى وبدأت بعض وظائف الأسرة تنتقل إليها.

وللأسرة دور مهم في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية للفرد، وذلك من خلال العلاقات داخلها، والسلوكيات والمواقف المستمدة من عادات وقيم المجتمع الذي يعيشون فيه، والتي لا بد أن يكون هناك توسط في إشباع الحاجيات الجسمية والعقلية، النفسية والاجتماعية وعدم الإفراط فيها، من خلال الأسس العادلة والصحيحة، حتى يشب الفرد متحررا من الأمراض والعلل والأزمات والتوترات التي قد يمر بها خلال هذه المرحلة الحساسة، ويكون بعيدا كل البعد عن الأجواء السلبية التي قد يتلقاها داخل الأسرة أو خارجها، ولا يقع في أخطاء الانحراف والضياع، ويكون ذلك بأسلوب الاندماج الاجتماعي المرن، بعيدا عن الحرية المفرطة ولا التشدد والعنف والقسوة في التعامل، والتي تكون عاملا من عوامل التربية والتنشئة الخاطئة.

الجدول رقم (06): العلاقة مع الأسرة معظم الأحيان، وقضاء أكثر الأوقات:

سنحاول من خلال هذا الجدول، الوقوف على نوع العلاقات التي تربط بين أفراد العينة داخل أسرهم وعلاقتها بأماكن قضاء أكثر أوقاتهم، باعتبار أن المنزل هو الحاضن الأول للأسرة وأفرادها ومصدر الأمن والراحة، حيث يجتمعون داخله وتربطهم علاقات وتفاعلات يومية، فالمنزل الدافئ هو المكان الذي يحس فيه الفرد بالراحة الجسدية والنفسية والمعنوية، وتسمم العلاقات في فضائه سوف يقلل من اندماجهم مع من فيه، ويشجع على مغادرته والهروب إلى الشارع، وهذا ما قد يسهل انحراف الشباب وتبنيهم سلوكيات غير سوية.

المجموع	سيئة	عادية	جيدة	العلاقات داخل الأسرة معظم الأحيان قضاء أكثر الأوقات	
				المنزل	أماكن الترفيه والرياضة
27 %12.27	05 %04.80	10 %10.86	12 %50.00	18 %08.18	03 %12.05
175 %79.54	93.26 %	75.00 %	69 %37.05	09	09
220 %100	%47.27	104	%41.81	92	24 %10.90

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، يتبين لنا أن الإتجاه العام كان عند فئة المبحوثين الذين يقضون معظم أوقاتهم بالشارع، وذلك بنسبة 79.54 %، ترتفع عند المبحوثين الذين أجابوا أن علاقتهم بأسرهم معظم الأحيان سيئة، بنسبة 93.26 %، ونجد أن إجابات الذين يقضون معظم أوقاتهم بأماكن الترفيه بنسبة 08.18 %، ترتفع عند المبحوثين الذين تتسم علاقتهم بأسرهم بالعادية وتقدر ب 14.13 %، في حين نجد أن المبحوثين الذين يقضون معظم

أوقاتهم بالمنزل بنسبة 12.27%، ترتفع عند فئة المبحوثين الذين عبروا على أن علاقتهم بأسرهم جيدة، والتي تقدر بـ 50%.

من خلال نتائج الجدول أعلاه، وباعتبار أن العلاقات الأسرية الحسنة من أهم الدعائم الرئيسية للتربية وخلق الروابط الإنسانية بين أفرادها، وبالرجوع إلى الإتجاهات العامة للجدول نلاحظ أنها تفيد أن أغلب المبحوثين يقرون بتوتر علاقاتهم مع أسرهم، إذ بلغت نسبة ردود أصحاب هذا الإتجاه أعلى نسبة 47.27%، وعند إدخال متغير قضاء معظم الوقت، نجد أن الأغلبية يقضونها خارج المنزل، على غرار من تربطهم علاقات عادية بأسرهم 41.81%، والذين يقضون هم أيضا معظم أوقاتهم خارج المنزل، مقارنة بالذين تربطهم علاقات جيدة مع أسرهم والذين يقضون معظم أوقاتهم بالمنزل 10.90%.

ومن خلال تحليلنا لنتائج الجدول، نلاحظ أنه توجد علاقة طردية بين توتر العلاقات الأسرية وقضاء الشباب أكثر أوقاتهم متسكعين في الشوارع، والذي قد يشكل سببا مباشرا أو غير مباشر في انحرافهم وتعاطيهم المخدرات، حيث يمكن أن تلعب الأسرة الدور الرئيس في انحراف أبنائها من خلال توتر العلاقات داخلها، إذ من المتفق عليه أن الأسرة تساهم في تكوين نمط شخصية الفرد، وهو الإطار العام الذي تمارس فيه جميع الأدوار الاجتماعية المختلفة التي يؤديها الفرد في الحياة، وهي الأساس الذي يحدد استجاباته المختلفة تجاه بيئته، وعليه، وجب الحرص على احتواء الشباب واستثمار أوقات فراغهم في المفيد، قبل التحسر عليهم بعد وقوعهم في هاوية تعاطي المواد المخدرة، ومن ثم وجب محاولة التعرف ولفت انتباه الأولياء إلى أهمية ودور الأسرة في تنشئة أبنائها وإدماجهم إجتماعيا، والمحافظة عليهم من خطر الوقوع في الانحراف والتعاطي.

كما ينبغي نشر الوعي المجتمعي بمخاطر هذه الآفة حتى نحمي شبابنا، ويتعلم الفرد من أسرته القيم والمعايير الاجتماعية والأنماط المختلفة من السلوك، وهذا يتحدد بنوعية الأسرة فإذا كانت هذه الأسرة متماسكة ومتحابّة، شعر أفرادها بالانتماء من خلال الاهتمام والمتابعة

وينعكس ذلك على الصحة النفسية للأبناء وتوافقهم واندماجهم الاجتماعي، وعلى العكس من ذلك، فإن الأسر المفككة والمضطربة تنشئ أفرادا مضطربين ومنحرفين يلجؤون إلى الشارع للهروب من واقعهم المزري، وهذا ما ظهر جليا من خلال نتائج الجدول أعلاه، إذ يعتبر السلوك المنحرف وتعاطي المخدرات هو نتيجة للتنشئة الاجتماعية الخاطئة للفرد، باعتباره سلوكا مكتسبا، وبالتالي فإن التنشئة الغير جيدة داخل الأسرة وعجزها عن إدماج أفرادها إجتماعيا، قد تفرز أنماطا وسلوكات منحرفة، وتعاطي المخدرات والإدمان عليهما أحد أنواع هذا السلوك المنحرف.

ومن جملة العوامل والأسباب التي تعمل منفردة ومتضافرة على انحراف الشباب عن النهج الصحيح، تراجع دور الأسرة وانشغال الأبوين عن إدماج أبنائهم إجتماعيا، مما يؤثر على مستوى تربيتهم ويفتح الباب على مصراعيه لكل أنواع الانحرافات، ويعد هذا التراجع في دور الأسرة خطيرا ويمكن إجمالاً للعوامل الأسرية المؤدية إلى سلوك التعاطي، إتباع الشدة والقسوة في المعاملة واستعمال أسلوب العقاب الجسدي المفرط، خاصة في حالة إرتفاع عدد أفراد الأسرة ونشوب الخلافات والشجارات بينهم، وعدم وجود الثقة بين الآباء والأبناء، من خلال تعزيز القيم الروحية لديهم، وتقصير الآباء أو عدم أداءهم لواجباتهم الدينية والأسرية، مما يجعل الأبناء يلجؤون إلى الشارع كمتنفس لهم.

ولا يخفى على أحد أن الشارع هو الوجهة الأولى للطفل قبل أن يكون شابا، إذ ينقسم وقته بين المدرسة والبيت والشارع، وللشارع تأثير كبير على شخصيته من جميع النواحي خصوصا الناحية التربوية، فالطفل يهرب من البيت وفي بعض الأحيان من المدرسة إلى الشارع قصد اللعب وإفراغ طاقته الزائدة ليستعيد نشاطه من جديد، ويمكن له أن يتصل بأطفال آخرين بينهم اختلافات كبيرة وكثيرة كل منهم يؤثر ويتأثر بالآخر، وإما أن يكون لهذا التأثير نتائج إيجابية أو سلبية، المهم أن الشارع كمؤسسة اجتماعية له دور كبير في العملية التربوية والاندماج الاجتماعي

وفي الشارع يجد الطفل نوعاً من الحرية المطلقة التي يفضلها، حيث يحس بذاته وبدوره في الحياة، كما أنه يحس بأنه يعيش طفولته الطبيعية، ولهذا فالشارع كمؤسسة لها قوة تأثيرية تفرضها عليه وعلى أسرته، هذه القوة التي قد تكتسي طابعاً إيجابياً أو سلبياً، وبالتالي وجب علينا التعامل معها بنوع من الحذر، وبنوع من الذكاء التربوي، الذي يمكننا من جعل تأثيراتها في صالح تنشئة الطفل وبناء شخصيته وإدماجه إجتماعياً.

ومن ناحية أخرى، فإن للشارع مكانة بالغة في نفسية الشباب، إذ يعتبر من بين الأماكن المفضلة لديهم بالمقارنة مع أماكن الترفيه والرياضة أو البيت، وهذا راجع أساساً إلى السلطة القوية التي يفرضها كمؤسسة لها قواعدها وضوابطها المختلفة عن باقي المؤسسات التي يلجأ إليها الشاب، وهكذا، يكاد يفوق تأثير الشارع تأثير البيت والأماكن الأخرى، ويكون معه التأثير بسلوكيات وثقافة وتربية من يخالطونهم، وقد تتهماً لهم تجربة أشياء هي محظورة في المنزل، كما قد يطلعون على معلومات تصنف سرية أو طابوهات في الأسرة، وفي مرحلة ما ربما تميل الكفة لإمكانية سيطرة الشارع على الشباب، نظراً لتزايد إغراءاته، ولطابعه الاستهلاكي وتلبية الغرائز والشهوات واحترام الميولات والهوايات...، كما أنه يتيح فرصاً مختلفة لكل الفئات العمرية، فمع زيادة الإقبال عليه، فإنه سيشكل مستقبلاً تلك المؤسسة التي تغوي الجميع وبصفة خاصة الشباب، بفضل ما يوفره من وسائل الراحة والمتعة، تلي كل الأذواق وكل الحاجات النفسية والتربوية والاجتماعية والثقافية بكل تناقضاتها سلبية كانت أو ايجابية.

والإنسان انعكاس لما في بيئته، فإذا صلحت صلح وإذا فسدت فسدت، فمن نشأ في بيئة تشجع الانحراف أو تيسر دربه فستكون احتمالية الوقوع فيه أكثر من غيره، والتفكك الأسري يجعل الشباب لقمة سهلة لتجار المخدرات، فالأسرة التي تعاني حالة من التوتر والمشاكل هي بيئة تشعر الفرد بالظلم والضياع، نتيجة إحساسه بفقدان المسؤولية والقيمة الاجتماعية، مما يؤدي به للانتقام باتخاذ مناحٍ منحرفة، خاصة وأن الكثير من الأسر لم تعد كما كانت في الماضي من

ناحية المسؤولية والعناية والتربية، حيث أصبحت تواجه مشاكل في كيفية تشكيل سلوك أبنائها وإدماجهم إجتماعيا، وعليه، يجب أن يعمل الآباء على بث روح الألفة والمحبة والصرحة بين أفراد أسرهم، والاطلاع على مختلف الممارسات والسلوكيات التي يقوم بها الأبناء خارج المنزل.

وقد حذر الكثير من الباحثين الأسر من انتهاج أسلوب الديكتاتورية طريقة في التعامل مع أبنائهم، ذلك أنها المنفذ السهل الذي يلج منه أصدقاء السوء، حيث يجد الأبناء فيهم فرصة للهروب من واقعهم المر وبراءن العزلة والإخفاقات، وأوضحوا أن كثيرا من الأسر تقع في خطأ فادح إذ تعتمد إلى انتهاج أسلوب متشدد في تربية الأبناء، الأمر الذي يفرض عليهم عيش حياة منغلقة مضطربة ومتوترة، ويفتقد الأبناء الذين يعيشون في كنف مثل هذه الأسر، القدرة على التواصل والإندماج الاجتماعي الفعال، إلى جانب عدم معرفتهم بكيفية اختيار أصدقائهم بشكل صحيح نتيجة الحياة المضغوطة التي يعيشونها.

ومن جانب آخر، قد يفسر بعض الشباب الذين يقضون معظم أوقاتهم في الشارع كونهم يستطيعون ذلك تفسيرا خاطئا، على أنها حرية مطلقة حتى ولو كانت تضر بهم أو بالآخرين، ومن هذا المنطلق، يقوم البعض بالسهرة خارج المنزل حتى أوقات متأخرة من الليل، وغالبا ما يكون في أحد الأماكن التي تشجع على السكر وتعاطي المخدرات وخلافه من المحرمات، وعندما يمارس الشباب حريتهم بشكلٍ مطلق وغير مسؤول، فإن عواقب الأمور تكون وخيمة، فهم يظنون أن معنى الحرية يتجسد في قول وفعل ما يشاءون، وفي الخروج والدخول دون رقيب إلى ساعات متأخرة، ولا يدركون أن هذه المفاهيم الخاطئة موصلة لطريق الانحراف.

وتجدر الإشارة، أن بناء شخصية الإنسان وإدماجه إجتماعيا تدور في ثلاث حلقات، اثنتان منها في مرحلة الطفولة والثالثة في مرحلة الرشد، فالسنوات الأولى من عمر الطفل يكتسب معظم مركبات شخصيته من البيت، أما السنوات التالية تبدأ عند دخول المدرسة، وهي الفترة التي يفترض أن يخرج فيها إلى الحي وشوارع الحي ليبدأ التعامل مع الآخرين، وبالتالي تبدأ

شخصيته الحقيقية في التكون ويبدأ يتعلم ردود فعل الناس، حيث يفترض أن يتعلم من أقرانه ومن رجال الحي مفاهيم الصح والخطأ، أما الحلقة الثالثة فهي حلقة الضبط والإندماج الاجتماعي المحدد لسلوكيات هذا الشاب، وتتكون هذه الشخصية بناء على ردود الفعل التي تتكون لديه خلال تعامله مع جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية حسب ظروفه واحتياجاته.

وفي الأخير، يمكن القول أن الشارع هو ذلك المجال الواسع الذي يقبل عليه الأفراد للمتعة واكتشاف الأقران والاحتكاك معهم، وهو بمثابة مؤسسة تربية لا يمتلك أحد ضوابطها، فهو مكان تلاق مختلف التجارب ومختلف أنماط التربية، وهو مكان للإستفادة أو العكس، لكن في حالة غياب دور الأسرة وتراجعها في إدماج الشاب اجتماعيا نتجبة العلاقات المتوترة داخلها، قد يتيح للشارع فرصة الظهور على الواجهة، وبالتالي التحكم في زمام الأمور وتعويض النقص الموجود، وإتاحة الفرصة لظهور مخاطر عدة تتباين حسب الزمان والمكان، وحسب خصوصيات وظروف كل شاب، التي قد تتفاقم مع مرور الوقت مع غياب دور الوالدين في مرافقة هذا الشاب.

الجدول رقم (07): نوع العلاقة مع الوالدين، وقضاء أكثر الأوقات.

من خلال نتائج الجدول السابق، الذي تطرقنا من خلاله لمتغير العلاقات الأسرية السائدة معظم الأحيان عند المبحوثين، سنحاول من خلال هذا الجدول الوقوف على الجو السائد داخل الأسرة من خلال متغير نوع العلاقات التي تجمع بين الوالدين.

المجموع	الشارع		أماكن الترفيه والرياضة		المنزل		قضاء أكثر	الأوقات نوع العلاقة بين الوالدين
72 %32.72	17.14	30	83.33	15	100	27		احترام وتقدير
111 %50.45	61.71	108	16.66	03	00.00	00		خلافات دائمة
37		37	00.00	00	%00.00	00		علاقات مقطوعة

		%			
	220	16.81%	175	8.18%	27
المجموع					

من خلال الإتجاهات العامة لهذا الجدول، نجد أن أغلبية المبحوثين تقرباً نوع العلاقة التي تربط بين الوالدين تتسم بالخلافات الدائمة، بنسبة 50.45 %، ترتفع عند أسر المبحوثين الذين يقضون معظم أوقاتهم في الشارع بنسبة 61.71 %، في حين أن العلاقات التي تتسم بالإحترام والتقدير 32.72 %، ترتفع عند المبحوثين الذين يقضون معظم أوقاتهم في المنزل 100 % وبالمقابل نجد نسبة 16.81 % من المبحوثين الذين تتسم علاقات أوليائهم بالقطيعة، ترتفع عند المبحوثين الذين يقضون معظم أوقاتهم في الشارع بنسبة 21.14 %.

ومن خلال ما جاء في الجدول، نلاحظ أنه من أهم عوامل التنشئة الاجتماعية السليمة للفرد، وجود التوافق الفكري والتفاهم بين الأزواج داخل جماعة الأسرة، الذين يقومون بوظيفة اجتماعية بالغة الأهمية، فهم المدرسة الاجتماعية الأولى والعامل الأول في صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية والممثلين الأوائل للثقافة، وأقوى الجماعات تأثيراً في سلوكه، وهم من يشرفون على نموه واندماجه الاجتماعي وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه، وتتشابه الأسر أو تختلف فيما بينها من حيث الأساليب السلوكية السائدة أو المقبولة، في ضوء مجموعة من المعايير الاجتماعية والقيم المرتضاه حسب طبقتها الاجتماعية وبيئتها الجغرافية والثقافية، وتبقى النموذج الأمثل للجماعة الأولية التي يتفاعل الطفل معها وجهها لوجه ويتوحد مع أعضائها.

ولطبيعة العلاقات الأسرية الأثر الأكبر في التنشئة والاندماج الاجتماعي، سواء علاقة الوالدين مع بعضهما البعض، أو علاقة الوالدين مع الأبناء، أو الإخوة فيما بينهم، فالسعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة، مما يخلق جواً يساعد على نمو الطفل وتكوين شخصيته بصفة متكاملة ومرتنة، والعلاقات السوية بين الوالدين تؤدي إلى إشباع حاجته من الأمن النفسي وتوافقه الاجتماعي، وتتجلى أول مبادئ الإسلام التربوية في الاهتمام ورعاية ثمرة الحياة الزوجية

قال سبحانه وتعالى: " يوصيكم الله في أولادكم "1، تتدرج من التزام الأب بالمبادئ والمسؤوليات وتشارك معه الأم في بعضها، منها القيام بعملية الإرشاد، تربيتهم وتأديبهم على مكارم الأخلاق ومراعاة العدل بينهم، إضافة إلى دوره التعاوني مع الأم في التربية والتوجيه المناسب، ومراعاته لحقوق ووجبات زوجته المغلفة بغلاف المودة والتقدير لها ولأبنائها.

ويكتسب الأبناء عن طريق الأسرة الحكم على الأشياء والمواقف والخبرات، وتتأثر تلك العملية بنوع العلاقات التي تربط بين الزوجين داخلها، وما يسودها من تعاون واستقرار أو تشاحن واضطراب، وكلما كانت العلاقة القائمة بين الوالدين تستند على المحبة والتفاهم والتعاون، تأتي التنشئة الاجتماعية صحيحة وسليمة، فيتشرب الطفل القيم بطريقة صحيحة وتساعد على النمو بشكل سوي يتقبل الآخرين ويثق بهم، وكذلك العلاقات المنسجمة بين الإخوة الخالية من تفضيل طفل على آخر.

وتجدر الإشارة، أن الأسرة لا تنفرد بعملية التنشئة والإندماج الاجتماعي بشكل مطلق، فقد تكون بيئة الأسرة طيبة بينما تفسد مؤثرات أخرى ما تحاول الأسرة إصلاحه، فكثير من الآباء حريصين على تربية أولادهم تربية سليمة، لا يرضون معها أن تشوش أخلاقهم وأفعالهم من أي مؤثر خارجي، وتراهم مانعين لهم من الجلوس في الطرقات، وخارج البيت في الساحات، وهذا هو تعامل غالبية الأسر داخل المجتمع، لكن ثمة قلة من الأولياء تساهلوا في هذا الباب وتركوا أبنائهم يترددون على الشوارع وأماكن التجمعات، بحجة تحصيل مصلحة تفريغ الطاقة بدون رقابة أو متابعة، أو انشغالاً منهم بأعمالهم الوظيفية، أو لعدم تقديرهم لحجم الخطر الذي يهددهم وحقبة تفريغ الطاقة بهذه الوسيلة ملغية أمام السيل الكبير من المفسدات الجنائية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية وغيرها.

1- سورة النساء، الآية 22.

ولجوء الأبناء للشارع هروبا من العلاقات المشحونة بين الأزواج، يعرضهم إلى مخاطر معروفة للشارع، كالتعرض للعنف بشتى أنواعه، واطلاع الشباب على كل الانحرافات والسلوكيات والممارسات التي لم تكن معروفة لديهم من قبل، فيتعرضون لمخاطر الانحراف وتناول المخدرات والسجائر والكحول وكل أنواع السموم التي تتداول في الشارع، مع سهولة تداول وعدم تجريم بعض المواد التي يتعاطاها الشباب في الشارع، والتعرض لشتى أنواع الاستغلال جسديا وفكريا واقتصاديا....، وكذا التعرض لمختلف أنواع الحكرة وعدم الاعتراف والعنف المعنوي، وسوء الاستغلال الجنسي من قبل المنحرفين الذي يعرضهم لعدوى الأمراض الجنسية والتناسلية وغيرها من المخاطر الشائعة، فكما يقول المثل الشعبي المشهور "الشارع لا يرحم".

وفي ذات السياق، تواجه الأسر المتفككة صعوبة في التربية، بسبب تأثير ثقافة الشارع على أبناءهم، خاصة فئة الشباب الذين لا يمكن حجزهم في المنزل، خاصة وأننا في هذا العصر نعاني من نار تأثير الوسائل التقنية والإتصال الحديثة على جيل اليوم، فيأتي الشارع ويكمل الناقص وربما يمارس فيه الابن المظاهر السيئة التي شاهدها في الأجهزة الحديثة، كما يتعلم من الشارع الكلمات البذيئة والفاحشة من لعن وسب وشتم وكذب، وكل الأقوال والأفعال السيئة، فمن يريد من ابنه أن يتعلم هذه المظاهر السيئة فليرسله إلى مدرسة الشارع وسيتعلمها خلال أيام قلائل.

وقد أثبت الواقع أن اجتماع أبناء الحي المنحرفين في مكان واحد سبب لارتكاب الجرائم الجنائية، من سرقة أو الاعتداء على المارة خاصة النساء والضعاف، ونحو ذلك من السلوكيات المنحرفة، كما أثبت الواقع أن تسكع الأبناء في الحي يعتبر بداية لتعلم أو ارتكاب الجرائم الأخلاقية من لواط أو إعجاب أو أي شذوذ جنسي، (نسأل الله السلامة والعافية)، فترك الابن يسرح ويمرح في الشوارع يجعله عرضة للانحراف والإدمان بإيعاز من شباب أكبر منهم سنا، يمتنون الإيقاع بأمثالهم، كما أن ترك الابن خاصة في سن معينة يلعب في الشارع يجعله عرضة

للاعتداء عليه أخلاقياً ممن هم أكبر منه سناً، لاسيما إن كان وسيماً، وفي بعض الحالات يتم تصويره لابتزازه لمواصلة الإعتداء عليه مرارا وتكرارا، كما قد يتعرض الابن للاختطاف من قبل العصابات المنتشرة، وكثيرا ما نسمع بين الفينة والأخرى ونقرأ في وسائل الإعلام عن حالات اختطاف الأطفال، وبناء على ذلك، فإنه من يريد أن يُبتلى ابنه بشيء من هذه الجرائم فليرسله إلى الشارع مع الأبناء المتجمعين في الساحات، ومن أراد السلامة فليمسك ولده في بيته، وليحاول إصلاح ذات البين صونا لكرامة ومستقبل الأبناء، الذين هم الضحية الأكبر للصراعات الأسرية خاصة بين الأزواج.

وكخلاصة لما سبق ذكره، فإن الخلافات الزوجية المحمومة تؤدي إلى تفكك الأسرة، مما يخلق جوا مسموما يشيع في جوها، كما يؤدي إلى أنماط السلوك المضطرب لدى الأبناء، وأول من يتحمل مسؤولية هذه المشاكل هما الوالدان، وبخاصة الأب المفرط والمضيع لأبنائه ومنزله فتجمعات أبنائنا في الشارع سوق مناسبة لترويج المخدرات من الشباب المفسدين من خارج الحي أو داخله، وطرق إيقاعهم في شراكها سهلة ومعروفة، وعليه، على الأم والأب الحريص الذي يريد تفرغ طاقة ابنه، بأن يبادر هو في توفير البدائل المفيدة له في البيت أو خارجه، قبل أن يلقي باللائمة على المجتمع المحيط به أو المؤسسات الرسمية، فالناس ليسوا مسؤولين عنهم، فعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فالوالدين راعبان ومسؤولان عن رعيتهما، والراعي هو الذي يقوم على الشيء ويرعى مصالحه فمهيئها له، ويرعى مفسده فيجنبه إياها.

الجدول رقم(08): العلاقة بين مناقشة مواضيع حساسة مع الأسرة، وطبيعة الأسرة.

المجموع	لا	نعم	مناقشة مواضيع حساسة مع	
			الأسرة	طبيعة الأسرة
119 54.09%	111 72.54%	08	11.94%	محافظة
101 45.90%	42	59	88.05%	متفتحة
220 100%	153 69.54%	67	30.45%	المجموع

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه، أن معظم المبحوثين صرحوا أن طبيعة أسرهم محافظة بنسبة 54.09%، ترتفع عند المبحوثين الذين لا يستطيعون مناقشة المواضيع الحساسة مع أسرهم بنسبة 72.54%، يقابله الفئة التي صرحت أن طبيعة أسرهم متفتحة بنسبة 45.90% ترتفع عند المبحوثين الذين صرحوا أنهم يناقشون المواضيع الحساسة مع أسرهم بنسبة 88.05%.

إن أسلوب الإتصال والحوار داخل الأسرة من خلال المحادثات والمشاورات ومناقشة المشاكل، هي عملية تفاعل بين أفرادها تسير في إتجاهات مختلفة، وذلك بهدف التأثير الإيجابي على أفرادها، ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أن عملية التواصل ومناقشة المواضيع الحساسة داخل الأسر المحافظة تتسم بالقصور والتزمت مقارنة بالأسر المتفتحة، ويعني ذلك أن

أغلب المبحوثين لا يجدون المجال مفتوحاً أمامهم للتواصل مع أسرهم حول مشاكلهم وما يشغلهم، حيث لا يوجد إرسال واستقبال، أخذ وعطاء تأثير وتأثر¹، بل قد يجدون الأذان الصاغية خارج أسوار المنزل والأسرة.

ويتفق الباحثون والمختصون في نمو الطفل، على أن النمو العاطفي للأسرة من خلال التواصل المستمر، من خلال فتح مختلف قنوات الإتصال، من أهم العوامل التي تساهم في تكوين شخصية الأبناء وتعليمهم أساليب التكيف مع الحياة واندماجهم إجتماعياً، فالأسرة تمنح للطفل الثقة بنفسه وطمأنينته بتعلقه مع الآخرين والاندماج معهم، فهي المنطلق الأساسي لتنمية قدراته على مواجهة الظروف القاسية، من خلال فتح المجال للتواصل وطرح انشغالاته وبالمقابل، عند عدم السماح له بمناقشة أموره الخاصة مع أسرته، توازياً مع حصول مشاكل له واضطراب حياته الأسرية سيؤدي ذلك حتماً إلى اضطراب نموه وسلوكه، ويصبح يشعر بعدم الثقة في نفسه وبالخوف والقلق وعدم الاستقرار.

وتكوين شخصية الأبناء لا تكون على عاتق الأم وحدها، ولا على عاتق الأب وحده، بل على كليهما، بتربيتهما التربية الصالحة وتوفير الحب والحنان، والفرق عنهما يسبب القلق وعدم الاستقرار²، رغم أن للأم القسط الأوفر في التربية وفتح المجال للإتصال والاندماج الإجتماعي لأنها تقضي معظم الأوقات مع أولادها، والأمهات عادة هم مصدر المعرفة والتعليم داخل الأسرة كما للأب دور جوهري في التأثير على نفسية الطفل، فالشخصية القوية والسوية للأب تلعب دوراً أساسياً خلال مراحل بلوغ الشاب.

ونستنتج مما سبق، أن الأسرة المفتوحة على مشاكل وانشغالات أبنائها تقوم بدور مهم في الإندماج الإجتماعي للناشئين، فهي تعمل على تهيئتهم التهيئة الاجتماعية خلال السنوات المبكرة

¹- محمد الصيرفي، مرجع سابق، ص 125.

²- فاطمة الزهراء مشتاوي، العلاج الأسري والطفل الحامل للمشاكل النفسية، الدار النشر دحلب، الجزائر، 2016، ص 19.

من أعمارهم، والتي هي من أهم السنوات في نموهم وتكوينهم، سواء في الجوانب الجسمية أو الجوانب النفسية، وهي الفترة التي يتعلمون فيها ويقومون بتكوين العلاقات الاجتماعية الأولى مع الأفراد والأشياء، ويكتسبون خبرات وأخلاق أو مبادئ ومعارف ومعلومات تشكل في مجملها القواعد والأسس التي تؤثر في توافقهم مع الآخرين، وفي تكيفهم على البيئتين الطبيعية والاجتماعية، وبالتالي تؤثر في دورهم كأعضاء فعالين في المجتمع طوال حياتهم، وتتعد الأسرة المتفتحة على أبنائها بالتشكيل والتطبيع الاجتماعي، وهي الوحدة الأساسية الفعالة للنمو والخبرة، فهي محيط تربوي تحاوري بالدرجة الأولى، يتم فيها إكساب اللغة والقيم ومعايير السلوك والضبط بسلاسة، وكسب أساليب التعامل الاجتماعية.

ودور الوالدين في تنشئة أطفالهم وفتح مجال النقاش بينهم، يظل أساسيا سواء في حمايتهم من الاضطرابات النفسية أو المشاكل الاجتماعية، التي قد تؤدي بهم إلى العزلة والاعترا، وعدم الاندماج الاجتماعي، أو الوقوع في براثن الإنحراف، فالوالدان اللذان لا يشبعان حاجات أطفالهم من حب وعطف وحنان وانتماء من خلال الإتصال الفعال والبناء، أو بالتهديد بهذا الحرمان كوسيلة للعقاب النفسي، والوالدان اللذان لا يحميان أبنائهم من رفقاء السوء ومن الخبرات السلوكية الضارة، واللذان يتخذان من العقاب الجسدي وسيلة للتأديب، يساهمان بشكل أو بآخر في إحداث اضطراب نفسي وعدم توافق اجتماعي لدى أطفالهم، كذلك الأسرة النابذة لأطفالها، حيث الإهمال والرفض وعدم السؤال عنهم، والأسرة المفككة التي يشيع فيها عدم الاحترام والمودة بين أعضائها، أو تكثرفها النزاعات والهجر والنفور خاصة بين الوالدين، أو ينتهي بنائها بالطلاق، وتشنت الأطفال بين أهل الزوج وأهل الزوجة، أو بالعكس، الأسرة الحامية لأطفالها من خلال حياة مبالغ فيها، يشيع فيها التدليل الزائد وتلبية كل مطالبهم، ومنعهم من ممارسة أي فعل بحجة إراحتهم أو الحفاظ على سلامتهم، كل أنواع هذه الأسر تنتج لنا أفرادا

سيعانون أشكالاً مختلفة من الاضطرابات والمشاكل النفسية والاجتماعية، من بينها مشاكل في الاندماج الاجتماعي السليم¹.

ومما سبق، فإنه يقع على عاتق الأسرة مسؤولية وضع اللبنة الأساسية في مشوار غرس القيم الأخلاقية لدى الأبناء منذ السنوات الأولى في حياتهم، وذلك بناء على قوة إدراك الأطفال وتأثرهم بما يرونه أو يسمعون من الأشخاص الذين حولهم، وميلهم إلى التقليد والمحاكاة، ولهذا فإن دور الأسرة يعد محورياً ومكملاً لما تقوم به مؤسسات التنشئة الأخرى من جهود لتشكيل توجهاتهم ومبادئهم، ولا يمكن لهذا التفاعل أن يتحقق، ما لم يتوفر الحوار والتواصل داخل الأسرة، الذي يحقق التوازن النفسي والاجتماعي للأبناء.

ويعد أسلوب الحوار من أنجح الأساليب التربوية، إذا قام على خطوات منطقية صحيحة يقابلها العقل، من خلال محاولة تخصيص وقت كاف للجلوس مع الأبناء وتبادل الأحاديث المتنوعة، الأخبار الاجتماعية والدراسية والثقافية وغيرها، واحترام الأبناء عن طريق الاحترام المتبادل وتنمية الوعي والصرحة والوضوح، وفهم نفسياتهم وإعطاؤهم الثقة في أنفسهم وإشراكهم القيام بأدوار اجتماعية وأعمال نافعة، وكذا قبول التنوع في اختياراتهم الشخصية طالما ليس فيها محاذير شرعية، وعدم السخرية والتهديد بالعقاب الدائم للأبناء متى ما أخفقوا في دراستهم أو وقعوا في أخطاء من غير قصد منهم، بل يتم تلمس المشكلة بهدوء ومحاولة التغلب على الخطأ بالحكمة، كذلك عدم إظهار المخالفات والنزاعات التي تحدث بين الوالدين على مسمع منهم والصبر الجميل في تربيتهم وتحمل ما يحدث منهم من عناد أو عصيان، والدعاء بصالحهم وتوفيقهم.

ونستنتج مما سبق، أن الأسرة التي يعيش أفرادها تحت سقف واحد، ولكن تكون علاقاتهم في الحد الأدنى وكذلك اتصالاتهم ببعض، سيفشلون في علاقاتهم مع بعضهم البعض، خاصة من

1 - فاطمة الزهراء مشتاوي، مرجع سابق، ص ص 20 21.

حيث الالتزام بتبادل العواطف بينهم والتفاعل بحرية وأمان، وكثير من الآباء مرتبكون بشأن عملية التواصل بشكل صحيح مع أبنائهم، خاصة في حالة وجود مشاكل بينهم، مما يؤدي إلى علاقات يشوبها التوتر والخلاف، ويدعي كلا الجانبين أن الآخر هو سبب المشكلة، فمن المفروض أن تكون الأسرة البيئة الاجتماعية التي يستطيع فيها الأبناء التعبير عن كل ما هو نفسي وعاطفي عنهم وعلى الوالدين تعليم قواعد الاتصال والحوار للأبناء، وشرح كياناتهم الشخصية وبناءهم النفسي والسلوك الاجتماعي السوي، وذلك بالتواصل معهم بشكل فعال، من خلال إشباع رغباتهم العاطفية والاجتماعية والثقافية، والرد على استفساراتهم وأسئلتهم حتى لو كان لديهم الكثير منها، والاستماع إلى قصصهم حتى لو تكررت وتبدو سطحية وغير مجدية، ذلك أن التواصل الفعال هو أحد الأشياء المهمة في حياة الوالدين والأبناء معا.

وفي الأخير، تتطلب التربية السليمة مهارات من الآباء في عملية الإتصال، التي تساعدهم على التفاعل بشكل فعال مع أبنائهم، خاصة وأن هناك فجوة بين ما يعتقد الآباء وما يفكر فيه الأبناء، حيث في كثير من الأحيان يخاف الأبناء من طرح بعض الأسئلة والأفكار، ويخافون من التواصل والحوار مع أوليائهم، الأمر الذي يدفعهم إلى التزام الصمت طوال الوقت، مما يؤدي إلى انكماش العلاقات بينهم، فالآباء يستطيعون بفضل تفتحهم مع أبنائهم واكتساب مهارات التواصل تغير طريقة تفكير وتعامل الأبناء، من خلال التحدث أمامهم بسلوك إيجابي، وفهم شخصياتهم وتفردهم، ومتطلباتهم حسب كل فئة عمرية، والتربية الاجتماعية السلبية للآباء والأمهات، ترسخ القيم والعادات الاجتماعية دون أي رأي أو نقاش أو حوار مع أبنائهم، وبعض الآباء غير قادرين أو يجهلون الطرق المناسبة للتحدث مع أبنائهم، خاصة متطلبات العمر الذي يمرون به، الصمت وعدم الإفشاء خارج الحدود الضيقة لما يحدث في الأسرة، فهناك فجوة كبيرة بين الابن والاب، بحيث لا يفهم الأب احتياجات ابنه ويسير في طريق مسدود، والأم لا تفهم الابنة من حيث الأحداث والمواقف، مما يؤدي إلى انسداد قنوات الإتصال بين أفراد الأسرة.

ومن مخاطر انعدام التواصل بين الآباء والأبناء، التفكك في العلاقات بين الأسرة الواحدة وانتشار البغض والحقد وانعدام الثقة بين أفرادها، كذلك انقطاع صلة الرحم بعد مرور وقت ما، الارتباك والصراع والجدال بين الأفراد بدلا من التفاهم، كذلك عصيان وتمرد الأولاد على الوالدين ومخالفة رغباتهم، مما يؤدي إلى فشل التربية الأسرية، وإقامة حواجز وفواصل بين أفراد الأسرة الواحدة، حيث الآباء لا يستمعون لأبنائهم، مما يجعلهم فريسة سهلة للأشرايين وينفخون قلوبهم بسمومهم، وكل ذلك يؤدي إلى الضياع والانحراف في آخر المطاف.

الجدول رقم (09): العلاقة بين التعامل في حالة اقتراف خطأ، ونوع العلاقة بين الوالدين.

المجموع	علاقات مقطوعة	خلافات دائمة	احترام وتقدير	نوع العلاقة بين
				الوالدين تعامل الوالدين في حالة اقترافك خطأ
33 %15.00	05 %13.51	10 %09.00	18 %25.00	التوجيه والإرشاد
152 %69.09	13 %35.13	88 %79.27	51 %70.83	الشدّة والقسوة
35 %15.90	19 %51.35	13 %11.71	03 %04.16	عدم التدخل في شؤونك
220 %100	37 %16.81	111 %50.45	72 %32.72	المجموع

من خلال ما سجلناه في الجدول أعلاه من معطيات، نلاحظ أن أغلب مفردات العينة صرحت أن الشدة والقسوة غالبية في أسلوب التعامل من طرف الوالدين 69.09%، ترتفع عند الفئة التي صرحت بعدم تفاهم الوالدان في المنزل بنسبة 79.27%، وبالمقابل سجلنا نسبة 15.90% ممن يقرون بعدم تدخل الوالدين في شؤونهم، ترتفع عند المبحوثين الذين أقرروا أن علاقة أوليائهم مقطوعة أحيانا كثيرة بنسبة 51.35%، وأخيرا نسبة 15% عند الفئة التي صرحت

بالتوجيه والإرشاد كطريقة لتعامل الوالدين، ترتفع عند الفئة التي يتميز أوليائهم بالتوافق والتفاهم بنسبة 25.00%.

من خلال قراءتنا لنتائج الجدول، نلاحظ أنه من أبرز العوامل الأسرية ذات التأثير في اكتساب الفرد السلوك المنحرف، أساليب أو طريقة المعاملة الأسرية، حيث تبين أن الانحراف له علاقة بالأساليب التربوية التي تعتمدها الأسر في تنشئة أبنائهم، كالتشدد في العقاب والقسوة في المعاملة والإهمال...إلخ، والتصددع الأسري هو وضع آخر يميز بعض الأسر، الذي من صورته الانفصال الروحي بين الوالدين، نتيجة عدم التفاهم أو الطلاق أو الهجر...، حيث تتميز العلاقات فيه بالقطيعة، مما يدفع بالأبناء إلى ممارسة السلوك المنحرف وغير السوي بسبب الإهمال، الذي قد يفتح المجال واسعاً أمام مؤثرين آخرين للعب دور سلبي في حياتهم يصل إلى حالات التعاطي والإجرام، فالتوتر الأسري يتمثل في توتر العلاقة بين مختلف عناصرها واضطرابها، مما يترك آثاراً سلبية في نفوس أفرادها ويدفع بهم إلى انتهاج السلوك اللاسوي بسبب النزاعات الدائمة بين الوالدين، وممارسة القمع والقسوة، وكنتيجة لكل ذلك اللجوء إلى الشوارع كحل للهروب من الواقع المعاش.

فتفكك الأسرة كما سبق لنا وأن ذكرنا في جداول سابقة، والنزاعات الدائمة أو غياب أحد الوالدين عن الأسرة خاصة الأب أو وجود زوجة الأب، يؤدي ذلك إلى إهمال الأولاد وممارسة القمع والقسوة، مما يدفع الناشئة من الشباب إلى الهروب المستمر من البيت، واللجوء إلى الشوارع والزوايا السيئة فيتعلمون منها بسهولة العادات والقيم الغير أخلاقية.

وفي هذه الحالات، تكون الأسرة عاجزة عن تشريب الناشئة معايير وقيم المجتمع نتيجة لتصدعها، أو نتيجة لعدم التوافق بين أحد الوالدين أو كليهما، أو انفصالهما أو غياب أحدهما لأي سبب من الأسباب، كما أن وجود الوالدين لا يعني بالضرورة نجاح الأسرة كوحدة اجتماعية مستقرة، خاصة في ظل وجود النزاع والشجار الدائم بينهم، حيث تتسم علاقاتهم بالقطيعة رغم

تواجههم بنفس المنزل، مما يؤثر على الأمن الاجتماعي للأطفال داخل الأسرة، ويكون عامل طرد يدفعهم للخروج إلى الشارع، والبحث عن مكان آخر أكثر استقراراً، ففي كثير من الأحيان وفي ضل الصراع والنزاع والمشاحنات التي تميز الأسر المتصدعة، يكون الانفصال أحسن من البقاء، بسبب الدمار الكبير الذي يعيشه الأبناء في حالة استمرار العلاقة الزوجية في ضل هذه الظروف، وما يتبعها من شدة وقسوة في التعامل.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هناك اختلالات كثيرة قد تصيب الأسرة، مثل تباين أساليب التربية والتوجيه والتنشئة الاجتماعية بين الوالدين وتعارضهما أحياناً، بحيث تختلط على الأولاد معرفة الصواب من الخطأ، حيث يشعر الآباء بالحاجة إلى الحفاظ على الإرث والعادات التي نشأوا عليها وأن أطفالهم يجب أن يكبروا عليها لأنهم يعتقدون أن كل منهم الأفضل، كل هذه المشكلات وغيرها قد تعترض طريق الأسرة، بحيث تكون الأسرة هي إحدى المصادر الأساسية لدفع الأولاد للانحراف والسلوك الغير مستقيم.

ويكمن التصدع المعنوي للأسرة، في أي خلل أو اضطراب يسود العلاقات بين أفرادها وسوء التفاهم الحاصل بينهم، والذي ينعكس على شخصية الأولاد، كذلك جهل الوالدين بأساليب التربية السليمة، فانهلال الرابطة الأسرية سبب رئيسي يدفع الشاب إلى الانحراف ويخلق فيه نفسية معقدة متوترة قد تهيئه لارتكاب أول جريمة، وهذا لغياب الرادع الأخلاقي الذي ينمو ويتعرض في منزل مترابط وسليم، ضمن عائلة متفاهمة ومتعاونة، وهذا ينعكس على سلوكه منذ أن يكون مجرد حدث، ويعرضه للانزلاق السريع لعدم وجود مراقبة وتوجيه وتصحيح لسلوكه عن طريق التوجيه والإرشاد السليمين.

وبالمقابل، وفي حالة عدم التكافؤ بين الزوج والزوجة يتأثر الأبناء بذلك تأثراً خطيراً، وبصفة خاصة إذا كانت الزوجة هي الأفضل من حيث وضعها المادي أو الأسري أو الاجتماعي، فإنها في حالات كثيرة تحرص على تذكير زوجها بذلك، مما يسبب الكثير من الخلافات التي يتحول على أثرها

المنزل إلى جحيم لا يطاق، فيهرب الأب إلى حيث يجد الراحة عند رفاقه أو أماكن أخرى، كما تهرب الأم هي أيضاً إلى بعض صديقاتها أو أماكن أخرى من أجل إضاعة الوقت، وبين الزوج والزوجة يضيع الأبناء وتكون النتيجة في الغالب انحرافهم.

ومن جانب آخر، ساهم التطور التكنولوجي الذي أفرز عدة تحولات مست جميع بني المجتمع والذي انعكست آثاره على الأسرة كمؤسسة اجتماعية في تغير وضع المرأة الاجتماعي، المتمثل في خروجها إلى ميدان العمل، وقضاءها وقتاً طويلاً فيه بعيداً عن البيت، الشيء الذي أثر على توازن الأسرة، وخلق صراعاً في الأدوار بينها وبين الرجل ونوع من التنافس بينهما، وبسبب تعدد مسؤولياتها ومهامها، أدى ذلك في كثير من الأحيان إلى عدم التوفيق بين واجباتها الأسرية المتمثلة في الإهتمام بزوجها وأبنائها وتوفير الجو المناسب لتنشئة سليمة، وبين عملها خارجاً، الأمر الذي يتسبب في ظهور المشاكل ويؤدي إلى تحلل العلاقات التي تربط بين أفراد الأسرة، مما ينعكس على تنشئة الطفل ومستقبله، وتحول مهام التنشئة الاجتماعية إلى مؤسسات أخرى يتعرض فيها للخطر والانحراف.

وفي الأخير، وباعتبار أن الأسرة أول وأكبر مؤسسة تسهم في عملية الإدماج الاجتماعي للشباب، يجب أن تحاول تطبيعه عن طريق التعزيز وتوفير المثل أو القدوة والنموذج، ومن هنا يظهر اختلاف الآباء في كيفية بسط قواعدهم وكيف يصرون على الطاعة، وكيف يتعاملون مع سلوك المنحرف¹، من خلال اعتماد أسلوب التوجيه والإرشاد بدلاً من أسلوب القسوة في التعامل أو عدم التدخل في شؤون الأبناء، في ضل الإحترام المتبادل والتفاهم المتجانس الدائم بين الوالدين.

وكثيراً ما يغضب الأبناء ويخطئون وهذا شيء طبيعي، لكن يجب على الآباء أن يتذكروا أن إحترام الأبناء من قبلهم لا يقل أهمية عن الانضباط المطلوب منهم، يجب التحدث معهم بطريقة

1 - عبد الرحمان العيسوي، التربية النفسية للطفل والمراهق، مرجع سابق، ص 275.

هادئة ومحبة، وتعليمهم استخدام لغة محترمة ومهذبة داخل المنزل وخارجه، وإذا ما ارتكبوا الأخطاء فلا داعي لاستخدام العقاب والقسوة في التعامل لأنه سيضر بالعلاقة معهم، إن معاملة الأبناء باحترام ولطف من طرف الوالدين لن يقرهم منهم فحسب، بل سيجعل المنزل مكاناً أفضل للعيش فيه، من خلال إظهار مقدار ما يعنيه الأبناء لهم كل يوم، وفعل كل ما في وسعهم لإسعادهم وتقوية الرابطة بينهم، مما يجعلها دائمة لا تتزعزع، فطبيعة الطفل والمتسمة بالضعف وعدم قدرته على بناء ذاته، فرض على المجتمع وعلى الجماعة منذ تكوينها ضرورة إحداث مؤسسات تقوم بدور الرعاية والتنشئة والمراقبة والضبط والتكوين والتربية بشكل عام، والأسرة على رأس كل هذه المؤسسات.

الجدول رقم (10): العلاقة بين محاولة الأسرة منع التعاطي، ورقابة الوالدين.

المجموع	لا	نعم	محاولة منع الأسرة	
			التعاطي	رقابة الوالدين
%21.36 47	%08.53 07	%28.98 40	نعم	
%78.63 173	%91.46 75	%71.01 98	لا	
%100 220	%37.27 82	%62.72 138	المجموع	

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، نلاحظ أن أغلب أفراد العينة يؤكدون بنسبة 78.63% أن الأسرة لم تحاول منعهم من التعاطي، ترتفع عند الفئة التي أقرت بعدم وجود رقابة من الوالدين 91.46%، وهو يمثل الإتجاه العام للجدول، في حين نسجل نسبة 21.36%، عند المبحوثين الذين أجابوا أن الأسرة حاولت منعهم من التعاطي، ترتفع عند الفئة التي أقرت بوجود رقابة من طرف الوالدين 28.98%.

وما يمكن إستنتاجه من خلال قراءة الجدول أعلاه، أين أقر أغلبية المبحوثين عدم محاولة أسرهم منع تعاطيهم للمخدرات، والذي يرتفع احتمال حدوثه عند المبحوثين الذين أقروا بضعف رقابة الوالدين لهم، الشيء الذي يعبر عن تراخي قواعد الرقابة والضبط الإجتماعي عندهم فعدم محاولة الأسرة منع فلذات أكبادهم من الإدمان والتعاطي، ينم عن جهلهم ولوج أبنائهم في هذا الطريق المظلم، ويعود ذلك لأسباب متعددة على رأسها ضعف أو انعدام الرقابة والمتابعة الوالدية، وجهلهم للمؤشرات الدالة على تعاطي أبنائهم، وبالمقابل من أجابوا أن الأسرة حاولت منعهم من التعاطي، ترتفع عند من يولون أهمية لمراقبة أبنائهم، والذي يكون عادة على شكل متابعة واهتمام لما يحدث لهم، لكن محاولة الأهل تجنب أبنائهم الولوج إلى عالم التعاطي لا يؤدي دائما أكله، خاصة عند وصولهم إلى سن معينة يصعب معها التحكم في تصرفاتهم ومنعهم عن السلوكات المنحرفة والغير سوية، حيث يصبح التحكم فيهم أمر صعب للغاية، خاصة إذا ما وصلوا إلى درجة الإدمان والتعلق بالمادة المخدرة.

ومما لا شك فيه، فإن رقابة الوالدين هي الركن الأساسي في بناء أسرة صالحة وبالتالي مجتمع صالح، وأن انتماء الفرد لمجتمعه يتم عبر انتمائه لعائلته، التي تشكل الخلية الاجتماعية التي يتعرع داخلها، ويتعلم من خلالها ما هو مقبول أو مرفوض اجتماعيا، فالعائلة إذا كانت غير مستقرة ولا تقوم بعملية الرقابة على الأولاد، قد يؤدي بهم ذلك إلى الانحراف وسلوك التعاطي كما يساهم إنعدام أو قلة المراقبة والمتابعة من طرف الوالدين لأبنائهم ومساءلتهم على التأخير أو على بعض السلوكيات الغير سوية التي يقومون بها، أو عدم ملاحظتهم لذلك أصلا، إلى الإنسيابية والتراخي والتمادي فيما يقومون به، وبالتالي عندما يشعر أنه ليس مراقب ومتابع قد يندفع أو بدفع عنوة باتجاه الإنحراف، حيث تعد المتغيرات الاجتماعية هي كل ما يحيط بالشباب منذ ولادته، من عوامل وظروف ومؤثرات يكون لها انعكاسات مباشرة أو غير مباشرة على تشكيل الأنماط السلوكية عنده، بحيث يؤدي أي خلل أو اضطراب في هذه المتغيرات إلى انحراف الشاب.

وهناك عدة أسباب لضعف أو انعدام الرقابة من طرف الوالدين، فقد يرجع إلى انخفاض المستوى التعليمي والثقافي للوالدين وجهلهم بمستحدثات الأمور، فالشباب الذي يعيش في بيئة يحيط بها الجهل ويغيب عنها الوعي والإرشاد فإنه سيقع في حبال الرذيلة والانحراف، حيث أن الأهل لا يتمكنون من توجيهه وإرشاده والتعامل بشكل مناسب مع متطلباته، كما أن لجهل الوالدين بأساليب تربية الأبناء بشكل سليم أثر بالغ في عدم الرقابة عليهم، فالتربية ليست مجرد توفير طعام وكساء وماوى، بل هي مجموعة من القيم والمبادئ السامية التي يتعلمها الفرد من الأسرة والمدرسة، وعلى الوالدين مراقبة التزامه بها، وإذا كانت التربية غير سليمة يمكن أن يولد عند الفرد بعض السلوكيات أو الأفعال الغير سوية والتي ستحوطه إلى جانح، كما يمكن أن يتولد عنده خيبة أمل من سوء المعاملة التي يتلقاها.

ومن أسباب ضعف الرقابة والمتابعة أفضا، عمل الأم خارج المنزل، وما يترتب عنه من قلة إشرافها ومتابعتها لتصرفات أبنائها وما يواجهونه في حياتهم اليومية، كما أنه في ظل ضغط العمل المرتفع يعود الأب أو الأم في وقت متأخر، لا يكون لديهم الوقت لسؤال أبنائهم عن وضعهم ودخول عالمهم وعدم التواصل معهم في الأمور الاجتماعية والنفسية والتعليمية الخاصة بهم، ونتيجة لإهمال متابعة الأبناء وتربيتهم بحجة متطلبات الحياة والأسرة المتعددة، يؤدي ذلك إلى حدوث فجوة بينهم، فعندما يتعلق الأمر بالقطيعه بين الوالدين والأبناء، لا يمكننا أن نلوم الوالدين ولا الأبناء، فلكل منهم أسبابه المنطقية لذلك، كلا الجانبين لهما أفكار مختلفة وقد لا يتواصلان مع بعضهم البعض، الشيء الذي يؤدي مع مرور الوقت إلى انقسامات بينهم، مما يجر إلى محاولة الآباء فرض سيطرتهم وإثبات أنهم أصحاب السلطة المطلقة في الأسرة، ولكن عندما يكون الوقت قد تأخر كثيرا على ذلك.

وفي سياق متصل، يتأثر الأبناء بما هو حديث وعالمي من حولهم، ويرغبون في تجربة كل ما هو مشترك في وقتهم، على الرغم من أنه يجب على الآباء مراقبة ما يهتم به الأبناء لمنعهم من

التعلق بأشياء تتعارض مع المعتقدات والعادات والتقاليد التي كبر عليها الآباء، من خلال تنشئتهم قبل ظهور تكنولوجيا الإتصال بمختلف أنواعها على رأسها الإنترنت، ونشأة الأبناء في عصر الإنترنت يجعل الجيلين يعيشان في صراع، وتنبع الكثير من المشاكل والخلافات التي تفصل بين الآباء والأبناء، من الاختلافات في كيفية التحدث واستخدام المرادفات في حياتهم اليومية، فضلا عن الاختلافات في شكل الملابس التي يرتدونها وغيرها من مستحدثات الأمور، ونتيجة لذلك تحدث فجوة عندما يصر الآباء على تلبية رغباتهم وعدم السماح لأبنائهم بالتعبير عن أفكارهم وآرائهم في أمور تختلف عن تنشئتهم وتربيتهم.

ومن أسباب الاختلافات الثقافية العامة بين الآباء والأبناء، أن الآباء لا يجدون نموذجا فعلا في تربية أبنائهم، فهم يسعون لجعلهم يتصرفون ويفكرون مثلهم في الحياة العامة وبالمقابل، يميل الأبناء إلى إتباع النموذج الغربي بشكل عام في كثير من مظاهر الحياة، وتكون تلك الثقافات غير متوافقة مع مجتمعاتنا العربية والشرقية.

كما أنه في بعض الأحيان، قد تكون هناك بعض الخلافات الأسرية التي تنهي العلاقة بين الزوجين إلى أكثر الحلال كرها وهو الطلاق، حيث يشعر الأبناء بتفكك الأسرة بعد الانفصال بين الوالدين، ويستشعرون مستقبلا ضائعا تضعف معه آليات الرقابة والمتابعة، ومن جهة أخرى فإن انشغال الوالدين عن تربية أبنائهم بالعمل أو لقاء الأصدقاء أو السفر الدائم، وعدم متابعتهم أو مراقبة سلوكهم، يجعل الأبناء عرضة للضياع والوقوع في مهاوي الإدمان، ولاشك أنه مهما كان العائد المادي من وراء العمل أو السفر، فإنه لا يعادل الأضرار الجسيمة التي تلحق بالأبناء نتيجة عدم رعايتهم الرعاية السليمة، فغياب الأب أو الأم أو كلاهما لأي سبب من الأسباب عن المنزل لا شك أن يكون له تأثير على تربية الشاب وتوجيهه.

وفي الأخير، نستنتج أن النمو السليم للأبناء يعتمد بشكل كبير على الدور الذي يلعبه الوالدان، من خلال الطريقة التي يراقبون بها أبنائهم ومدى الاتصال بينهم، وحجم الضبط

والرقابة التي يضعونها على حياتهم، فالنمو الذي يمنح الحدث الأمان والحنان والتجارب الجديدة والمسؤوليات والثناء والتقدير، يقابله قدر مناسب من الحزم واحترام الأنظمة والقوانين، يسهم في تطوره ونموه الصحيح، وقد بينت نتائج الجدول أن ميل المبحوثين للسلوك المنحرف والاتجاه نحو التعاطي، يعزى إلى انعدام سيطرة الوالدين عليهم وفقدان المتابعة والارشاد والرقابة، ويترتب عن ذلك مشكلات نفسية وسلوكية واجتماعية، كما يصاب الشاب بفقدان الثقة بالنفس والأمن والتقدير الاجتماعي والانتماء مما يدفعه للسلوك المنحرف، وتعد العمليات الوالدية من خلال إدماج أبنائهم إجتماعيا، أكثر فعالية عندما تكون الصحة النفسية للوالدين مستقرة إلى حد يكفي لدعمهم.

المبحث الثاني: دور المؤسسات التربوية والدينية في إدماج الشباب إجتماعيا:

تلعب العديد من المؤسسات التي أوجدها المجتمع وعلى رأسها المدرسة، دورا هاما في إدماج الفرد في المجتمع، فهي تعطي الفرد فرصة إقحامه في الحياة الاجتماعية، وتتجلى أهميتها في عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها مجتمعا مصغرا، تتضمن مجموعة من التنظيمات والأنشطة الاجتماعية، وتعتبر ثاني مؤسسة يتعرف عليها الطفل بعد الأسرة، ومكملة لعملية التربية والتعليم، تسهم في خلق مناخ ملائم ومناهج دراسية تتفق مع قدرات الطفل، وتشبع حاجاته وتجذب انتباهه للمشاركة في العملية التعليمية، كما تراعي التسلسل والتدرج في الانتقال من المجهول إلى المعلوم في يسر وسهولة، من خلال تعامل المدرسين والإدارة التعليمية، بحيث تنمي روح التعاون ومشاعر الوطنية والانتماء لديهم، وتحمل المسؤولية والقيم الأصيلة وإدماجهم إجتماعيا، وهذا ما تتميز به المدرسة عن غيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية¹.

1 - صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، دار المعارف، مصر، 1982، ص 9.

وتلعب المؤسسات الدينية على غرار المؤسسات التربوية أهمية كبيرة في عملية التنشئة والإدماج الاجتماعي، ودورا هاما في حياة الفرد والمجتمع من الناحية الروحية، فالدين يفسر للفرد سبب وجوده في الحياة وعلاقته بالعالم الطبيعي والاجتماعي، ويحدد له أساليب مواجهة الأزمات والأفعال، والدين يقوم بعملية الضبط الاجتماعي، الذي يكون من خلال العمل على تكوين الضمير لدى الفرد الذي يحدد تصرفاته ووسائل تحقيق الأهداف، فالفرد يراعي الخالق في كل تصرفاته ويحاسب نفسه على كل ما يقوم به دون الحاجة إلى رقيب خارجي يقوم بهذه المهمة، وتقوم دور العبادة على غرار المؤسسات التربوية بتشكيل شخصية الفرد وغرس القيم والعادات والاتجاهات والأنماط السلوكية، مما يساعد على تكوين الشخصية السوية وفهم ما هو محرم وما هو مسموح به، ويجنبهم الوقوع في الأخطاء والانحراف¹.

الجدول رقم (11): العلاقة بين المستوى التعليمي ومتابعة الوالدين لدراستك.

المجموع	جامعي	ثانوي	متوسط	ابتدائي	المستوى التعليمي	
					متابعة الوالدين لدراستك	
71 32.27%	05	58 77.33%	06 05.94%	02	05.12%	دائما
48 21.81%	00	14 18.66%	26 25.74%	08	20.51%	أحيانا
101 45.90%	00	03 04.00%	69 68.31%	29	74.35%	أبدا
220 100%	05 02.27%	75 34.09%	101 45.90%	39	17.72%	المجموع

من خلال توزيع بيانات هذا الجدول، نلاحظ أن متابعة الوالدين لدراسة أبنائهم تتسم في الغالب بالامبالاة 45.90%، ترتفع عند فئة المبحوثين الذين يملكون مستوى ابتدائي، بنسبة

1 - سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، ط 3، القاهرة، 1998، ص ص 93 - 94.

74.35%، بقلبه 32.27%، عند الفئة التي ترى أن متابعة الوالدين لدراساتهم تتسم بالتذبذب ترتفع عند الفئة التي تملك مستوى تعليمي متوسط 25.74%، وسجلنا نسبة 21.81%، عند الفئة التي ترى أن متابعة الوالدين لدراسة أبنائهم تتسم بالجدية، ترتفع عند الفئة التي تملك مستوى تعليمي عالي بنسبة 100%.

يكتسب الطفل قبل أن يبلغ سن الالتحاق بالمدرسة عن طريق الأسرة عددا مهما من المهارات اليدوية، وطرق التواصل المختلفة والأخلاق والفضائل الأساسية، وبعض الممارسات الاجتماعية وتمارس الأسرة الوظيفة التعليمية والتربوية حتى بعد التحاق الأبناء بالمدرسة في جميع المراحل التعليمية، من الإشراف عليهم ومتابعتهم على استذكار دروسهم وإمدادهم بكل ما يعينهم على الانتظام في الدراسة، ومراقبة مشوارهم الدراسي، ومنحهم الإهتمام الخاص بتوفير الجو المناسب والصحي ومرافقتهم الرفقة الحسنة في مشوارهم التعليمي.

وبناء على نتائج الجدول أعلاه، فإن إهمال الأسرة ولامبالاتها في تتبع مشوار أبنائها الدراسي عبر مختلف مراحلها، قد يؤدي إلى التسبب والفشل في الدراسة ومحاولة الهروب من المدرسة والنفور منها، وتهاون الأسرة قد يؤدي إلى فراغ قد يملئه رفقاء السوء حين تتاح لهم الفرصة لذلك، وتساعده على الهروب من الواقع شعوريا ولا شعوريا، ومن ثم الاتجاه نحو الانحراف بأشكاله المتنوعة، وتشيع هذه المشكلة في مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية والأسر ذات المستويات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة.

وللفصل بين دور الأسرة في الرعاية والتوجيه والمتابعة، ودور المدرسة في التربية والتعليم آثار سلبية عديدة، ينبغي معها مد جسور التعاون بينهما، في جو من الثقة والتعاون في سبيل الرقي قدما نحو بناء جيل سوي، بعيدا عن مسببات الانحراف والسلوكات الأخلاقية والإجرام، وعلبه، فإن التربية لا تبدأ بالمدرسة وتنتهي بها، وإنما تبدأ ببداية الحياة داخل الأسرة وتنتهي بنهايتها في المجتمع، وما المدرسة أو التعليم المدرسي بكافة مراحلها وبجميع أنواعه (عام

نظري، فني، عملي، تكنولوجي... إلخ)، إلا حلقة من الحلقات التي يتم فيها جزء من التربية، وعليه فإن التربية عملية مستمرة بين الأسرة والمدرسة وجميع التشكيلات الأخرى.

وباعتبار المدرسة ثاني سلطة على الفرد خارج نطاق أسرته، تهدف إلى اكتسابه (طفلا فمراهقا فراشدا) سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لادوار اجتماعية معينة، تيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية، عليه أن يتقبل هذه السلطة ويتكيف معها، لأن عدم تكيفه معها ينمي لديه خيبة الأمل، وهنا على المدرسة أن تفرض حدا أدنى من القواعد والنظم التي تساعد على أداء دورها بالتوازي مع دور الأسرة، حيث إذا فرضت أسلوبا صارما لا يتفق والحد الطبيعي للأمور يؤدي ذلك إلى نفورهم وتهربهم منها، وبالتالي تكون عاملا مساعدا لانحرافهم.

وقد يرتبط سلوك التعاطي والإدمان بقوة بصفات الفشل الدراسي والاجتماعي والنفسي، وما يصاحبه من مشاعر الإحباط والاستياء عندهم، مما يؤدي إلى نفورهم من الدراسة والتعليم ويدفعهم إلى تجربة نشاطات بديلة تمتص مشاعر التوتر النفسي عندهم، تلك البدائل قد تكون كارثية ونتائجها وخيمة على مستقبل الناشئة، وسببا في انحرافهم وانجرافهم في هاوية التعاطي والإدمان، حيث تشير العديد من المؤتمرات العالمية والمحلية إلى أن بدء التعاطي يقع غالبا في سن المراهقة (خاصة المبكرة)، وهي الفترة التي على الناشئة قضائها في المدارس والثانويات والجامعات والتي تمتد عبر مراحل عمرية متعددة، ولكن تبدو أكثر خطورة وشيوعا لدى فئة الشباب والمراهقين. وهذا العمر يصل فيه الفرد إلى قمة قدراته على العطاء والبذل والإنتاج.

وفي سياق متصل، تستطيع المؤسسات التربوية ممارسة دورها كهيئة اجتماعية بتحقيق وظيفة الصهر والتوحيد، وإيجاد التجانس والتآلف بين الناشئين، ولا يتم ذلك إلا على أسس أخلاقية تترسخ في النفس، حتى ترتفع كل الفوارق والاختلافات بين طبقات النشء المختلفة والعمل على تنسيق الجهود التربوية المبذولة على صعيد الأسرة والمدرسة، وذلك في إطار اجتماعي مشترك، لا تتضارب فيه الجهود ولا تتعارض، ويتم ذلك عن طريق مجالس الآباء وتفعيل دورهم وقبول

اقتراحاتهم، بحيث يصبح نهجا أساسيا في حياتهم اليومية، خاصة في ظل التحولات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي يمر بها العالم، وهو ما يحتم تهيئة المدارس لمواجهة مثل هذه التحولات التي قد تنعكس سلبا على سلوك ومظاهر بعض الطلبة، والعمل على تحقيق التكامل مع الجهود التربوية والتعليمية التي تقوم بها بقية مؤسسات المجتمع.

ويمكن القول، أن انخفاض المستوى الثقافي والتعليمي القيمي داخل الأسرة، قد يؤدي إلى امتصاص الأطفال لقيم غير مرغوب فيها، تكون سببا في كثير من المشكلات الأسرية في أسرهم الحالية، ثم ينقلونها بعد ذلك إلى أسرهم المستقبلية، ويمكن أن تسهم المدرسة بمختلف مراحل التعليم العام بترسيخ عدد من القيم الأخلاقية التي بادرت الأسرة بغرسها أصلا، بأن تعمل على تعزيزها لدى الطلبة بالتركيز على القيم الأخلاقية، كالإيمان الصادق والمحافظة على العبادات واحترام الآخرين، وغيرها من القيم السامية الموجودة بالفطرة في نفوس أبنائنا، لكنها بحاجة لإبرازها وصقلها والاستمرار بتعزيزها، وهو ما يؤكد مبدأ المسؤولية المشتركة والتكامل بين المدرسة والأسرة وبقية مؤسسات المجتمع.

وللتعاون بين الأسرة والمدرسة من خلال مجالس الآباء والمعلمين أهمية كبيرة، إذ تنعكس تربية المدرسة على سلوك الطفل، الأمر الذي يدعو إلى تكثيف الجهود، ومشاركة الأطراف الإنسانية جميعها في توجيهه إلى الأهداف التربوية والإسلامية توجيها سليما، من خلال التفاعل البناء بين البيت والمدرسة، التي تعد ضرورة ملحة لأنهما المسؤولان عن تربية الأطفال وتندشتمهم، ودور كل منهما مكمل للآخر، ومن العوامل التي تتحكم في أهمية ذلك هو تثبيت المهارات التعليمية التي يتعلمها الأطفال في المدرسة، ومنع حدوث التغيب والتسرب عندهم، يحتاج ذلك من المدرسة والبيت الاستمرارية في المتابعة والإشراف عليهم معا، ويقوم التعاون بين الأسرة والمدرسة لتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية من خلال القضاء على الصراع بسبب تعارض وجهات النظر.

وفي سياق متصل، فإن التعاون بين هاتين المؤسستين يجعل خطة العمل التربوي مشتركة بينهما، على ضوء اعتماد أهداف مشتركة توجه العملية التربوية، ويؤدي إلى فهم المدرسة أوضاع الطفل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، مما يجعلها تعمل على مساعدته في تخطي المشكلات التي قد تواجهه في هذا المجال، من خلال الاتصال بين الأسرة والمدرسة خلال مجالس الآباء والمعلمين، كما سبق لنا وأن وضحنا سابقا، إذ تقوم هذه المجالس بمناقشة خطط المدرسة ومشروعاتها وأنشطتها ومشكلاتها، ودعوة أولياء الأمور إلى البحث في مشكلات أبنائهم الدراسية، مما يؤدي إلى تكوين انطباع صحيح عن مستقبلهم، بالإضافة إلى التركيز على الأنشطة المدرسية، مما يعمق العلاقة بين الأسرة والمدرسة وينميها، من هنا، يتضح لنا جليا أن عمل المدرسة متمم لعمل الأسرة في صقل النماء وتعزيزه، وحتى تقوم المدرسة بهذا الدور، يجب أن يكون القائمون عليها أكفاء ومسؤولين، ويمثلون قدوة حسنة في عطاءهم وأقوالهم، لذلك لا بد من توافر صفات مهمة فيهم.

وفي الأخير، فإن نتائج الجدول، تتضمن تأكيدا قاطعا لمسؤولية الوالدين على رعاية أبنائهم وتعهدهم بالتربية الحسنة والتوجيه والعناية المتكاملة، التي تنتج لهم أفضل السبل للنمو السوي في جميع جوانب الشخصية، ويؤكد المعنى السابق ويزيد عليه أثر التربية الأسرية في التربية وتحميل الوالدين تبعات رعاية وتنشئة أبنائهم، وتحملهم لتبعات أي خطأ أو تقصير أو إهمال، فالطفل يولد على الفطرة والأسرة هي من يقوي استعداده وميوله ومواهبه التي تؤهله لتكوين شخصية معينة.

الجدول رقم (12): علاقة التغيب عن المدرسة، ونوع المشاكل داخلها.

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	التغيب عن	
				المدرسة	نوع المشاكل في المدرسة
61 27.72%	24 36.36%	19 26.02%	18 22.22%	مشاكل مع الزملاء	
68 60.90%	19 28.78%	22 43.83%	27 33.33%	مشاكل مع الأساتذة	

ضعف التحصيل الدراسي	36	32 30.13%	23 34.84%	91 39.09%
	44.44%			
المجموع	81	73 33.18%	66 30.00%	220 100%
	36.81%			

إن المعطيات الواردة في الجدول، تبين العلاقة التي تربط بين متغير التغيب عن المدرسة ونوع المشاكل التي كانت تواجه الباحثين داخلها، والهدف من ذلك الحصول على الدلائل التي تشير إلى أي حد أو إلى أي مدى تسهم هذه المشاكل في إحباط الأفراد، وتجعلهم ينفرون ويغيبون أو يتركون الدراسة.

ومن خلال النسب المسجلة، نلاحظ أن الباحثين الذين يغيبون عن مقاعد الدراسة دائما 36.81%، ترتفع عند الذين واجهوا من خلال مشوارهم الدراسي مشاكل بسبب ضعف تحصيلهم الدراسي 44.44%، تقابلها ما نسبته 33.18% ممن كانوا يتغيبون أحيانا عن المؤسسة أثناء تدرّسهم، عند الذين واجهوا من خلال مشوارهم الدراسي مشاكل مع الأساتذة في المدرسة 43.83%، وأخيرا ما نسبته 30.00%، ممن كانوا لا يتغيبون عن الدراسة ترتفع عند الباحثين الذين يواجهون مشاكل مع زملائهم في المدرسة 36.36%.

ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، يتضح لنا جليا أن البيئة المدرسية تلعب دورا هاما في الصحة النفسية والجسمية للفرد وإدماجه إجتماعيا، مثلها مثل البيئة الأسرية، فالبيئة المدرسية التي تراعي الجوانب المرتبطة بفترة النمو والمراهقة للفرد، تساهم في جعله يستغل تلك الفترات في اكتساب خبرات مفيدة، تساعد في تكوين اتجاهات إيجابية تجاه الذات وتجاه القيم السائدة في المجتمع وتجاه المجتمع ككل، ويفترض أن تقوم المدرسة بغرس القيم الاجتماعية الإيجابية التي تحقق الأهداف العليا للمجتمع في نفوس الناشئة، ولكن أحيانا يحدث العكس حيث تسهم المدرسة ولو بشكل غير مباشر في تكوين قيم سلبية ومنحرفة لدى طلابها، مما ينعكس على سلوكياتهم في المستقبل وينتج جيلا من الفاشلين والمنحرفين.

وتعتبر ظاهرة الغياب عن المدرسة، وهو الانقطاع المتكرر عن المدرسة بشكل غير طبيعي، من الظواهر الآخذة بالانتشار في المجتمعات، وقد أضحى الهدر المدرسي مشكلا اجتماعيا يحير مختلف الآباء والأساتذة والإدارة في البيئة المدرسية، حيث أن التداعيات الاجتماعية والفردية للانقطاع الدراسي كثيرة جدا، فهؤلاء التلاميذ يعانون من سوء التكيف الاجتماعي الذي يتمثل في مجموعة من اضطرابات السلوك والجنوح، والتي قد تسبب الكثير من المشاكل للطالب نفسه وللمجتمع وعليه، يجب أن تتكاتف الجهود للتخلص منها.

والملاحظ من خلال نتائج الجدول، أن الغياب عن المدرسة يعود إلى عدة أسباب لا إلى سبب واحد، منها عدم رغبة الأبناء في التعليم فيفتقدون الهدف الأساسي منه ويجعلهم يشعرون بعدم فائدة الذهاب إلى المدرسة، كما لكرهية الإبن لمادة معينة أو لمعلم معين الأثر الكبير في التغيب فعندما يفتقر المعلم للأساليب التشجيعية التي تزيد من رغبة الطالب في الدراسة، فإنه يحجم ويكره المشاركة في الحصة، ثم ما يلبث أن يكره المادة نفسها ولا يحب حضورها، كذلك خوفه من المدير أو بعض المدرسين، الذين يستخدمون العقاب الشديد في غير مكانه لمعالجة المشاكل وضعف المدرسة في ضبط وتنظيم الطلاب في المدرسة، وكذلك المشاكل بينهم وزملائهم، وإهمال الأبناء لواجباتهم المدرسية وتراكمها واعتمادهم على الدروس الخصوصية، يجعلهم لا يهتمون لغياهم، ومن الأسباب القوية أيضا، مواجهة الأبناء لبعض الصعوبات في فهم المنهاج المدرسي خاصة إذا ما اقترن ببعد مكان السكن عن المدرسة وصعوبة المواصلات بينهما، كذلك التعب والإرهاق، فالإبن عندما يسهر لساعات طويلة يصعب عليه الاستيقاظ في الصباح الباكر للذهاب إلى المدرسة وينفره منها، كما لطريقة معاملة أهل الممتثلة بالدلال الزائد أو القسوة الشديدة آثار سلبية على المشوار الدراسي للأبناء، وقد يعود السبب كذلك، لحاجة الأسرة المادية حيث يضطر الأبناء إلى الخروج من أجل العمل، خاصة في ضل التفكك الأسري وتنصل أحد الوالدين من المسؤولية فيضيع الأبناء ويضيع معهم مستقبلهم الدراسي.

ومن آثار مشكلة الغياب عن المدرسة على الأبناء، أنهم قد يتأخرون في التحصيل الدراسي ومن ثم الرسوب وزيادة تعقيد المشكلة، كما أنهم قد يقعون فريسة سهلة للمنحرفين وأصحاب السوابق ومفتعلي المشاكل، ويخسر المجلس التعليمي الكثير من المقدرات التي تذهب هباءا عندما يستمر الأبناء في الغياب، ومن الوسائل التي قد تعالج المشكلة، غرس حب التعليم فيهم ليستطيعوا تقدير أهمية الذهاب للمدرسة وتلقي العلوم، ويقع ذلك على عاتق الأسرة بصفة أساسية، وعلى المدرسة في نفس الوقت، من خلال زيادة الروابط بين المدرسة والبيت، من أجل متابعة أحوال الأبناء في المدرسة، وتزويد الأسرة بأي تغيرات سلبية عليهم أو مشاكل، من أجل معالجتها في أسرع وقت، وتوفير البيئة الأسرية المناسبة التي تحقق للأبناء الراحة، ومتابعة حل الواجبات أولا بأول واستخدام المدرسين للأساليب المناسبة في التدريس، مع توفير المدرسة للمرافق المساعدة التي فيها نوع من التسلية والترفيه، ومحاولة إيجاد مرشد تربوي لعلاج المشاكل التي قد تسبب تغيب الأبناء عن المدرسة، فأحيانا يحتاج الأبناء للحديث فقط.

ونلاحظ كذلك من خلال نتائج الجدول، أن الفشل في الدراسة له تبعات خطيرة، على رأسها القصور الذهني عند البعض الذي يؤدي إلى عدم الرغبة بالتعلم، من خلال عدم الانسجام مع البرامج الدراسية وعدم التركيز والفهم...إلخ، فكل هذه الأمور تؤثر على شخصية الأبناء، وقد تدفعهم إلى الهروب من المدرسة، أو إبداء ردود فعل مضادة للمجتمع نتيجة الشعور بالنقص والقصور عن بقية زملائهم، فالفشل في الدراسة ينعكس على حالتهم النفسية، وهذا ما يدفعهم إلى إطلاق العنان للزعات الفردية والعدائية، بقصد التعويض عن عدم التوفيق الذي يسود حياتهم المدرسية، كما أن الفشل في الدراسة قد يؤدي بهم أيضا إلى تركهم المدرسة في مرحلة مبكرة لم تتكون لديهم بعد مقومات مواجهة الحياة ومشاكلها، بحيث يصبحون معرضين للانحراف أكثر من غيرهم.

ومما لا شك فيه، هناك مجموعة من العوامل الاجتماعية التي قد تعيق المدرسة عن أداء الدور المنوط بها في إدماج منتسبها في بناء ثقافتهم وثقافة المجتمع ككل، ومن ذلك سوء معاملة بعض المدرسين أو زملاء في الدراسة أو المحيط المدرسي أو ضعف التحصيل الدراسي، مما يولد لديهم مشاكل في الإدماج والهروب من التعليم والتحصيل الدراسي، والخروج من المدرسة دون مستقبل واضح، خاصة ما إذا توازي ذلك مع إهمال ولامبالاة الأسرة، ونستنتج من ذلك، أن للبيئة المدرسية أو المحيط المدرسي دور كبير في ظاهرة التسرب المدرسي والنفور من التعليم يقابله إهمال ولامبالاة الأسرة، فنجاح الأطفال أو فشلهم يتوقف على إمكانياتهم الذهنية، وعلى متابعة أوليائهم لمشوارهم الدراسي، وكذا نوع المعاملة التي يتلقونها في المدرسة، سواء من المعلمين أو من زملاء الدراسة.

وقد ثبت أنه من الأمور التي قد تسبب جنوح الأحداث أو تهيئ الظروف للانحراف، عجز المدرسين عن فهم طبيعة النفس عند المتدرس، وممارسة أساليب العقاب القاسية والتعنيف الجسدي والمعنوي عليهم، خاصة في مراحل المراهقة الحساسة والصعبة، مما قد يؤدي إلى بعض التسبب من قبل بعض الطلبة المنحرفين، في صورة اعتداءات على مدرسيهم بآلات حادة وأيضا الاعتداء على سياراتهم وممتلكاتهم الشخصية، بهدف الإنتقام ورد الإعتبار، فيما تلجأ فئة أخرى للعزلة والخوف الشديد من المدرسين، مما يضعف شخصيتهم ويتراجع مستواهم التحصيلي ويصبحون كارهين لبعض المواد وفاشين فيها بسبب مدرسي تلك المواد، فالجنوح في هذه المرحلة أي مرحلة الدراسة، هو نموذج من السلوك الاجتماعي الذي يقوم المنحرف من خلاله بتصرفات مخالفة للقوانين الاجتماعية والأعراف والقيم السائدة في المجتمع، ويسيء به إلى نفسه وأسرته ومدرسته ومجتمعه، فالدور الذي تلعبه المدرسة في التنشئة والإندماج الاجتماعي، يعتمد إلى حد كبير على شخصية المدرس الذي يمثل بالنسبة للطفل السلطة الواجب طاعتها ويعتبر المثل الأعلى له، وكذا زملاء الدراسة الذين يمضي جل يومه بصحبتهم داخل صرح المؤسسة التعليمية.

ومن جانب آخر، عندما يضغط الوالدان على الابن ويطلبون منه التفوق في دراسته مع صعوبة أو عدم إمكانية تحقيق ذلك، قد يلجأ إلى استعمال بعض العقاقير المنبهة أو المنشطة من أجل السهر والاستذكار وتحصيل الدروس، مما يؤثر عليه ذلك مستقبلاً، فلا يستطيع بعد ذلك الاستغناء عنها ويصبح مدمناً عليها.

وللعلاقات الاجتماعية داخل المدرسة دوراً وأثراً كبيراً في عملية التنشئة والإندماج الاجتماعي فالعلاقات بين المعلمين والتلاميذ يجب أن تقوم على أساس من الديمقراطية والتوجيه والإرشاد السليم، والعلاقات بين التلاميذ أنفسهم يجب أن تقوم على أساس من التعاون والفهم المتبادل، والعلاقات بين المدرسة والأسرة يجب أن تكون في اتصال دائم، وتلعب مجالس الآباء والمعلمين دوراً هاماً في إحداث عملية التكامل بين البيت والمدرسة في عملية التنشئة والإندماج الاجتماعي، وعلى المدرسة أن تمارس العديد من الأساليب النفسية والاجتماعية في عملية الإندماج الاجتماعي، من خلال دعم القيم السائدة في المجتمع بشكل مباشر وصریح في مناهج الدراسة وتوجيه النشاط المدرسي بتعليم الأساليب السلوكية الاجتماعية المرغوب فيها، والعمل على فطام الطفل انفعالياً عن الأسرة، مع تقديم نماذج للسلوك الاجتماعي السوي، وقيام المدرس بدور اجتماعي دائم التأثير في التلميذ المتمدرس، حيث يمثل سلطة تقدم القيمة العامة، فهو المنفذ للسياسة التربوية في المجتمع ويقدم ما يحدده المجتمع بأمانة وإخلاص وموضوعية.

وفي الأخير، وبناء على ما سبق طرحه، فإن لترك الدراسة أسباب نفسية وعقلية واجتماعية واقتصادية وربما صحية أحياناً، وثمة أسباب ترتبط بالمدرسة تساهم في ترك الدراسة من قبل البعض، كسوء تعامل الإدارة أو المدرسين أو الزملاء معهم، وأسباب أخرى ترتبط بالأسرة حيث يعيش مشاكل نفسية واجتماعية بسبب سوء تعامل الأبوين، أو المشاكل المستمرة بينهما، أو مشاكل الطلاق، أو عدم رعايتهم وإهمال حثهم وتشجيعهم على الدراسة، وعدم توفير الظروف اللازمة لذلك...إلخ، التي تؤدي كلها إلى ضياع الأبناء وتشردهم.. وتساهم في

فقدان الدافع نحو مواصلة الدراسة، وانصراف ذهنهم وارتباطه بأصدقاء السوء أو أصدقاء فاشلين الذين يدفعونهم نحو اللهو أو العبث أو الممارسات السيئة، التي تؤدي في الأخير إلى تدمير مستقبلهم وانحرافهم.

الجدول رقم (13): إعلام الأسرة عن المشاكل، ومتابعة الوالدين لمشوارك الدراسي.

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	رقابة الوالدين إعلام الأسرة عن المشاكل في المدرسة	
				نعم	لا
56 25.45%	06 06.06%	21 30.88%	29 54.71%		
164 74.54%	93 93.93%	47 69.11%	24 45.28%		
220 100%	99 45.00%	68 30.90%	53 24.09%		

يبين الجدول أعلاه، العلاقة التي تربط بين متابعة الوالدين للمشوار الدراسي للمبحوثين وإعلامهم في حال مواجهتهم للمشاكل داخل المدرسة، ويتبين لنا من خلاله، أن الإتجاه العام بلغ نسبة 74.54% عند المبحوثين الذين يقرون بعدم إعلام أسرهم في حال مواجهتهم للمشاكل في المدرسة، ترتفع عند الإجابة بعدم متابعة الوالدين لمشوارهم الدراسي 93.93%، بالمقارنة مع 25.45%، عند الذين أقرروا أنهم يعلمون أسرهم في حال مواجهتهم للمشاكل في المدرسة، والذين يتابع أوليائهم مشوارهم الدراسي 54.71%.

يتبين لنا من خلال بيانات الجدول أعلاه، أن المشكلات التي تواجه التلاميذ داخل المؤسسات التربوية على اختلاف أشكالها والأطراف المتسببة فيها، تؤثر بشكل كبير على تحصيلهم الدراسي ونمط سلوكهم، ومن الضروري بما كان إعلام أسرهم بهذه المشاكل حتى يكونوا على بيئة

ودراية لما يحدث لهم، وتدارك ما يمكن تداركه وحل تلك المشاكل قبل أن تكبر أو تتفاقم وتؤثر بطريقة سلبية عليهم، والتعاون بين الأسرة والمدرسة على الأسس التربوية، من أجل تحقيق الأهداف التربوية وتحقيق النمو المتكامل، من خلال القضاء على كل أشكال الصراع والمشاكل، سواء بسبب الأساتذة أو الزملاء أو الإدارة.....، أو أي عارض قد يدمر مستقبل الأبناء، وعليه، يجب أن لا تتعارض وجهات النظر من خلال المتابعة المستمرة بالشراكة بين البيت والمدرسة.

ومن خلال ما سبق ذكره، فإن التفاعل الإيجابي بين البيت والمدرسة ضرورة ملحة تتطلبها مصلحة الأبناء، باعتبار أن الأسرة والمدرسة هما المسئولتان عن تربيتهم وتنشئتهم وإدماجهم إجتماعيا، وأن دور كل منهم يكمل الآخر من خلال المراقبة والإصغاء لمشاكلهم والتفاعل معها ومن ثم حلها، ومن العوامل التي تتحكم في أهمية التفاعل، تثبيت المهارات التعليمية التي يتلقاها الأبناء من خلال المتابعة بين البيت والمدرسة لمنع حدوث التغيب أو التسرب عندهم، إذ لا بد من استمرارية الإشراف عليهم من قبل الأولياء والمدرسة على حد سواء.

ومناقشة مسألة التعاون بين المدرسة والأسرة، خصوصا في جانبها المتعلق بمدى مشاركة أولياء الأمور في تتبع دراسة أبنائهم أمر ضروري، إذ يعد الوسط العائلي ذا أهمية كبرى في الحياة الشخصية والاجتماعية والدراسية للأبناء، بوصفه أساس تربيتهم، وعليه، فإن جملة من العوامل تؤثر بصورة كبيرة على التكييف المدرسي للتلاميذ واندماجهم، على غرار العوامل المتعلقة بالوسط المدرسي (المردود الدراسي/ الفشل المتكرر)، وكذلك العوامل المتعلقة بالوسط السوسيو-اقتصادي (انخفاض دخل الأهل/ عمالة الأطفال)، إضافة إلى الخصائص الشخصية للأطفال (صعوبات التعلم/ السلوك/ المواقف اتجاه المدرسة)، وأخيرا مجموعة من العوامل المتعلقة بالبيئة الأسرية.

ومن جهة أخرى، فإن مشاركة الوالدين في التتبع الدراسي يتوافق مع دورهم في تربية أبنائهم في المنزل على حد سواء، إذ تهدف هذه الممارسة إلى تحقيق النجاح التربوي والتنشئة

الاجتماعية والاندماج الإجتماعي للأبناء، وفي هذا الصدد، تحدد المهارات الأبوية على أنها نتيجة لمسار دمج المعرفة والمواقف والمهارات اللازمة لتلبية حاجات الأبناء، من دعم تربوي بصورة ملائمة عمليا وتوفير مجموعة من استراتيجيات التعلم ومساعدتهم على إنجاز الواجبات المنزلية، ويمكن أن تكون مشاركة الوالدين انطلاقا من تحفيز الأبناء وإعطاءهم تفسيرات محددة، بناء على عملية الإتصال ومناقشة ما يواجهونه من مشاكل خلال مساهمهم الدراسي.

ويتمثل الدعم العاطفي، في التشجيع والتهنئة والمساعدة في حال مواجهة مشاكل وعراقيل ومناقشة الاختيار الممكن تطبيقه، وكذا الحضور إلى المدرسة للمساعدة في الأنشطة التي يشاركون فيها ومرافقتهم في مختلف المناسبات، والتواصل مع المعلمين من خلال لقاءات معهم فالتفاعلات بين الآباء وأبناءهم التي تركز على حياتهم اليومية، من خلال المحادثات حول المدرسة أو النشاطات أو حول النتائج المدرسية أو الأحداث الجارية أو المشاريع المستقبلية، هو العلاج لكل ما قد يحدث من مشاكل قد تعصف بمستقبلهم في حال تجاهلها أو تغييرها، كذلك التواصل بين الآباء والمدرسة الذي يتجلى من خلال حضور اجتماعات الآباء أو المشاركة في لجان صنع القرار.

وفي الإطار نفسه، تعد البيئة الأسرية واحدة من العناصر الأكثر أثرا في ظاهرة الهدر المدرسي فمشاركة الوالدين في تعليم الطفل تؤثر إيجابا في نجاحه الدراسي، حيث أن البيئة الأسرية السوية تساعد الأبناء على الأنشطة الفكرية التي تطلبها المدرسة، ويطورون مختلف المهارات الاجتماعية والشخصية الأساسية لنجاحهم الدراسي، وفي المقابل، فإن وجود بعض الصعوبات في البيئة الأسرية ستؤثر سلبا في المسار التعليمي للأبناء، كما أن بعض الخصائص العائلية مثلا المستوى الإقتصادي والثقافي، ومستوى تعليم الوالدين وبنية الأسرة وديناميتها، كل ذلك يؤثر على المسار الدراسي للأبناء.

ولطالما ارتبط الوضع السوسيو-اقتصادي للأسرة بالهدر المدرسي لدى الأبناء، خصوصا من ناحية الدخل المنخفض للوالدين وعمالة الأطفال، وهناك عددا كبيرا من المنقطعين عن الدراسة يعيشون حياة صعبة متأزمة اجتماعيا واقتصاديا، كما يعد المستوى السوسيو-ثقافي عاملا حاسما في مسألة النجاح الدراسي، ففي الواقع، كل عائلة تمرر لأطفالها بعض المعايير والعادات والقيم التي تتحكم في طموحاتهم ومواقفهم اتجاه الدراسة، فالبيئة الأسرية التي تعزز وتثمن القراءة والمعرفة عموما، تساهم في خلق جو ملائم للنجاح الدراسي، حيث يمثل تدني مستوى تعليم الأبوين واحدا من العوامل المؤدية إلى الانقطاع عن الدراسة، ومستوى مشاركة الأبوين في الدعم المدرسي للأبناء يرتبط ارتباطا وثيقا بمستواهم التعليمي، ويؤثر كذلك في التحفيز الفكري لديهم وتعزيز الرغبة في التعلم، والوعي بفوائد التمدرس وطبيعة الخطاب الذي يستخدمه الأبناء.

كما تصنف بنية الأسرة من بين العناصر التي يمكن أن تؤثر على المسار التعليمي للأبناء ومدى إشباع الاحتياجات العاطفية لديهم، فالخلاف بين الوالدين يؤثر سلبا في النجاح الدراسي للأبناء، كما أن العنف اللفظي أو الجسدي يؤديان إلى شعورهم بعدم الأمان والغضب والإحباط ومعدل الهدر المدرسي يكون عاليا في الأسر ذات الاختلال في التوازن بين الزوجين، كما أن توقعات الآباء المنخفضة بخصوص نجاح أبنائهم هي أيضا عامل مؤثر في نجاحهم الدراسي، وعليه، يجب الاهتمام بإدارة وقت الأبناء وأماكن دراستهم، أي توفير مساحة ومناخ ملائمين للدراسة، كذلك الانضباط الأسري ورد فعل الآباء تجاه ضعف النتائج الدراسية المحصلة عليها لأبنائهم.

وفي الأخير، تلعب الأسرة دورا مهما في التطور الشخصي والاجتماعي للطفل بوصفها أول نسق للتفاعل منذ الولادة، وعلى طول حياتهم، وهو نسق يؤثر إلى حد كبير في المردود الدراسي للأبناء، ومن الواضح أنهم لا ينقطعون عن الدراسة بسبب افتقارهم للإرادة أو الرغبة فقط، لكن أيضا بسبب انحدارهم من وسط أسري غير ملائم للتنمية الشخصية والدراسة عندهم،

فإن المشاكل السلوكية التي تؤدي إلى الهدر المدرسي لا يمكن معالجتها دون الاهتمام الكبير بوضع الأسرة، إضافة إلى نقص الإشراف الأبوي والممارسات العقابية غير الملائمة، وكذلك غياب مشاركة الوالدين في الأنشطة المدرسية، وترتبط هذه الممارسات بالأسلوب الذي يتبناه الآباء في تعاملهم مع أبنائهم وفي هذا الإطار، فإن الممارسات الأبوية التي تصنف ضمن النمط المتساهل، أو السلطوي تؤثر سلبا على المردود الدراسي للتلاميذ، وبالمقابل، فإن الآباء الذين يتبنون أسلوبا ديمقراطيا في تعاملهم مع الأبناء، يؤثرون إيجابا على فرص نجاحهم الدراسي.

الجدول رقم (14): العلاقة بين إلتزام الوالدين بالصلاة والذهاب إلى المسجد.

المجموع	لا	أحيانا	نعم	إلتزام الوالدين بالصلاة الذهاب إلى المسجد
21 09.54%	03 02.91%	04 06.77%	14 24.13%	طوعا
57 25.90%	04 03.88%	21 35.59%	32 55.17%	مكره
142 64.54%	96 93.20%	34 57.62%	12 20.68%	لا
220 100%	103 46.81%	59 26.81%	58 26.36%	المجموع

يتضح من خلال الإتجاه العام للجدول، أنه يميل إلى أن المبحوثين لا يذهبون إلى المسجد 64.54%، وبإدخال المتغير المستقل، نجد أن أكثر أولياءهم لا يلتزمون بالصلاة 93.20%، مقارنة مع 25.90%، من المبحوثين الذين يقرون أنهم ملتزمون بالذهاب إلى المسجد لكن مكرهين، ترتفع عند الذين يقرون أن أولياءهم ملتزمون بالصلاة 55.17%، وفي الأخير سجلنا نسبة 09.54% ممن يذهبون طوعا إلى المسجد، ترتفع عند الذين يلتزم أولياءهم بالصلاة، بنسبة 24.13%.

تلعب دور العبادة دورا كبيرا في عملية التنشئة الدينية والإندماج الاجتماعي، لما تتميز به من خصائص فريدة، أهمها إحاطة الإنسان بهالة من الإيمان وإيجابية المعايير السلوكية التي تعلمها للأفراد لما لها من أثر في تكوين شخصيتهم، ويتمثل أسلوب الممارسة أو التدريب (العادة)، في

القيام بعمل من الأعمال عدة مرات، وبالتكرار يسهل على الفرد ذلك العمل، ويزيد ميله حتى يصبح هذا الميل عادة، وهذا الأسلوب من الأساليب التربوية الفعالة، على رأسها المحافظة على الصلاة، والتعود على الذهاب إلى المساجد بصفة منتظمة، وعلى المربي أن يستخدم أسلوب الممارسة في كافة جوانب التربية، أي أن التربية بالممارسة لا تقتصر على الشعائر التعبدية وحدها ولكنها تشمل كل أنماط سلوك الحياة وكل الآداب والأخلاق.

ومن خلال نتائج الجدول، نستنتج أنه من أهم أسباب الانحراف الإجتماعي وتبني سلوك التعاطي عند الشباب، هو نقص الوازع الديني من خلال هجر الكتاب والبعد عن السنة النبوية الشريفة، وكثير من الشباب للأسف بل كثير من المسلمين أصبحوا لا يصلون ولا يترددون على المساجد إلا قليلا، حيث أصبح امتلاء المساجد مرتبطا بشهر رمضان أو الأعياد والمناسبات الدينية، ولا يقرؤون القرآن إلا نادرا ولا يحثون أولادهم ولا يشجعونهم على ذلك، حيث أستبدل بغيره من الأمور الحادثة المخالفة لما فيه، مما يقود إلى الضلالة والانحراف، والميل عن صراط الله المستقيم والسير في السبل الأخرى¹.

وأسلوب القدوة الحسنة كما سبق لنا وأن ذكرنا، من أهم الأساليب في التربية الإسلامية ومن أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد الناشئة خلقيا ونفسيا وصحيا وعقليا وعاطفيا، ولها أهمية كبيرة في تربية الفرد وتنشئته على أساس سليم عبر كافة مراحل نموه، لأن الناس لديهم حاجة نفسية إلى أن يشبهوا الأشخاص الذين يحبونهم ويقدرونهم، وأن هذه الحاجة تنشأ بادئ الأمر من خلال تقليد الأطفال لأبائهم وتممهم لشخصيتهم، فقد أكد القرآن الكريم أهمية ذلك في تقرير مصير الإنسان، وهو يدعو المسلمين إلى أن يدرسوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيتخذونه قدوة لهم، ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا في صلاح الأجيال أو فسادهم، فالولد الذي يرى

¹ - سليمان بن سليم الله الرحيلي، إنحراف الشباب، أسبابه ووسائل علاجه، دار الصيحة، السعودية، 2010، ص 13.

والده يترك الصلاة يصعب عليه إعتيادها، والذي يرى والده يكذب يصعب عليه تعلم الصدق والذي يرى والده يغش يصعب عليه تعلم الأمانة.

فعندما ينشأ الطفل ويتعرع في بيت أقيم على تقوى الله وتحكيم شريعته، يتعلم ويقتدي بذلك من غير جهد أو عناء، إذ يمتص عادات أبويه بالتقليد ويقتنع بذلك حين يصبح واعيا، مما يحقق السكون النفسي، وعلى الوالدان أن يربيا أبناءهم تربية صالحة، وبذلك بتحقق صون فطرتهم عن الزلل والانحراف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج المهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟"، وقد اعتبر الإسلام الأسرة مسؤولة عن فطرة الطفل، واعتبر أن كل انحراف يصيبها مصدره الأول الأبوان، أو من يقوم مقامهما من المرين.

وتكمن أهمية دور الأسرة في التربية وتعليم الأبناء الواجبات والفروض الدينية، من خلال تقديم القدوة والنموذج الأخلاقي من قبل الآباء، في نشر التربية الأخلاقية ودعائها الفاضلة من خلال المواظبة على الصلاة والانتظام في الذهاب إلى المسجد، والصدق في الحديث والوفاء والاحترام... الخ، وكذا القيام بواجب التنشئة الاجتماعية والاندماج الإجتماعي السليم، وتحقيق أوامر الله سبحانه وتعالى بحفظ النسل، وإقامة أسرة مؤمنة، وإشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الأبناء، والإسهام في حل المشكلات النفسية لأفراد الأسرة وتنمية قيم الاحترام والولاء من جانب الأبناء للآباء.

وينبغي أن يشغل الأبناء أوقاتهم بالنفع والفائدة وهجر الفراغ، فمن أهم العوامل الأساسية التي تواجه الأسرة وتؤدي إلى انحراف الأبناء عدم الإفادة من الوقت، وهي عوامل ضارة وخطيرة فإذا لم يتدارك المرين هذه العوامل وإذا لم يستأصلوا أسبابها وإن لم يأخذوا بالعلاج الناجح من صلاح وتربية، فإن الأولاد سينشئون في الفساد والرذيلة، ويكونوا أداة هدم وتخريب للمجتمع واستقرار الأمة وأمن البشرية، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من

الناس الصحة والفرغ)، فعلى الوالدين تعويدهم الصلاة في وقتها، والذهاب بهم منذ حدثهم إلى مساجد الله، وإرسالهم إلى المدارس القرآنية، وتعويدهم حضور مجالس الذكر وحلقات العلم وتلاوة القرآن الكريم، وقراءة قصص الصحابة والصالحين وغير ذلك، كما هناك الأعمال التي يسهمون فيها بمساعدة والديهم.

والمأمل في تعاليم الإسلام يجد الكثير من التوجيهات الحكيمة للآباء والأمهات حيال استخدام أسلوب القدوة في تربية الأولاد، ومن هذه التوجيهات على سبيل المثال بدء الوالدين في إصلاح وتطهير أنفسهم أولاً -لأن فاقد الشيء لا يعطيه-، وأن يكونوا على درجة جيدة من الاستقامة لأنه بصالحهم يصلح الأولاد، قال سبحانه وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا"¹، فصالح رب الأسرة ينتقل إلى الأولاد من خلال تقليد معظم أعماله الصالحة أثناء تعايشهم معه، كما لا تقل أهمية دور الأم في التنشئة الصالحة عن الأب، حيث تعتبر العمود الفقري الذي يتركز عليه بناء البيت المسلم، وخير حاضنة ومربية لأبنائها، ومسؤولة عن إعدادهم إعداداً متكاملًا جسدياً وروحياً وعقلياً.

الجدول رقم (15): العلاقة بين الدخول إلى مدرسة قرآنية والتربية الدينية.

المجموع	لا	نعم	الدخول إلى مدرسة	
			قرآنية	التربية الدينية
36 16.36%	07 04.76%	29 39.72%	نعم	
184 83.63%	140 95.23%	44 60.27%	لا	
220 100%	147 66.81%	73 33.18%	المجموع	

1- سورة التحريم، الآية 06.

إن المعطيات الواردة في الجدول أعلاه، تبين العلاقة التي تربط بين تلقي الشاب لتربية دينية داخل أسرته، والمتغير المتمثل في الدخول إلى مدرسة قرآنية، وسجلنا من خلاله نسبة 83.63 % ممن يقرون أنهم لم يتلقوا تربية دينية داخل أسرهم، ترتفع عند الفئة التي أجابت أنهم لم يدخلوا إلى مدرسة قرآنية سابقا 95.23%، ونسبة 16.36%، عند المبحوثين الذين صرحوا أنهم تلقوا تربية دينية داخل أسرهم، ترتفع عند الذين أجابوا أنهم التحقوا سابقا بمدرسة قرآنية 39.72%.

تختلف أشكال المؤسسات الاجتماعية وتركيبها من مجتمع لآخر، تبعا لاختلاف الوظائف التي تقوم بها هذه المؤسسة في شكلها ومضمونها، وتعتبر المدارس القرآنية من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الدول الإسلامية، وأساس التربية الإسلامية بالنسبة للأفراد، فللمدارس القرآنية دور مهم للغاية في تربية النشء الصاعد، وذلك ليس فقط لأنها تربي وتوسع مداركهم وتفتح عيونهم على آفاق جديدة سيستفيدون منها في المستقبل، ولكن أيضا تجعل منهم زيادة على كونهم متعلمين، مواطنين صالحين يعرفون حق الله، ويحترمون حقوق الناس وابتعدون عن الإنحراف وسوء الخلق.

ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أنه عند ارتياد الأبناء صغارا إلى المدارس القرآنية بناء على التنشئة والتربية الدينية التي يمنحها الأولياء لهم، تتكون في مخيلتهم صورة واضحة عن القدوة التي يجب أن يتبعونها، ولن يجد مربى النشء الصاعد في المدرسة القرآنية صعوبة في غرس محبة الله ومحبة رسوله في نفوسهم، لأن محبتهم مشروطة بمحبة القرآن ومحبة المسجد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعمله"، فيجب أن نغرس مبكرا في نفوس أطفالنا وهم يتلقون الدروس الأولى في المدارس القرآنية مراد الله من كلامه حين قال: "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم

الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب"¹، ولا يمكن أن نردم حق إدراك عملية هذا الغرس الذي يجب أن يقع مبكرا في ذهن أطفالنا، والذي سيقمهم مستقلا من الإنحراف والإجرام واكتساب سلوكات شاذة، بسبب إهمال أو افتقار الأسر للتربية الدينية الصحيحة.

ومن خلال ما تم استنتاجه من معطيات الجدول كذلك، فإن ضعف الوازع الديني عند الأسرة يحدث أو يرتفع عند عدم إدراكها لتعاليم الدين الإسلامي، الذي يهدف في مجمله إلى تربية شاب صالح خال من الأمراض الاجتماعية والنفسية، فعلى الأسرة المسلمة أن تكون مؤسسة تربية إسلامية، وليس مجرد مؤسسة تربية لا تقيم أهمية لما سيكون عليه أبناؤها وأفرادها، من خلال معرفة المبادئ والمعايير والأحكام التي ينبغي أن تراعى في تكوين الأسرة، لتكون صالحة لتربية الجيل سوي، وكلما كانت الأسرة متمسكة بدينها ومبادئه وقيمه، انعكس ذلك على تربية الأطفال حيث تعمل على تشريب أبنائها القيم البناءة وتنشئتهم عليها، يحكمون الدين في كل تصرفات حياتهم والعكس صحيح.

ولا تعد الأسرة مؤسسة تربية سوية، إلا إذا روعي في بنائها التوجيهات والمبادئ والأحكام التي حددها الإسلام، وأن يكون الزوجان صاحبي دين وخلق، لذلك وجه القرآن الكريم وأكدت السنة النبوية أن يكون الدين والخلق أساس اختيار الزوجين، قال (عليه الصلاة والسلام) " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"، وأن يقيم الزوجان حدود الله في الأسرة، بالقيام بما أوجب الله عليهما وابتعدان عما نهى عنه، وأن يعين كل منهما صاحبه على تحقيق ذلك، لتصبح الأسرة بيئة تربية إسلامية، ومناخا صالحا لتربية الأولاد ورعايتهم على الوجه الذي يرضي الله، ويهيئ للمجتمع أفرادا صالحين بنائين ومنتجين.

¹ - سورة النور، الآية 36-38.

وعلى الزوجين معرفة النظام التربوي الذي تتم من خلاله عملية التنشئة لأبنائهم، وتوجيه الفطرة السليمة لديهم ورعايتهم وصونهم من الانحراف والزيغ، ومعرفة الآراء والتوجيهات التربوية المعينة على تحقيق التربية الصحيحة للناشئين، مع اليقظة والحذر مما لا يتفق مع مصادرها، من خلال قيام الأسرة بواجباتها ووظائفها، فالطفل مخلوق حساس وقابل للتأثر والتشكيل من خلال المؤثرات التي تحيط به أو يتعرض إليها، لذلك ينبغي أن تربط جميع تلك العوامل والمؤثرات التربوية في الأسرة بالتربية الإسلامية، بداية بالمدرسة القرآنية التي تعتبر نسقا فرعيا داخل النسق التربوي العام، حيث تربطها علاقة بمختلف الأنساق الفرعية أخرى، كالأسرة والمسجد والمدرسة النظامية وجماعة الرفاق، فهي تلعب دورا بارزا قديما وحديثا في المجتمعات العربية الإسلامية، من خلال حفاظها على ثقافتها وهويتها الإسلامية، فكان يخصص لها أماكن لتعليم الأطفال وتحفيظهم القرآن الكريم وما اتصل به وتيسر من العلوم الشرعية، وغرس أصول الدين في أنفسهم.

إن نجاح الأسرة المسلمة في وظيفتها الأولى، يساعدها في نجاحها في وظيفتها الثانية، المتمثلة في المحافظة على فطرة الطفل السوية من الانحراف أو التشويه في أية مرحلة من مراحل نموه، يقول الإمام الغزالي: "إعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأكدها، والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يماله إليه، فإن تعود الخير وتعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن تعود الشر وأهمل إهمال الهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم والوالي له"، وعليه يجب أن تبنى أسرنا على ضوء المبادئ والتوجيهات التي يدعو إليها الإسلام في كون الزوجان صاحبي دين وخلق، ومهتمين بالتربية الصالحة للأبناء في جميع مراحل نموهم.

ومن خلال ما سبق ذكره، نستشف الأهمية العظيمة للمدرسة القرآنية، في مجال التربية والتعليم وفي الحياة الاجتماعية للأفراد والعائلات، كونها واحدة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية

التي تحضى بدور كبير في تنمية القيم الاجتماعية، بما تعده من بناء جيل واعد وطاقات خيرة فاعلة وصالحة لنفسها ومجتمعها، وهذا من خلال عنايتها بالقرآن الكريم ومكانته وتعاليمه وآدابه، ولا سيما تفعيل أساليبها في تنمية القيم الاجتماعية لتحسين النشء من المخاطر التي يواجهونها، من خلال تضافر وتكامل كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في ضل تميز المجتمعات الإنسانية عن بعضها بتميز الأنماط التربوية التي تلائم أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فالمجتمع الإسلامي يتميز عن غيره من المجتمعات، بأنه قائم وفق منهج منظم لسلوك أفراد مع خالقهم وسلوكهم مع أنفسهم وغيرهم، ووفقا لتنشئتهم الاجتماعية باعتبارها عملية تعلم وتعليم وتربية الغاية منها إعداد الأفراد إعدادا شاملا، يراعي فيه كل جوانب شخصيته، وذلك على مستوى مراحل حياته المختلفة للاندماج في المجتمع والتوافق مع معايير الاجتماعية، والقيم السائدة فيه ولا يتم ذلك إلا من خلال مؤسساته الدينية، على رأسها المدرسة القرآنية والمساجد، لأنها تعتبر إحدى الجماعات الأولى التي ينتهي لها الطفل، بحيث من طبيعة المجتمع الجزائري عامة أن يرتاد الطفل خلال مراحل حياته الأولى على الكتاتيب أو المدارس القرآنية، كما لا يخلو حي أو إقليم من كتاب أو مدرسة قرآنية، وذلك بهدف تربية الطفل وتعليمه وإعداده للحياة نفسيا واجتماعيا وأخلاقيا منذ حدثه، لتجعل منه إنسانا راشدا سويا متزنا سليما من الانحرافات وبعيدا عن الجنوح.

ومن جهة أخرى، تضبط التربية الدينية التي تلقنها الأسرة لأفرادها، سلوكهم وتوجههم بالضوابط الاجتماعية، وتشرف على النمو الاجتماعي لهم وتكوين شخصيتهم بطريقة سوية، وذلك من خلال إكسابهم أساليب سلوكية وقيم واتجاهات ومعايير ترضى عنها الأسرة أولا ثم المجتمع وكلما كانت هذه القيم مستقاة من المنبع الصحيح، أصبحت أحكامه قريبة من الصواب، مما ينعكس عليه بالاستقامة والاتزان وعدم التناقض، وهذا يسهل عليه التكيف مع المجتمع، وبالتالي الانضباط الاجتماعي، بحيث يكون أكثر ايجابية وتفاعلا مع غيره، ومن نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان أن ميزه عن سائر خلقه بأن بين له القيم، وجعل له عقلا يدرك من خلاله تلك القيم

ويصعب حياته من خلالها، لذلك وصل هذا الإنسان إلى مكانة سامية باعتباره خليفة الله في الأرض طالما تمسك بقيم الحق والخير، وابتعد عن مسببات الانحراف والزيغ.

وفي الأخير، تعتبر المدارس القرآنية والدينية أفضل موجه من حيث التأثير الروحي والإشعاع الفكري عندما ترتبط بالتنشئة الدينية الصحيحة التي تقوم بها الأسرة اتجاه أبنائها، فهي نموذج تربوي وأخلاقي لتهذيب النفوس وتزكيتها وتطهير الأرواح وتصفيتها، أضف على ذلك أنها تحافظ على تطبيق تعاليم الشريعة والعقيدة الإسلامية، وترسيخ السنة النبوية الصحيحة في قلوب الناشئة رغم أن هذه المدارس القرآنية عرفت منافسة شديدة من قبل الوسائل التعليمية العلمية الأخرى ورياض الأطفال ودور الحضانه، بالإضافة إلى المدارس الخاصة والانتشار الواسع للمدارس النظامية التابعة لوزارة التربية، وكذا الفضائيات والشبكة العنكبوتية.

الجدول رقم (16): العلاقة بين الذهاب إلى المسجد، وقضاء الوقت داخل المنزل.

الموضوع	لا	مكره	طوعا	الذهاب إلى المسجد
مشاهدة التلفاز	14 09.85%	10 17.54%	04 19.04%	قضاء الوقت داخل المنزل
تصفح الانترنت	128 90.14%	47 82.45%	14 66.66%	
المطالعة	00 00.00%	00 00.00%	03 14.28%	
المجموع	142 64.54%	57 25.90%	21 09.54%	
	28 12.72%			
	189 85.90%			
	03 01.36%			
	220 100%			

تظهر لنا هذه البيانات، أن الإتجاه العام بلغ 85.90% عند الفئة التي تقضي معظم الوقت داخل المنزل في تصفح الإنترنت، ترتفع عند المبحوثين الذين لا يذهبون إلى المسجد 90.14% تقابلها نسبة 12.72%، الذين يقضون الوقت داخل المنزل في مشاهدة التلفاز، ترتفع عند المبحوثين الذين أجابوا أنهم يذهبون إلى المسجد، و في الأخير نسبة 01.36%، ممن يقضون الوقت داخل المنزل في المطالعة، ترتفع عند المبحوثين الذين يرتادون المسجد بانتظام.

ونفهم من خلال نتائج الجدول، أن الفئة التي لا تذهب إلى المسجد تضي معظم أوقاتها داخل المنزل في تصفح شبكات الأنترنت على اختلاف أنواعها ومحتواها، أو مشاهدة البرامج التلفزيونية، على غرار الفئة التي تذهب إلى المسجد مكرهة، رغم أن المساجد تعتبر أماكن ومؤسسات تربوية تعليمية اجتماعية، تعنى بغرس التعاليم الدينية والأخلاقية لأبناء المجتمع المسلم، وهي تحتوي في أغلب الأحيان على قاعة للدراسة يديرها عالم أو فقيه ملم بالعلوم الشرعية ومختلف الفنون العلمية ومعلمي القرآن، حيث تتجلى أهميتها في ترسيخ العقيدة الإسلامية والسنة النبوية الصحيحة في قلوب الناشئة وتربية الأجيال، لأجل مواكبة التطورات المعاصرة، وصيانة الناشئة من الانحراف أو التوجيه الغير السليم، ومن كل المخاطر التي تحدى بالشباب داخلها وخارجها، فالمساجد كحاضن تربوي لها انتشار كبير في المجتمع بصفة عامة، وهي توفر القدر الضروري من التعليم القرآني والديني لكل الأفراد بمختلف مستوياتهم وأعمارهم وجنسهم.

ونستنتج من خلال تلك النتائج، أنه هناك إغراءات كثيرة تحوم حول الشباب تعيق تواصلهم ومثابرتهم على حضور المساجد وحلقات الذكر فيها، مثل (الإنترنت، الهاتف المحمول التلفزيون....)، لذلك غالبا ما تأخذ وسائل التواصل الحديثة معظم وقت واهتمام الشباب، وهذا السلوك مستحدث، ناتج عن حدوث تغييرات اجتماعية أعادت تشكيل ثقافة المجتمع وعاداته بطريقة مستمرة، ولا نبالغ حينما نحذر من هذه الظاهرة، إذ أثبت الواقع أن لها مفاسد كثيرة.

وقد كان الابن في البنية الأسرية للنظام التقليدي يعتمد دائما على الأب في كل شيء، يرافقه إلى المسجد وإلى مكان العمل ولا يجرأ أن يعصي له أمرا أو يخالفه فيه، أما في البنية الاجتماعية الجديدة، أصبح الابن متحررا جدا من وصاية أبيه لأنه وفي كثير من الأحيان أصبح ينافس اقتصاديا وماليا وثقافيا، ولو أنه قد لا يظهر ذلك لتجنب الصراعات، يرافق ذلك انتشار أنواع مختلفة وأشكال متعددة للانحراف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، التي أصبحت تمس غالب جوانب الحياة الإنسانية، فمنها الانحراف العقدي، والانحراف الأخلاقي، وانحراف تعاطي المخدرات

والمسكرات، وغير ذلك من الصور التي تبدو واضحة في المجتمع، ويعتبر أسلوب الترغيب والترهيب هو الأسلوب الأمثل للتصدي لظاهرة عزوف شباب اليوم عن ارتياد المساجد أو الذهاب إليها قسراً مقارنة بالأجيال السابقة، واستخلافها بمستحدثات الأمور التي تؤدي بهم إلى الانحراف ذلك الأسلوب يتفق وطبيعة الإنسان حيثما كان وفي أي مجتمع، لأن الفرد إذا استثير شوقه إلى شيء ما زاد اهتمامه به، فسرعان ما يتحول إلى نشاط يملأ حياته أهمية وعملاً وتعلقاً به، وفي المقابل، فإن الخوف من شيء والتنفير منه يجعل الفرد يهابه ويتعد عنه، وقد أشار القران الكريم إلى أسلوب الترغيب والترهيب، وإلى كيفية استخدامه بما يحقق الغرض منه، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر).

ولا يقتصر التصور الإسلامي لمفهوم الانحراف على ألوان السلوك المخالفة للمعايير الاجتماعية التي تعارف عليها الناس في مجتمع ما، لأن هذه المعايير ذاتها قد تكون فاسدة وغير صحيحة في نظر الإسلام، فالانحراف في التصور الإسلامي يكون في الخروج عن القيم والمعايير الإسلامية، وتعاليم الإسلام وتشريعاته ومبادئه وحدوده، حيث إذا تأملنا الدراسات الحديثة في مجال الانحراف الاجتماعي وجدناها تكاد تخلو من النزعة الإسلامية في معظم الأحيان، واعتمدت على أبحاث ودراسات وضعية مخالفة لقواعد الدين الإسلامي، وذلك لأن جميع هذه النظريات نظريات غربية، نشأت في التربية الغربية، وتأثرت بظروفها وأحوالها، فهي تفسر الإنسان الغربي.

ويمكن معالجة ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي والتصدي لها متفادية الانعكاسات السلبية المولدة للإجرام والانحراف، إذا اعتمدت هذه المعالجة على التعليم الإسلامي من خلال المثابرة على ارتياد المساجد و مجالس الذكر، لأن الدين الإسلامي يؤدي دوراً مهماً في تقويم النفوس وتهذيبها على الطريق المستقيم، وذلك لما يحييه في النفوس من مفاهيم الطاعة والاستقامة والثواب والعقاب والخير والشر، ومراقبة الله تعالى من خلال ممارسة الأعمال الصالحة والواجبات الدينية.

فضعف الوازع الديني والذات الأخلاقية والانجراف وراء المستحدثات التي تبثها وسائل الإعلام ووسائل الإتصال الإجتماعي والإنترنت، من شأنه أن يجعل الفرد فريسة للأزمات النفسية والاضطرابات السلوكية التي تؤدي إلى الانحراف، والشعور الديني يوفر آلية للضبط الذاتي لدى الفرد المسلم، بحيث يحرص على أن يبتعد بنفسه عن ألوان الانحراف وصوره، وإيقاظ ضمائرهم التي تحكم سلوك المسلم وتضبطه بضوابط الشرع، وذلك بتحقيق وسائل التربية المؤثرة في بناء المجتمع المثالي من جهة، ومن جهة أخرى تنشئة أفراد وجيل يمارسون فعل الخيرات وترك المنكرات ويبتعدون عن الأعمال المنحرفة وظواهرها، ويتربون على النموذج المثالي عقدياً، وخلقياً، ويتكونون علمياً ونفسياً واجتماعياً، وتترآز هذه الوسائل على القدوة باعتبارها عامل كبير في إصلاح الفرد أو فساده، فإذا كانت القدوة حسنة نشأ الفرد في المجتمع على الصدق والأمانة والخلق الكريم، ولذلك جعل الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة للناس أجمعين، فقال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾¹، وكذلك القدوة بالبيئة الصالحة، ومن الأمر المؤكد أنه إذا تيسر للفرد عامل البيئة الصالحة، فإنه ينشأ ويتخلق بأخلاق الإسلام، فلا ينحرف عن الطريق السوي وكذلك التربية بالموعظة، فهي العلاج الحاسم الحازم لمعالجة ومواجهة ظواهر الانحراف والجرائم وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار في المجتمع والدولة.

وفي الأخير، على الآباء من أجل تنشئة وتربية أبناءهم تربية صالحة، أن يختاروا ويعتمدوا على فترة الطفولة المبكرة، في تعويدهم على ارتياد المدارس القرآنية والمساجد منذ الصغر باعتبارها فترة مهمة لها مكانتها في حياة الطفل وتظهر فيها شخصيته، فهي تعد من أهم المراحل كونها مرحلة ممهدة لمرحلة التكليف والتميز ومعرفة الحقائق، ففيها تظهر مبادئ التربية السليمة ومحاولة السيطرة ومتابعة ما يتم بثه عبر وسائل الإعلام، واختيار ما يناسبهم ويتناسب مع عادات وأعراف المجتمع الذي يعيشون فيه، فقد حظيت الأسرة والمدرسة النظامية والمدارس القرآنية والمساجد بعناية كبيرة منذ العهود الإسلامية الزاهرة حتى يومنا هذا، إذ ظهرت فيهم الحاجة إلى تربية

¹ - الأحزاب، الآية 21.

الأطفال وتنشئتهم والتطلع بعناية إلى مستقبلهم، ومن جهة أخرى، يجب مساعدة الشباب على تقوية حس الإيمان بداخلهم، من خلال تشجيعهم على أداء واجباتهم الدينية من صلاة وصيام ومساعدة الآخرين...إلخ، وشرح وظائف وسائل الإعلام وتوعيتهم أن ما تنشره بعض هذه الوسائل مخالفاً لميثاق العمل الإعلامي، وأن لها تأثير سلبي كبير عليهم وعلى المراهقين وحتى الصغار.

المبحث الثالث: دور وسائل الإعلام والاتصال في إدماج الشباب إجتماعياً:

تعتبر وسائل الإعلام نظماً للاتصال الجماهيري تتناول كل جوانب الحياة في المجتمع، وتلعب دوراً مهماً وحيوياً في التأثير على الفرد، توعيته وتوجيهه وربطه بمجتمعه وتشكيل الرأي العام ومن هنا فإن لوسائل الإعلام والاتصال دور هام في استقرار المجتمع وتطوره وتقدمه، وتحديد معالم التنشئة والاندماج الاجتماعي لدى أفرادها، ويمكن تحديد دور وسائل الإعلام في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية في: الترفيه، تبصير الفرد بما يدور حوله، تعلم المهارات والاتجاهات والقيم، جذب الاهتمام إلى البرامج التربوية والاجتماعية، العبرة والموعظة، إبراز الشخصية القومية...إلخ.

ومن المفترض أن تحدد الأسرة والمدرسة درجة استفادة الأبناء من البرامج التي تبث عبر وسائل الإعلام والاتصال، فالأسرة تنتقي البرامج الهامة والهادفة الموجهة لهم، التي يمكن أن يستفيد منها علمياً أو ثقافياً أو اجتماعياً، وتوضح له الجوانب الهامة التي يركز عليها، وقيام الأسرة بهذا الدور يعمل على تحقيق تنمية المهارات وحسن الاستماع والتدقيق، حب المعرفة والبحث عنها، حسن استغلال وقت الفراغ، إثراء الحصيلة اللغوية وتحسين النطق.....إلخ¹.

1 - سميرة أحمد السيد، مرجع سابق، ص 102.

وتعد البرامج المختلفة التي تعرضها وسائل الإعلام ذات تأثير مباشر وغير مباشر على السلوك الاجتماعي للأحداث والشباب، حيث تستثير خيالهم وتدفعهم في بعض الأحيان إلى تقمص الشخصيات التي يشاهدونها، خاصة ما اتصل منها بالمغامرات والحركة والعنف، وقد تتحول حالات التقليد والمحاكاة إلى ممارسة فعلية لأعمال العنف، التي يترتب عنها انسياق الحدث والشباب في مسار الجنوح والانحراف وارتكاب الجرائم، أو تبني سلوكيات غير أخلاقية كتعاطي المسكرات والمواد المخدرة.

الجدول رقم (17): العلاقة بين مشاكل في استعمال الوسائل التقنية، وقضاء الوقت داخل المنزل.

المجموع	المطالعة	تصفح الانترنت	مشاهدة التلفاز	قضاء الوقت داخل المنزل مشاكل في استعمال الوسائل التكنولوجية
09 04.09%	02	07	00 00.00%	نعم
	66.66%	03.70%		
211 95.90%	01	182 96.29%	28	لا
	33.33%		100%	
220 100%	03	189 85.90%	28 21.72%	المجموع
	01.36%			

يذهب الإتجاه العام للجدول بنسبة كبيرة عند فئة المبحوثين الذين لا يواجهون أي مشاكل في استعمال الوسائل التقنية 95.90 %، ترتفع عند فئة المبحوثين الذين يقضون أغلب أوقاتهم داخل المنزل في تصفح الانترنت 96.29 %، وفي نفس الإتجاه نسجل نسبة 100 %، ترتفع عند الذين يقضون أغلب أوقاتهم داخل المنزل في مشاهدة التلفاز، وأخيرا سجلنا نسبة ضئيلة 04.09 %، عند الذين يواجهون بعض المشاكل في استعمال الوسائل التقنية، ترتفع عند المبحوثين الذين يقضون أغلب أوقاتهم داخل المنزل في المطالعة.

ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أن الأغلبية الساحقة من المبحوثين لا يواجهون أية صعوبات في استخدام الوسائط التكنولوجية على اختلاف مستوياتهم، ترتفع عند الذين يقضون أغلب أوقاتهم في تصفح الانترنت، ولا يمكن إنكار حقيقة أن هذا الجيل هو جيل الهواتف الذكية وتكنولوجيا الإتصال، التي خطت خطوات جبارة في السنوات الأخيرة، وكان تأثيرها على كل فئات المجتمع صغارا وكبارا متعلمين والأقل تعليما أغنياء وفقراء، فبالكاد نرى شخصا مهما كان مستواه الإقتصادي أو الإجتماعي أو الثقافي لا يحمل هاتفا ذكيا، ويمتلك حسابات على الإنترنت خاصة مواقع التواصل الإجتماعي.

ونلاحظ من خلال ذلك، أن وسائط التواصل الاجتماعي والانترنت والتلفاز، قد أسهمت إلى حد كبير في تضييع وقت المراهقين والشباب دون أي فائدة، وتسببت بنوع من أنواع الإدمان عليها، وهذا ما قد يؤثر سلبا على مستواهم الدراسي والتعرض مرارا للفشل، وهناك الآلاف من المواقع الالكترونية والمحطات التلفزيونية وحتى بعض المجلات والكتب التي تنشر محتويات إباحية مجانية، وهذا ما تسبب في انتشار الإنحراف الإجتماعي من الانحلال الأخلاقي وحالات الاغتصاب والقتل وتعاطي المخدرات والسادية في المجتمع...إلخ.

وقد تسهم وسائل الإعلام والإتصال خاصة الإنترنت والتلفاز، في شيوع ظاهرة الانحراف وسلوك التعاطي عند الأحداث والشباب أو في تنميتها وتطويرها، كما ينمي عندهم شهية العنف أو يضاعف من قوته الكامنة في طبيعة الإنسان، حيث يعلم المراهقين والشباب سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بعض الأساليب لظهور بوادر الإنحراف، كما يساعد على تخفيف الإحساس بتأنيب الضمير أو الخطأ، وبالتالي يظهر العنف عند النشء كظاهرة مألوفة وكأنها طابع العصر الذي نعيشه، فلأسف أفلام الأكشن التي تدور أحداثها حول المحاربة بين الأبطال لعبت دورا أساسياً في التشجيع على العنف والإرهاب، وحتى برامج الكرتون الخاصة بالأطفال أصبحت تشجع على ذلك ولم يعد هدفها التوعية والتعليم كما كانت من قبل.

كما يتسبب المحتوى الإعلامي الذي تبثه وسائل الإعلام من أخبار الحروب والقتال، وأخبار الحوادث والانتحار، وأفلام الرعب والجريمة في ترسيخ المشاعر السلبية بداخل المراهق أو الشاب والشعور بالاكئاب والحزن نتيجة لذلك.

ومن الآثار السلبية لوسائل الإعلام والاتصال على المراهقين والشباب أيضا، غرس المفاهيم الخاطئة عندهم، حيث تلعب وبشكل كبير خاصة وسائط التواصل الاجتماعي والتلفاز من خلال ما يقدمه من برامج وأفلام ومسلسلات، على نقل عادات وثقافات الشعوب الغربية وتشجيع المراهقين والشباب على ممارستها، واعتناق أفكار جديدة لا تتناسب مع تقاليد وأعراف مجتمعهم والإصابة بالازدواجية، حيث تقوم بعض وسائل الإعلام بتجميل الواقع بشكل مبالغ فيه وأحيانا تقوم ببث مواد مخالفة تماما لما هي عليه من أجل تحقيق غاية ما، وهذا ما يجعل المراهقين والشباب يصدمون عندما يدركون الحقيقة فيخلق عندهم نوع من الازدواجية.

ومن خلال رصد تأثير الجزء السلبي من الإعلام على بعض الأنماط السلوكية لدى الشباب نجد أن الانحراف بكل أنواعه كان حاضرا في كل زمان ومكان، وقبل ظهور أي وسيلة من وسائل الإعلام الحديثة، إلا أن الإعلام في الوقت الراهن هو المحرك القوي الذي ساهم في نشر ذلك الانحراف وتسويقه، بل وحتى التطبيع معه وجعله يصل ويقتحم كل بيت، فالإعلام في شقه السلبي هو الذي يربي المراهق والشباب على تبني الانحراف والاعتیاد عليه، وهو الذي يزينه له ويقدمه له في صورة مغرية، وهو الذي يثير الدوافع والمحفزات لممارسته، فقد حول الإعلام الشباب إلى مستهلكين شديدي الولاء للجوانب السلبية في الثقافات الأجنبية، فلا يتم تسويق قيم العمل وأخلاقه، ولا البحث العلمي وأدواته، ولا الالتزام المجتمعي ومؤسساته، ولا الحراك الحضاري وآلياته، وإنما يقوم بتسويق أخلاقيات الشوارع المظلمة والطبقات السفلى من الثقافات الأجنبية.

إن الإعلام السلبي يجعل من اللصوصية بطولة، والغدر كياسة والخيانة فطانة والاحتيال ذكاء، والعنف أقصر الطرق لتحقيق المآرب، كما يسعى إلى إثارة الغرائز الجنسية وتشجيع انتشار الرذيلة، ولا يكون ذلك بإعلانات مباشرة بل يتم تضمينها وإدراجها والإيحاء لها في سياق المحتوى الإعلامي، الذي يجعل من هذه الانحرافات شيئاً شهياً مغرياً يحفز المراهق والشاب لتجربته.

ومن جهة أخرى، يكمن تأثيرها الضار على سلوكهم النفسي-الاجتماعي، فهي تخلق تأثيراً كبيراً على سلوك الأفراد، وتغلق عليهم في عالم لا عقلائي، تتسم ملامحه بالانحراف الاجتماعي كما تقلل من فرص احتكاكه بأبويه وأسرته، وبناءاً على ذلك، يتضح جلياً أن المشاهدة المتكررة للسلوكيات والمظاهر المنحرفة عبر وسائل الإعلام، هو أحد الأسباب الرئيسة للسلوك المنحرف والعدواني لدى الأفراد.

وفي الأخير، ومن أجل حماية الأفراد من التأثير السلبي لوسائل الإعلام والإتصال على اختلاف أنواعها وأنماطها، يجب الجلوس مع الأبناء وتوعيتهم من مخاطر الاستخدام الخاطئ لتلك الوسائط، وحمايتهم من تأثيرها الخطير، ومنع المراهقين والشباب من مشاهدة البرامج والمحتويات الهدامة المنحرفة والخارجة عن نطاق التربية الإسلامية والثقافية وأعراف مجتمعنا، وبالمقابل تشجيعهم على تنمية مواهبهم وتعلم مهارات جديدة بدلاً من الجلوس لساعات طويلة على مواقع التواصل الاجتماعي دون فائدة، وكذا ملئ وقت فراغهم بما هو نافع ومفيد، كالمطالعة وأداء واجباتهم المدرسية، ممارسة هواياتهم، ممارسة الرياضة... إلخ، والتقرب منهم لفهم احتياجاتهم ورغباتهم، والاستماع والإنصات لهم جيداً من خلال اتصال بناء وفعال، سيساعد على فهم ما بداخلهم من أفكار، ويجب الحرص على الإجابة على أسئلتهم وخاصة فيما يتعلق بالطبوهات ومحاولة شرح مخاطر الانغماس في الممارسات الغير أخلاقية والسلوكات المنحرفة.

الجدول رقم (18): العلاقة بين قضاء الوقت في المنزل والبرامج الأكثر مشاهدة.

المجموع	المطالعة	تصفح الأنترنت	مشاهدة التلفاز	قضاء الوقت في
---------	----------	---------------	----------------	---------------

المنزل البرامج الأكثر مشاهدة					
التثقيفية	03	14	03	10.71%	20
		07.40%			09.09%
التسلية	00	47	00	17.85%	52
		24.86%			23.63%
الأفلام والأغاني	00	128	00	71.42%	148
المجموع	03	189	03	12.72%	220
		85.90%			100%

تعتبر الأغلبية من المبحوثين من خلال الإتجاه العام للجدول، أنهم يتابعون الأفلام والأغاني بنسبة 67.27%، ترتفع عند الذين يقرون أنهم يقضون أغلب أوقاتهم في المنزل في مشاهدة التلفاز 71.48%، فيما جاءت نسبة 23.63%، عند المبحوثين الذين أجابوا أنهم يتابعون برامج التسلية ترتفع عند المبحوثين الذين أجابوا أنهم يقضون وقتهم في المنزل في تصفح الانترنت، وأخيرا سجلنا ما نسبته 09.09%، عند المبحوثين الذين يتابعون المواضيع التثقيفية، ترتفع عند الذين يقضون أغلب أوقاتهم في المطالعة 100%.

لا يمكن إنكار أن وسائل الإعلام سواء المكتوبة أو المسموعة والمرئية، ساعدت بشكل أو بآخر على زيادة الوعي الفكري عند الأفراد، وأتاحت لهم فرصة التعرف على ما يدور حولهم من أحداث، لكن انحراف بعضها عن المعايير المهنية، ترك أثارا سلبية خطيرة على المجتمع وخاصة على المراهقين والشباب، حيث تعتمد الرسالة الإعلامية من حيث صياغة مضمونها على ما يسمى بالمغريات أو الدوافع أو الرغبات والحاجات، حيث يخاطب المعلن المراهق أو الشاب المستهلك المستهدف، معتمدا على المنطق أو العاطفة أو كليهما، من خلال استخدام نوعيات من الأوتار الإقناعية، وأكد الباحثون أن وسائل الإعلام والاتصال وفي مقدمتها ما يبثه الإنترنت والتلفاز يمثل الخطر اليومي الدايم داخل كل بيت، حيث يحتل مكان المعلم للعادات الغربية والسيئة، التي يجتمع فيها الصوت والصورة واللون، فمنه يتعلمون السرقة والعنف والخلاعة وتعاطي المخدرات خاصة في سن المراهقة عن طريق الأفلام الهابطة وعرض الحفلات الماجنة، وظهور ممثلين

وسينمائيين يزاولون سلوك التدخين و تعاطي المخدرات وهم في حالة انتشاء، وما يقال عن الأنترنت والتلفاز، يقال عن وسائل الإعلام الأخرى بدرجات متفاوتة، وتتصل مشكلة المخدرات بشكل كبير بعمليات التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي يستقيها الفرد من وسائل الإعلام والإتصال، وبخاصة تلك التي تعلم أساليب تهريب المخدرات والاتجار بها أو تعاطيها، بشكل يدفع الشباب إلى الاستكشاف والتجريب، ولا ننسى التركيز على دور الأنترنت في نشر معلومات مشجعة على تعاطي المخدرات.

ومن خلال نتائج الجدول نستنتج، أن وقت الفراغ يعتبر سلاحا ذو حدين، فإذا استثمر هذا الوقت بشكل علمي مخطط ومنظم فإنه غالبا ما يؤدي إلى بناء أجيال صالحة، ذات قدرات ومهارات اجتماعية مفيدة، أما إذا ترك هذا الوقت للشباب يشغله بطريقته الخاصة دون توجيه أو متابعة، فإن ذلك قد يؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباهها، فالكثير من السلوكات المنحرفة قد تكون مجرد لعب غير موجه أو نتاجا لافتقار التوجيه في استثمار وقت الفراغ الاستثمار الصحيح، ومن ثم يمكن القول، أن القصور في توفير وسائل سوية للترفيه وشغل وقت الفراغ، قد يكون من العوامل التي قد تساهم في حدوث السلوك المنحرف لدى الشباب، فالأم التي كانت تتولى تربية ابنتها لتكون زوجة وأما صالحة، تترك لها اليوم أن تتلقى ذلك من أماكن أخرى على رأسها صديقات السوء والعالم الافتراضي.

ومن خلال معطيات الجدول، التي تفيد أنه هناك إستعمال مفرط للانترنت عند المبحوثين يمكن أن نرجع ذلك إلى الإنتشار بشكل كبير للإنترنت في الآونة الأخيرة، حيث أصبح جزءا أساسيا من منظومة كل بيت، لغرض الاستفادة من كل الخدمات التي يقدمها، حيث تمتلك دول العالم جميعها الإنترنت، فهو ليس حكراً على جهة معينة، وقد تطورت شبكة الإنترنت مع مرور السنوات وساعد على انتشارها التطور الكبير والنمو المتسارع في سوق أجهزة الحواسيب الشخصية في الثمانينيات، وظهور الشبكة العنكبوتية العالمية في أوائل التسعينات، والهواتف الذكية في وقتنا الحالي، الأمر الذي جعل تصفح الإنترنت أكثر سهولة وإتاحة لجميع الأشخاص من مختلف أنحاء

العالم، وقد أصبح الإنسان يعتمد على الإنترنت في العديد من شؤون حياته لما له من فوائد متعددة، ولكن على الرغم من إيجابياتها إلا أن لها بعض السلبيات إذا لم تؤخذ أسس الحيطة والحذر عند التعامل معها والتي يجب الحذر منها، لا سيما تأثيرها على فئة الشباب على وجه الخصوص، خاصة فيما يتعلق بقضاء وقت كبير على الإنترنت، والذي قد يمتد على حساب أوقات الدراسة، مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي، وزيادة احتمالية الإصابة بمشاكل صحية.

وفي نفس السياق، أصبح الإنترنت يتيح للعديد من الناس أن يهربوا من واقعهم وحياتهم المليئة بالمشكلات إلى العالم الافتراضي، والجدير بالذكر أن تأثير الإنترنت على البعض أصبح لا يقل عن تأثير العقاقير المخدرة، الأمر الذي أوجد العديد من المخاطر الاجتماعية والأضرار الجسمية، التي قد تحدث في حال استخدامه بطريقة خاطئة أو الإفراط في استعماله، حيث أنه مع تزايد أعداد الأشخاص الذين يستعملون الإنترنت، أصبح من السهل على المحترفين والذين لديهم القدرة على الاختراق الحصول على معلومات شخصية عن أشخاص معينين وعن أفراد عائلاتهم، واستخدام هذه المعلومات بطرق غير مشروعة، حيث أصبح من السهل أن يؤدي الأشخاص بعضهم البعض وأن يقوم شخص ما بانتحال شخصية فرد آخر لاستغلاله وإيذائه كما أصبح بإمكان المجرمين أن يمارسوا أعمالهم الإجرامية من خلال مواقع الويب دون الخوف من أي رقابة، ناهيك عن الإدمان وإهدار الوقت، فقد أصبح الأشخاص يدمنون على الإنترنت ومن نواح مختلفة، فبعضهم يدمن على الألعاب والتي من الممكن أن تكون مدمرة لنفسية المرء دون أن يشعر بذلك، وقد يقوم المرء بادئ الأمر باستخدام الإنترنت لعمل شيء مفيد ولاستغلال وقته بما يعود عليه بالفائدة، إلا أنه ومع وجود الملهيات الكثيرة المتاحة على شبكة الإنترنت ينتهي به المطاف بأن يتشتت تفكيره ويهدر وقته، وتقدم مواقع شبكة الإنترنت المعلومات بشكل فوري للمستخدم، كما أنه يمكنه الانتقال من موقع لآخر ونقل التركيز من موضع لآخر بسرعة كبيرة، الأمر الذي يؤدي لاحقاً إلى تشتت التركيز، وتقليل صبر الإنسان يوماً بعد يوم، ويمكن للطالب إذا فاتته درسه أن يحصل على المعلومات من خلال المواقع التعليمية على شبكة الإنترنت وجمع

المعلومات اللازمة للأبحاث، إلا أن الضرر يكمن في عدم مقدرة الطلاب مقاومة المغريات على الشبكة، فيبدوون بالالتهاء وبذلك ينحرفون عن الهدف الأساسي الذي يستخدمون الإنترنت من أجله، ولذلك يجب على الأهالي مراقبة أبنائهم ومتابعة دراستهم على شبكة الإنترنت، وأن يمنعوا عنهم المواقع غير الملائمة التي من شأنها التأثير على دراستهم ومستقبلهم وسلوكياتهم، وقد يتعرض للعديد من المشاكل الصحية، فقد يؤدي إلى حدوث مشاكل السمنة نتيجة الكسل وقلة الحركة بالإضافة إلى أنه يقود إلى نمط حياة غير صحي، كما من الممكن أن يؤدي استعماله المفرط إلى حدوث مشاكل بالرسغ أو بما يعرف بالنفق الرسغي، نتيجة الاستعمال المفرط للفأرة أو الاستعمال المستمر للوحة المفاتيح، كذلك التعب والإرهاق بسبب الجلوس لساعات طويلة أمام الحاسوب أو الهاتف المحمول الذي يقود إلى مشكلات في العينين، ناهيك عن تعرضه للصداع وآلام العظام والمفاصل.

وفي نفس السياق، هناك انتشار مهيب للمواقع التي تحتوي على مواد خادشة للحياء ومواد إباحية، يمكن للقاصرين أن يصلوا إليها بسهولة، سواء بطرق متعمدة أو عن طريق الخطأ، أو يتم عرضها عنوة أثناء التصفح، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث مشاكل اجتماعية ونفسية بالغة الأثر خاصة الإدمان الجنسي، من خلال تصفح المواقع الإباحية وغرف المحادثة الرومانسية، إذ إن المراهقين والشباب لديهم ميل فضولي نحو الجنس لاكتشاف ماهيته، وقد تفتح الشبكة العنكبوتية أمامهم الباب على مصادر غير صحيحة من المعلومات، فيتبنون نظرة خاطئة عن هذا المفهوم، تنعكس على طريقة نظرهم إلى أجسادهم وأجناسهم والجنس الآخر، بحيث يصعب تصحيح هذه النظرة فيما بعد، ناهيك عن تفتح أعينهم على موضوعات مرفوضة أخلاقيا ومجتمعيا، كالمثلية الجنسية، كما تتسبب العديد من مواقع التواصل الاجتماعي في انعزال الأفراد عن الحياة الاجتماعية، ومن ثم الشعور بالوحدة والعزلة عن العائلة والأصدقاء، خاصة إدمان الدردشة حيث يبدأ الفرد بالاستغناء عن حياته وعلاقاته الواقعية، ودخوله لعالم الإنترنت وبناء علاقات إلكترونية إفتراضية.

وفي الأخير، إن الوقاية من الإدمان على الإنترنت هي مسؤولية تقع على عاتق الآباء والمعلمين وأعضاء المجتمع كل حسب موقعه، حيث يجب توعية الأفراد فيما يتعلق بهذا الموضوع، ولكي يقي الأفراد أنفسهم من خطر الإدمان على الإنترنت فإنه عليهم تنظيم ساعات العمل عليه، أو ساعات الترفيه، لتكون ساعتين فقط في اليوم على الأكثر، كما يجب على الآباء متابعة أبنائهم من حيث فترة استخدامهم للإنترنت وطبيعة الاستخدام وماهية البرامج التي يستعملونها بالإضافة إلى إرشادهم إلى المواقع المفيدة والهادفة، و حظر المواقع غير الأخلاقية والمواقع غير المفيدة وأن يضعوا جدولاً زمنياً لاستخدام الإنترنت خلال اليوم، رغم أن ذلك ليس بالسهولة التي نتوقعها خاصة أنه إذا لم يتوفر الإنترنت على أجهزة الحاسوب الخاصة في المنزل، فإنه متاح على أجهزة الهواتف النقالة خاصتهم، بعكس ما كانت عليه في السابق من محدودية التصفح.

الجدول رقم (19): العلاقة بين التواصل مع الموزعين عن طريق الفضاء الأزرق، ورقابة الوالدين.

المجموع	لا	نعم	رقابة الوالدين
			التواصل مع الموزعين عبر الفضاء الأزرق
134 60.90%	89	45	نعم
	60.95%	60.81%	
86	57	29	لا
39.09%	18.49%	39.18%	
220 100%	146 66.36%	74	المجموع
		33.63%	

من خلال الإتجاه العام للجدول، نلاحظ أن نسبة المبحوثين الذين يقرون أنه سبق لهم التواصل مع الموزعين عبر الفضاء الأزرق 60.90%، ترتفع عند الذين يقرون أن رقابة الوالدين عليهم ضعيفة، وتمثل أعلى نسبة 66.95%، بالمقابل نجد نسبة 39.09% من المبحوثين الذين

يقرون أنه لم يسبق لهم التواصل مع الموزعين غير الفضاء الأزرق، ترتفع عند الفئة التي ترى أن رقابة الوالدين عليهم مرتفعة بنسبة 39.18%.

نلاحظ من خلال نتائج الجدول، أنه هناك علاقة طردية ما بين هذين المتغيرين، فكلما كانت الرقابة الوالدية تتسم بالارتخاء والضعف، كلما زادت حرية الأبناء في الاستخدام السيئ لوسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت، والتي لعبت دورا سلبيا في تسهيل تعاطيهم للمخدرات خاصة أنها تتم في الخفاء، في حين أن المبحوثين الذين يقرون أن أولياءهم يمارسون عليهم حدا معيناً من الرقابة، أقل اندفاعاً في التواصل مع الموزعين عبر الأنترنت، وبناءً على ما سبق نستنتج أن رقابة الوالدين لأبنائهم بطريقة دورية، تكون بناءً على الوعي الذي يصاحبهم حول السرعة الكبيرة في تطور تكنولوجيا الإتصال والإعلام، خاصة في ظل سهولة امتلاك هذه التكنولوجيات من خلال الإنتشار الكبير للهواتف الذكية في أيدي المراهقين والشباب، وما يمكن أن تحمله من محتويات هدامة، وأغلب الذين صرحوا أنهم قاموا بالتواصل مع المروجين يملكون هذه الوسائل مما سهل عليهم عملية التواصل بهم.

وحذرت الأمم المتحدة من أن شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي هي أخطر وسائل الترويج للمخدرات في العالم، ونوهت الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات التابعة للأمم المتحدة، على تزايد ظاهرة صيدليات بيع المخدرات عبر شبكة الإنترنت، وأن الظاهرة في تزايد وتندربخطر شديد على الشباب، على الرغم من تحذيرات الأمم المتحدة المستمرة على مدى السنوات الماضية والتطور الأكثر خطورة هو بدء استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، ومنها التويتروالفيديسبوك في الترويج لبيع وتعاطي المخدرات في غالبية مناطق العالم، وطالبت الأمم المتحدة دول العالم بضرورة الإسراع بسن قوانين تنظم التسوق عبر الإنترنت، مشيرة إلى أنه لا توجد مثل هذه القوانين سوى في دولة الإمارات العربية المتحدة.

ويستهدف المروجون أكثر شبكات التواصل الاجتماعي استخداما بين الشباب، وهناك مجموعة من العوامل جعلت من شبكات التواصل الاجتماعي خياراً مفضلاً وتحولاً مقصوداً لدى عصابات ترويج المخدرات، منها عامل السرية، فسرية التعامل عبر شبكات التواصل الاجتماعي ساعدتهم على التخفي، والحصول على غطاء آمن يحاولون من خلاله مزاوله الترويج بعيداً عن رقابة الأجهزة الأمنية، وعامل السهولة، فشبكات التواصل الاجتماعي مكنت المروجين من الوصول إلى ضحاياهم بشكل سهل وسريع في العالم الافتراضي، وهذا الأمر أسهل بكثير من العالم الحقيقي الذي يحتاج إلى كثير من الخطوات والعلاقات، وتكتنفه العديد من التحفظات والاحتراقات، كذلك الكلفة، فانتشار الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي مكن المروجين من الاستفادة منها بكلفة يسيرة جداً وشبه مجانية، فالأمر لا يتطلب سوى توفر شبكة الإنترنت وجهاز حاسوب أو هاتف ذكي، دون أي مبالغ مالية طائلة أو إمكانيات معقدة، ومن العوامل الأخرى قلة الوعي، فقلة الوعي لدى الشباب والفتيات أسهمت في وقوعهم ضحايا لتعاطي المخدرات وفريسة لمروجيها، علاوة على الاستخدام غير الرشيد لشبكات التواصل الاجتماعي وعدم إدراك الشباب أو الفتيات لما تنطوي عليه من كواليس ومخاطر، ونظراً لارتباط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي غالباً بالهواتف الذكية، فقد ظهرت عوامل أخرى تمثل تحديات أمنية جديدة في اكتشاف جرائم الاتجار بالمخدرات المرتبطة بهذه الأجهزة.

وتجري تجارة المخدرات بشكل مشفر على ما يعرف بشبكة الإنترنت المظلمة أو "deep web" أو "دارك نت"، وتشكل جزءاً من تجارة المخدرات العالمية، وتقول الجهات المسؤولة أن إيراداتها أخذت في الازدياد عام بعد عام، وفي هذا الجانب المعتم من تجارة المخدرات اكتشفت السهولة الكبيرة في شراءها، وفي مواصلة تجارة المخدرات عملهم عبر تلك الشبكة، حتى لو أغلقت مواقعهم الإلكترونية المخصصة لعرض بضائعهم، وشبكة الـ "Deep web" ليست شبكة إنترنت عادية بل هي مجموعة من المواقع التي تبث محتوى مضاد للقوانين، وللعديد من الأعراف المجتمعية والإنسانية، حيث أنها شبكة تحتوي على العديد من المواقع التي تدير أعمالاً منافية للقانون

مثل الأعمال الخاصة بتجارة المخدرات، وتجارة الأسلحة الخطرة غير المرخصة، فضلا عن خدمات مشبوهة، مثل استخراج الوثائق والعملات المزورة، وهذا ليس كل شيء، فشبكة الـ web Deep تحتوي على العديد من المواقع التي تقدم محتوى إجراميا لدرجة تفوق الوصف فمن الممكن أن تجد على تلك الشبكة خدمات مثل خدمة استئجار قاتل محترف، أو بعض المواقع التي تقيم مزايدات على كيفية تعذيب البشر حتى الموت.

وبناء على ما سبق ذكره، نستعرض بعض نتائج البحث الذي قامت به شبكة "بي بي سي" والذي يعكس الحالة الكارثية التي وصل إليها التسويق الإلكتروني للمخدرات، حيث استعرضت أحد مواقع تسويق المخدرات، وهو موقع "توريز" (Torrez) الإلكتروني، الذي بدأ كأى موقع عادي للتسوق، وكان يعرض آلاف المنتجات، منها: (كوكايين قشر السمك البيروفي، وعقار النشوة بالشمبانيا، وعقار نشوة ذو حبات زرقاء...)، وأنواع أخرى من المخدرات، ويحتوي أيضا على شهادات الزبائن وتقييماتهم لكل بائع، ومعلومات عن خدمات التوصيل وطرق الدفع، وصرحت الشبكة في سياق تحقيقها الاستقصائي أن هناك اعتقادا سائدا بأن شراء مخدرات على الشبكة المظلمة أو الشبكة العميقة هو بالسهولة نفسها عند طلب شطائر البيتزا، ولكن شراء المخدرات باستخدام العملات الرقمية المشفرة (cryptocurrency)، والتواصل مع البائع من خلال رسائل مشفرة يستغرق ساعات طويلة.

ومن أمثلة السهولة في شراء المخدرات عبر تلك الشبكات، هو وصول طلب لمدوبي الشبكة لأحد زبائنهم عبر الموقع، والمتمثل في حبات مخدرة "ذات القوة الخارقة"، في البريد في غضون يومين كما وعد البائع، جاءت الحبات الـ (3) الصغيرة في صندوق ضخم، وهو أحد الأمثلة على طريقة "التعبئة والتغليف التمويهية" التي تستخدم للتمويه على المحتويات، ووصلت علبة تحتوي على الكوكايين من بائع على موقع إلكتروني آخر خلال الفترة المحددة، مرفق بها فاتورة وهمية من شركة تباع الأعشاب الطبية، وتقدر الأمم المتحدة أن النسبة تجارة المخدرات العالمية عبر أسواق

الشبكة المظلمة آخذة في التنامي، محذرة من انتعاش تجارة المخدرات عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي نفس السياق، يتسم عالم مخدرات الشبكة المظلمة بالفوضى، كما أنه دائم التغير وتغلق بعض المواقع بين الحين والآخر وتختفي، وتختفي معها أموال الزبائن أو البائعين، ويسمى ذلك "احتيال الخروج"، كما أن هذه المواقع تخترق في بعض الأحيان، أو تكتشفها الشرطة وتغلقها، وهناك اتجاه جديد لتلك الأسواق الإلكترونية، يتمثل في أنها تغلق بشكل منظم، أو ما يسمى "الاختفاء" أو "التقاعد الاختياري"، كما فعل موقع "توريز" الشيء ذاته، ويذكر أن الأمريكي "روس أولبريشت" يقضي عقوبة السجن مدى الحياة، بتهمة إدارة أول سوق رئيسية على الشبكة المظلمة "طريق الحرير" (SilkRoad)، بين عامي 2011 و 2013، ولكن حتى بعد إغلاق سوق إلكترونية مخالفة للقانون، قد لا يكون لذلك تأثير يذكر على البائعين الذين يمكنهم أن ينتقلوا بكل بساطة إلى سوق جديدة،

وبناء على ما تم ذكره، فإن عوامل الخطر الخارجية التي تسهم في تعاظم المخدرات عند الشباب، يظهر جليا أثر الإعلام الجديد المتمثل في شبكة الإنترنت وما تمخض عنها من شبكات التواصل الاجتماعي، التي أصبحت اليوم عاملا مؤثرا في تكوين شخصية الإنسان وقيمه وسلوكياته، وعلى جانب ذي صلة، فإن عصابات تهريب وترويج المخدرات لا تألو جهدا في استغلال كل هذه المتغيرات لصالح أجندتها، مستفيدة من الأثر الكبير للإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي، إما بتزيين وتسهيل تداول ونشر المخدرات والمؤثرات العقلية وزيادة الطلب عليها، أو باستخدام هذه الوسائل الحديثة في عمليات ترويج ونشر المخدرات، وخاصة بين الناشئة والمراهقين باعتبارهم الفئة الأكثر استخداما لهذه الوسائط، وأبرز طرق ووسائل مروجي المخدرات عبر شبكات التواصل الاجتماعي هي نشر مسميات للمخدرات ترتبط بمفاهيم تشير للقوة والنشاط، ومسميات أخرى ترتبط بالإغراءات، وإقناع الشباب بتأثير أنواع المخدرات في

القدرة على الحفظ في أوقات المذاكرة في أيام الامتحانات، واستخدام مسميات للمواقع تستوحي من اللذة في الطعم والمنظر ما يجذب الشباب والإيقاع بهم، من خلال خداع المراهقين والشباب بأن بعض أنواع الحبوب هي الحل الأمثل للسهر، وإنشاء حسابات لأسماء وصور نسائية بهدف إيقاع الشباب في براثن المخدرات، ويستخدم المروجون أسماء جذابة لاستهداف الشباب في مواقع التواصل وإدخالهم في مستنقع المخدرات، كما يستخدمون ألباساً وشفرات وصوراً عبر حسابات مشبوهة لبيع سمومهم والإيقاع بضحاياهم، كما يستخدم المروجون صيدليات الإنترنت غير المشروعة التي تباع وتروج للمواد المخدرة، كما قد يغرر مروجي المخدرات بالرياضيين الذين يسعون إلى تقوية عضلاتهم دون أن يبذلوا جهداً.

وفي الأخير، ومن أجل مواجهة هذا المتغير الجديد والخطير في قضايا ترويج المخدرات، هناك عدداً من الحلول التي يمكن تقسيمها إلى أربعة جوانب، أولاً: الجانب التشريعي والعقابي، الذي يتمثل في ضرورة سن القوانين وإعداد التشريعات والضوابط المناسبة لمكافحة نشر وتسويق المخدرات عبر شبكات التواصل الاجتماعي، من خلال تطبيق عقوبات رادعة وفق نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية، ثانياً: الجانب الأمني، ويشتمل على تعزيز دور الجهات الأمنية المتخصصة في متابعة مروجي المخدرات الذين يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي، من خلال تحقيق التعاون بين المواطنين وبين الجهات الأمنية في الإبلاغ عن المروجين، وتزويدها بأي معلومات حول الحسابات أو الاستخدامات المشبوهة في شبكات التواصل الاجتماعي، ثالثاً: الجانب الأسري والتربوي، والذي يشتمل على توعية الأسر بتفعيل دورها الرقابي وتحذير أبنائها من خطورة التعامل مع الشبكات المشبوهة أو الانسياق خلف أساليبها، وقيام المؤسسات التربوية والتعليمية بدور كبير في تغيير مفاهيم الشباب وتعديل سلوكياتهم واتجاهاتهم، وإيجاد برامج وتطبيقات لفتح الحوار بين الأسرة والأبناء وخلق بيئة صحية وواعية، رابعاً: الجانب التوعوي والمجتمعي، ويشتمل على رفع الوعي في المجتمع من خلال نشر تأثير المخدرات على النواحي العقلية والنفسية والجسدية والأسرية وتكثيف المحتويات الرقمية التوعوية المدعومة من المؤسسات المجتمعية

الدينية والفكرية والمعرفية الموثوقة، وتحقيق التكامل والتعاون بين الجهات (الحكومية والأمنية والأسرية...)، في مجال مكافحة المخدرات، ومشاركة وسائل الإعلام المختلفة في التوعية عن المخدرات ومصادر ترويجها باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، من خلال تبني برامج وقائية حديثة مبنية على الممارسات الحديثة المبرهن على فعاليتها، وبالنظر إلى التجارب العالمية، باتت سياسات الوقاية تركز على استعمال وسائل الاتصال الحديث، وخاصة المواقع التفاعلية عبر الإنترنت، لمواجهة الثقافة الفرعية للشباب المعززة بقيم التعاطي، ويتم ذلك من خلال تصميم المواقع المتخصصة في لقطات الفيديو، ومن خلال تصميم حملات تفاعلية موجهة للصغار في سن مبكرة، من التعليم لتثقيف الصغار بخطر التعاطي.

الجدول رقم (20): العلاقة بين قضاء وقت للتحدث ومناقشة الأمور مع الأسرة، وتأثير وسائل الإعلام على الشخصية.

المجموع	لا	نعم	مناقشة مواضيع حساسة مع	
			الأسرة	تأثير وسائل الإعلام على الشخصية
115	104	11	52.27%	16.41%
56	14	42	25.45%	62.68%
49	35	14	22.27%	22.89%
220	153	67	100%	30.45%

على ضوء نتائج الجدول، جاء الإتجاه العام عند الفئة التي تقر بتأثير وسائل الإعلام على الشخصية 52.27%، ترتفع بنسبة 67.97% عند الذين لا يناقشون أمورهم الخاصة مع أسرهم في حين يقر المبحوثين بتأثير وسائل الإعلام على الشخصية أحيانا بنسبة 25.45%، ترتفع عند

المبحوثين الذين يناقشون أمورهم مع أسرهم، وفي الأخير الإجابات التي تقر بعدم تأثير وسائل الإعلام على الشخصية 22.27%، ترتفع عند فئة التي تناقش أمورها مع الأسرة، 22.89%.

ومن خلال قراءتنا لنتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أن الشخصيات المنغلقة في التكنولوجيا الحديثة تجد فيها الملاذ للهروب من ديكتاتورية الأسرة، وترتفع إمكانية حدوث ذلك عند انعدام الإتصال ومناقشة أمورهم ومكنوناتهم مع أسرهم وأوليائهم، فتصبح فريسة سهلة للوقوع في حبال الإنحراف، حيث أن التكنولوجيا أسهمت في ضياع جوانب عدة من شخصية الشباب المنغلقين وتشتيتهم، ما جعلهم لا يعون الحياة الاجتماعية التي تتميز بقدرتها على تنمية الشخصية اجتماعيا، وإعطاء أبعاد في التعامل مع الآخرين، واحترام رأيهم والتصرف بطريقة تحفظ الحقوق الشخصية في جو اجتماعي عادي، وعلى الأسرة في هذه الحالة أن تلعب دورها المنوط بها، من خلال إتباع أسلوب الرقابة وتوجيه الأبناء من جهة، والسماح لهم بالاطلاع على كل شيء وإعطائهم الحق في الحوار والمناقشة من خلال أساليب التواصل المناسبة والمرنة والفعالة من جهة أخرى، لأن الأسرة التي لا تتبع أسلوب الحوار والمتابعة والرقابة تدفع الأبناء إلى فعل ما يريدون وتجعلهم متأخرين في حياتهم.

وباعتبار أن وسائل الإعلام في العصر الحديث من أهم الوسائل التربوية الشيقة، التي تجذب الناس من مختلف الأعمار والفئات والشرائح من الجنسين، فهي أداة هامة من أدوات التربية المستديمة، ومن أدوات النهوض بالمجتمعات، حيث تقدم مواد علمية وثقافية متنوعة، كما أنها تمتاز بميزات لا تتوافر في غيرها من وسائط الثقافة الأخرى، حيث أنها سريعة الاستجابة لنشر المستحدثات في مجال العلم والمعرفة وسريعة الإذاعة لها، وهي تختلف عن وسائط الثقافة الأخرى في أنها تنقل إلى الناس خبرات ليست في مجال تفاعلاتهم البيئية والاجتماعية المباشرة، كما أنها تنقل موادا ثقافية متنوعة جدا مما يكون له أثره على تربية الأجيال، ويمد الإعلام بمختلف وسائله الفرد فرص تعلم مستمرة مدى الحياة، ويساعده على مواجهة متطلبات النمو المتزايدة والمتغيرة، والتي لم تعد المؤسسات التربوية النظامية قادرة وحدها على توفيرها، في ظل ما

يشهده العصر الحالي من انفجار معرفي، ومن الملاحظ، أن الوظائف التي تؤديها وسائل الإعلام للمجتمع تنوع تبعاً لاحتياجاته ومن ثم فإن وسائل الإعلام تتصل اتصالاً وثيقاً بالتنشئة والإندماج الاجتماعي.

ومن خلال ما سبق ذكره، وباعتبار الإعلام مؤسسة اجتماعية تستجيب إلى البيئة التي تعمل فيها، يجب أن تسعى بمختلف أشكالها ومسمياتها، إلى تحقيق العديد من الأهداف على رأسها تربية الأفراد وتعليمهم وتوجيههم إلى إتباع الأصول والعادات والأعراف الاجتماعية الصحيحة، وتثبيت القيم والمبادئ والاتجاهات العامة والمحافظة عليها، ووقاية شبابنا من الانحرافات والإنزلاقات وإدماجهم اجتماعياً، من خلال خدمات الدعاية والإعلان الهادف، بما يتيح فرصة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات، ولذلك فمن الضروري مشاركة المجتمع في تخطيط برامجها، ومما يزيد من أهمية هذه الوسائل أن التربية المدرسية نفسها أصبحت في كثير من دول العالم تعتمد عليها في تنفيذ كثير من برامجها وأهدافها.

وبناء على ما سبق ذكره، واستناداً إلى مقولة أن لكل حقيقة وجهان على الأقل، ولكل اختراع وجهان أيضاً، وجه جيد وإيجابي ومشرق، ووجه آخر سلبي وسيئ، ينطبق ذلك على الأنترنت والشبكة العنكبوتية باعتبارها أكثر وسائل الإعلام انتشاراً، والتي يمكن عدها سلاحاً ذا حدين، فإذا ما أردنا منها الفائدة حصلنا على أفضل الميزات، وإذا ما أسأنا استخدامها، نالتنا عواقب لا نحسد عليها، حيث تعد مخاطر الأنترنت على الشباب والمراهقين من المؤرقات التي تقلق راحة الأهل وأولياء الأمور، فما بين الحاجة إلى إطلاع الأبناء على مستجدات وتطورات العصر ومحو أميتهم في مجال البحث على الأنترنت، وبين المخاطر والمشكلات التي يتسبب بها إبحارهم في هذه الشبكة، تكمن المهمة التربوية الحقيقية والمسؤولية الكبيرة التي تلقى على عاتقهم في منح أبنائهم القدرة على الحصول على الإيجابيات، وحمايتهم من الأخطار والسلبيات خاصة وأن الهاتف النقال في متناول الجميع رغم ارتفاع ثمنه بسبب أهميته في تثقيف الأفراد

وتعليمهم، ولذلك فهناك حاجة إلى أن تتكامل وسائط الإتصال مع الوسائط التربوية الأخرى في أهداف عامة مشتركة، حتى لا تؤكد اتجاهات قد تكون مختلفة عما تؤكد الأسرة أو المدرسة مثلا ففي الوقت الحالي، أصبح الإنترنت مهربا للكثير من البشر، والمنفذ الذي يبعدهم عن واقعهم المليء بالمشكلات، إلى عالم خيالي يصنعه الإنسان حسب أهوائه ورغباته، لذلك نرى أن تأثير الإنترنت في الأشخاص أصبح يشابه تأثير العقاقير والخمور.

وفي سياق متصل، وجد المختصون أن للشبكة العنكبوتية كثيرا من المخاطر التي تحدث عند كثرة الاستعمال، أو عند الاستعمال بشكل خاطئ، لذا لا بد من الترشيد في استخدام هذا المصدر من المعلومات، حفاظا على الصحة الجسدية والنفسية للشباب والمراهقين، على رأسها خطر الانحراف، وما يزيد الأمر سوءا، تجاهل بعض أولياء الأمور هذه الحقيقة، ظنا منهم أن فوائد الإنترنت على أبنائهم يتفوق على أضراره، غير أنهم في الوقت نفسه، يتناسون أن قضاء وقت طويل في رحاب الشبكة العنكبوتية، من دون إشراف وتوجيه ومراقبة من الأهل، وفتح المجال للنقاشات والحوار الدائم والمنتظم، من شأنه أن يعرض الأبناء لمخاطر الانحراف الأخلاقي وتعاطي المحرمات، وكثير من المشكلات الأخرى.

وفي الأخير، وكما سبق لنا وأن ذكرنا في جداول سابقة، تكاد تكون سلبيات وسائل الإعلام والإتصال، وعلى رأسها الإنترنت ومخاطره على الشباب والمراهقين، من أكثر التهديدات التي تواجه هذه الفئة العمرية، والتي تحتاج بطبيعة الحال إلى معاملة خاصة وطريقة حذرة في الخطاب، إذ أنه من السهل ترغيبهم لتبني الأفكار المتعددة والآراء المختلفة المنتشرة على المواقع، وخاصة المختلفة منها، والتي تلبي ميولهم نحو التميز والتفريد خارج السرب.

ولعل أخطر السلبيات هي إضعاف ثقتهم بأنفسهم وإفقادهم هوياتهم ومميزاتهم الشخصية وتعريضهم لكثير من الأفكار والمعتقدات الخاطئة والخطيرة في كثير من الأحيان، وعلى وجه التحديد الدينية منها، وكذلك العادات الخاصة ببعض الشعوب والمجتمعات التي لا تتماشى مع

قيمنا الأخلاقية والإجتماعية علاوة على تعرضه للانفصال عن الواقع والانطواء مما يجعله غير إجتماعي وغير فعال، وتقوده إلى الوحدة، ويسهل كثيرا التأثير في المراهقين والشباب كونهم في مرحلة التصورات المثالية المطلقة للمصطلحات والحالات، ظنا منهم بأن هذا دليل وعي ونضج فيكملون الطريق الذي يبدوونه إلى آخره، بسبب نظرتهم القاصرة عن اتساع الحياة وأريحية التنقل بين الخيارات فيها، وبالمقابل يستغل بعض الأشرار على الشبكة هذه الميزة فيهم، فيجرونهم خلف أفكار يدسونها كما يدس السم في العسل، فيسهل استغلالهم وابتزازهم وإجبارهم وتهديتهم على تنفيذ طلبات غير مقبولة ويزداد هذا الأمر كثيرا نتيجة عدم فتح قنوات الإتصال، ووجود رقابة فعالة، خاصة وأنه لا يمكن منع الأبناء من استخدام هذه التكنولوجيا لأن ذلك يجعلهم أميين في عصر الثورة المعلوماتية، ولكن يجب اتخاذ بعض التدابير التي من شأنها التمهيد لمعرفة الأبناء للتحديات التي قد تواجههم جراء استعمالهم هذه التقنية، من خلال وضع قواعد للتصفح وتحديد المواقع الموثوقة، وحجب المواقع غير المرغوب فيها، واستخدام التطبيقات التي تساعد على ذلك، ومنها التطبيقات التي تتيح ربط جهاز الأبناء مع جهاز أحد الوالدين لتتبع نشاطاتهم والأهم من كل ذلك، بناء الثقة والصراحة بين الأهل والأبناء، والتقرب منهم ليكونوا مصدر دعم والإشراف على تخصيص وقت كاف لهم، وسعيهم ليكونوا قدوة والمصدر الأول والصحيح للمعلومات بالنسبة إلى أبنائهم، وخاصة في الموضوعات الحساسة، وعدم تركهم ينصرفون في تيارات المعلومات الشاذة أو المغلوطة، وترك هامش من الحرية مع العمل على تفعيل رقابة ضمائرهم في تقييم سلوكياتهم، وإبقاء هامش كبير للمراقبة المستمرة عن بعد ليتسنى لهم التدخل وإنقاذ الموقف إذا استدعت الضرورة.

استنتاجات الفرضية الأولى:

من خلال ما تقدم من تحليل لنتائج الفرضية الأولى، توصلنا إلى نتائج عديدة بخصوص العوامل التي تؤدي إلى الانحراف والتعاطي لدى الشباب، المتعلقة بفشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في إدماجهم اجتماعيا، والذي وضحناه من خلال أبعاد ومؤشرات قمنا بتصنيفها لتحديد أهم الجوانب التي تؤدي إلى ذلك، والمتمثلة في دور مؤسسة الأسرة والمؤسسات التربوية والدينية، وكذا دور وسائل الإعلام والاتصال في إدماج الشباب اجتماعيا، من خلال البيانات الكمية والرقمية التي تم تحليلها سوسيولوجيا من خلال جداول ترابطية، كي نقف على مدى صدق فرضية البحث.

وقد توصلت نتائج تحليل الفرضية الأولى إلى أن:

- التربية الخاطئة لأحد الزوجين أو كلاهما وتقصير الرجل في القيام بواجباته من العوامل الاجتماعية للتفكك.
- الشاب ضمن الأجواء الأسرية المضطربة يعاني من الحرمان المادي والعاطفي والرعاية والحب والحنان والعطف والتربية الحسنة، وهي من الضروريات النفسية الأساسية التي يجب أن تتوفر في الأسرة لينشأ الشاب نشأة صالحة تقيه.
- أن الإهمال وضعف الحياة العاطفية في رحم الأسرة نفسها، وفقر التبادلات بين الأفراد وأزمة المؤسسات الاجتماعية، خاصة تلك التي تمثل الأهمية في عملية التنشئة الاجتماعية الأسرة المدرسة، دور العبادة... وفقد الثقة في المعايير والقيم التقليدية للمجتمع، والتي لا يعوضها التقدير المتزايد من طرف الأفراد والمجتمع عامة للنجاح المادي للفرد للانحراف الاجتماعي.
- تعد المخدرات من المواد الممنوع تعاطيها في غالبية مجتمعات العالم، ولذلك قد يستخدمها الشباب كتعبير عن رفض النظام الاجتماعي السائد والخروج عليه.
- قد يتعاطى الفرد لأول مرة على سبيل التجربة ومعرفة مذاق المخدر. وقد يلجأ الفرد للتعاطي لنسيان ما يواجهه من مشكلات وأزمات، وقد تدفع الإنسان الرغبة للتعاطي تقليداً ومجارات زملاء السوء.
- تدفع مشاكل الزواج والطلاق والهجر والإنفصال والكرهية ببعض إلى حافة الإدمان.
- قد تؤدي ظروف البيوت المحطمة التي ينشأ فيها الأطفال والمراهقون إلى الإدمان، حيث يتعرض فيها الطفل لكثير من مظاهر الحرمان من الإشباع المادي والعاطفي، ومن الحب والوفاء والحنان والتوجيه والإرشاد، ويعاني من القسوة والشدة والصرامة في التعامل أو الإهمال والنبد والطرده وعدم قبول الأسرة للطفل.

- قد يعاني من جو الخصام والشجار والصراع الذي يعكس صفو المنزل، ولا يقل عن ذلك خطرا تربية الطفل على الحرية المطلقة والفوضى وعدم الانضباط وعدم الإلتزام، فالحرية الزائدة لا تقل ضررا عن الصرامة الزائدة.
- إن وتيرة التطور التكنولوجي زادت مع التباعد بين الآباء والأبناء، بخلقها عدم المساواة على المستوى المعرفي، وعلى مستوى الخطاب من فئة لأخرى ومن جيل لآخر، وبالتالي خلق نوع من العجز عن الاتصال والتواصل بين الأجيال.
- الأشخاص الراشدين فقدوا دورهم كموضوع للتماثل من طرف الشباب، مقارنة بالدور الذي تمثله جماعة الرفاق والزملاء، أو الشارع، هؤلاء الشباب الموجودون في وضعية سيئة، في أسر في مرحلة تحول، والمستاءون أيضا في مدرسة بغير نتائج أو مخرج واضح حول مستقبلهم والذين لا يجدون مكانا واضحا لهم في مجتمع متأزم لا يعرف كيف يستقبلهم، إنهم يرفضون كل مرجعية، ويطلبون ضمانات حول مستقبلهم.
- بالمقابل فإن المعرفة المتاحة لهؤلاء الشباب بالوسط الخارجي وبالعالم المحيط بهم يجعلهم أكثر رفضا لوضعيتهم وعجزهم، إنهم يشعرون بالحرمان من حريتهم، وبأن مشاريعهم المستقبلية معطلة ومهملة، وبأنهم لا يملكون أي سلطة ونفوذ على حياتهم ومستقبلهم، إنهم يطلبون علاقات اجتماعية جديدة، وأشكال جديدة من الاتصال، إنهم باختصار يبحثون عن مكانة لهم ودور في هذا المجتمع. كإجابة عن هذا الطلب والبحث دون مخرج وإجابة.

الفصل السابع

الفرضية الثانية

المبحث الأول: وجود نماذج منحرفة داخل الأسرة وعلاقتها باكتساب سلوك التعاطي.

المبحث الثاني: علاقة جماعة رفاق السوء بالإنعراف واكتساب سلوك التعاطي.

المبحث الثالث: وجود نماذج منحرفة داخل المؤسسات التربوية والإصلاحية ووسائل الإعلام وعلاقتها بالإنعراف واكتساب سلوك التعاطي.

استنتاج الفرضية الثانية.

يساهم اختلاط الشباب بجماعة رفاق السوء، ووجود نماذج من المتعاطين في مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الإنحراف واكتساب سلوك التعاطي.

تتحمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في قلب العديد من الأحداث مسؤولية أخلاقية واجتماعية إتجاه الشباب والمجتمع، ولعل مفهوم " نماذج داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية" وجه من أوجه هذه المقاربة المحددة للعلاقة بين الشباب ومحيطهم من ناحية، ووظائفها إتجاهه من ناحية أخرى، وما استخدام المقاربة في التغيير الذي طرأ على سلوكيات الشباب إلا دليل على ذلك، وعلى مؤسسات التنشئة الاجتماعية إضفاء طابع الرقابة والمتابعة لأجل الحد من تأثير التغيير السلبي وزيادة درجات مقاومته.

وتعاطي النشء للمخدرات يبدأ بأسباب مختلفة ومعقدة، وتدخل عدة عناصر في حدوث الإدمان، مثل وجود نماذج من المتعاطين داخل الأسرة وجماعة الرفاق وفي المدرسة وعبر الإعلام والمجتمع ككل.....، فالأبناء يعايشون في حياتهم يوميا ضغوطا أسرية وضغوط أصدقاء السوء والمروجين للمخدرات، ويسمعون ويرون في التلفزيون وعبر الإنترنت نماذج ممن يتعاطون الخمر والمخدرات، وهذا الشحن المستمر، يحتاج من الآباء والأسرة الوقوف على خطورة ما يعايشه أبناءهم بصفة دائمة، والتحدث معهم بانتظام عن خطورة الإنحراف الاجتماعي وتعاطي المخدرات حتى يكون ذلك عاملا أساسيا في مواجهة المحيط السلبي والإعلام المروج للمخدرات.

وتتضمن مؤسسات التنشئة الاجتماعية طاقما بشريا يحمل مزيجا من الثقافات والذهنيات وللمجتمع الدور الأساس في انتشار ظاهرة الإنحراف وسلوك التعاطي عند الشباب، نتيجة إهماله وعدم إلتزامه بالقيام بالأعباء الملقاة على عاتقه في تربية الفرد وتهذيبه، إضافة إلى تركه يتربى في بيئة فاسدة تدفعه للإندماج تدريجيا مع المنحرفين والمجرمين، وبالتالي ارتكاب الجريمة، فالوسط الاجتماعي الفاسد يمثل المصدر الرئيسي للإنحرافات، لأن العوامل الفردية وحدها لا تقوى على دفع الشخص إلى الإنحراف وتجعل منه مجرما، لذا ومن أجل مكافحة ظاهرة الإنحراف وتعاطي

المخدرات، يجب أن تتجه هذه المكافحة أساسا إلى تغيير الوسط الإجتماعي، وجعله أكثر إيجابية والتزاما للقيام بالدور المأمول منه في تربية الفرد وتوجيهه.

المبحث الأول: وجود نماذج منحرفة داخل الأسرة وعلاقتها بالإنحراف واكتساب سلوك التعاطي.

نحاول من خلال هذا المبحث، الوقوف على النماذج التي قد تكون داخل الأسرة وعلاقتها بالانحراف واكتساب سلوك التعاطي، باعتبارها مؤسسة إجتماعية مهمة وتأثيرها يكون مباشرا على أفرادها، فالتنشئة الاجتماعية داخل الأسرة تؤثر في حياة الأفراد والشباب منذ صغرهم حيث يكتسب الطفل الاتجاهات والقيم والأخلاق الموجودة عند والديه وإخوته وأقربائه، ولذلك ما يتعلمه الطفل منهم سيؤثر على حياته مستقبلا، وفي كثير من الأحيان يكون الطفل نسخة عن والديه والمحيطين به في أسرته.

وتوصلت النظريات الحديثة إلى وجود علاقة قوية وإيجابية بين تأثير نماذج داخل الأسرة وتعاطي المخدرات أو الإنحراف، حيث أصبح من المسلم به أن مرافقة المنحرفين أو وجود نماذج منهم داخل محيط الأفراد، يساهم في ظهور سلوكيات إنحرافية عندهم، ويعد تأثير الجماعة بجميع أنواعها ووظائفها كبيرا، حيث أن تأثير الجماعة يشغل حاليا مكانة مهمة في النظريات المعاصرة الخاصة بالشباب في المجتمع العام خاصة جماعة الأسرة، والتي تلعب دورا كبيرا لدفع بعض الشباب لتعاطي المخدرات، وانتهاج سلوكيات إنحرافية أخرى.

الجدول رقم (21): العلاقة بين تعاطي أحد أفراد الأسرة والمتعاطين من الأسرة:

المجموع	لا أحد	أحد الأقارب	أحد الإخوة	الأم	الأب	المتعاطين من
						الأسرة تعاطي أحد أفراد الأسرة
193 87.72%	00 00.00%	60 31.08%	86 44.55%	06 03.10%	41 21.24%	نعم
27 12.27%	27 100%	00 00.00%	00 00.00%	00 00.00%	00 00.00%	لا
220 100%	27 12.27%	60 27.27%	86 39.09%	06 2.72%	41 18.63%	المجموع

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، يتبين لنا أن الاتجاه العام كان عند فئة المبحوثين الذين أجابوا أنه يوجد متعاطين من الأسرة، وذلك بنسبة 87.72 %، ترتفع عند الإجابات التي أفادت أن أحد الإخوة يتعاطون المخدرات بنسبة 44.55 %، وفي نفس الاتجاه سجلنا ما نسبته 21.24 %، عند الإجابة أن الأب من المتعاطين، وسجلنا ما نسبته 31.08 %، عند الإجابة أن أحد الأقارب من المتعاطين، وفي الأخير سجلنا ما نسبته 03.10 %، عند الإجابة أن الأم من المتعاطين، وبالمقابل سجلنا نسبة 12.27 % عند فئة المبحوثين الذين عبروا على أنه لا يوجد متعاطين داخل أسرهم.

من خلال تحليلنا للجدول أعلاه، وباعتبار أن الأسرة من أهم الدعائم الرئيسية للتربية وخلق الروابط الإنسانية بين أفرادها، وبالرجوع إلى الإتجاهات العامة، نلاحظ أنها تفيد أن أغلب المبحوثين يقرون بتعاطي أحد أفراد أسرهم المواد المخدرة، إذ بلغت نسبة ردود أصحاب هذا الاتجاه أعلى نسبة، وعند إدخال متغير من من الأسرة يتعاطى المخدرات، نجد الأغلبية ممن يتعاطون هم أحد الإخوة والأب وأحد الأقارب، مقارنة بمن يقرون بتعاطي الأم وهي أضعف نسبة، ولم تكن هذه النتائج غريبة أو مفاجئة، كون أن ظاهرة التعاطي هي ظاهرة عالمية منتشرة بنسبة كبيرة عبر كل الفئات العمرية والإجتماعية والثقافية للأفراد، فلا تكاد تخلو أي أسرة من

متعاطين داخلها، في حين نجد أن الذين يقرون عدم تعاطي أي من أفراد أسرهم تمثل نسبة ضئيلة، وهذا لا يعني قطعاً أنه لا يوجد متعاطين، لأنه ربما لم يعلموا بتعاطي أحدهم كونه سلوك يتم في الخفاء.

ومن خلال نتائج الجدول، وعلى أساس أن الأسرة النموذج الأمثل للجماعة الأولية التي يتفاعل الشاب مع أعضائها وجهاً لوجه وبالتالي يتوحد مع أعضائها، ينطوي السلوك المنحرف كغيره من السلوكات على ميكانيزمات التعلم، وذلك عن طريق الاتصال بالنماذج المنحرفة، وهو ليس مجرد عملية تقليد أو محاكاة لنمط معين من السلوك، وإنما هو تعبير عن حاجات ورغبات يجب إشباعها لدى الفرد، ومن أسباب ظهور الشذوذ والانحراف النفسي والأخلاقي والخروج على قيم المجتمع عند الشاب، الإدمان على السكر وتعاطي المخدرات من قبل أحد أفراد الأسرة، الذي يجر إلى سلوكيات سلبية مدمرة، مما يساعد أو يؤدي إلى الانحراف الإجتماعي.

وبناءً على ما سبق، فإن تعاطي أحد الأبوين أو أحد الإخوة أو الأقارب للمخدرات، من أهم العوامل التي تساعد على الإدمان في الأسرة، خاصة فئة المراهقين والشباب، فالقدوة السيئة خاصة من قبل الوالدين أو أحد الإخوة، تعتبر من أهم العوامل التي تدفع الشباب إلى تعاطي المخدرات والمسكرات، ويرجع ذلك إلى أنه حينما يظهر الوالدين في بعض الأحيان أمام أبنائهم في صورة مخجلة، تتمثل في إقدامهم على تصرفات سيئة وهم تحت تأثير المخدر، فإن ذلك يسبب صدمة نفسية عنيفة لهم، وتدفعهم إلى محاولة تقليدهم فيما يقومون به من تصرفات سيئة فقدوة الأب الذي رغم عدم تشجيعه على السلوك المنحرف، لكن توجيهاته وتوجيهاته في الحياة تميل إلى الابتعاد عن السلوك السوي وقريبة من السلوك غير السوي، تساهم في تبني السلوك المنحرف عند أبنائه.

والإدمان ليس مشكلة شخص واحد فقط، بل هو مشكلة أسرة وأفة مجتمع، فحين يقع أحد أفراد الأسرة فريسة للإدمان يعم الأذى الأسرة كلها، ويصبح كل أفراد الأسرة عرضة لهذا الخطر، فالإدمان هو مرض وليس عيبا أخلاقيا أو إثما فطريا، وهو لحسن الحظ قابل للمعالجة والتدبر عن طريق الحصول على مساعدة طبية مناسبة.

وعندما يكون أحد الوالدين أو الإخوة من المدمنين على للمخدرات أو المسكرات، فإن ذلك يؤثر تأثيرا مباشرا على الروابط الأسرية، نتيجة ما تعانيه الأسرة من الشقاق والخلافات الدائمة بسبب سوء العلاقات بين المدمن وبقية أفراد الأسرة، مما يدفع الأبناء إلى الانحراف والضياع، ومن جهة أخرى، قد تؤدي كثرة تناول الوالدين للأدوية والعقاقير إلى التأثير على الأبناء، فحب الاستطلاع والفضول بالنسبة لهم قد يجعلهم يتناولونها، مما ينجر عن ذلك كثيرا من الأضرار، والتي قد يكون من نتائجها الوقوع فريسة للتعود عليها وإدمانها.

وبناء على ما سبق ذكره، فإن أثر الإدمان على كيان الأسرة خطير وهدام ومن أهم نتائجه التفكك الأسري، فإدمان أحد الزوجين يضطر الطرف الآخر للانفصال عنه، حفاظا على حياته وحماية لحياة الأبناء، والجرائد اليومية ووسائل الإعلام تعج بجرائم كثيرة من هذا النوع، مثلا: أم مدمنة عرضت إبنها للبيع من أجل شمة هيروين، والأب الذي ضرب إبنه حتى الموت بعد تعاطي جرعة من المخدرات، والإبن الذي سرق والدته حتى يشتري جرعة مخدرات.... إلخ

وقد تعاني الأسرة من وجود أبن أو أكثر مدمن على المخدرات، الشيء الذي يسبب للعائلة الكثير من المشاكل والقهر، وحالته التي تزداد سوءا تجعلهم معزولين عن المجتمع، فتصرفاته تشعرهم بالخجل، والمفروض على الأهل إجباره على العلاج أو الإبلاغ عنه، لكن ذلك لن يحدث في أغلب الأحيان، وهذا الوضع يجعل أفراد الأسرة يشعرون بالاكتئاب، وأنه أصبح يقف عائقا أمام تحقيق طموحاتهم ببناء أسرة سوية تعيش في جو صحي، ولا شك أن كثيرا من الأسر أصبحت تعاني من شرود أبنائها، حيث أن الحياة الأسرية لإبن مدمن لا تشكل مأساة على والديه فقط، بل

على كل أفراد الأسرة، وتلقي بظلالها على المجتمع كله، وذلك بما تعانيه الأسرة بأكملها من الأوضاع المزرعة التي يحدثها ذلك الابن لهم.

وفي سياق متصل، قد يعرض ذلك الابن المدمن أبويه للانهايار النفسي ثم المالي بسبب استنزافه لهم بكل الأشكال، وقد يخترع أكاذيب مختلفة وطرقا متعددة لاختلاس ما يمكنه من الأموال في حالة عجزه عن تأمين المادة المخدرة، فقد اتفق عامة الأطباء النفسانيين أن أول سلوك للمدمن إذا لم يجد ما يشتري به مخدراته هو السرقة من أقرب الناس إليه، وتكون الأم هي الضحية الأولى عادة، حيث يستخدم سلاح العاطفة التي تتصف به كل أم حتى يجردها من كل ما تدخر من أموال، وعندما يستنفذ كل ما لديها، يبدأ في الاتجاه لكل ما تملك من حلي إن وجدت دون معرفتها ولا يتوقف بلاؤها عند ذلك الحد، بل يتعداه إلى ما قد تتعرض له من إتهامات توجه لها، فقد يخصها الأب والمجتمع بالتهام بأنها المسؤولة الوحيدة عن انحراف أبنائها.

وفي ضل هذا الوضع المزري والضغطات المستمرة، قد تدفع باقي أفراد الأسرة للتفكير بالخروج من المنزل، أو غيرها من الحلول للهروب من هذا الجو الأسري المشحون والمضطرب فيصبح الخوف هو المسيطر، سواء على صحتهم الجسدية أو النفسية والعقلية ولكن ما يثني البعض عن ذلك هو الابتعاد عن الوالدين خاصة الأم، رغم كون قرار ترك المنزل في بعض الحالات قد يكون صحيحا، فالأفراد ليسوا مذنبين ليكونوا مجبورين على البقاء وتحمل هذا الوضع، وقد تكون طريقة تدفع بالوالدين للضغط أكثر على الابن للعلاج، فهو شخص مريض وبحاجة لعلاج نفسي من أجل نفسه ومن أجل عائلته.

ومن جهة أخرى، قد ترتفع احتمالية إصابة الأبناء بالإدمان، إذا كان أحد الوالدين مدمن بشكل كبير من خلال الجينات، ولعامل الوراثة تأثير بصورة كبيرة في هذا الجانب، وثبت علميا أن أبناء المدمنين يتأثرون وراثيا أكثر ب: (04) أضعاف عن الأشخاص العاديين، ومن جهة أخرى فإن تقليد السلوك الإدماني في المحيط الأسري، خاصة إذا ما تعلق بالأب باعتباره القدوة لعائلته

وأبنائه، ينتج عنه سهولة تقبلهم للمخدرات ووقوعهم في إدمانها، باعتبار أن التعاطي أمر طبيعي غير مشين، يقوم به أكثر من شخص في العائلة على رأسهم رب الأسرة.

وفي الأخير، فإن الآثار السلبية لتعاطي أحد أفراد الأسرة للمواد المخدرة والكحول كبيرة جدا على الصحة العقلية والنفسية والجسدية للشخص المتعاطي نفسه، إضافة لتأثيراتها على حياته الاجتماعية والأسرية بشكل كامل، لكن آثار الإدمان لا تتوقف على المدمن فقط كما سبق لنا وأن وضحنا، بل تمتد بسلبياتها لتشمل الأسرة بأكملها، فمنزله المدمن غالبا ما يعاني من الاضطرابات والتوتر بين أفرادها، وخلوه من الراحة والهدوء بسبب حالة التوتر التي ترافق إدمان أحد أفرادها.

الجدول رقم (22): العلاقة بين تعاطي أحد أفراد الأسرة، والحالة العائلية للوالدين:

المجموع	لا أحد	أحد الأقارب	الإخوة	الأم	الأب	تعاطي أحد أفراد الأسرة	
						الحالة العائلية للوالدين	
79 35.90%	26 96.29%	32 53.33%	15 17.44%	01 16.66%	06 14.63%	متزوجين	
76 34.54%	01 03.70%	14 23.33%	46 53.48%	02 33.33%	13 31.70%	منفصلين	
65 29.54%	00 00.00%	14 23.33%	25 29.06%	03 50.00%	22 53.65%	مطلقين	
220 100%	27 12.27%	60 27.27%	86 39.09%	06 02.72%	41 18.63%	المجموع	

يتضح من خلال قراءتنا للجدول أعلاه، أن الإتجاه العام كان عند فئة الباحثين الذين صرحوا أن والديهم متزوجين بنسبة 35.90%، ترتفع عند الإجابات التي أفادت أن لا أحد من الأسرة يتعاطون المخدرات بنسبة 96.29%، تقابلها الإجابات بأن آبائهم منفصلين دون طلاق رسمي، وذلك بنسبة 34.54%، ترتفع عند الإجابات التي أفادت أن أحد الإخوة يتعاطون المخدرات

بنسبة 53.48%، في حين سجلنا ما نسبته 29.54%، من أفراد العينة أباؤهم منفصلين بطلاق رسمي، ترتفع عند المبحوثين الذين صرحوا أن الأب من المتعاطين بنسبة 53.65%.

من خلال نتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أن تعاطي المخدرات يكون سببا في تدمير معظم العلاقات الزوجية للأشخاص المتعاطين لها، لما لها من آثار هدامة مباشرة وغير مباشرة على العلاقة، وفي مجتمعاتنا العربية يكون التأثير السلبي للتعاطي بالدرجة الأكبر من قبل الزوج، وأهم الآثار المدمرة التي تتركها المخدرات على العلاقة الزوجية العصبية والقسوة الدائمة، حيث يتميز الزوج المتعاطي بسلوك عصبي وصعب، يريد من خلاله فرض إرادته على الشريك الآخر وإجباره على تقبل حالته دون الاعتراض عليها، وتدمير الأجواء الأسرية وخاصة في الحالات التي يكون فيها كلا الشريكين مدمنين على المخدرات، حيث تتميز العلاقة بينهما بمحاولة كل منهما تغذية إدمانه بالدرجة الأولى قبل كل شيء وعلى حساب أي شيء، وحتى إن كانت نسبة الطلاق الرسمي منخفضة لكن جو المنزل يصبح مليء بالسموم.

ونتيجة لما سبق ذكره، يتأكد لنا أن التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة تؤثر في حياة الأبناء منذ الصغر، حيث يكتسب الطفل الاتجاهات والقيم والأخلاق الموجودة داخلها، ولذلك ما يتعلمه الطفل من والديه سيؤثر على حياته مستقبلا، وفي بعض الأحيان يكون الطفل نسخة عنهم، وكما اتضح لنا من خلال نتائج الجدول، يسقط العديد من الأزواج في بئر الإدمان وينفصلون عن بعض سواء بطلاق رسمي أو انفصال دون طلاق، مما يجعل الأبناء عرضة لجميع أنواع المخاطر والتي من ضمنها الإنحراف والتعاطي، وهذا ما أكدته النسب المرتفعة لتعاطي الأبناء فنجد الأبناء المفتقدين للإهتمام والرعاية يبحثون عنه بين الأصدقاء أو المعارف، الذين قد يقنعونهم بتعاطي المواد المخدرة كوسيلة لتخفيف الألم النفسي أو العضوي، أو إستدراجهم لتعاطي مواد أخرى بدافع المغامرة والإثارة، ومع انشغال أهل بمشاكلهم الخاصة، يصبح الأبناء فريسة سهلة لأي (ديلر) أو مروج للمواد المخدرة، لذلك يجب على المرء أن يختار شريكا صالحا

ليشاركه حياته وتربية أولاده، فإن أخلاق الوالدين وتعاملهما وقيمهما تؤثر على الأبناء، إذ أن الطفل يولد على الفطرة، وسلوك والديه والمحيطين به هو ما يؤثر به بالإيجاب أو السلب، ففساد الوالدين أو أحدهما له تأثير مباشر على سلوك الأبناء.

ومن خلال نتائج العديد من الدراسات، بتراوح شعور الشباب اتجاه آبائهم في حالة الطلاق أو الانفصال بين المتوسط والناقم، رغم محاولات مدهم بالأمان المطلوب وتعويضهم عن نقص الحنان والعطف لديهم من جانب الأم أو الأب، حيث يشعر الشاب بأنه محروم من وجود الأبوين معا وممزق العاطفة بينهما، خاصة بعد إعادة الأب الزواج من امرأة أخرى، التي لا يستطيع أن يراها مثل أمه ولا تراه مثل أبنائها مهما حاولوا، أو زواج الأم من رجل آخر، كما صرح الكثير من المبحوثين أنفسهم، وواضح من الحالات المدروسة التي عايشت انفصال الوالدين أنها تعاني حرمانا قويا من حنان الوالدين معا، وهي حاجة نفسية أساسية كي يعيش الفرد حياة متزنة وواضحة.

ومن خلال ما سبق، نرى الشباب بداية يفتقد حنان الوالدين ورعايتهم وبخاصة الأم، مما يميل الكفة عنده نحو الشعور بالنقص، وبالتالي محاولة تعويضه بأي أسلوب كان حسب التفسير النفسي، وهو فاقد لرقابة الوالدين، وتتمثل بدايات السلوك غير السوي في فشلهم في تحقيق ذاتهم من خلال الفشل الدراسي، يتعزز الفشل في تحقيق الذات بمرور الشباب إلى ممارسة سلوكيات منحرفة بسيطة والتدرج فيها، كالتدخين ثم شرب الخمر ثم تعاطي المخدرات ثم الإدمان عليها....، كل هذه الأفعال تتطور من تلك السلوكيات بترقيتها إلى مستوى أعلى وأخطر يقابل ذلك تشجيع المجتمع وتحريضه للشباب الذين مازالوا لا يدركون أخطار أفعالهم على مخالفة القانون، وخلاصة القول، فإن الشاب الذي يجد الأرضية المناسبة ليطور من سلوكه غير السوي سيستمر عليه للإنتقال إلى الفعل الإجرامي.

ونستنتج، أنه من ضمن العوامل الرئيسية التي تدفع الكثير من الشباب لتناول المواد المخدرة وعجزهم عن التعامل مع مشاكلهم، هو تأثير ووجود نماذج من المتعاطين داخل الأسرة، فالإبن الذي يصدم بانفصال أبيه عن أمه بسبب المشاكل المنجزة عن تعاطي أحدهما بخاصة الأب، أو الإبنة التي لم تعرف معنى الأبوة نتيجة لانفصال أمها عن أبيها وهي في عمر مبكر بسبب إستحالة العيش مع مدمن، تكون معرضة لأنواع متعددة من المشاكل النفسية، ينتهي بها الأمر بالإنزلاق لدائرة الإدمان إذا لم تنتبه الأم لها، كما أن الوالدين المنفصلين يميلون لتعويض الأبناء عن غيابهم بأن يغدقوا عليهم بالأموال، مما يزيد من فرص تعرضهم لمخاطر الإدمان.

وبشعر الكثير من الأبناء بالضيق الشديد، وتنتابهم حالة يأس تخنقهم كل ليلة وهم جالسين وحيدين، بعد ما تزوج الأب بغير أمهم وفعلت أمهم بالمثل، وينتهي بهم الأمر بالدخول إلى دائرة الإدمان التي يظنون أنها ستكون طوق النجاة من تلك الحالة المسيطرة عليهم، يغذيها وجود نماذج من المتعاطين داخل الأسرة، وهذا ليس جزء من رواية خيالية لكاتب مغمور يبحث عن الشهرة، أو فيلم سينمائي لمخرج يسعى لتحقيق أعلى الإيرادات بشباك التذاكر، بل هي قصص واقعية ضمن آلاف القصص لأبناء دفعهم انفصال الأهل ووجود نماذج لمدمني السموم في محيطهم الأسري إلى الإنزلاق لدائرة الإدمان، ويوجد في الواقع أمثلة كثيرة تبرز التأثير السلبي للبيئة الداخلية (الأسرة) على الأبناء، مما يدفع بهم إلى ممارسة السلوك الإنحرافي والارتقاء به إلى السلوك الإجرامي، حيث يساهم التفكك الأسري أو التصدع الأسري المميز لبعض الأسر، والذي من صورته الانفصال بين الوالدين نتيجة الوفاة أو الطلاق أو الهجر... مما يدفع بالأبناء إلى ممارسة سلوكات غير سوية قد تصل حد الإجرام، كما يترك التوتر الأسري في العلاقات واضطرابها بين مختلف عناصره آثارا سلبية في نفوس الأبناء ويدفع بهم إلى انتهاج السلوك اللاسوي.

وفي الأخير، فإن إلتزام الآباء يجعل إلتزام الأبناء مبدأ لا مناص منه، وهو أحسن دفاع يمكن إعطاؤه لهم لوقايتهم من ضغوط المجتمع، فقبول الأبناء لأولياتهم وعدم وجود أي انحرافات في نموذج الآباء يقابله الاستقرار الأسري وتلاحم الأزواج من أجل إنجاح العلاقة الزوجية، يؤدي إلى تأثرهم بشخصيتهم وثبات معتقداتهم، وقدرتهم على اختيار الأصدقاء وتحمل ضغوطهم للتعاطي أو لتجربة المخدرات، لذلك فإن تعليم الأبناء الاعتماد على أنفسهم والثقة في قراراتهم المبنية على حسن التقدير وعدم الانحراف خلف قرارات الآخرين، هو العامل الأساسي الذي سوف يجعلهم يرفضون تعاطي المخدرات حتى لو تعاطاها كل أصدقائهم، فهناك مراهقون وشباب بعيدين تماما عن موضوع الإدمان، رغم أن أحد الوالدين يعانون من الإدمان، سواء كان إدمان المخدرات أو إدمان الكحوليات، ولكن للأسف، هناك العديد من المراهقين أو الأبناء الذين لا يستطيعون التعامل مع هذه القضية، حيث يشعرون بالخوف ويرغبون دائما بالابتعاد، خوفا لتعرضهم للعنف وتقلبات المزاج عندما يكون الأب أو الأم أو أحد الإخوة تحت تأثير المخدر أو الكحول.

الجدول رقم (23): العلاقات داخل الأسرة، وتعاطي أحد أفرادها للكحوليات.

نحاول من خلال هذا الجدول، الوقوف على علاقة إدمان الخمر والمسكرات على انحراف الشباب وتعاطيهم المخدرات، وربطها بمؤشر العلاقات داخل الأسرة، باعتبارها مواد ينتج عنها الإدمان، ولها أعراض كثيرة تشبه أعراض المدمنين على المخدرات، فقد لا نلتقي بنماذج داخل الأسرة تستهلك المخدرات، لكننا قد نلتقي بنماذج تدمن على الكحوليات، والتي لها نفس تأثير المواد المخدرة على كل الأصعدة.

المجموع	لا أحد	أحد الأقارب	أحد الإخوة	الأم	الأب	المتعاطين للخمر من الأسرة العلاقات داخل الأسرة
24 06.81%	16 66.66%	02 08.33%	04 16.66%	00 00.00%	02 08.33%	جيدة
92 15.45%	53 57.60%	23 25.00%	08 08.69%	00 00.00%	08 08.69%	عادية

سيئة	39	01	27	03	34	104	77.72%
	37.50%	00.96%	02.70%		32.69%		
المجموع	49	01	39	28	103	220	100%
	12.27%	02.72%	27.27%				

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، نلاحظ أن هناك علاقة طردية ما بين هذين المتغيرين، العلاقة مع الأسرة وتعاطي أحد أفراد الأسرة للكحوليات، بحيث أنه كلما كان أحد أفراد الأسرة يتعاطى الكحوليات، كلما شعر المبحوثون بعدم الراحة في جماعة الأسرة، 77.72% ترتفع عند تعاطي الأب لها 37.50%، والذين يشعرون بالإرتياح النفسي داخل جماعة الأسرة 6.81%، ترتفع عند الذين لا يتعاطى أحد من الأسرة للكحوليات 66.66%.

ومن خلال نتائج الجدول، نرى أن الأسرة هي من تحدد إطار إتجاهات وتصرفات الأفراد داخلها، فإذا كان يشيع فيها تقوى الله وطلب مرضاته والقيام بالفروض الدينية، والإبتعاد عن الموبقات والمسكرات، أشاع ذلك بين الأبناء روح التدين الموجه للسلوك والطريق المستقيم، وإن كانت الأسرة تشيع فيها الثقافة العلمية أو الأدبية ذات المستوى الرفيع، فلا بد وأن ينعكس هذا على تصرفات أفرادها، وإن كانت الأسرة هي عربة الوعي الاجتماعي والعرف والعادات والتقاليد وقواعد السلوك والآداب العامة، فهي تقوم على أكمل وجه بأهم الوظائف الاجتماعية، وإذا كانت الأسرة منحلة فاسدة، ينجرف أفرادها نحو السلوكيات المنحرفة، كاحتساء الخمر والمسكرات وممارسة الموبقات، فإن هذا الفساد يؤثر على مستوى الأسرة في خلقها وفي تماسكها، كما يتردد صداه في المجتمع ومعايير الأخلاقية، ويؤدي إلى تفكك الأسرة والنزاعات الدائمة، وإلى إهمال الأولاد وممارسة القمع والقسوة، الشيء الذي يدفع الناشئة من الشباب إلى الهروب المستمر من البيت واللجوء إلى الشوارع والزوايا المظلمة والسيئة، فيتعلمون منها بسهولة العادات والقيم غير أخلاقية.

والإدمان على الكحوليات مثلها مثل المخدرات، من أكثر الأسباب التي تضر وتدمر الأسرة كليا وتقضى عليها، لأن السكر لا يشعر بأفعاله ويخسر كل من حوله، ويدفع الشباب منذ طفولتهم ثمن تعاطي أحد الوالدين أو أحد أفراد الأسرة للكحوليات بشكل أكبر، حيث تنعكس الآثار السلبية عليهم على شكل ضعف في الشخصية، والشعور بالذنب والقلق، والشعور بالعجز والخوف والاكتئاب المزمن، والتي يمكن أن ترافقهم حتى بعد النضوج، وتبدأ الآثار السلبية على الأبناء من اللحظة التي يشاهدون فيها الأب وهو يقوم بتعاطي المسكرات، وتأثيرها عليه وعلى حالته قبل وبعد التعاطي، حيث تبقى هذه الصورة عالقة في أذهانهم لفترة طويلة حتى بعد النضوج، فالحالة السيئة التي يكون عليها في حالة السكر والترنح يمينا وشمالا، وما يتبع ذلك من كلام وفعل، تولد لدى الأبناء الشعور بالألم والحزن، الأمر الذي قد يؤثر بشكل سلبي على مستوى نموهم وتعليمهم، ويعرضهم بشكل أكبر للاضطرابات العاطفية والنفسية، كما يكون الأطفال أكثر عرضة للإهمال بسبب سلوك الوالد المدمن، والمشاكل الأسرية المترتبة عن ذلك، ما يعرضهم أكثر لمحاولات التحرش والاستغلال من قبل أشخاص يكبروهم سنا، والمشاكل بين الزوجين تسمي أمرا روتينيا عند تعاطي الأب للكحول، الأمر الذي يسبب اضطرابات عاطفية لدى الأبناء لرؤيتهما وهما يتشاجران بصفة دائمة، ونظرا لأن الأطفال ما زالوا يطورون في شخصياتهم، فهم أكثر عرضة للتأثيرات الخارجية مثل العدوانية والسلوك العنيف، وأكثر عرضة لتعاطي المخدرات في مرحلة المراهقة والبلوغ، بسبب إدمان أحد أفراد أسرهم.

ونستنتج من خلال ما سبق ذكره، أن الأسر التي يتم احتساء الكحول فيها، لا يمكن أن يتوقع سلوك الوالدين أو أحد أعضائها، كما يكون التواصل بين أفرادها غير واضح، وتتصف حياتها بالفوضى وعدم الثبات، وينتج عن ذلك أن الفرد الذي ينشأ في هذه الأجواء قد يتخذ مهارات تأقلم شاذة تؤدي بدورها إلى الكآبة، الانسحاب، الغضب، الانعزال، ضعف تقدير الذات الأرق أو النوم المفرط، المشاكل السلوكية، فرط النشاط، والسلوك المعرقل والتخريب

الصعوبات في المدرسة، الآلام في المعدة وآلام في الرأس، أو أمراض أخرى، نبذ الطفل من قبل أقرانه.... إلخ.

وفي سياق متصل، أظهرت الكثير من الدراسات، أن تعاطي الكحوليات خاصة من طرف الأب، يؤثر في الاستقرار الأسري، متمثلاً في المشاكل الأسرية وانخفاض مستوى الوفاق بين الزوجين، التي يتحول على إثرها المنزل إلى جحيم لا يطاق، ويكون ذلك على حساب العناية والاهتمام بالأبناء، وقد تصل الخلافات بين الزوجين إلى الهجر والإنفصال أو الطلاق، وتكون النتيجة في الغالب سببا في انحراف ووقوع الأبناء في تعاطي الكحوليات والمخدرات، حيث يشعر أبناء المدمنين غالبا بالخوف، فمعاقر الكحول وتعاطي المخدرات يسيران يدا بيد مع العنف المنزلي، كما سبق لنا وأن وضحنا، لذلك، فهناك احتمال كبير بأن يكون هؤلاء الأبناء شهودا على حصول جرائم، أو أن يكونوا ضحايا أو ضحايا سوء المعاملة الجسدية أو الجنسية، وكنتيجة لذلك يمكن أن يعاني أبناء المدمنين من اضطرابات لا حصر لها.

ومما لا شك فيه، أن اضطراب البيئة الداخلية للأسرة لها أثر كبير في انحراف سلوك الشاب، فهو منذ أن كان حدثا يظل يعزز اتجاهه نحو انحراف سلوكه سنة بعد سنة، وذلك من خلال الوضع الاجتماعي للأسرة غير السوي، تعاطي أحد أفراد الأسرة للكحوليات أو تعاطيهم المخدرات، أو انفصال الأبوين دون طلاق أو بطلاق، فشل المراهق في الدراسة وإقدامه على تناول المسكرات، التوتر الأسري المبني على الشجار والشتيم والتهديد وعدم حب الأب لأفراد أسرته.... كلها عوامل ونماذج تشجع على الانحراف.

ومن جهة أخرى، يشعر الأبوين في حال معرفة أن أحد الأبناء يعاقر الكحول والمسكرات بصدمة، وقد يؤنبون أنفسهم على ذلك، خاصة وأن إدمان الشباب أكثر خطورة لصعوبة السيطرة على سلوكهم، ومدى تجاوب الشاب مع التعاطي يعود بالدرجة الأولى للوضع الأسري الذي نشأ ضمنه، حيث أنه في الغالب لم ينشأ في أجواء أسرية مستقرة، والمراهق الذي تربى في

منزل يتعاطى فيه أحد الأبوين أو أحد أفراده الموبقات، يكون معرضاً أكثر لتعلم تعاطي المخدرات ولكن تحكم الوالدين بالشؤون المالية للأسرة قد يمكنهما من التدخل لإجبارهم على تجربة العلاج للتخلص من حالة الإدمان عندهم.

ونلاحظ من خلال ما سبق، أن مشكلة معاقرة المسكرات عند أحد أفراد الأسرة، تبدأ أولاً بالمتعاطي أي بالفرد نفسه، ثم تتسع دائرة المشكلات لتشمل محيطاً أكبر، كعلاقة الفرد بمحيطه الأسري (الأبناء الزوجة..)، ثم علاقته بمحيط الدراسة أو العمل ثم علاقته بالأصدقاء، ونظرتهم للمعايير والقيم الأخلاقية والاجتماعية، فنرى أن أجواء التوتر والقلق والاضطراب هي الحالة المسيطرة على نمط الحياة، وأن مشاعر الحب والسعادة والطمأنينة أخذت تختفي، فضلاً عن الحرج الاجتماعي الذي تتعرض له الأسرة نتيجة لذلك.

وختاماً لما سبق طرحه، ولكي يتخذ الأبناء قرار عدم تجربة المخدرات باقتناع، فإن الآباء يستطيعون تأكيد ذلك من خلال ابتعادهم هم أنفسهم عن معاقرة ما حرم الله ونهى عنه، وتعليم الأبناء الحقائق والمخاطر الناجمة عن استعمال الخمر والمخدرات، والمبادئ الأساسية للصحة العامة وطرق حماية أنفسهم، وأهمية ذلك للحياة الصحية السليمة، وكذا حسن تأديهم وإظهار حرمة تجربة وتعاطي الكحول والمخدرات وأثرها على النفس والمجتمع، وتذكيرهم بكل ما جاء من آيات الله سبحانه وتعالى عن الخلق السليم والحفاظ على النفس كقوله تعالى: " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"¹ صدق الله العظيم، فإن الامتناع عن التعاطي يأتي كسلوك ديني يهدف إلى منع حدوث الانحرافات السلوكية عامة، وأن يكون هناك حدود لسلوك الأبناء لا يجب تخطيها، ووجوب مساعدة الأبناء على اكتساب المهارات التي ترفع من قدراتهم المعرفية، فتساعدهم على اكتساب الثقة في أنفسهم، وعدم السعي إلى خلق أوهام من خلال تقليدهم للآخرين، مهما كانت درجة قربهم منهم.

¹- سورة البقرة، الآية 195.

الجدول رقم (24): العلاقة بين سن التعاطي لأول مرة، والمتعاطين للخمور من الأسرة.

المجموع	لا أحد	أحد الأقارب	الإخوة	الأم	الأب	المتعاطين للخمور سن التعاطي لأول مرة
%05.45 12	01	%07.14 02	04	00	05	أقل من 15 سنة
	%00.97		%10.25	%00.00	%10.20	
%60.00 132	53	%50.00 14	28	00	37	18 - 16 سنة
	%51.45		%71.79	%00.00	%75.51	
%34.54 76	49	%42.85 12	07	01	07	19 سنة فما فوق
	%47.57		%17.94	%100	%14.28	
%100 220	103	%12.72 28	%17.72 39	%00.45 01	%22.27 49	المجموع
	%46.81					

يتضح من خلال قراءتنا للجدول أعلاه، أن الإتجاه العام كان عند فئة المبحوثين الذين كان سنهم من 16 إلى 18 سنة عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات، بنسبة 60.00%، ترتفع عند المبحوثين الذين صرحوا أن الأب من المتعاطين للخمور بنسبة 75.51%، تقابلها إجابات الذين كان سنهم من 19 سنة فما فوق عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات، وذلك بنسبة 34.54%، ترتفع عند الذين أجابوا أن لا أحد من أفراد أسرهم يعاقر الخمر بنسبة 47.57%، في حين سجلنا ما نسبته 05.45%، من أفراد العينة الذين كان سنهم أقل من 15 سنة عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات ترتفع عند المبحوثين الذين صرحوا أن أحد الإخوة يتعاطون الخمر، بنسبة 10.25%.

تؤكد نتائج الجدول أعلاه نتائج الجداول السابقة، حيث يبقى لإدمان أحد أفراد الأسرة خاصة الوالد على الكحول عواقب عميقة المدى، تدوم طويلا وتؤثر في الأبناء منذ حدثهم إلى حد بعيد، فالمشاكل قد تستمر في الظهور بعد أن يكبر الأبناء ويغادرون المنزل بفترة طويلة، وإن لم يتلق الأبناء المعالجة منذ البداية وهم أحداثا، فمن الممكن أن تستمر آثار الإدمان المدمرة حتى وإن توقف الوالدان عن إدمانها، وكنتيجة لما سبق ذكره، يتأكد لنا أن عامل إدمان أحد أفراد الأسرة يعد من أهم النماذج الأسرية التي تدفع الشباب إلى تعاطي المخدرات والمسكرات منذ

صغرهم، مما يمثل قدوة سيئة من قبلهم قد تدفعهم إلى محاولة تقليدهم فيما يقومون به من تصرفات سيئة والانحراف في سن مبكرة.

ومن خلال تحليلنا لنتائج الجدول، التي تدل على أن الأغلبية الساحقة للمبحوثين أقدموا على سلوك التعاطي منذ حدثهم، واستمروا في ذلك حتى فترات متقدمة من عمرهم، أنه يصعب أحيانا التمييز بين التقلب المزاجي أو القلق الطبيعي في مرحلة المراهقة ومؤشرات إدمان المخدرات أو بتعبير آخر، بما أن هؤلاء المبحوثين قاموا ولفترات طويلة من حياتهم بتعاطي المخدرات في سن مبكرة دون أن يلاحظ الأولياء ذلك، قد يرجع ذلك إلى إختلاط الأمر عليهم وعدم تمييز مؤشرات الإدمان وخلطها بأسباب أخرى، وتتضمن المؤشرات المحتملة التي تدل على تعاطي المراهق أو غيره من أفراد الأسرة للمخدرات والتي يجب على الآباء معرفتها ما يلي: مشكلات في المدرسة وتكرار الغياب عنها والعزوف المفاجئ عن الأنشطة المدرسية، أو انخفاض الدرجات أو الأداء، مشكلات الصحة البدنية، قلة النشاط والدافع، فقدان الوزن أو ازدياده، احمرار العين، إهمال المظهر تغيرات سلوكية، الجهود المبالغ فيها من قبل المراهق لمنع أفراد الأسرة من دخول غرفته، أو عدم إخبارهم بمكان ذهابه مع الأصدقاء، أو التغييرات الكبيرة في السلوك والعلاقات مع الأسرة والأصدقاء، مشكلات مالية وطلب الأموال بصورة متكررة دون تبرير مقبول، أو اكتشاف ضياع الأموال أو سرقتها أو اختفاء أشياء من المنزل، مما قد يدل على بيعها من أجل شراء المخدرات.

ومن جهة أخرى، أكدت الكثير من الدراسات، أنه هناك العديد من العوامل بخاصة وجود نماذج من المتعاطين في محيط الأسرة، تساهم في تطور الإدمان عند حديثي السن، خاصة في ضل وجود تاريخ عائلي مع الإدمان، بحيث من المرجح جدا أن تكون زيادة احتمالات الإصابة به ويرجع ذلك إلى الجينات، فإذا كان أحد الأقارب بالولادة مثل أحد الوالدين أو الأشقاء مدمنا للكحول أو العقاقير، فالإبن يصبح أكثر عرضة لإدمان المخدرات.

وفي سياق آخر، هناك مخاطر عديدة تواجهها الأسرة المسلمة في تربية الأبناء، أهمها التناقض في أقوال الوالدين وسلوكياتهم، فبعض الآباء والأمهات يناقضون أنفسهم بأنفسهم فتجدهم يأمرن أولادهم بأمور وهم يخالفونها، ويسبب ذلك تشويشا وتناقضا لدى الأبناء، فالأب الذي ينهى أبنائه عن التدخين وهو يدخن بشراهة، سيتعلم أبنائه التدخين، والأب الذي يدخل منزله مترنحا من آثار تناول الخمر، سيعاقر أبنائه الخمر، والأب الذي يكذب سيتعلم أبنائه الكذب، وكذلك الأم التي تخدع جارتها وتتكلم عنها بالسوء بمسمع من إبنتها، تعلمها مساوئ الأخلاق... إلخ، ولذلك فإنه على الوالدان أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهم في القول والعمل.

ولا يخفى على أحد، أن تعاطي المخدرات في سن مبكرة يسبب تغيرات في المخ، وإلى مشاكل صحية جسدية وعقلية على المدى الطويل والقصير، ويعتمد ذلك على نوع المخدر الذي يتعاطاه الشخص، ويمكن أن يبدأ إدمان المخدرات بالتعاطي التجريبي للمخدر عند الأطفال والمراهقين في مواقف اجتماعية معينة، وعند مخالطة نماذج قريبة لهم، ويصبح الأمر أكثر اعتيادا عندهم مع التكرار، فهم عكس الشباب والأكبر سنا، الذين لديهم درجة من الوعي ويمتلكون ثقافة مسبقة عن المواد المخدرة ويعرفون تأثيرها عليهم، ومع ذلك يصرون على إدمانها، لذلك يعتبرون لقمة سائغة وسوقا رابحة للمروجين للمخدرات، على اعتبار أنهم سيصبحون مستهلكين على مدار مدة طويلة من الزمن، حيث يبدأ إدمانهم المخدرات بالتدريج، وتلعب اعتقادات العائلة وطريقة تصرفها واختلاطها بمجموعة تشجع على تعاطي المخدرات، دورا في تناول الأبناء لها لأول مرة ويمكن للأشخاص من أي عمر أو جنس أو حالة اقتصادية أن يدمنوا أحد العقاقير، ويمكن لبعض العوامل التأثير في احتمال التعرض للإدمان وسرعته، ويختلف خطر الإدمان وسرعة تحول الشخص السليم لمدمن على حسب نوع العقار، وتتسم بعض العقاقير بمعدل خطورة أعلى حيث تسبب الإدمان بسرعة أكبر من غيرها، ومع مرور الوقت قد يحتاج الشخص المدمن إلى جرعات أكبر من العقار ليصل إلى الشعور بالنشوة، وسرعان ما يحتاج إلى العقار ليحس فقط بأنه بحالة جيدة، ومع زيادة استخدام العقار، قد تزداد لديه صعوبة مواصلة الحياة بدونه، وقد

تؤدي محاولات التوقف عن استخدامه إلى إحساس قوي بالرغبة في تناوله، بجانب الشعور بتعب بدني شديد، وهذا ما يعرف بأعراض الامتناع عن التعاطي، وسيحتاج المدمن إلى مساعدة الطبيب أو العائلة أو الأصدقاء أو مجموعات الدعم، أو برنامج علاجي منظم للتغلب على إدمان العقار ومواصلة الحياة بدونه.

وفي ذات السياق، إنه من أبرز مخاطر العقاقير المروج لها والتي يجهلها يافعي السن من المتعاطين، أن أشكالها التي تباع على هيئة سائل أو أقراص أو مسحوق في الشوارع تحتوي غالباً على مواد مجهولة، قد تكون ضارة جداً، وبسبب الطبيعة السامة لهذه المواد المستنشقة، قد يصاب كل من يتعاطها بالتلف الدماغي بمختلف درجاته، ويمكنها أن تسبب الوفاة المفاجئة حتى بعد التعرض لها مرة واحدة فقط، بسبب طبيعتها السامة.

وغالباً ما يتعاطى المبتدؤون خاصة التلاميذ المراهقون، والذين لا يملكون المال الكافي لشراء المخدرات، المستنشقات المتوفرة في محيطهم، والتي يسهل عليهم الحصول عليها بدون أي حرج أو إثارة الشك، ومن المواد المستنشقة الشائعة: الغراء ومخففات الطلاء وسوائل التصحيح، أقلام التحديد والبنزين، سوائل التنظيف والبخاخات المنزلية...إلخ، وتتفاوت مؤشرات تعاطي المستنشقات وأعراضها بناءً على المادة المستنشقة، والذي يصل إلى حد الموت كما سبق لنا وأن وضحنا.

وعادة ما ينكر الكثير من الجانحين المدمنين وجود مشكلة لديهم ويترددون في طلب العلاج حيث يوفر تدخل أحد المقربين فرصة قوية للتغيير قبل أن تتفاقم الأمور، كما يمكن أن يحفز الجانح كذلك على طلب المساعدة أو قبولها، ومن المهم التخطيط للتدخل بعناية، فقد يجري التدخل من قِبَل العائلة والأصدقاء بالتشاور مع طبيب أو أحد اختصاصيي الصحة العقلية، مثل استشاري إدمان الكحوليات والمخدرات المعتمد، ويشمل التدخل العائلة والأصدقاء أو غيرهم ممن يهتمون لأمر الجانح الذي يحارب الإدمان.

وفي الأخير، نستنتج أن التعرض المستمر للمواقف العائلية الصعبة، ووجود نماذج من المدمنين داخل المحيط الأسري، يقابله ضعف روابط الألفة مع الوالدين والأشقاء بسبب قلة المشاركة العائلية، وكذلك قلة الإشراف الأبوي، كل ذلك قد يؤدي إلى زيادة احتمالات الإدمان عند الأبناء في سن مبكرة وحرجة، مما يزيد من فعالية تعرضهم في ذات الوقت إلى ضغط الأقران، الذي يعتبر أحد العوامل الرئيسية لبدء تعاطي المخدرات وإدمانها، وبخاصة بين اليافعين، وعلى الآباء حتى وإن كانوا من المعاقرين للخمور والمخدرات، وقاية أطفالهم خاصة الصغار والمراهقين منهم، من خطر تقليدهم في تلك السلوكات المنحرفة التي تغضب الرب والمجتمع، خاصة وأنهم أدري الناس بمفاسدها وتأثيرها السلبي على كل الأصعدة، فأبناء المدمنين والسكيرين يكونون أكثر عرضة للإدمان، وعلى هؤلاء تجنب المواقف عالية المخاطرة من خلال مخالطة النماذج الموجودة في محيطهم بخاصة الأسرة.

الجدول رقم (25): العلاقة بين رقابة الوالدين، وسن التعاطي لأول مرة.

المجموع	19 سنة فما فوق		من 16 إلى 18 سنة		أقل من 15 سنة		سن التعاطي لأول مرة
	رقابة الوالدين	رقابة الوالدين	رقابة الوالدين	رقابة الوالدين	رقابة الوالدين	رقابة الوالدين	رقابة الوالدين
47	11	31	05	14.47%	23.48%	41.66%	نعم
21.36%							
173	65	101	07	85.52%	76.51%	58.33%	لا
78.63%							
220	76	132	12	34.54%	60.00%	05.45%	المجموع
100%							

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، يتبين لنا أن الإتجاه العام كان عند فئة المبحوثين الذين أجابوا أن رقابة الوالدين ضعيفة، وذلك بنسبة 78.63 %، ترتفع عند المبحوثين الذين كان سن تعاطيهم أول مرة من 19 فما فوق بنسبة 85.52 %، في حين نجد أن فئة المبحوثين الذين أجابوا أن رقابة الوالدين عالية، والتي تقدر ب 21.36 %، ترتفع عند المبحوثين الذين كان سن تعاطيهم أول مرة أقل من 15 سنة، بنسبة 41.66 %.

من خلال تحليلنا للمعطيات التي جاءت في الجدول، نجد أن الأبناء يطمحون دائما بأن يمنحهم آباءهم المزيد من الحرية، التي لا تقيدهم أو تحد من مواكبتهم للتطور والانفتاح، ورغم أن هناك بعضا من الآباء يمنحون أبناءهم قدرا كبيرا من الحرية، خاصة بعد تعديهم سن المراهقة، ضنا منهم أنهم تخطوها بسلام ولا خوف عليهم، ورغم علمهم بتبعاتها السلبية الوخيمة لكنهم يعتقدون أن ذلك أمر طبيعي يتماشى ودخولهم مرحلة الشباب وإستقلال شخصياتهم وأنها لازمة وضرورية للتطور الاجتماعي والتكنولوجي الذي نشهده في يومنا هذا، وأن سلطتهم عليهم قد قلت أو انعدمت بسبب تقدمهم في السن، فقد فقدوا القدرة على إلزامهم بالإنصياع لأوامرهم أو التأثير عليهم، خاصة إن كانوا من المدمنين، وهذا ما ظهر جليا من خلال نتائج الجدول، الذي سجل أكبر نسبة تعاطي عند الذين فاق سنهم 19 سنة بسبب نقص أو انعدام رقابة الوالدين لهم.

ومن خلال ما سبق، يتضح لنا جليا أن أبرز العوامل الأسرية ذات التأثير في اكتساب الفرد للسلوك المنحرف، عدم الرقابة والمتابعة الوالدية له، يعززها وجود نماذج للمدمنين داخل الأسرة حيث يعتبرون نموذجا سيئا للإقتداء به، والكثير منهم أو معظمهم قد بدؤوا سلوكهم الجانح في سن مبكرة، والأكثرية من نزلاء الإصلاحيات والسجون ارتكبوا أولى جرائمهم قبل بلوغهم سن الرشد عندما كانوا في كفالة أسرهم، وانحرف الأحداث في سن مبكر بعد أمرا مقلقا، إذ أن نسبة المتورطين منهم في جرائم خطيرة والتي هي في تزايد مستمر، لها ارتباط كبير

بمعاملة الأسرة لهم وعدم متابعتهم وإهمالهم، الشيء الذي تسبب في انحرافهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وفي سياق متصل، نستنتج أن أحد أسباب تفشي الجرائم والانحراف في مجتمعنا هو الحرية الزائدة الممنوحة للأبناء، خاصة في الأسر المتصدعة والتي تتسم سلوكياتهم بالانحراف والتعاطي، إذ تتخلى الأسرة عن دورها الحقيقي في رعاية أبنائها ومراقبة سلوكهم، فيجدون الباب مفتوحا والطريق ميسرا نحو الانخراط والانجراف وراء أشياء تبدو في ظاهرها أنها تحقق لهم الراحة، لكنها في الحقيقة تجلب لهم المتاعب والأضرار المادية والنفسية، وفي بعض الأحيان تسبب فضائح تلحق بالأسرة بأكملها، فالرقابة الأسرية واحدة من أهم سبل الوقاية لمنع انحراف الأبناء فانشغال الأب بحياته الخاصة ونزواته أو بأعماله وتجارته، والأم بوظيفتها وبأمورها الشخصية ينتج أبناء مجرمين ومنحرفين، وعندما يقع الفأس في الرأس، يلتفت الآباء إلى إهمالهم وتقصيرهم، ولكن عادة ما يكون ذلك متأخرا جدا، فيضربون كفا بكف بعد فوات الأوان لأنهم كانوا سببا في ذلك.

ويؤكد لنا الواقع أن الحرية هي لازمة للأبناء حقيقة، ولكن ليست بالحرية الناقصة المقيدة الخانقة أو الحرية المطلقة المتسيبة، فلا بد أن تعطى الحرية للأبناء بحدود معينة، تحت الرقابة والمتابعة المستمرة مهما تقدموا في السن، حتى وإن كان أحد الوالدين مدمنا، بحيث لا يتسبب من ورائها عواقب وخيمة وسلبية، كأن يمنحوا حرية مطلقة في الخروج والسهرة واختيار أصدقاء السوء والمنحرفين وغيرها، فلا يدعون كامل الحبل لهم حتى لا يفقدوا السيطرة والقدرة على التحكم بهم، ونجد أنه من الخطأ الشائع أيضا أن نقيدهم بصفة مبالغ فيها بحجة عدم الانفلات، حيث تكون النتائج عكسية ويصبحون أكثر انفلاتا والسيطرة عليهم أكثر صعوبة، لأن فقدهم للحرية يجعلهم يسعون إليها بكل الوسائل، والتي يمكن أن تأخذ مناحي منحرفة وتخلق لديهم روح العناد والمعاناة، خاصة في حالة وجود نماذج لمتعاطين داخل الأسرة، لذلك لا بد من

الوسطية، وكما يقال: «خير الأمور أوسطها»، والاعتدال في الحرية هي الأفضل لهم في كل الأحوال يقابلها تحديد الصواب من الخطأ لهم، وإقناعهم أن عواقب الحرية الزائدة لهم ستؤول بهم إلى الوقوع في الخطأ والانحراف، وتعاطي أحد أعضاء أسرهم للخمر والمخدرات خير دليل على ذلك لذلك يجب الموازنة في الحرية الممنوحة لهم، حيث أن ثمن الحرية باهظ وعليهم تقديرها، وأن يتعلموا من خلال تجارب أقرانهم الذين منحوا الحرية المفرطة والتي سببت لهم الدمار والفساد الاجتماعي، وأضاعت مستقبلهم، وهذا ما لا يريدونه لأنفسهم.

ومن جهة أخرى، فإنه يعاب على بعض الأسر التي تمنح الحرية بنفس المستوى للأولاد والبنات من دون مراعاة للجنس، وهذا ليس من باب التزمّت أو عدم المساواة بين الجنسين فحقيقة لا يجب أن تمنح الفتاة حرية زائدة، بحيث تخرج وقت ما تشاء وتتأخر خارج المنزل وتلبس حسب هواها، بحجة الحرية الممنوحة لها أو الثقة الموضوعة بها، فهذا خطأ فادح يقع فيه أولياء الأمور عن جهل منهم، يستغله المتربصون الذين لا يتوانون لحظة للإيقاع بهن وشدهم إلى الرذيلة والانحراف، خاصة إن كانوا على علم بأن أسرهم مفككة وتحوي منحرفين ومتعاطين فقد تقع أصعب البنات منالا وأكثرهن حيطة وأعلاهم تربية والتزاما، في فخ الذئاب البشرية عن غفلة وقلّة حيلة منهن.

ومن جانب آخر، يشدد على أن منح الأبناء الحرية المناسبة، يجب أن ترافقها الرقابة والمتابعة والنصح الدائم لهم، بدلا من تدليلهم ومنحهم الحرية المطلقة، فهناك عوامل خارجية تؤثر فيهم على رأسها أصدقاء السوء وغيرها من المغريات المحرمة، كما سبق لنا وأن وضحنا سابقا فمن الجانب الشرعي يؤكد شيوخ الدين أن تمنح الحرية للأبناء بحدود ووفق ضوابط شرعية ورقابة أسرية.

وفي الأخير، وعلى ضوء ما تقدم من تحليل، يمكن الخروج بنتيجة مؤداها أن الشاب ينتقل إلى فعل التعاطي والإدمان انطلاقا من قواعد التعلم وتعزيز تحصيل السلوك في سن مبكر، حيث

أن هؤلاء الأشخاص المنحرفين قد تدرجوا في اكتساب السلوك المنحرف شيئاً فشيئاً، من خلال وجود نماذج من المتعاطين داخل مؤسسة الأسرة، فالمنحرف لا يحصل على هذا السلوك بالفطرة أو يكتسبه دفعة واحدة، وإنما ينمي رصيده من خلال تكرار السلوكات المنحرفة من جهة، وبناء اتجاهات إيجابية نحو الأفعال المنحرفة واتجاهات سلبية نحو الأفعال السوية من جهة أخرى فإذا بلغ رصيده حداً معيناً، فإنه يصبح متشبعاً وينتقل إلى ممارسة سلوكيات أخطر والافتقار عند بعض الشباب الغير سوية تشكل اتجاهات إيجابية نحو السلوك المنحرف والثقافة الفرعية والجماعات الفرعية هي الباب الذي يدخل منها الأحداث إلى عالم الانحراف.

وخلصه لكل ما سبق ذكره من خلال نتائج الجداول السابقة، يعتبر الوالدين القدوة لأبنائهما حتى لو لم يفعلوا ذلك عمداً، فالأبناء يتحركون ويتكلمون كما يتحرك آباؤهم ويتكلمون لذلك يمكن استخدام هذه الظاهرة في وقاية أبنائهم من خطر تعاطي الخمر والمخدرات، فمن خلال تحلي الأم والأب بالخلق والتدين السليم، فإنهم يحفظون أبنائهم من السلوك المنحرف ومن سلوك التعاطي، وعدم استخدام هذه المخدرات من قبل الوالدين، يعطيهم المصداقية والقدرة على إقناع أبنائهم بعدم التورط في هذه المشكلة، على عكس ما إذا تورط الوالدين أنفسهم في ذلك ولتحقيق ذلك تحتاج الأسرة أن يكون لها سياسة تربية واضحة، فالتزام الوالدين بالحدود الدينية والاجتماعية هو أساس سياسة أسرية سليمة، فذلك يجعل التزام الأبناء ليس نابعا من سلطة الوالدين فقط ولكن من قناعاتهم أيضاً.

المبحث الثاني: علاقة جماعة رفاق السوء بالانحراف واكتساب سلوك التعاطي:

تعتبر جماعة الرفاق من أشد الجماعات تأثيراً على الفرد وشخصيته، وقد تكون هذه الجماعة متسقة مع الإطار العام للمجتمع وقد تكون منحرفة عنه، وقد تلعب هذه الجماعات في فترات معينة من حياة الفرد دوراً أكثر أهمية من الأسرة، واختيار الرفيق أو الصديق يمكن أن

يخلق الشخص السوي كما يمكن أن يقضي عليه، فإذا كان الصديق منحرفاً أو مجرماً كان تأثيره سلبياً على شخصية رفيقه وزين له طرق الجريمة والانحراف.

فجماعة الرفاق هي مجموعة من الأفراد يربطهم رباط عام ثابت من العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، يمتازون عن غيرهم بطراز سلوكي جمعي وتنظيمي خاص بهم، ووجود درجة من التكامل الاجتماعي والاتصال المباشر داخل الجماعة، والألفة ودرجة من الشعور بالمصالح المشتركة والإحساس بروح الجماعة وبعنائهم إليها، كما أنهم مجموعة الأفراد المقاربين في العمر والميولات والاتجاهات والمنزلة الاجتماعية.

وتلعب جماعة الرفاق دوراً كبيراً في حياة الفرد من ناحية التأثير في سلوكياته، فإذا كان هؤلاء الرفاق من الصالحين، فإنه يتوقع أن يكون سلوك الفرد صالحاً بل ويزداد صلاحاً مع مرور الوقت وطول المخالطة، ولكن الخطر يأتي عندما يكون هؤلاء الرفاق منحرفين، مما يقود للانحراف عاجلاً أو آجلاً، لأن استمرار علاقة الفرد بهم لا بد أن ينتج عنها تأثير يجعله يسلك مثل سلوكهم، وهذا ما وضحته نظرية المخالطة الفارقة "لسنرلاند"، التي تشير إلى أن السلوك الإجرامي يتم تعلمه عن طريق الاختلاط والتفاعل والتأثير المتبادل مع أشخاص آخرين، خلال عمليات التواصل والاتصال، لأن الفرد الذي يقوم بالتجربة لأول مرة بحاجة دائماً إلى رفيق يقوده ويساعده ويهدئ من روعه.

الجدول رقم (26): العلاقة بين تشجيع الأصدقاء على التعاطي، وتعاطي بعض الأصدقاء.

المجموع	لا	نعم	تشجيع الأصدقاء على
			التعاطي تعاطي بعض الأصدقاء نعم
194	03 10.34 %	191 100 %	
%88.18			

26	%89.65 26	00	لا
%11.81		%00.00	
220	%13.18 29	%86.81 191	المجموع
%100			

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، نلاحظ أن الإتجاه العام كان عند المبحوثين الذين صرحوا أن أغلبية أصدقاءهم يتعاطون المخدرات 88.18%، ترتفع عند المبحوثين الذين تم تشجيعهم من طرف الأصدقاء على التعاطي بنسبة 100%، تقابلها نسبة 11.81%، عند المبحوثين الذين صرحوا أن أصدقاءهم لا يتعاطون المخدرات، ترتفع عند الذين لم يشجعهم أصدقاءهم على التعاطي بنسبة 89.65%.

ومن خلال ما تم قراءته من معطيات، وباعتبار أن جماعة الرفاق من أشد الجماعات تأثيرا على شخصية المراهقين والشباب، وتكوين الأنماط السلوكية عندهم منذ الطفولة، يؤثر الأصدقاء على بعضهم البعض بأساليب عديدة، وهذا ما أكدته نتائج الجدول، حيث تشجع الرفقة على بعض المغريات البسيطة بادئ الأمر، منها التدخين والسهرة خارج المنزل وغيرها من السلوكيات، لكنها تتطور وتكون أكثر خطورة تجرف صاحبها إلى طريق الإنحراف، فكما تمثل المجموعة عنصر قوة ومناعة وتشجع حاجاتهم إلى الأمن وتأكيد الذات، يمكنها أن تقوم بدور سلبي، فقد يتهورون في سلوكهم ويغامرون لتحقيق ما يعتقدون أنه صواب، مما قد يوقعهم في المشاكل والانحرافات.

وقد تبين من خلال نتائج الجدول، أن المراهقين والشباب الذين يزداد تفاعلهم ويتكرر اتصالهم مع الأصدقاء المنحرفين المدمنين، قد يرتكبون السلوك المنحرف ويدمنون الممنوعات مثلهم، بشكل يفوق غيرهم من المراهقين والشباب الذين يقل تفاعلهم واتصالهم بالأقران فجماعة الرفاق تتألف من زمرة من الأفراد يعوضون بتجمعهم ورفقتهم قصور الوسط العائلي بحيث تمثل لهم الجماعة القوة والقدوة، وتشجع في نفس الوقت حاجتهم إلى الطمأنينة وتوطيد

الذات، فيشعرون بأنهم مترابطون وأنهم عناصر كل في واحد، وأنهم يتمتعون بجرأة إجتماعية يزيد بها خطورة حاجتهم إلى التنافس، وغاليا ما يتعرض الشباب للضغوط من قبل أصدقائهم، تلك الضغوط تهدف إلى إخضاعهم لأحكام الجماعة حتى يكونوا مقبولين فيها.

وفي واقع الحياة التي نعيشها، قد مررنا جميعا في مرحلة ما بالإهتمام بنظرة الناس لنا ونسعى أن نكون مقبولين من الآخرين، وكلما اقترب الأبناء من سن الاستقلال، أصبح ضغط الأصدقاء أقوى وازداد تأثيرهم على معتقداتهم وسلوكهم، وطريقة لبسهم ومزاحهم... إلخ، وتلك الضغوط، قد تشجع على تبني سلوكيات منحرفة، كشرب السجائر وتعاطي الخمر والمخدرات وهؤلاء الأبناء الذين يمرون بمرحلة النمو والبحث عن مبادئ للانتماء إليها، يجارون من هم أكبر منهم سنا، ويؤدي ذلك إلى قبول ضغوط هؤلاء عليهم.

ومما سبق، وجب الحذر من رفقاء أو أصدقاء السوء، فالعلاقة بين المدمنين ليست علاقة بين صديقين فقط، ولكنها تحمل معاني أكثر من ذلك، فهي صداقة وارتباط بما يسمي بمجتمع الإدمان، وهو مجتمع خاص له مفاهيم خاطئة، تنبع من كره المدمن للمجتمع السوي الذي نبذه فيلجأ إلى مجتمع المدمنين الذي يراعه ويحوله إلى عضو نشط، وقد يضيف إلى ذلك ظاهرة الاتجار في المخدرات زيادة عن تعاطيه، خاصة عند انقطاع أو توقف الأسرة عن إعطائه المال بعد اكتشافها لسوء سلوكه وإدمانه.

ولا يحتوي المجتمع الخاص بالمدمنين على المدمنين فقط، ولكن على التجار الذين يغذون هذا المجتمع بمعاني تدفعهم إلى زيادة العداة للمجتمع ولأسرهم، وإلى زيادة انفصالهم عنهم، ويجتذبونهم بالتشجيع والرعاية، من خلال إعطائهم المال مقابل اتجارهم في المخدرات، أو من خلال تسهيل الانحراف الإجرامي، الذي يفتح لهم أبواب الحصول على المال من طرق غير شرعية، لذلك يحدث تشوه معرفي في ذلك المجتمع، من خلال مفهوم خاطئ وهو (أن الإدمان له رزق).

وبناء على ما سبق ذكره، نستنتج أنه تزيد احتمالية التشجيع على انحراف الشباب، إذا كان أصدقائهم منحرفين، وتزيد احتمالية تشجيع معاقرة الشباب للخمر، إذا كان أصدقائهم يعاقرونها، وتزيد احتمالية تشجيع تعاطي الشباب للمخدرات، إذا كان أصدقائهم يتعاطونها فالصاحب صاحب، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى أثر الرفيق في قوله: " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة "، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: " المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالط " أي يخالل.

ومن جهة أخرى، وفي سياق متصل، قد تساهم جماعة الرفاق بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية وفي النمو الاجتماعي للفرد، فهي تؤثر في معايير الاجتماعية سواء بالإيجاب أو بالسلب وتمكنه من القيام بأدوار اجتماعية متعددة لا تيسر له خارجها، وهناك رفاق وأقران يشتركون معا في مرحلة نمو واحدة بمطالبها وحاجاتها ومظاهرها، ويتوقف مدى تأثير الفرد بجماعة الرفاق على درجة ولائه لها، ومدى تقبله لمعاييرها وقيمها واتجاهاتها، وعلى تماسك أفراد هذه الجماعة ونوع التفاعل القائم بينهم، وتمارس أساليب نفسية واجتماعية في عملية التنشئة الاجتماعية، تتمثل في الثواب الاجتماعي والتقبل، أو العقاب والزجر والرفض الاجتماعي، في حالة مخالفة العضو لمعايير الجماعة، وتقديم نماذج سلوكية يتوحد معها بعض الأعضاء، ومن هنا، نلاحظ أن الشاب إذا ما صاحب نماذج سوية تدعو إلى ما فيه الخير، فقد سلم وأصبح بمنأى من الانحراف، ولكنه إذا ما عاشر نماذج منحرفة، فإنها تجره لا محالة إلى هاوية الانحراف، وسلوك التعاطي والإجرام بكل أشكاله.

ويمكن إجمالاً للتأثيرات التي تؤديها جماعة الرفاق الصالحة السوية، في تحقيق إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية للفرد، كالحاجة إلى التقدير والحاجة إلى الأمن النفسي وغيرها، مما يقضي على مخاوفه وتوتراته المرضية، ويقوي ارتباطه بأعضاء جماعته وحبه وتعلقه بهم،

وبتعبير آخر، فإنها تمثل مصدرا للدعم الاجتماعي والنفسي لهم، فالتشارك في الاهتمامات والمشكلات بحد ذاته يمثل عنصر جذب للأطراف المختلفة في الجماعة، بالإضافة إلى أن التقبل المستمر للعضو فيها يؤكد له قيمته كشخص سوي، وجدارته كشريك اجتماعي.

وهكذا، يتبين لنا أن جماعة الرفاق وسيط اجتماعي هام، ومؤثر في تحقيق النمو الاجتماعي للفرد واكتمال نضج شخصيته وإعداده للحياة في مجتمعه، وصلاح هذا الوسيط ينعكس في تكوين الفرد وسلوكه بالهداية والاستقامة، وفساده يقوده إلى الغواية والضلال والانحراف، ومن هنا كان حرص الإسلام وتأكيدَه على أهمية هذا الوسيط، والحث على ضرورة انتقاء الفرد لأصدقائه وجلسائه واختيارهم بعناية، وعلى المربين والآباء العناية بتوجيه أبنائهم في اختيار رفاقهم من الأخيار الصالحين، دينا وخلقا وسلوكا، حتى يقتدوا بهم ويكتسبوا منهم الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة، وأن يجنبوهم مخالطة الأشرار حتى لا يقلدوهم ويسلكوا طريقهم المعوج.

ومن ناحية أخرى، يتفق مختصون في علم الاجتماع على أن رفاق السوء مسؤولون عن نسبة كبيرة من حالات الإدمان على المخدرات، وأمور أخرى يتعرض لها الشباب في المجتمع، وأكد خبراء تربويون على أن أصدقاء السوء والدلال الزائد للأبناء، وغياب القدوة الصالحة في محيط الأبناء، وغياب واضح لرقابة الأسرة في البيت وخارجه، أهم أسباب إدمان المخدرات، وأكدوا على ضرورة أن يلعب المجتمع المحلي دورا أساسيا في التصدي لخطر الصحبة السيئة أو أصدقاء السوء، لما لها من تداعيات خطيرة خاصة على الأقران الأسوياء، الذين يستدرجهم أصدقاء السوء للوقوع في برائن الانحراف وتعاطي المخدرات، مشيرين إلى أن رفاق السوء قد يتعرف عليهم الأبناء من عدة طرق، ومن بين الطرق المستحدثة وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال دخولهم غرف الدردشة بهدف التعارف وهم يجهلون أصلا هوية من يتحدثون معهم.

ويتفق الخبراء التربويون مع ما سبق، ويضيفون إليه أن التفكك الأسري وأصدقاء السوء أسباب تجعل الشباب لقمة سهلة لتجار المخدرات، موضحين أن وسائل التواصل الجديدة أتاحت سرعة التعرف والوصول للمعلومات عن كل ما يدور في خلد المراهقين، والتي باتت تمهد الطريق للمغامرين منهم لتجربة ما هو ممنوع، وأوضحوا أن الميل للأصدقاء بدرجة أكبر يرجع إلى أن الأصدقاء هم أقرب الناس عمرا لهم، وكذا المستوى الثقافي ومستوى الإدراك، كما أشاروا إلى أن علاقة الصداقة هي علاقة وقتية، مما يجعلها دون وصاية أو مسؤولية من طرف على الآخر لذلك فإن درجة تقبل ما يقوم به الزملاء والأصدقاء أكثر تأثيرا على الأبناء من تأثير الأب والأم وتأثير الأصدقاء على السلوك يكون بنسبة عالية في مرحلة الدراسة، ولذلك يجب أن ننتبه لهذا الأمر، ولا نترك أبنائنا دون رقابة أو متابعة، ونتأكد من حسن سلوك الأصدقاء من حولهم، دون أن نجعلهم يشعرون بالضيق والإزعاج.

وفي سياق آخر، قد تكون هناك آثار إيجابية للأصدقاء، فالأصدقاء الصالحون يكونون أقرب إلى دينهم، ويشجعوا أصدقاءهم على الإلتزام وتنفيذ الفرائض الدينية وعدم تركها، فعندما يصادق الشخص أصدقاء متفوقين فسوف يكون متفوق مثلهم، ويحاكيهم في الدراسة والمذاكرة وسيكون بينهم منافسة شريفة في النجاح والتفوق، الأصدقاء الجيدون يؤثرون بطباعهم على زملاءهم، فيكونوا مثال جيد لمحاكاتهم، وبالتالي، يفعلوا مثلهم لأنهم دوما معهم واعتادوا على نفس التصرفات، فالصديق الصالح يشجع صديقه على بر والديه ويجعله أكثر اهتماما بهم الصديق الصالح يشجع صديقه على فعل نشاط إيجابي، مثل ممارسة الرياضة، وكذلك تناول الوجبات الصحية المفيدة، لأنه اعتاد على ذلك من خلال أسرته.

وبالمقابل، تتجلى الآثار السلبية للأصدقاء عندما يكون هناك صديق سوء، كما سبق لنا وأن تطرقنا له بالتفصيل، الذي يشجع صديقه على ترك المذاكرة وعدم الإهتمام بالدراسة وعدم الذهاب للمدرسة والهروب منها، يمكن لصديق السوء أن يشجع صديقه على التدخين

وتناول بعض أنواع المخدرات، فهو قادر على إقناعه بأنها أمر جيد ويستحق التجربة، أو يكفي أن يراه صديقه ليحاكيه، ويتعلم الصديق من صديق السوء الأخلاق السيئة، والسلوكيات الخاطئة فيتعامل مع أي شخص بأسلوب غير لائق، ويصل الأمر للمعاملة السيئة للوالدين، فصديق السوء يكون فاشل دراسيا وأخلاقيا، ولا يهتم أن يكون متفوقا، ومن يصادقه حتما سيكون مثله ويتسبب صاحب السوء في ضياع وقت صاحبه، مثل أخذه في نزاهات مختلفة والتسكع خارجا، أو يتحدث معه كثيرا عبر الإنترنت، أو يتشارك الألعاب الإلكترونية جل الوقت، لدرجة تجعله يهمل مذاكرته.

وفي الأخير، نستنتج أن جماعة الرفاق باعتبارها نماذج قوية التأثير، تعمل على توجيه سلوك الأفراد في المواقف المختلفة، فهي بذلك أداة فعالة لضبط سلوك الأعضاء المنتمون إليها فإن صلحت صلحوا، وإن فسدت فسدوا، لأنه حتى يشعر الفرد فيها بالتقبل ينبغي أن يخضع للمعايير التي تحكمها فلا يخالفها، فإن كانت معاييرها سوية، كان لزاما عليه احترامها والإلتزام بها وإن كانت معاييرها منحرفة، عليه أن يجارها ويتبناها، وتمارس جماعة الرفاق درجة من الضبط أكبر مما تمارسه غيرها من الجماعات أو الكبار الراشدين.

الجدول رقم (27): العلاقة بين المزود بأول جرعة من المخدرات، وطريقة التزويد.

المزود بأول جرعة من	أحد الأقارب	الأصدقاء	وحدك	المجموع
---------------------	-------------	----------	------	---------

المخدرات		طريقة التزويد	
09	02	04	03 12.00%
04.09%	100%	02.07%	
211	00	189 97.92%	22 88.00%
95.90%	00.00%		
100%	02	193 87.72%	25 11.36%
220	00.90%		
	%		

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، سجلنا 95.90% عند فئة المبحوثين الذين أجابوا أن عملية التزويد لم تكن بطريقة مباشرة، ترتفع عند الإجابة أن المزود بأول جرعة من المخدرات كان من قبل صديق 97.92%، في حين سجلنا نسبة 04.09% عند المبحوثين الذين أجابوا أن عملية التزويد كانت بطريقة مباشرة، ترتفع عند الإجابة أن المزود بأول جرعة من المخدرات كانت من قبلهم 100%، وفي نفس الإتجاه سجلنا نسبة 12%، عند الإجابة أن المزود بأول جرعة كان من قبل أحد الأقارب.

على الرغم من أهمية الأسرة كحاضن يستقبل الطفل منذ مولده ويعطيه كل العناية، فإنه في مرحلة متقدمه من حياته ينطلق ليستكشف العالم الخارجي من حوله، ويزداد اهتمامه تباعاً بالحياة الاجتماعية خارج مجال الأسرة، حيث يلتقي بجماعات اللعب التي تعتبر أولى الجماعات التي يرتبط بها في حياته المبكرة، ثم جماعات أخرى كجماعة الأصدقاء، مع الالتزام بمجموعة القواعد الخاصة بها والخضوع للقيود التي يفرضها نشاط هذه الجماعة على الفرد.

ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، نستنتج أن جماعة الأصدقاء في حالة الإنحراف، تزين وتساهم بطريقة غير مباشرة في سحب الشباب إلى مهاوي الإنحراف والتعاطي، ويزداد نمو تأثير جماعة الرفاق على أعضائها مع تعقد الحياة، وانشغال الأسرة بأمور أخرى تضعف من دورها التربوي، وهي تنمي عضوها وتديره على مطالها وقيمتها واتجاهاتها الخاصة، فعن طريقها يتعرف

على معاني أمور كثيرة لا يستطيع أن يعرفها عن طريق الأسرة، ومن هنا تأتي أهمية الرفقة الصالحة للشباب واختياره لأصحابه من أهل الصفات الحميدة، حيث تشكل هذه الجماعة أحد الأوساط الاجتماعية الرئيسية، التي تؤثر في الفرد على مختلف المستويات الشخصية والاجتماعية والعقلية وتلعب دورا هاما في إكسابه كثيرا من الأنماط السلوكية والاتجاهات والقيم والعادات المنحرفة والتي بطبيعة الحال تكون بطريقة غير مباشرة، وعادة ما يكون تأثير هذه الجماعة مقصود ولكن غير مباشر على الأفراد.

ونستنتج، أنه من صور التدعيم التي يقدمها الأصدقاء الساحبين للشباب، هو تقديم المواد المخدرة بطريقة غير مباشرة، على أساس أنها مواد نفسية والاعتیاد عليها مع الوقت، والتي تسبب الإحساس بخفض التوتر النفسي والألم الجسدي أو خفض مستوى القلق بشكل عام، كما قد تؤدي إلى تدني مستوى الدافعية وفقدان الحماس أو تثبط من عزيمة الفرد، وهو ما يشعره بالحماية من الضغوطات الاجتماعية والأسرية، يحدث ذلك في ظل ضعف الدور الرقابي سواء للأسرة أو بقية المؤسسات، خاصة وأن تلك المرحلة تمتاز بفترة عمرية خطيرة وانتقالية.

وقد بينت الكثير من الدراسات التي أجريت، أن الشباب يحصلون عادة على المخدرات بطرق غير مباشرة من أصدقائهم الذين في مستوى سنهم، وأن التناقض الذي يعيشه الشباب في المجتمع قد يخلق لديه الصراع عند تكوينه للاتجاه نحو تعاطي المخدرات، فهو يجد نفسه بين مشاعر وقيم رافضة وأخرى مشجعة، خاصة في ظل وجود أصدقاء لهم ثقافة تشجع التعاطي، وفي هذه الحالة فإن الرقابة الأسرية قد تقلل من فرص احتكاكهم بالجماعات المنحرفة، كما تساهم في توجيههم وإرشادهم.

من جهة أخرى، هناك فئة من الشباب يعيشون حياة متفتحة ومرفهة، يتعرفون إلى «شلة» من الشباب الذين ينتمون إلى عائلات مفككة أسريا واجتماعيا، ويجرونهم بطريقة غير مباشرة إلى

التعاطي، حيث يحاولون التأثير عليهم للخروج معهم واستغلالهم مالياً، من خلال ترويج المخدرات لهم.

ونستنتج مما سبق، أنه من بين أهم عوامل انتشار المخدرات في العالم العربي عامة مجالس السوء، وهي العدوى الكبرى التي تسري وتنتشر بين الشباب، والتي تتم عادة بطريقة غير مباشرة خاصة إذا كانت عقولهم خالية من التربية السليمة، والأخلاق الرفيعة والمبادئ الحميدة، حيث نجد هؤلاء الشباب يؤثر بعضهم على بعض، فإذا كان هناك رفيق سوء يتعاطى أو يتاجر في المخدرات، فسرعان ما يتأثر به صديقه ويحاكيه في مثل هذه التصرفات، ويصبح مدمناً أو تاجراً للمخدرات مثله، لذلك فإن رفيق السوء أشدّ عداوة للإنسان من أي شيء آخر، يسهل ذلك التربية الفاسدة والخلافات الزوجية والإهمال، كل هذه العوامل يترتب عنها إخفاق الشباب في الحياة وعجزهم عن مواصلة الدراسة والتفوق فيها ويكون الفشل والانحراف نتيجة محتملة لذلك، حيث يتسلل اليأس لهؤلاء الشباب، ما يدفعهم إلى الهروب من هذه المشاكل والضغوطات بمرافقة أشخاص قد يوجهوهم إلى طريق المخدرات، خاصة في ظل انتشار البطالة والفرغ القاتلين لدى أعداد كبيرة من الشباب، فينخرطون مع رفاق السوء ويميلون إلى الانحراف والاتجاه إلى المواد المخدرة.

ومن جهة أخرى، فإن موقف الإسلام من تحريم الخمر والمخدرات واختيار الرفقة الصالحة واضح، فمن المبادئ الأساسية في الإسلام الابتعاد عن كل ما هو ضار بصحة الإنسان، إذ أجمع علماء المسلمين من جميع المذاهب على تحريم المخدرات، حيث جعلت خلقاً كثيراً بلا عقل، وأورث أكلها دناءة النفس والمهانة، وأثبتت التجربة واتفق علماء الدين والتربية والتعليم على تأثير الأصدقاء والعشرة، فإذا كان الصديق فاسد أو منحرف في دائرة السلوك الأخلاقي، فسيؤثر على صديقه السليم من موقع الانحراف كذلك وبطريقة غير مباشرة في معظم الأحيان، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون، حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين

فبئس القرين ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾²، فالآيات تتحدث عن جلوس الشيطان مع الغافلين عن ذكر الله من منطلق الغواية، وتوضح تأثير قرين السوء في السلوك الأخلاقي للإنسان ومستقبله، وبعدها يبين القرآن الكريم دور قرين السوء في حركة الإنسان والحياة، فإن الشياطين يوصدون طريق الهداية والحركة إلى الله تعالى أمام الإنسان، ويقفوا عقبة في طريق الوصول إلى الهدف المقدس، والأنتكى من ذلك، أن هؤلاء المنخدعين يحسبون أنهم مهتدون، وبعدها يتطرق القرآن الكريم إلى النتيجة وهي أنه عند حضور الجميع عند الله تبارك وتعالى، وتكشف الأسرار والحقائق ينكره قرينه الشيطاني، والعكس صحيح أيضا، فالكثير من المؤمنين وأقوياء الإرادة استطاعوا أن يؤثروا على زملائهم الفاسدين على مستوى الهداية والإصلاح، بحيث جعلوا منهم اناسا أتقياء وملتزمين في دائرة السلوك الديني والأخلاقي.

ونستوحي مما سبق، بأن قرين السوء، يمكن أن يحرف الإنسان من موقع الإغواء (بطريقة غير مباشرة) عن طريق الباري تعالى، ويصده عن سبيل الهداية والصلاح وهدم دعائم الأخلاق ويشوه الواقع النفسي والفكري له، فينخدع هذا المسكين ويحسب أنه على هدى، ولن يستيقظ من أوهام الغفلة إلا وقد فات الأوان وبعد غلق طريق العودة عليه، وكذلك فإن قرين السوء يبقى دائما مع الإنسان في حياته الأخروية الأبدية، وكم هو مؤلم أن يرى الشخص المسبب في بؤسه وهلاكه يعيش معه دوما، ولن تنفع معه الأمانى والآمال بالانفصال عنه ومفارقتها، فيقول تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾³، وقوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم

¹ - سورة الزخرف، الآية 36-38.

² - سورة الفرقان، الآية 27-29.

³ - سورة الزخرف، الآية 39.

قرناء فزبنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين¹.

ومن ناحية أخرى، تتحدث الآية في قوله تعالى: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين، يقول إنك لمن المصدقين إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمدينون، قال هل أنتم مطلعون، فاطلع فرآه في سواء الجحيم، قال تالله إن كدت لتردين، ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين²، عن الأشخاص الذين عاشوا مع أصحاب السوء، وكانوا يتحركون معهم في أجواء الضلالة والانحراف، ولكن اللطف الإلهي شملهم، واستطاعوا بسعيهم وجدهم التحرك بعيدا عن وساوس الشيطان، وأنقذوا أنفسهم من الوقوع في برائته، بعد أن كانوا قد وصلوا إلى حافة الهاوية، فهنا يتحدث القرآن الكريم عن تأثير قرين السوء في تكوين عقائد الإنسان وأخلاقه، ولكن ليس بالشكل الذي يكون فيه الإنسان مجبورا أو غير قادر على إنقاذ نفسه من شرك الزيف، وفي هذه الأثناء يذكر قرينه القديم ويشعر بالبحث عنه، فينظر من أعالي الجنة، فإذا به يراه في أعماق الجحيم، فنرى من هذه الآيات أن قرين السوء بإمكانه أن يؤدي بالإنسان إلى الجحيم لولا الإيمان والتقوى ولطف الله تعالى، ونرى التأسف الشديد والتأثر العميق، الذي يعيشه الإنسان يوم القيامة، بسبب اختياره ومصاحبته وتوثيق العلاقة مع أصدقاء السوء، لأنهم كانوا العامل الأساس في محنته الفعلية والعامل الأصلي لضلاله.

وبناء على ذلك، فإن أصدقاء السوء يكون تأثيرهم أشد من تأثير النداءات الإلهية والاجتماعية عند المنحرفين منهم، فهم جنود الشيطان وإنهم من شياطين الإنس، والجدير بالذكر، أن تأسف هذه الجماعة هي أعلى مراحل التأسف والندم، فالأصدقاء والأصحاب لهم

1- سورة فصلت، الآية 25.

2- سورة الصافات، الآية 51-57.

أثرهم الكبير في سعادة وشقاء الإنسان، ليس على مستوى التأثير في السلوك الأخلاقي فحسب، بل وعلى مستوى العقائد أيضاً.

وقد وردت روايات وأحاديث مستفيضة في هذا الموضوع عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والأئمة الأطهار عليهم السلام، تعكس أهمية هذه المسألة، قال صلى الله عليه واله وسلم: "المرء على دين خليله وقرينه"، وجاء هذا المعنى أيضاً في حديث آخر، "ولا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم"، ونفس المعنى ورد عن الإمام علي رضي الله عنه، وفيه تصوير عن حالة التأثير المتقابل في دائرة التفاعل المشترك بين الأفراد فقال: "مجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار، ومجالسة الأبرار للفجار تلحق الأبرار بالفجار". ويقول: "من إشتهه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه"، وقال: "صحبة الأشرار تكسب الشر كالريح إذا مرت بالنتن حملت نتنا"، ويستفاد من هذه الأحاديث، أن معاشرته وصحبة الأراذل تهيء الأرضية لحركة الإنسان نحو الانزلاق في طريق الشر، وأن معاشرته الأخيار تنير قلب الإنسان بضياء الهدى، وتحيي فيه عناصر الخير، ونقرأ هذا المعنى في حديث عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "عمارة القلوب في معاشرته ذوي العقول"، وقال: "معاشرته ذوي الفضائل حياة القلوب"، ونقرأ في حديث جاء عن لقمان الحكيم في نصائحه لإبنيه فقال له: "يا بني صاحب العلماء وأقرب منهم، وجالسهم وزرهم في بيوتهم، فلعلك تشبههم فتكون معهم" وعلى كل حال، فإن الروايات الشريفة مليئة بمثل هذه النصائح، المتعلقة بالرفقة وأثر الصديق في أخلاق وسلوك الإنسان، ونختم الكلام بحديث عن الإمام علي رضي الله عنه، في وصاياهم لإبنيه الحسن: "قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبين منهم".

وما يمكن قوله، أن مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الأسرة في حماية أبنائها، خصوصاً المصاحبين لرفقاء السوء، إذ يتحتم عليهم مضاعفة الاحتواء والرعاية والرقابة، وطلب الدعم النفسي والمعنوي حول كيفية التعامل مع المواقف الطارئة، وتعزيز لدى المتعاطين ضرورة التغيير

والتسلح بالإرادة والإصرار، فقرار الامتناع عن مقابلة أصدقاء السوء يجب أن يكون نابعا من الشخص نفسه وبكامل إرادته، حتى لا يرضخ لإغراءاتهم بالعودة بحجة الصداقة، أو بأي حجة أخرى تردهم بطريقة غير مباشرة للإدمان.

فكم من مدمن كان ضحية لأصدقاء السوء، الذين يزينون له سلوك التعاطي ويزودونه بالمواد المخدرة، ويسهلون عليه استهلاكها بطرق غير مباشرة وبحيل مختلفة، وكم من ضحية تعافى ثم سقط مرة أخرى في براثن أصدقاء السوء، الذين يظهرون في حياته مجددا بعد فترة غياب قضاها بعيدا عنهم، وما أن يتعافى وينجح في طي صفحة سوداء استغرقت أشهر قاسية ومريرة خلال رحلة العلاج، حتى يعود إلى أحضان العائلة، ويطرق خبيثة غير مباشرة يعيدونه إلى ما كان عليه.

ويظن الوالدين أن فترة الغياب والإبتعاد الطويلة لأبناءهم، كفيلة بأن مسحوا أصدقاء السوء من ذاكرتهم، إلا أن هؤلاء الأشرار يتربصون بهم لجرهم للتعاطي مرة أخرى عبر كل الوسائل المتوفرة، وحتى خلال مواقع التواصل الاجتماعي، باعتبارها منفذهم الوحيد، ضمن أسلوب جديد يعزز لدى أصدقاء الإدمان طرق جديدة للتأثير على المتعافين من الإدمان، هؤلاء عليهم أن يحضوا بقوة الإرادة والثبات والثقة بقدرتهم على التصدي لأصدقاء السوء، ومشاعر الخوف التي قد تأتي بنتائج عكسية إن سيطرت عليهم، والشاب الذي يشعر بنوع من التقدير والحب في ظل التفاف عائلته حوله لتسانده وتدعمه وتحميه، يشجعه ذلك على الاعتراف لهم بظهور أصدقاء السوء في حياته، هذا ما يعكس أهمية استثمار فترة البقاء في المنزل في تدعيم العلاقات الأسرية ومراجعة جميع العلاقات وانتقاء الصالح منها.

وفي السياق نفسه، فإن مجرد الرغبة في إنهاء العلاقة مع الأصدقاء المدمنين لا تكفي للقضاء على خطورتهم، ويجب أن تكون لدى المتعافي القوة والجرأة الكافية لإخبارهم بأنه لا يرغب في التواصل معهم أو لقاءهم، وهذا التصرف من جانبه لا يتم بشكل ارتجالي وعفوي كما

يظن البعض، بل يجب استشارة المختصين لمعرفة كيفية القيام بذلك، كما يتم توجيه العائلة إلى ضرورة مساعدته في توسيع نطاق علاقاته الاجتماعية السوية، لإنهاء صلته بالصدقات القديمة.

الجدول رقم (28): المزود بأول جرعة من المخدر، وأول جرعة كانت.

المجموع	وحدك	الأصدقاء	أحد الأقارب	المزود بأول جرعة من
				المخدرات أول الجرعة كانت
102	02 100%	79	21	بمقابل
%46.36		%40.93	%84.00	
118	00 00.00%	114	04	بدون مقابل
%53.63		%59.06	%16.00	
220	02 00.90%	193	25	المجموع
%100		%87.72	%11.36	

سجلنا من خلال الجدول أعلاه، أن الذين أجابوا أن أول جرعة كانت بدون مقابل 53.63% ترتفع عند إجابات المبحوثين التي تفيد بأن المزود بأول جرعة من المخدر كان أحد الأصدقاء 59.06%، في حين سجلنا نسبة 46.36%، ممن أجابوا أن أول جرعة كانت بمقابل ترتفع عند الإجابة بأن المزود بأول جرعة من المخدر كانوا أنفسهم 100%، وفي نفس الإتجاه سجلنا نسبة 84%، بأن المزود بأول جرعة من المخدر كان من طرف أحد الأقارب.

من خلال تحليلنا للجدول أعلاه، نلاحظ أن قابلية انتقال عدوى التعاطي إلى الآخرين كبيرة من خلال تزويدهم بها، ونادراً ما يكون المزود هو نفسه بل يلجأ إلى أحد الرفقاء لتوجيهه لأماكن بيعها، فكثير من المدمنين من الأقارب أو الإخوة أو الأصدقاء ينقلون عدوى إدمانهم إلى المحيطين بهم، ويلجأ بعض المروجين إلى إغراء واستغلال فئات من الشباب، خاصة ممن ليس لديهم مصدر دخل من أجل بيع المخدرات وترويجها لهم مقابل مبالغ مالية مغرية، كما يلجأ بعض المتعاطين إلى ترويجها مقابل حصولهم على وجبة التعاطي لعدم تمكنهم من شرائها.

وترتفع نسبة تعاطي المخدرات عندما يسهل توفير المادة المخدرة، تلك الخدمة غالباً ما يقوم بها الأصدقاء لاعتبارات عدة، إذ يساهمون حسب نتائج الجدول في تلبية احتياجات أصدقائهم من المواد المخدرة عندما يطلب منهم ذلك، وغالباً ما تقدم لهم أول جرعة بدون مقابل، ويمكن توضيح ذلك إلى أن تأثير رفقاء السوء يقع غالباً في سن المراهقة، وهذا ما أكده مؤشر السن عند التعاطي أول مرة، لكونها الفترة العمرية الأكثر خطورة، والتي غالباً ما يقضيها في المدرسة مع أقرانه وهي فترة ليس بالقصيرة، ونحن نعرف تأثير الأقران على بعضهم في التجربة والانقياد لتحقيق ما يريدون تجربته مع أقرانهم، كما توصلت الكثير من الدراسات إلى أن عوامل الخطر بالنسبة للمراهقين من قبل أصدقاء السوء هي مقصودة، وكل هذه الممارسات الهدف منها كسب رضا واحترام جماعة الرفاق، التي تزين له الاستقلالية عن الأهل وتجاهل كل المعايير والقيم الاجتماعية، أو إلى إثبات النضج أو تأكيد الانتقال إلى مرحلة الرشد والاستفادة من امتيازاتها، والتخلص ومقاومة القلق والإحباط وكذا الفشل.

ومن جهة أخرى، الفضول وحب التجريب تجعل الفرد يحاول اكتشاف وفهم ما يدور حوله دون الاكتراث للنتائج المحتملة، وغالباً ما يقع هؤلاء فريسة لمروجي المخدرات نتيجة جهلهم للمادة المخدرة، خاصة وأنها تقدم لهم في أغلب الأحيان بدون مقابل، اندفاعهم وتسرعهم يجعلهم يتناولونها من أجل تجربتها أول مرة بما أنها مجانية، والأوهام الخاطئة تقودهم إلى افتراض أنهم لن يصبحوا مدمنين عليها، وأن تناولها لن يتعدى تجربة عابرة قاموا بها جاهلين أن لكل شيء بداية سواء الجيد منها أو سيئ، يصاحب تلك الهدية المتمثلة في المادة المخدرة المجانية تبريرات وإيهام المغرر بهم أن لها القدرة على زيادة القدرة الجسدية أو الجنسية، وما إلى ذلك من المغريات الزائفة.

وكنتيجة لما سبق ذكره، يصبح رفقاء العمر وجماعة الأصدقاء، من الأسباب المهمة التي تدفع الشباب إلى الإنحراف وارتكاب الأفعال السلوكية الإجرامية، من خلال اختلاطهم وتجارهم

وتفاعلهم مع رفقاء السوء خصوصا رفقاء المنطقة السكنية ورفقاء المدرسة المنحرفين والأشرار، فهم يتأثرون بهم بسرعة، لأنهم لا يختلفون عنهم بمزايا العمر والثقافة والميول والاتجاهات والأذواق، أنهم يتأثرون بهم أكثر مما يتأثرون بأبائهم وأمهاتهم وأقربائهم ومدرسيهم.

وتأكيدا لما سبق طرحه، فإنه عندما تكون الخصائص السلوكية والخلفية للأصدقاء سيئة ومنحرفة، فإنها سرعان ما تنتقل إليهم وتتحكم فيهم نتيجة الاختلاط والتفاعل، بحيث تجعلهم شاذين ومنحرفين في أفكارهم وممارساتهم اليومية، وهنا لا تستطيع الأسرة ولا أي مؤسسة في المجتمع إصلاح وتقويم أخلاقهم المنحرفة وممارساتهم السلوكية الخاطئة، وأمر كهذا يعرض الأسرة إلى أخطار التفكك والتصدع، بحيث لا تستطيع القيام بمهامها ووظائفها، فجماعة الرفاق من بين العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الشاب، وهذا على غرار تأثير الأسرة والمدرسة عليه، إلا أن جماعة الأصدقاء أو الأخلاء لا تقل أهمية عن البقية، فعادة ما يختار الشخص أصدقاءه من المدرسة أو محل العمل أو الحي، وعادة ما يختارهم متقاربين من سنه في ميولهم وإنجازاتهم ويتوقف تأثير الأصدقاء على نفسية الفرد على نوعية هؤلاء الأصدقاء.

ونستخلص مما سبق، أن ضعف الشخصية يجعل الفرد يتأثر بتوجهات ومعتقدات زملائه وأصدقائه وترتفع في مرحلة المراهقة، ويكون ضغط الأقران هنا من مجموعة من الأصدقاء باتجاه أحد أفرادها، مما لا يترك له الخيار، فإما أن يندمج مع المجموعة في عملية التعاطي، وإما أن يتخذ القرار الأصعب بالانفصال عنهم، حيث يكون الشخص في هذه الحالة مسلوب الإرادة وغير قادر على إدارة حياته اليومية بشكل مستقل عن الآخرين، وغير قادر على اتخاذ معظم القرارات الخاصة به مما يجعله هدفا سهلا لمروجي المخدرات، يساعد على ذلك تشرذم الأبناء وتعرضهم ذكورا وإناثا للوقوع في حبائل الكبار الفاسدين، الذين يستغلون قصور إدراكهم وضعف تميزهم بالحيلة لارتكاب الانحرافات المختلفة.

ويتيح ضعف الوازع الديني والثقافة الدينية والفراغ لدى معظمهم، إلى التفكير بمسائل غير معتادة كالمخدرات، خاصة إذا ما اقترن ذلك بالبطالة والاكنتاب والهموم أو المشكلات الاجتماعية والعاطفية، وانخفاض مستوى التعليم، حيث أن معظم متعاطي المخدرات هم من ذوي مستويات التعليم المنخفضة، ولكن يتم في بعض الأوقات ضبط متعاطين من مستويات تعليمية وتخصصية عليا بسبب أساليب الترويج للمخدرات الغير مباشرة، والتي تحتوي على خداع كبير لدفع الشباب إلى تعاطيها، كذلك حب التقليد خاصة لشخصيات أحبوها واتخذوها نموذجا في سلوكياتهم وأسلوب حياتهم، مثل تقليد الممثلين أو حتى نماذج في الحي ممن يتعاطون المخدرات، فيلجأ إلى الهروب من واقعه بتعاطي المخدرات، والاستدراج للمخدرات يبدأ من جماعة الرفاق لأن هناك تشابها بينهم، كما أن العصابات التي تروج للمخدرات تلجأ إلى حيل عديدة للإيقاع بفريستها من إيهام الضحايا بفوائدها الغريزية وأهميتها في السهر والسفر الطويل وفي نسيان الهموم، والملاحظ أن كل مصائد الشباب تشترك في اتخاذ النصيحة ستارا للإيقاع بالضحية وتقديم المادة المخدرة أول مرة بالمجان حتى أن الشيطان كذلك يلجأ إلى التدرج للوصول لمبتغاه الأساسي وهو الشرك بالله.

ويؤكد واقع الحال، على أن الفراغ أحد الأسباب المؤدية إلى معايشة رفاق السوء وانحراف الشباب، فالبطالة أو الفراغ لا يتناسب مع شريحة عمرية ممتلئة بالحيوية والنشاط والاندفاع وحب الحياة، والدراسات أثبتت أيضا أن البطالة أو الفراغ كان سببا في تكوين العديد من جمعيات الأشرار من خلال الرفقة السيئة، التي أفضت إلى ارتكاب العديد من الجرائم والجنايات والانحرافات، خاصة إذا لم يكن الشاب أو الفتاة من ذوي المهارات أو المواهب أو الاهتمامات الثقافية والعلمية والرياضية.

ويشار إلى أن قرناء السوء الذين يمثلون دور المزين للانحراف، شياطين يوسوسون بالمعصية وتجاوز الحدود وارتكاب الجرائم، ويصرون ذلك على أنه متعة خاصة أو شجاعة نادرة أو مفخرة

وقد ينصبون من أنفسهم فقهاء لزملائهم، يفتون بغير علم ويتطوعون للرد على الفتاوى الشرعية التي تدور في أذهانهم ويتحولون إلى متطرفين.

ويعتبر الجهل بالحياة والثقافة طامة كبرى، حيث لا يعرف الشاب الجاهل كيف يسير ويكون كالأعمى يقوده جهله إلى المهالك والانحرافات وهو لا يدري، فيلجأ إلى الفكر المتطرف دون أن يدري كما يظن بعض الشباب أن الإسلام يقيد الحريات ويكبت الطاقات، فينفرون منه ويعتقدونه ديناً رجعيًا يأخذ بيد أهله إلى الوراء، وعلاج هذه المشكلة هو كشف النقاب عن حقيقة الإسلام لهؤلاء الشباب، الذين جهلوا حقيقته لسوء تصورهم أو لقصور علمهم أو لكليهما معاً، فالإسلام ليس تقييداً للحريات، ولكنه تنظيم لها وتوجيه سليم حتى لا تصطدم حرية شخص بحرية آخرين عندما يعطى الحرية بلا حدود، لأنه ما من شخص يريد الحرية المطلقة بلا حدود إلا ويقع التصادم بين الحريات وتنتشر الفوضى ويحل الفساد.

وفي الأخير نستنتج، أنه مهما حرصت الأسر على احتواء أبنائها، وتوجيه النصح لهم في اختيار الأصدقاء الصالحين وضرورة الابتعاد عن أصدقاء السوء، فإن البعض يظل منجرفاً اتجاه تلك "الشلة" الفاسدة، التي تأخذ بيد شباب في عمر الزهور نحو الإنحلال والإدمان، فشبكة الأصدقاء تخلق نوعاً من التقليد أو الاستجابة التلقائية نحو مجموعة من العادات والسلوكيات السيئة التي تضر ولا تنفع، خاصة عندما يكون التواصل بين الأصدقاء وثيقاً، ويكونون مقربين من بعضهم مكانياً واجتماعياً أو لفترة طويلة من الزمن، فلا هم لهم سوى قتل أحلامهم ووأد طموحاتهم، وأكدت دراسات ميدانية عديدة أن الجرعة الأولى في أغلب حالات الإدمان كانت من خلال صديق.

ونتيجة لما سبق ذكره، فإن حكمة "اختر الرفيق قبل الطريق" التي تدور في رؤوس الكثيرين تسلط الضوء على حوادث كثيرة كان سببها رفقاء السوء، والتي حرمت الكثير من العائلات من فلذات أكبادهم، فبإمكان صاحب واحد ذي أخلاق ذميمة وسلوكيات غير سوية،

سحب مجموعة من الأصدقاء إلى مستنقع الجريمة، من خلال تسهيل تعاطي المؤثرات العقلية إلى مجالسيه ومرافقيه من المراهقين والقاصرين، وطلبة المدارس، الذكور منهم والإناث، وعليه، يجب انتهاز أساليب توعوية فعالة تحذر من أخطار أصدقاء السوء، من خلال نشر بعض البرامج التوعوية تحكي عن مخاطر مخالطة رفقاء السوء والعواقب القانونية لحياسة المواد المخدرة والمؤثرات العقلية، والتي تختلف عقوباتها باختلاف القصد من حيازتها.

الجدول رقم (29): العلاقة بين تلقي المساعدة للحصول على المخدر من الأصدقاء، وكيفية المساعدة للحصول عليه.

المجموع	لا	نعم	تلقي المساعدة للحصول على المخدر من الأصدقاء كيفية المساعدة للحصول على المخدر
98 44.54%	00 00.00%	98 51.04%	بيعه لك
10 04.54%	00 00.00%	10 05.20%	إقراض المال
46 20.90%	00 00.00%	46 23.95%	جلبه لك
38 17.27%	00 00.00%	38 19.79%	تقاسم الكمية
28 12.72%	28 100%	00 00.00%	عدم المساعدة
220 100%	28 12.27%	192 87.27%	المجموع

من خلال القراءة الإحصائية للجدول، لاحظنا أن تلقي المساعدة للحصول على المخدر من الأصدقاء ترتفع بنسبة 87.27%، وتتمثل طريقة المساعدة للحصول عليه عن طريق بيعهم إياها بنسبة 44.54%، في نفس الإتجاه سجلنا نسبة 20.90% تمثل طريقة المساعدة التي تكون بجلبه لهم عن طريق ابتياعه من طرف المروجين، ونسبة 17.27% ممن يقومون بتقاسم الكمية معهم

ونسبة ضئيلة ممن يتلقون المساعدة عن طريق إقراض المال 04.54%، في حين سجلنا نسبة 12.72% من الذين لا يتلقون مساعدة من الأصدقاء للحصول على المخدر.

إن قرار الفرد اللجوء إلى المواد المخدرة هو نتيجة التقاء هذا الشخص بالمواد المخدرة في محيط معين، وحسب نتائج الجدول، يتبين لنا جليا أن الأغلبية الساحقة للمبحوثين يوضحون مساعدة أصدقاءهم من أجل توفير المواد المخدرة لهم، وتتباين سبل المساعدة التي تكون في أغلب الأوقات حسب معطيات الجدول ببيعها لهم أو ابتاعها من طرف المروجين الذين يتعاملون معهم، وفي حالات أخرى يقومون بتقاسم الكمية معهم أو إهدائها إليهم أو إقراضهم المال، ومن هنا، يتبين لنا سهولة تأثير الفرد بالبيئة المحيطة به، وانجراره وراء رفاق السوء، الذين يساهمون في التقاءه بالمواد المخدرة والتعرف عليها أول مرة، بل ويسهلون عليه الحصول عليها، ويحدث ذلك إذا لم يلق الرعاية والمتابعة المستمرة، ورغم اختلاف طرق المساعدة للحصول عليها من طرفهم لكن النتيجة واحدة وهي توفيرها وتعاطيها وإدمانها.

ويعاب على الشباب حماسهم الزائد واندفاعهم وعشقهم للتجريب، حتى لو كان على حساب الحياة نفسها، وسهولة الحصول على المخدرات بأنواعها المختلفة زادت من معدلات انتشارها بين الشباب، وهو ما رفع من نسب الإدمان، وأفضل الطرق لتجنب هذه المصائد هي الإرادة القوية لاتخاذ قرار الابتعاد عن الرفقة الساحبة إلى الهاوية التي تشجع بل وتساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بتزويد الشاب بالمواد المخدرة، والتي تتطلب إختيار الصحبة الصالحة، ومعرفة السيرة النبوية بأسلوب صحيح والتمسك بكتاب الله تعالى.

ومن خلال ما سبق ذكره، تبين نتائج الجدول جليا أن الخراب والدمار صديق السوء، فهو كالوباء لا يعرف معنى الإخلاص والوفاء، ولا يجلب إلا الخراب والدمار، فكم من قصص مأساوية تروى لضحايا أصدقاء السوء، قصص شباب في مقتبل العمر فقدوا حياتهم نتيجة جرعة زائدة والسبب الانجراف خلف هؤلاء الرفقاء، الذين يدعونهم بطريقة مغرية لتجربة المواد المخدرة

وللأسف الشديد لبوا الدعوة بدافع الفضول، وأقنعوهم أيضا بأنهم سيشعرون بسعادة كبيرة وإن كانت وهمية، والشعور بأنهم سيتمكنون من فعل المستحيل، وبأن قوتهم الجسدية ستتجاوز أبطال العالم في كمال الأجسام، اقتنعوا بالتجربة بعد تسهيل الحصول على المخدرات، ولكن ليس عن سبق إصرار وترصد وتعمد، بل بسبب الثقة العمياء بداية، وربما لم يفكروا لحظتها بأن الجرعة قد تكون زائدة وستقضي على حياتهم، أو أن الجرعة الأولى لن تكون الأخيرة.

وفي وقائع لا تعد ولا تحصى يسقط الشباب ضحايا لرفقاء السوء، يقومون في البداية بتطويعهم لأخذ الحبوب منهم دون مقابل، ليدخلوا تدريجيا إلى هذا العالم الخطر الذي يحتمل نهايتين، إما الموت بجرعة زائدة، أو إلقاء القبض عليهم ودخولهم السجن، وقد تلعب الصدفة في حالات كثيرة دورا كبيرا في تورط الأبناء داخل الأسرة والدخول إلى هذا العالم المدمر، وذلك بعد مشاهدة الحبوب المخدرة عند أحد أفراد الأسرة المدمنين، وتجربتها وعيش شعور تخدير خلصة الذي قد يعجبهم ويجعلهم يهددون من اكتشفوا عنده تلك المخدرات، والذين في العادة أحد الإخوة، ويؤدي الخوف من كشف أمرهم بإدخالهم إلى عالم المخدرات ويعرفوهم على أصدقاء السوء ويبدءون كلهم في تعاطي السموم.

ومن هنا، يجب الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الثلاثة المثلثة للظاهرة، بداية بالمادة المخدرة ونوعها، ومدى توفرها، والسياسة التي ينتهجها أصحاب هذه التجارة في تسويق منتوجاتهم تعود إلى عامل شخصية المدمن، وتنشئته الاجتماعية، وتاريخه الشخصي وتجربته الشخصية المتفردة ثم محيطه الاجتماعي الأسري، والمحيط الاجتماعي الموسع الذي يشمل باقي المؤسسات الاجتماعية، التي لها دور في تنشئته الاجتماعية، وطبيعة هذه المؤسسات ومدى تأثيرها في ظهور سلوك التعاطي لدى الفرد، ومن ثمة ظاهرة الإدمان عامة.

وباعتبار أن جماعة الرفاق يتفاعل أفرادها وجها لوجه تجمعهم علاقة ودية نوعا ما، فهي مجتمع تلقائي لم يقم أحد بتنظيمه، ولم توضع له قواعد أو تقاليد أو قوانين، فهو مجتمع تابع

من حاجة نفسية واجتماعية حقيقية، ويتميز بأنه مجتمع يستلب قلوب أفراد، ويستوعب بسرعة كل فرد جديد ينظم إليه، كما لا يتميز بالتفكير المنطقي ولا يحس بالمسؤولية لدى وضع خطته، بل يقوم على التلقائية.

وفي هذا المجال، ننوه أن عدم انحراف بعض الشباب ليس معناه أنهم لم يتصلوا بأحد من الشباب المنحرفين، بل قد يعني أن صلتهم بهم لم تكفي لاندماجهم معهم وتأثرهم بهم، فمجرد اختلاط الشاب السوي بآخر منحرف لا يكفي في حد ذاته لخلق الإنحراف، وإنما يرجع إلى مدى تأثير هذا الإختلاط وقوة استجابة الشاب السوي للشاب المنحرف، ومقدار انفعاله بسلوكه الإنحرافي وإعجابه به، أو استهزائه به ونفوره منه، وإلى بعض المتغيرات الأخرى، كمدى تكرار المخالطة ذاتها ومدتها الزمنية، ومدى أولوية المخالطة في الحياة ومدى عمقها وكثافتها بالنسبة للفرد، وتبين أن الأحداث الجانحين لم يرتكبوا جنوحا بمفردهم وإنما مع آخرين بنسبة كبيرة جدا.

وبناء على ما سبق ذكره، نستنتج أنه قد تكون ضغوط البيئة واحدة، ولكن يمكن أن يتأثر بها شخص ما ولا يشعر بها الآخر لاختلاف شخصيتهما، كما هناك تفاوت في مدى التعامل والتأقلم مع الضغوط، لأن درجة الإدراك غير متساوية نظرا لتباين المعاني المدركة ومدى فهمهم وتفسيرهم لها¹. فشخصية الفرد هي الخصائص التي يتمتع بها في تكوينه الشخصي وقدراته ومهاراته ودوافعه، وكذا أنماط السلوك التي يمارسها.

وفي الأخير، نستنتج أن تأثير العشرة في التحليلات يعتبر منطقيًا، من خلال رؤية نماذج عينية من معايشة بعض الأفراد للأراذل، وكيف أنها أصبحت مصدرا لأنواع المفاسد والإنحرافات الخلقية لهم، فالتشبيه القديم القائل أن الأخلاق القبيحة مثل الأمراض السارية، تنتشر بين الأصدقاء والأقارب بسرعة فائقة هو تشبيه صحيح، خصوصا في الموارد التي يكون فيها الشخص

¹ - شوقي ناجي جواد، مرجع سابق، ص 95.

حديث السن وضعيف الإعتقاد والإيمان، وتكون نفسه مستعدة لقبول أخلاق الآخرين فالمعاشرة لمثل هؤلاء الأفراد من أصدقاء السوء، تكون بمثابة سهم مهلك وقاتل، وقد شاهدنا الكثير من الأفراد والأشخاص الصالحين، الذين تغيروا بالكامل بسبب معاشرتهم لرفقاء السوء وتحول مجرى حياتهم من أجواء الخير إلى أجواء الشر.

ونستنتج، أنه من جملة الأمور التي توصل إليها علماء النفس، هو وجود روح المحاكاة في الإنسان، يعني أن الأفراد ينطلقون من موقع الشعور واللاشعور، بمحاكاة أصدقائهم وأقاربهم فالأشخاص الذين يعيشون حالة الفرح والسرور، ينشدون الفرحة والحبور لمن حولهم والعكس صحيح، والأفراد المتشائمين الذين يعيشون اليأس وسوء الظن، يؤثرون على أصحابهم ويجعلونهم يعيشون حالة سوء الظن، وهذا الأمر يبين لنا السبب في سرعة تأثير الأصدقاء بعضهم ببعض، ومشاهدة القبائح وتكرارها يقلل من قبحتها في نظر المشاهد، وبالتدريج تصبح أمرا عاديا ونحن نعلم أن إحدى العوامل المؤثرة في ترك الذنوب والقبائح، هو الإحساس بقبحتها في الواقع النفسي للإنسان، وتأثير التلقين في الإنسان غير قابل للإنكار، ويؤثر أصدقاء السوء دائما على رفقاءهم في دائرة الفكر والسلوك من خلال عملية التلقين والإيحاء، فيقبلون عناصر الشر في اعتقادهم إلى عناصر خير، ويغيرون حس التشخيص لديهم لعناصر الخير والشر في منظومة القيم، فتختلط عليهم الأمور.

الجدول رقم (30): العلاقة بين أول مزود بالجرعة وموقف الأصدقاء عند محاولة العلاج.

المجموع	وحدك	الأصدقاء	أحد الأقارب	المزود بأول جرعة من المخدرات موقف الأصدقاء عند محاولة العلاج	
				إيجابي	سلي
10	02	02	06	24.00%	76.00%
183	00	179	04	2.19%	97.81%
				01.03%	98.97%

لا يوجد	15	12	00	27	12.27%
	60.00%	06.21%			
المجموع	25	193	02	220	100%
	11.36%	87.72%	09.02%		

من خلال نتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أن الذين كان موقف أصدقاءهم عند محاولتهم العلاج تتسم بالسلبية 83.18%، تمثل أعلى نسبة 92.74%، تقلص بنسبة 12.27%، عند الأصدقاء الذين كان موقفهم حيادي ولم يبدو أي رد فعل 06.21%، وسجلنا نسبة ضئيلة 04.54% عند فئة الأصدقاء التي باركت محاولة العلاج 01.03%.

ومن خلال نتائج الجدول، يتضح لنا جليا الموقف السلبي الذي يبديه الأصدقاء المتعاطين والذين يمثلون المجتمع المدمن، فهم لا يستسيغون فكرة خروج أحد أصدقائهم الذي كان يجتمع معهم على سلوك التعاطي ويتعافى، وذلك لعدة أسباب وعدة اعتبارات، تختلف حسب الروابط التي كانت تجمعهم وقوة المصالح بينهم.

وتبعاً لما سبق طرحه، قد لا يرغب هؤلاء الأصدقاء من المدمنين الذين يحاولون العلاج من الإدمان، ليس فقط بسبب الصداقة كعلاقة صادقة ووطيدة، ولكن قد يكون ذلك لاستفادتهم ماديا منهم، ويريدون أن يبيعوا لهم المخدرات مجدداً، أو أن يقدموا لهم المخدرات مجاناً وأن يتشاركوا معهم التعاطي بحجة الصداقة القديمة أو الأيام الجميلة السابقة..، أو قد يكون لديهم رغبة العلاج ولكنهم يخفونها في اللاوعي، أو قد يكونون زملاء عمل أو يسكنون في نفس الحي وبذلك يكونون دائماً أمامهم، خاصة عندما تحدث مشاكل ويحتاج الذين يحاولون العلاج من المخدرات إلى من يثقون فيهم للحديث معهم عن تلك المشاكل، لذلك فإنه عندما يقول الذين يحاولون الإقلاع عن التعاطي سنمتنع عن مقابلة أصدقاء السوء، عليهم تطبيقها حرفياً وبحزم، ومن خلال ما سبق شرحه، فإن كثيراً من الذين يحاولون الإقلاع عن التعاطي والإدمان يعانون من دوافع شبه واعية للعودة إليه لمجرد مقابلة هؤلاء الأصدقاء وكأنهم مبرمجون على ذلك، لذلك يجب السعي إلى

البحث عن كيفية التخلص من هذه الصداقات التي تثير الرغبة لتعاطي المخدرات، من خلال تأثير تلك الجماعات ومن خلال تلك السلوكيات المكتسبة.

والحقيقة أن المدمن حامل للمرض، وكلما أقرب من الناقهين زادت نسبة احتمال عودتهم للإدمان، وعادة ما يبتعد الناقهون من الإدمان عن أصدقاء الإدمان بعد علاجهم، غير أن هذه العلاقات قد تعود مرة أخرى، خاصة إذا كان هؤلاء الأصدقاء أصدقاء عمر، أو كونهم أصدقاء إدمان، فإنه تربطهم علاقة خاصة فيها أحاسيس شديدة بالسعادة واقتسامهم للألام والذكريات وهذه العلاقات قد يكون لها تأثير متزايد مع ازدياد ما يواجهه الناقهون من الإدمان من مصاعب بعد علاجهم، وقد تؤدي هذه العلاقة إلى ضغط يؤدي بالناقهين إلى الانتكاس مرة أخرى وبسرعة، خاصة مع افتقارهم ورغبتهم في علاقات صداقة جديدة يصعب الحصول عليها بسهولة، ويمكن القول أن مجالسة المدمنين قبل العلاج من الإدمان أو بعده، يشكل خطورة شديدة عليهم، وذلك لقوة ما بين هؤلاء من علاقات وارتباط وتعود شرطي على السعادة معهم، وتزداد خطورة ذلك كلما كانوا أصدقاء مقربين، حيث تزداد شدة تأثيرهم على من يريدون العلاج أو من تم علاجهم من الإدمان لذلك يجب إنهاء كل صلة معهم، أو على الأقل يجب أن تكون محدودة، أو مراقبة من أصدقاء أمناء أو من الأسرة.

صحيح أن ترك الصداقات القديمة أمر مؤلم، ويؤدي إلى الحزن وعدم الشعور بالأمان، لكنها محتومة للتخلص من هذه المشاكل، والرغبة وحدها في إنهاء العلاقة مع الأصدقاء المدمنين لا تكفي للقضاء على خطورتهم، بل يجب إخبارهم بذلك بكل احترام وبكل حزم، وكلما ازدادت الصداقات الجديدة مع الأسوياء خاصة أثناء أو بعد العلاج من الإدمان، وتعلم الإنسان كيف يتمتع بالحياة ويمارس الهوايات المفيدة، يقل تأثير الصداقات السامة القديمة، لذلك يجب الارتباط مع أصدقاء جدد وتوسيع نطاق علاقاتهم الاجتماعية السوية، فمن المهم الابتعاد عن الأصدقاء المدمنين الذين يعتبرهم الذين يحاولون العلاج أو الناقهون سببا في إفساد حياتهم، أو ممن اضطروهم لارتكاب

انحرافات ضد إرادتهم، الذين كانوا سببا في هجر الأصدقاء الأسوياء لهم نتيجة لإدمانهم، ويرغبون في العودة لصدقاتهم لإحساسهم بإمكانية نجاح صدقاتهم مرة أخرى.

ومن جهة أخرى وللأسف، قد توجد دوافع أخرى للقاء الذي يحاول العلاج أو الناقه بصديق مدمن، فقد يريد أن يظهر لأصدقائه المدمنين بأنه تم علاجه وأنه قد أنهى مشكلته، أو أن يعيش حياة سريعة المكسب في أوساط يكثر فيها المدمنون، أو أن إدمانه السابق كان خطأ ويريد إثبات أنه لا يمكن التأثير عليه من طرف هؤلاء المدمنين مرة أخرى، فيذهب ليصادقهم مرة أخرى بدعوى عدم تأثره بضغطهم، وغيرها من الأسباب التي قد تعرضه لمخاطر هذه اللقاءات، وعلى رأسها الإنتكاس والعودة إلى التعاطي والإدمان.

هذه المواقف التي تم توضيحها سابقا، تبين مدى احتياج الذين يريدون العلاج والناقهين من الإدمان إلى التفكير فيما يريدون، على رأسها أولوية الاهتمام بالخلاص من المخدرات، والاهتمام بكل ما يمكن أن يساعدهم في الاستمرار بعيدا عنها، والثبات في طريق خلاصهم من هذه المشكلة فهم يحتاجون إلى تقييم سلوكهم باستمرار، والاستماع إلى نصائح شخص موثوق به ذا دراية علاجية، أو صديق أمين مخلص له خبرته في الحياة، قد ينقذهم من رغبات لا شعورية تؤدي إلى سلوك يعود بهم إلى حياة الإدمان مرة أخرى، وفي حالة إذا ما أضطر الذين يريدون العلاج أو الناقه من الإدمان إلى لقاء مدمنين لم يتم علاجهم بعد، فعليه أن يوضح لهم مباشرة أن ذلك ليس عداءا شخصيا، ولكنه لا يستطيع أن يجالسهم، ما قد يؤدي إلى تفهمهم لموقفه وعدم إزعاجهم له، ويجب التذكر دائما أن مقابلة المدمنين قد يؤدي إلى العودة للمخدرات، وأن الأولوية هي استمرار بقاء من يحاول العلاج من المخدرات بعيدا عن شر الإدمان، وأنه لا يوجد شيء يوازي هذه الأولوية.

وفي الأخير، على الآباء الذين يحاولون بصدق إنقاذ أبناءهم من الإدمان ومرافقة أصدقاء السوء المحيطين بهم، بنصح الأبناء بأن لا يعودوا إلى العي الذي اعتادوا تعاطي المخدرات فيه فهناك دور كبير للحي الفاسد في خلق الإنحراف وتطوره، فهو يفتح أكبر المجالات لتكوين مخالطة

بين أفراده بشكل يسهل انتقال بعض الأنماط السلوكية المنحرفة وتبادل بعض القيم الإجتماعية الخاطئة، وغير ذلك من الأوضاح التي تعوض النقص عندهم، وتمنح مخرجا لهؤلاء الأبناء الذين هم ضحية الظروف المعيشية السيئة، والبقاء بعيدا عن الأشخاص الذين كانوا يتعاطوا معهم المخدرات سابقا، وطلب المساعدة الفورية إذا عادوا للتعاطي مرة أخرى، من خلال التحدث مع طبيب أو اختصاصي الصحة العقلية أو مع غيرهم ممن يمكنهم تقديم المساعدة لهم في الحال.

المبحث الثالث: وجود نماذج داخل المؤسسات التربوية والإصلاحية ووسائل الإعلام، وعلاقتها بالإنحراف واكتساب سلوك التعاطي.

إنه لمن المؤسف أن نتكلم عن تأثير النماذج المنحرفة التي تتعاطى وتشجع وتسهم بدور كبير في اكتساب سلوك تعاطي الموبقات والمخدرات، وانتشارها داخل المؤسسات التربوية والإصلاحيات وعبر أثير وسائل الإعلام المختلفة الكلاسيكية منها والحديثة خاصة وسائط التواصل الإجتماعي.

وقد انتشرت ظاهرة تناول المخدرات بين تلامذة المدارس، في الوقت الذي تزايد فيه نشاط شبكات المخدرات داخلها وفي محيطها، فبعض التلاميذ يعملون مع شبكات المخدرات التي باتت تستقطب المراهقين المطرودين من المدارس، والذين عادة ما يحملون حقدا دفيئا على المؤسسة التي كانوا يدرسون فيها، كما تستهدف هذه العصابات أيضا التلاميذ النشطين في المؤسسة وتستعملهم كوسيلة لترويج سمومها، وذلك عن طريق حيل تعتمد على دفع التلاميذ إلى الإدمان تدريجيا، عن طريق أقراص مخدرة توزع مجانا على أنها حلويات داخل المدرسة، كما أن المؤسسات الإصلاحية والسجون ليست بأفضل حال من المؤسسات التربوية، حيث يلتقي ويختلط المحكوم عليهم بنماذج أكثر احترافية وأكثر إجراما منهم، فيتعلمون منهم ما لم يكونوا يعلمونه ويكتسبون منهم سلوكات جديدة إضافة لما اكتسبوه مسبقا خارجها.

ومن ناحية أخرى، ومع مرور الزمن واتساع مجالات التواصل الاجتماعي ووسائله، أصبحت مشكلة المخدرات أكثر تعقيدا واتساعا، مما يضعنا أمام تحديات على المستويين المحلي والعالمي فهنا يجب على المجتمع أن يهتم بعملية صيانة أفراده من الزيغ والانحراف، ويرعاهم بتوجيهاته بعيدا عن أجواء التلوث، وخصوصا في عصرنا الحاضر، الذي إنتشرت فيه وسائل الفساد عن طريق الوسائل التكنولوجية الحديثة بصورة مخيفة، والتي أصبحت سببا من أسباب الانحراف والسير في خط الإدمان.

الجدول رقم (31): العلاقة بين المستوى التعليمي، وسن التعااطي لأول مرة.

المجموع	جامعي	ثانوي	متوسط	ابتدائي	المستوى
					التعليمي سن التعااطي لأول مرة
12 05.45%	00 00.00%	01	09	02	أقل من 15 سنة
		01.33%	08.91%	05.12%	
132 60.00%	02 40.00%	69	39	22	16 - 18 سنة
		92.00%	38.61%	56.41%	
76 34.54%	03 60.00%	05	53	15	19 سنة فما فوق
		06.66%	52.47%	38.46%	
220 100%	05 02.27%	75 34.09%	101 45.90%	39 17.72%	المجموع
		%			

يتضح من خلال قراءتنا للجدول أعلاه، أن الإتجاه العام كان عند فئة المبحوثين الذين كان سنهم من 16 إلى 18 سنة عند تعااطيهم أول مرة للمخدرات، بنسبة 60.00%، ترتفع عند المبحوثين الذين صرحوا أن مستواهم التعليمي ثانوي بنسبة 92.00%، تقابلها إجابات الذين كان سنهم من 19 سنة فما فوق عند تعااطيهم أول مرة للمخدرات، وذلك بنسبة 34.54%، ترتفع عند الذين صرحوا أن مستواهم التعليمي جامعي، بنسبة 60.00%، في حين سجلنا ما نسبته

05.45%، من أفراد العينة الذين كان سنهم أقل من 15 سنة عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات، ترتفع عند المبحوثين الذين صرحوا أن مستواهم التعليمي متوسط، بنسبة 08.91%.

ومن خلال نتائج الجدول، يتبين لنا جليا أن تواجد نماذج من المتعاطين داخل المدارس رغم حداثهم وصغر سنهم، أمر كارثي يستدعي دق ناقوس الخطر والتحرك سريعا لمواجهة هذه الكارثة الداهمة، التي إذا ما تركت أو استهين بها أدت إلى نتائج لا يحمد عقباهها، تستمر تبعاتها وتأثيرها الكارثي إلى مدى أجيال لاحقة.

ومن لوحات هذه الظاهرة، أن أطفال المدارس قد لا تتجاوز أعمارهم 16 سنة، بلغ بهم الأمر إلى سرقة أهلهم وهواتف زملائهم لشراء المخدرات، فهم ضحايا شبكات الترويج والمتاجرة بالمخدرات، حيث تحولت المؤسسات التربوية من فضاء تربوي وتعليمي، إلى مكان للسرقة والمتاجرة بمختلف أنواع السموم، وفيها سيتحول المراهقون بعد فترة إلى أرقام إضافية في معادلة الجريمة المنظمة، وأشار بعض المبحوثين إلى أن الطاقم التعليمي في المؤسسات التربوية على دراية تامة بانتشار المخدرات لكنهم يخافون من تهديدات التلاميذ، الذين تحول بعضهم إلى لصوص وباعة للمخدرات داخل هذه المؤسسات، ويضيف أحد المبحوثين أنه يتناول المخدرات منذ أن كان عمره 15 سنة، ويحصل على حاجته من أمام باب المدرسة، فالمروجون في كل مكان، وهم أطفال ومراهقون مثله، وحول سؤاله عن يمدده بالمال لشراء المخدرات، يقول الشاب أنه كان يشتري جرعاته كل يوم من المصروف اليومي الذي يعطيه له والده، ويتناول المخدرات في مرحاض المدرسة، ولم يكشف أحد أمره.

في حين أشار مختصون في علم الإجرام، إلى أنهم عالجوا العديد من الحالات المتعلقة بإدمان المراهقين المتمدرسين على المخدرات، بعد أن حصلوا عليها مجانا داخل المدارس التي كانوا يدرسون فيها، وبعد التحقيق المعمق، تبين بأن شبكات المخدرات تعمل على ترويج الأقراص المخدرة داخل المدارس بطريقة شيطانية، حيث توضع داخل علب حلويات توزع على التلاميذ

مجانا، كما أنها توظف تلاميذ المدارس مقابل مبالغ مالية كبيرة شهريا، وعندما يتعود التلاميذ ويدمنون على هذه الحلويات المخدرة تباع لهم لاحقا، فيلجأ العديد منهم إلى تدبير المال أو سرقة من عائلاتهم لشراءها، ومن لم يسعفه الحظ يلجأ إلى سرقة الناس والاعتداء عليهم.

ومن خلال ما سبق ذكره، يعتبر الإدمان على المخدرات داخل المؤسسات التربوية من أكثر أسباب الرسوب المدرسي، فاهتمام التلميذ المدمن وهمه الوحيد يرتكز على كيفية توفير المال مهما كانت الوسيلة لشراء المواد المخدرة، هذا ما يستدعي ويحفز رؤساء جمعيات رعاية المراهقين إلى تأسيس لجان إصغاء وتوجيه التلاميذ داخل المؤسسات التربوية، هدفها مراقبة سلوك التلاميذ وتوجيههم، نظرا لاستفحال ظاهرة ترويج المخدرات داخل المؤسسات التربوية على شكل حلويات، وسط غفلة المسؤولين والأولياء، واعتمد مروجي المخدرات داخل المؤسسات التربوية في البداية على حلويات "تيك تاك"، وهي عبارة عن علبة صغيرة تحتوي على أقراص حلويات تباع بثمان زهيد، حيث عمدت عصابات المتاجرة بالمخدرات إلى استغلال هذه العلب وتعويضها بحبوب مخدرة حلوة المذاق، يتم توزيعها على التلاميذ عن طريق زملاء لهم، وبعد إدمانها وكمحلة لاحقة يبيعونها لهم.

ويعزو الكثير من المبحوثين الذي تسربوا من المدرسة، سبب رسوبهم فيها إلى إدمانهم المخدرات واختلاطهم بنماذج منحرفة، ومنهم من صرح أنه لو يعود بهم الزمن إلى الوراء لما سلكوا هذه الطريق، وهناك من يقولون أن الإدمان جعلهم يخسرون مستقبلهم وحياتهم رغم إمكانيات النجاح التي كانوا يتمتعون بها، وارتفاع مؤشرات التفوق التي كانت تتوافر عندهم، فكمن تلميذ بدأ حياته بالتفوق، وكم من مجتهد تنبأ له بمستقبل زاهر، وكم من ذكي وناطقة انتهى وتحطم مستقبله مع أو جرعة مخدرات تعاطاها، والتي كانت نهاية مشوارهم الدراسي وبداية مشوارهم في طريق الإنحراف والإدمان.

ويحذر أساتذة في علم النفس التربوي من انتشار تعاطي المخدرات في المدارس، في ظل لجوء التلاميذ إلى التجربة في كثير من الأحيان بعد مخالطة نماذج مدمنة، يبدؤون بتدخين السجائر وينتقلون بالتدرج إلى أنواع السموم التي يسهل ترويجها، حيث يؤكد الواقع أن استهلاك المخدرات له علاقة وثيقة بتدخين السجائر، لذلك، تتحول الأخيرة إلى خطر كبير على التلاميذ خلال فترة قصيرة، الذين يرغبون في تجربة اللذة، من هنا، يلجؤون إلى تعاطي المخدرات حتى داخل المؤسسات التربوية، حيث يعتبر المروجون المدرسة أسهل مكان لترويج سلعتهم، في ظل سهولة استقطاب الأطفال والشباب الساذجين وعديهي الخبرة، فضلا عن حيمهم للتجربة والتقليد.

ويؤكد بعض المبحوثين، أن عددا من زملائهم جربوا المخدرات في المدرسة عبر مختلف أطوارها خاصة الثانوية، في البداية يتعلمون الاستنشاق، بعدها يصبحون مهوسين بتأمين المال لشراء المخدرات في عمر مبكر، وهذه الظاهرة تؤثر على الشباب حتى قبل أن يبلغوا 15 عاما وبناء على التقارير والإحصائيات التي تنشرها الجهات الأمنية الرسمية في الجزائر، سجلت ارتفاع كميات المخدرات التي تروج خصوصا في الثانويات، إذ يسهل تداولها بين التلاميذ، وتشير التقارير إلى أن هذه المادة المخدرة تؤدي إلى ارتفاع نسبة العدوانية والجريمة عند المراهقين، واللافت أن عددا من منظمات المجتمع المدني الناشطة في الجزائر، كانت قد دقت ناقوس الخطر في ما يتعلق بالمخدرات وتعاطيها في المدارس، خصوصا في المرحلة الثانوية، إضافة إلى الجامعات وتحديدًا في السكن الجامعي، وتشير إلى ضرورة تأسيس "حلف اجتماعي" لمواجهة هذا الخطر الذي يهدد الصحة ويؤدي إلى فساد المجتمع الجزائري، وتجدر الإشارة، إلى أن الحكومة الجزائرية افتتحت 38 مركزا على المستوى الوطني، تابعة لوزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات، تهدف إلى علاج المدمنين، يشرف عليها أطباء ومتخصصون في علم النفس، هذه الخطوة وغيرها ربما تساهم في الحد من هذه الظاهرة، إلا أن سرعة انتشارها بين التلاميذ تعني أن هناك حاجة إلى جهد أكبر.

وفي سياق متصل، يمكن أن تتسبب عوامل متنوعة في تعاطي المراهقين المتدربين المخدرات وإدمانها، فغالبا ما تتعاطى لأول مرة في أوساط اجتماعية فيها نماذج من المتعاطين يسهل فيها الحصول على المخدرات، ويرجع الاستمرار في تعاطيها إلى عدم الشعور بالأمان، أو الرغبة في كسب القبول الاجتماعي داخل الوسط المدمن، وغالبا ما يشعر المراهقون بأنهم لا يقهرون، وربما لا يتدبرون عواقب أفعالهم، ما يؤدي بهم إلى المجازفة الخطيرة، وتشمل عوامل الخطر الشائعة لتعاطي المراهقين للمخدرات أنهم أكثر عرضة لخطر فرط تعاطي المخدرات فيما بعد، ويرتبط بسوء الحكم في التفاعلات الاجتماعية والشخصية، ويمكن أن يعقد أو يزيد من خطر اضطرابات الصحة العقلية، مثل الاكتئاب والقلق، ويمكن أن يؤدي إلى تدهور في الأداء الأكاديمي.

ونستنتج من خلال ما سبق طرحه، أن المدرسة إحدى أهم المؤسسات التربوية التي يعتمد عليها المجتمع في التوعية بالمخاطر والأضرار التي يمكن أن تلحق بالأفراد جراء الوقوع في مزالق الجريمة بصفة عامة والمخدرات على وجه الخصوص، ولذلك أولت معظم المجتمعات المدارس أهمية كبيرة فيما يتعلق بقدرتها على الوقاية من تلك المخاطر، وإذا كانت مسؤولية التصدي لمشكلة تعاطي المخدرات أمر يقع على كاهل جميع أنظمة المجتمع بلا استثناء، فإن النظام التربوي وفي مقدمته المدرسة، تأتي على رأس هذه الأنظمة، فيما يتعلق بضرورة قيامها بدور أكثر فاعلية في مواجهة مشكلة المخدرات، بصفتها إحدى المؤسسات التربوية التي تستطيع أن تتخذ من الإجراءات وتعد من البرامج ما يعينها على وقاية الأبناء من الوقوع في مخاطر التعاطي والإدمان.

ونظرا لما تقوم به المدرسة من أدوار تنفيذية، تتعامل بها مع الممارسات التربوية والتعليمات الرسمية يوميا، وفي ضوء النظرة الحديثة للمدرسة، بأنها مؤسسة إنتاجية تعد المواطن الصالح وتزوده بالثقافة والمعارف والخبرات، والقيم والاتجاهات التي تتلاءم مع درجة نموه، فقد تم التركيز على أهميتها في قدرتها على القيام بالدور الوقائي لمواجهة المخدرات وحماية الشباب من

مخاطرها، من خلال تركيزها على الجانب المعرفي أو الإدراكي الذي يشمل (المفاهيم، والحقائق والمبادئ)، والجانب الوجداني الذي يشمل (الميول، والاتجاهات، والقيم) والجانب المهاري أو النفس-حركي، الذي يشمل (الثقة، والإقناع، والاستجابة)، ومن هذا المنطلق، تصبح المدرسة قادرة على القيام بأدوار فاعلة في تحقيق التربية الوقائية لطلابها، من خلال العناصر المدرسية المتمثلة في المعلم، والمناهج الدراسية، والأنشطة المدرسية والإدارة المدرسية، والمرشد الطلابي أيضا.

وفي الأخير، فإن التربية والتعليم والتأهيل العملي للحياة قضايا أساسية في حياة الإنسان ففقد التربية السوية التي تعده لأن يكون فردا صالحا في بناء المجتمع وإنسانا مستقيما في سلوكه ووضعه النفسي والأخلاقي، يتحول إلى مشكلة وخطر على نفسه ومجتمعه، والفرد الذي لا يملك القسط الكافي من التعليم والمعرفة التي يحتاجها في الحياة هو جاهل يضر نفسه ومجتمعه، ولا يمكنه أن يساهم في بناء حياته أو مجتمعه بالشكل المرجو من الإنسان في هذا العصر، فالمجتمع الجاهل أو المثقل بالجهل لا يمكنه أن يمارس عمليات التنمية والتطور والخلاص من التخلف والتغلب على مشاكله السياسية، الأمنية، الاقتصادية، والاجتماعية والشباب الأمي أو الذي لم يستوف القدر الكافي من المعرفة والثقافة، وكذا الذي لا يملك التأهيل العلمي كالحرفة أو المهنة لا يمكنه أن يؤدي دوره في المجتمع أو يخدم نفسه وأسرته بالشكل المطلوب وتفيد الكثير من الدراسات والإحصاءات أن الأمية والجهل وقلة الوعي والثقافة هي أسباب رئيسية في مشاكل المراهقين والشباب ودخولهم عالم الإنحراف والتعاطي. وبذا تكون مشكلة الأمية وضعف التأهيل العلمي هما من أهم المشاكل التي يجب التغلب عليها من قبل الأسر والدول، وغير هذه المشكلة فإن هناك مشكلة ترك الدراسة في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية أو الجامعية، التي إحدى المشاكل الكبرى التي عرضت وما زالت تعرض مستقبل الشباب للخطر، فهي تدفعهم للتسكع واقتراف الجرائم والممارسات السلوكية المنحرفة.

الجدول رقم (32): العلاقة بين سن تعاطي المخدرات أول مرة ونوع المشاكل في المدرسة.

المجموع	19 سنة فما فوق	16 - 18 سنة	أقل من 15 سنة	سن تعاطي المخدرات أول مرة نوع المشاكل في المدرسة
61 27.72%	07 09.33%	64 63.36%	00 00.00%	مشاكل مع الزملاء
68 60.90%	05 06.66%	18 17.82%	02 05.12%	مشاكل مع الأساتذة
91 39.09%	63 84.00%	19 18.81%	37 94.87%	ضعف التحصيل الدراسي
220 100%	76 34.09%	132 45.90%	12 17.72%	المجموع

من خلال النسب المسجلة، نلاحظ أن المبحوثين الذين واجهوا من خلال مشوارهم الدراسي مشاكل بسبب ضعف تحصيلهم الدراسي 39.09%، ترتفع عند فئة المبحوثين الذين كان سنهم من 16 إلى 18 سنة عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات، بنسبة 60.00%، تقابلها ما نسبته 60.90% ممن واجهوا خلال مشوارهم الدراسي مشاكل مع الزملاء، ترتفع عند الذين كان سنهم من 19 سنة فما فوق عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات، وذلك بنسبة 34.54%، وأخيرا ما نسبته 27.72% ممن كانوا يواجهون مشاكل مع أساتذتهم، ترتفع عند من أفراد العينة الذين كان سنهم أقل من 15 سنة عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات.

تعيش الأمة أزمة شديدة في البناء الأخلاقي، تسبب في حدوثها سنوات متعاقبة من التربية غير السوية على خلاف رسم السنة النبوية، أفرزت لنا كل هذه التدايعات الأخلاقية، وتورط الأبناء منذ حدثهم في تعاطي المخدرات وإدماجها خاصة أثناء تدرسيهم، تبعا لعدة مشاكل كانت تواجههم أثناء مشوارهم التعليمي لم تكن المدرسة ولا الأسرة على دراية بها، استغلتها النفوس الدنيئة في ضل وجود نماذج منحرفة في محيط أولئك المراهقين، ولعل السبب الرئيس وراء ذلك من خلال نتائج الجدول، غياب الدور التربوي للمدرسة والتركيز على جانب التعليمي فقط، لذلك وجب على المدرسة أن تقوم بدورها في مجال التربية الأخلاقية، ومراقبة الجانب الأخلاقي عند الطلبة

وكذلك المدرسين، ووضع برنامج عملي للتخلص من العادات والأخلاق المدمومة، مع ضرورة تخصيص أخصائي اجتماعي، باعتبارها مؤسسة تربوية إجتماعية متخصصة يمكن لها أن تعالج إنحرافات الشباب في سن المراهقة، من خلال غرس القيم الأخلاقية والدينية المعتدلة لديهم وحثهم على ضرورة التحلي بها، وهنا تظهر أهمية دور المدرسة بجانب دور الأسرة والمؤسسات الدينية، وأنه لا بد من أن يكون هناك تنسيق وتعاون فيما بينهم فكل منهم يكمل الآخر.

وبناء على ما سبق ذكره، قد يشكل محيط المدرسة نموذجا للسلوك المنحرف، يتعلمه الفرد بالملاحظة وبالمخالطة، كما قد تكون نموذجا آخر إذا احتوت هي الأخرى عناصر منحرفة يعايشها الفرد ويقتدي بسلوكها، وبناء على ما ورد في الجدول أعلاه، نلاحظ أنه من أهم نتائج الجنوح وانحراف الأبناء الإخفاق في المدرسة، لأنه يؤدي إلى إهمال الواجبات المدرسية مما يدفعهم إلى التحايل والكذب، والتعويض عن هذا الفشل باتباع أساليب غير مشروعة لإثبات وجودهم في المجتمع، ويتميزون بضياع رغباتهم وعدم وضوح غاياتهم في الحياة، وعدم قدرتهم على تحديد ما يريدون.

إن الأكثرية الساحقة للشباب محل الدراسة، كانت تجارهم في ممارسة الأفعال المنحرفة عندما كانوا أحداثا لم يبلغوا سن الرشد، ولم يتجاوزوا بعد مظاهر مرحلة المراهقة، واجهوا الفشل في الدراسة أكثر من مرة غير متأسفين لعدم نجاحهم فيها، كما أن آباءهم لم يكثرثوا لذلك، وسار الكثير من الشباب في نفس اتجاه آبائهم في عدم تحصيلهم العلمي، وعدم تشجيع الإبن على التحصيل العلمي إنما هو أحد السبل القريبة من السلوك غير السوي، مما يساعده على اقتراف أخطاء تتسبب في الإضرار بنفسه وبالغير، وبناء على ذلك، على المدرسة استخدام الطرق المباشرة والممنهجة للتمييز بين السلوك الطيب والسلوك الشرير، وبين الصواب والخطأ وبين الخير والشر، علاوة على ذلك، نجد كل المدارس تهتم بمبدأ الثواب والعقاب والترهيب والترغيب، وهذه في حد ذاتها ترسيخ للمبادئ والقيم، ونجد كذلك المدارس تستخدم طرق

لتثبيت السلوك الجيد، ونبذ السلوك الغير مرغوب فيه، وذلك من خلال الجوائز والتحفيزات والتي تسمى بالـ"تعزيز الإيجابي" والعكس صحيح.

ومن جهة أخرى، يجب على المؤسسات التربوية الاهتمام بحالات الهروب والتغيب عن المدرسة والاستفسار عن الأسباب التي أدت إلى ذلك، وإخطار أولياء الأمور حتى يكونوا على دراية بذلك وتكون لهم المشاركة الفعالة في ملاحظة أبنائهم، والاهتمام بحالات التأخر الدراسي التي قد تقود إلى الإحباط والسقوط في الإدمان، والتعاون مع الأسرة من أجل حل المشاكل التي تقابل مثل هذه الحالات، كما يتوجب مراقبة بوابات المدارس والنواصي القريبة، حيث يقوم بعض الصبية وأحيانا بعض الطلبة بتوزيع المخدرات عليهم، وبالمقابل، للمدرسة دور فعال في تفريغ النشاط أو ما يقال له استهلاك الطاقة والاستفادة منها والترويح عن نفوس النشء من عناء الدراسة، حيث يستغل في توجيه ميول النشء ورغباتهم والاستفادة منها في إطار عملي صحيح ومدروس، وهذا النشاط لا يقتصر على النشاط الرياضي فقط، بل نشاطاً يفرغ فيه كل ناشئ طاقته حسب ميوله واتجاهاته، فهذا يحب اللعب وهذا يحب القراءة، وهذا يحب الأنشطة الخدمانية والطلابية... إلخ التي تساعد على بناء الشخصية، وتخلق لدى الطالب روح الثقة بالنفس والتحملي للمعوقات وتقوي الإرادة، فيستطيع الإنسان أن يرفض الأمور الخاطئة، والاهتمام بالأنشطة الثقافية الخاصة بالإدمان مثل الرسوم المتحركة، ومجلات الحائط، وكلمات الصباح في الإذاعة المدرسية والتي تتناول موضوع الإدمان من جوانبه المختلفة، في رسائل قصيرة سريعة، وكذلك الأنشطة الفنية والاجتماعية والترفيهية، مثل الرحلات والحفلات التي تستغل الطاقات في أمور مفيدة وتبرز قدراتهم وتميزهم وتساعدهم على اكتشاف مواهبهم، ناهيك عن التوعية من خلال المناهج المدرسية، وأيضا عن طريق عقد الندوات الثقافية لتوعية الطلاب وتبصيرهم بقوى الشر التي تستهدف تحطيم الشباب، وتحصينهم بالمعلومات الصحيحة على طريقة «أعرف عدوك»، مع الالتزام بالمصداقية والبعد عن التهويل أو التهمين، فمثلا على مستوى الأطفال لا يقال لهم أن من يتناول مخدرا يموت على الفور، لأنه يرى في الأفلام التي يعرضها التلفاز من يتناولون المخدرات

يعيشون، وأيضا عقد حلقات حوار مع الآباء لتبصيرهم بالمشاكل التي تقابل أبناءهم، وتنظيم حلقات دراسية للأخصائيين النفسيين والاجتماعيين والمعلمين عن كيفية اكتشاف الحالات المبكرة وتوجيهها للعلاج، كذلك تكوين مجموعات مدرسية لمكافحة الإدمان تتلقى التدريبات المناسبة لاكتشاف الحالات المبكرة، ويمكن أن تشمل بعض الطلبة الذين سقطوا في براثن الإدمان وتم علاجهم وشفائهم، فالطلبة لهم إمكانية إختراق صفوف زملائهم ومعرفة أحوالهم وإقناعهم في بدء رحلة العلاج، لا سيما أن الطلبة المعافين من الإدمان يشكلون المثال العملي الناجح أمام الآخرين.

وفي الأخير، تعتبر المدرسة هي البيت الثاني للطفل - وفي بعض الأحيان البيت الأول - إذا لم تضطلع الأسرة بدورها التربوي، وجب عليها أن تتعامل مع الطفل كأنه يعيش في منزله، له دوافع ورغبات وحاجات لا بد من مراعاتها، وقد تمر به وقائع وأحداث تؤثر في نفسيته، ولا بد أن تعمل على تكوين الشخصية الإسلامية عنده بطابعها المميز، بحيث تكون كل الدوافع والحاجات والانفعالات طبقا لهدي الإسلام، وأن يكون نظام المدرسة حازما، لكن دون عنف أو قسوة حتى لا يكره الأطفال المدرسة وتترى في أنفسهم الحواجز والعقبات التي تبغضهم في المدرسة.

كما للمؤسسات الدينية قواعد وأسس معينة تمثي عليها، متفاعلة مع قيم المجتمع وأسسها الدينية الإسلامية، لذلك فإن من أهدافها تحقيق قيم التربية الدينية الإسلامية، وتجدها حريصة أيضا على تقديمها في المساجد من خلال التربية الإيمانية، وتحرص على العمل على تقوية الوازع الديني لدى الطلاب، بعقد مسابقات في حفظ القرآن بين الطلبة يمنح فيها الفائز جائزة قيمة في حفل يقام في المدرسة، أو العمل على إعداد معسكرات كشفية يتعلم فيها الشاب والطفل الفضائل الإيمانية، أو يزود بالكتب ووسائل التثقيف الديني اللازمة، وتقوم المدرسة بملاحظة ومراقبة الجانب الإيماني عند الطلبة، وما يقرؤون من كتب المناهج الغربية والدسائس التي قد تفسد عقيدتهم، وهذا الدور معقد - حتى خارج المدرسة -، فربما يكون الولد صالحا داخل المدرسة

أما خارجها فله شأن آخر، وكذلك تراجع دور المدرسة التي تعتبر البيت الثاني والحضن الآمن بعد الأسرة، فإذا تراخت أو تراجعت عن أداء دورها ورسالتها فإن الكارثة محدقة، وإذا افتقد الشاب أو الشابة المرشد والناصح والمسدد الأمين فإن ساحة المدرسة تتحول من ساحة للبناء والتربية إلى ساحة للانحراف والضياع.

الجدول رقم (33): عدد مرات الدخول للإصلاحية أو السجن.

عدد مرات الدخول للإصلاحية أو السجن	التكرار	النسبة
مرة	95	43.18%
أكثر من مرة	125	56.81%
أبداً	00	00.00%
المجموع	220	100.00%

من خلال قراءة هذه النسب، سجلنا 56.81% ممن أجابوا أنهم دخلوا الإصلاحية أو السجن أكثر من مرة، في حين سجلنا نسبة 43.18% ممن أجابوا أنهم دخلوا الإصلاحية أو السجن مرة واحدة، وفي الأخير، سجلنا نسبة 00.00% عند الإجابات أنهم لم يسبق لهم الدخول إلى إصلاحيات أو سجن.

ومن خلال نتائج الجدول، نلاحظ أن معظم المبحوثين سبق لهم دخول مركز من مراكز إعادة التربية أو السجن أكثر من مرة لأسباب مختلفة، كالسرقة، التهديد، العنف، المخدرات... إلخ وتتنوع مظاهر الجنوح عند الشاب المتعاطي فيبيدي عدائية مفرطة تجاه محيطه الأسري ووسطه الاجتماعي، على شكل تجاوزات مستمرة وتمرد وعصيان، ويقومون بالاعتداء على حقوق وأملاك الآخرين ويفتعلون العراك والنزاعات مع الآخرين ويلحقون الأذى بهم، وتبلغ عدوانيتهم حد تحطيم ممتلكات الغير أو إشعال النار في المنزل... إلخ، وقد تسبب المخدرات ارتكاب جرائم القتل السرقة أو الاغتصاب، نتيجة غياب العقل والرغبة الشديدة في تعاطي المخدر والاستعداد للحصول عليه بأي طريقة، مما يعرض المدمن لدخول الإصلاحية أو السجن.

ويرى الكثير من المبحوثين دخول السجن بهم مختلفة إجحافا وظلما لهم، ويعترفون بأنهم قد تعلموا أشياء كثيرة فيه من خلال مخالطة نماذج كثيرة من المنحرفين والمجرمين، حيث أصبحوا رجالا بحق حسب تصريحهم (الحبس للرجال)، وتعلموا حيلة كثيرة منها التشدد في المعاملة وعدم الخوف، وعدم التراجع عن الهدف إذا شرعوا في تنفيذه مهما كلفهم ذلك، إن مثل هذه الحالات إنما هو دليل قوي على تعلم الفرد السلوك المنحرف من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فالحالات لها بدايات مبكرة نحو الانحراف، وتواجد الشباب وسط الجماعات المنحرفة عند دخولهم الإصلاحيات أو السجن، يشكل عنصرا قويا للاستمرار والتمكن من الانخراط ومعايشة جماعات المنحرفين، وتنمية اتجاهات عدائية وغير صحيحة ضد قواعد المجتمع، وتعزيز الاتجاه نحو السلوكات غير السوية والإقدام على تنفيذ مختلف السلوكات المنحرفة، ومعظم المنحرفين المقبوض عليهم والمودعين في المؤسسات الإصلاحية والسجون كانوا على علاقة بأصدقاء آخرين منحرفين، وفي هذا الصدد، يلاحظ أن المنحرف يميل إلى مصاحبة المنحرفين الذين يتفقون معه في الميولات السلوكية وتجانس في العادات والصفات، التي تقوم على السلوك المضاد للجماعة، ومعظم المنحرفين قد انتهى بهم المصير إلى أن أصبحوا أعضاء في العصابات الإجرامية، كما أنهم كانوا لا يميلون إلى ممارسة نشاطهم الإحراقي بطريقة فردية، بل كانوا يميلون إلى التكتل في جماعات من فردين أو أكثر.

وفي سياق متصل، لعل أقسى درجات الألم التي يواجهها السجن عند خروجه من السجن هي نظرة الاتهام والتشكيك التي تطارده، وحالات الإقصاء التي يجدها من مجتمعه الذي يقف موقفا سلبيا منه، بشكل يعطل إكمال رسالة السجن في " التهذيب والإصلاح "، ويؤدي تغييب عنصر " الإندماج " و"الاحتواء " إلى إحداث شروخ نفسية عميقة لدى السجنين تؤثر بشكل كبير في عملية تكيفه الاجتماعي، وقد تكون طريق عودته مرة أخرى إلى ما كان عليه سابقا من انحراف فنلاحظ أن الشباب الذين دخلوا الإصلاحيات أو السجون أخذوا لقب سجناء سابقون أو صدمت أمامهم أبواب المجتمع على الرغم من دفعهم ثمن جرائمهم، لكن مشبوهون إلى آخر العمر، وعلى

الرغم من البرامج التي تقوم بها مختلف إدارات السجون للتخفيف عن نزلاءها وتدريبهم لمقابلة مرحلة ما بعد السجن، إلا أن التأثيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية للبقاء طويلا خلف الأسوار تظل تطاردهم حتى بعد الإفراج عنهم، إلى حد التحكم في عملية تكيفهم مع المجتمع من جديد، وقد تكون سببا في عودتهم إلى طريق الانحراف مرة أخرى، فبعضهم كما هو حادث للأسف يصطدمون بعد خروجهم ببعض أفراد مجتمعهم الذين يذكروهم بذنبهم ولا يقبلون توبتهم، بل ويحذرون الآخرين منهم، ونظرا لأن الغاية من عقوبة السجن هي حماية المجتمع من الجريمة وحفظ حقوق الإنسان من الضياع، يجب أن يقتنع السجين نفسه بحقوقه وهي عودته إلى المجتمع مرة أخرى إنسانا صالحا قادرا على العيش في ظل احترام القانون، والإبتعاد عن النماذج المنحرفة التي قابلها داخل السجن.

وفي ذات السياق، تعد مرحلة ما بعد السجن من أهم المراحل التي يجب معها إدماج الشباب إجتماعيا، من خلال تنظيم دورات تأهيلية لإعدادهم لمرحلة ما بعد السجن، سواء عبر التوعية الدينية، أو تعليمهم المهارات المختلفة وبخاصة التي تسهم في توظيفهم، إلى جانب التهيئة النفسية ليوافقوا المجتمع بكل متغيراته، ومنها عدم تقبل الآخرين لهم في بعض الأحيان فالعقوبة التي تؤدي لصالح الأفراد وحماية الجماعة هي مشروعة، وتأديب وزجر المجرم ليس للانتقام منه، بل لإصلاحه وتأهيله، والتي تعد من أهم أهداف السياسة الجنائية وغاياتها، بحيث لا يعود للإجرام مرة أخرى ويصبح عضواً نافعاً لمجتمعه، من خلال تحويل مفهومها وأهدافها من مؤسسات عقابية زجرية إلى مؤسسات إصلاحية تنويرية وتأهيلية.

ومن خلال ما سبق ذكره، من أبرز وسائل الإصلاح في الإصلاحات والسجون الاهتمام بتنمية الجانب الديني، فقد ثبت أن لحفظ القرآن أثرا كبيرا في تهذيب سلوك النزلاء، سواء تمثل ذلك في الحد من العودة إلى الجريمة، أو في مستقبل النزير أو سلوكه داخل السجن، ومن الأهمية بما كان شغل أوقات النزلاء بما ينفعهم، مع الإحسان إليهم ودراسة نفسياتهم ومعالجة

أسباب انحرافهم وتيسير اتصالهم بأهلهم، وفي المجال التعليمي ينبغي تمكين السجنين من مواصلة دراسته داخل السجن أو خارجه، وإتاحة فرص العمل أمامه إن أمكن.

وخلاصة القول، فإن العوامل الاجتماعية الخارجية تسيطر على اتجاه الشباب منذ الطفولة نحو السلوك المنحرف، مما ييسر لهم الولوع إلى السلوكات المنحرفة بكل بساطة، كما أن للبيئة الاجتماعية الداخلية للفرد دور رئيس في توجيهه تعلم السلوك المنحرف والارتقاء به نحو السلوك الإجرامي، إن المجتمع بأسره مسؤول عن وقوع الشباب في برائن الانحراف أو الإدمان، حيث تقع مسؤولية تنشئة هذا الجيل على مؤسساته أساسا، فالأسرة التي تعاني حالة من التوتر والمشاكل والمدرسة التي تنتشر فيها أساليب القوة والعنف في التعليم، هي بيئات تشعر الفرد بالظلم والضياع نتيجة إحساسه بفقدان المسؤولية والقيمة الاجتماعية، مما يؤدي به للانتقام باتخاذ مناخٍ منحرفة، وعلى المؤسسات الدينية والتربوية والاجتماعية دعم الشباب والاهتمام بهم والنهوض بطاقتهم وتوجيهها نحو خدمة المجتمع ونفعه، وتطوير ثقافتهم وإشغال أوقات فراغهم عبر تأمين ما يناسبهم من أعمال لأجل القضاء على البطالة، ومحاولة القضاء على الفقر وتحسين الأحوال المعيشية للأسر المحتاجة، لتحقيق لكل فرد حياة كريمة خالية من ضيق العيش الذي يشكل أجواء سلبية تقود الشباب للانحراف، ومحاولة القضاء على الجهل وإيجاد ظروف مناسبة وسليمة لمتابعة دراستهم، والانخراط باهتمامات وقيم سامية وغايات يعملون على تحقيقها، مما يبعدهم عن الانحراف وطرقه.

الجدول رقم (34): العلاقة بين قضاء الوقت في المنزل، وسن التعاطي أول مرة.

المجموع	19 سنة فما فوق	16-18 سنة	أقل من 15 سنة	سن التعاطي أول
				مرة قضاء الوقت في المنزل
28	06	15	07	مشاهدة التلفاز
%12.72	%07.89	%11.36	%58.33	
%85.90 189	68	%89.63 117	04	تصفح الأنترنت

		88.47%		33.33%	
03	02	00	01	المطالعة	
01.36%	02.63%	00.00%	08.33%		
100%	220	34.54% 76	60.00% 132	12	المجموع
			05.45%		

يقر أغلبية المبحوثين من خلال الإتجاه العام للجدول، أنهم يقضون أغلب أوقاتهم في المنزل في تصفح الانترنت 85.90%، ترتفع عند فئة المبحوثين الذين كان سنهم من 16 إلى 18 سنة عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات، بنسبة 89.63%، فيما جاءت نسبة 12.72% عند المبحوثين الذين أجابوا أنهم يقضون وقتهم في المنزل في مشاهدة التلفاز، ترتفع عند الذين كان سنهم أقل من 15 سنة عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات بنسبة 58.33%، وأخيرا سجلنا ما نسبته 01.36% عند المبحوثين الذين يقضون أغلب أوقاتهم في المطالعة، ترتفع عند أفراد العينة الذين كان سنهم أقل من 15 سنة عند تعاطيهم أول مرة للمخدرات بنسبة 08.33%.

ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، يتضح لنا جليا العلاقة الترابطية بين المتغيرين سن تعاطي أول مرة والوسائل الترفيهية التي يضيع فيها الأبناء أوقات فراغهم، خاصة مع تطور وانتشار الوسائل التكنولوجية الحديثة، ففي ماض ليس بالبعيد جدا وقبل أن تغزوا الفضائيات والشبكات العنكبوتية منازلنا، كان الأطفال والمراهقون والشباب يقضون أوقاتهم في اللعب والتسامر أو في الرياضة والمطالعة وحتى العمل، كانت تتسم شخصياتهم بالبراءة والحشمة ولا يكادون يفقهون شيئا عن الكثير من الأمور الخادشة للحياء، عكس ما هو الآن بسبب مشاهدتهم يوميا وبشكل مطرد نماذج منحرفة وأخرى تدعوا للانحراف تحت غطاء التفتح على العالم من خلال الوسائط الحديثة، فيدخلون عالم الجريمة والانحراف من بابه الواسع في سن مبكرة ويتعاطون المخدرات وغيرها من الموبقات.

وبناء على ذلك، تعد العولمة من أبرز التحديات التي تواجه الأسرة والمجتمع ككل، ونرى بأن الجانب السلبي لها يؤدي إلى القضاء على بنية الأسرة وهدمها ومحو خصوصياتها، إذ تكشف الملاحظات الواقعية تهافت الشباب نحو استعمال الإنترنت بجميع مواقعها التي تنشر نماذج مختلفة من الانحلال الأخلاقي، وتقليد الأطفال والشباب للممارسات غير الأخلاقية التي يشاهدونها وتعودهم عليها وعلى القيم الدينية والعادات الاجتماعية الغير سوية، هذا كله يؤثر على البناء الاجتماعي ويؤدي بالأسرة إلى التفكك والانحلال، وإلى المشاكل بين أفرادها وإلى سهولة تأثر أطفال الأسر المفككة والمصاحبين للأقران الفاسدين، الذين يقدمون على ارتكاب الجريمة والجنوح كمجموعة متعاونة لكل فرد فيها دوره الذي يكلف به، كمحاكات لما يشاهدونه عبر مختلف وسائل الإعلام المختلفة.

وبناء على ما سبق ذكره، نستنتج أننا أصبحنا في مرحلة استهداف المراهقين والشباب وذلك عن طريق التقنيات الحديثة ووسائل الإتصال الجماهيري، حتى صارت هذه الطرق تنافس الشيطان في غواية الشباب، إن الأسرة لم تعد كما كانت في الماضي من ناحية المسؤولية والعناية والتربية، ويتبين أن المشكلة الآن هي كيفية تشكيل سلوك المراهقين والشباب، خاصة أننا أصبحنا مندمجين مع التقنيات الحديثة ونقع تحت تأثير وسائل الدعاية والإعلان، التي تعمل على ترويج بضائعها بأي وسيلة دون مراعاة للقيم أو التقاليد، وننوه إلى أن الجيل الحالي يستهلك ما لا يحتاجه من أجل اللذة فقط والاستجابة للتيار السائد، حيث أن الثقافة السائدة هي ثقافة اللذة والمتعة والانحراف الأخلاقي، والتي تعمل بانفصال عن كل المرجعيات من دين أو أعراف أو تقاليد.

وفي نفس السياق، وعلى مدى عدة عقود من القرن الماضي، وقعت شرائح واسعة من الشباب فريسة لغول المخدرات الذي قضى على أعداد كبيرة منهم، ودفع بقيتهم الباقية إلى الانقطاع عن المجتمع وحرمانه من سواعدهم، وإذا كانت وسائل الإعلام قد حاولت طوال تلك الفترة التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، إلا أن الدراسات الاجتماعية كشفت خلال خطيرا في

معالجة هذه الوسائل لمشكلة الإدمان، بل إن بعض هذه الدراسات كشفت أن التلفزيون سواء العربي أو الأجنبي، لعب دورا بارزا في زيادة أعداد المدمنين، وتعليمهم مهارات جديدة في تعاطي المخدرات، وفنون الاختفاء عن أعين السلطات والمجتمع، والواقع أن سر الأزمة التي وقعت فيها القنوات التلفزيونية يعود إلى ازدواجية التي تعاني منها سياسات البث فيها، والنظرة الجزئية التي تتعامل بها مع مشكلة المخدرات، التي تقطعها في كثير من الأحيان عن جذورها النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وتقوم هذه الازدواجية على الفصل الحاد بين ما تقدمه البرامج المخصصة لمواجهة الإدمان، وبين البرامج ومواد البث الأخرى الموجهة إلى الجمهور العام، ففيما تقوم البرامج المخصصة لمواجهة الإدمان على شرح سلبيات تعاطي المخدرات على كافة الأصعدة وتقديم صورة سلبية عنها، فإن بقية البرامج -من حيث لا ندري- تقوم بدور عكسي إما بتقديم صورة مغرية للمدمن، أو بتعزيز الأسباب الدافعة إلى الإدمان.

وبناء على ما سبق ذكره، يزيد من التأثير السلبي لبرامج الشباب في التلفزيونات العربية أنها لا تقدم النماذج الجادة الصالحة لأن تكون قدوة، ولكنها تقدم النماذج الأكثر تأثرا بالسياق الاجتماعي الغربي، وهو السياق الذي أفرز كثيرا من حركات التمرد على الواقع بالانعزال عنه والبحث عن عالم جديد خيالي باستخدام أنواع المخدرات، أما الأعمال الدرامية من مسلسلات وأفلام ومسرحيات فقد شجعت على الإدمان بأكثر من وسيلة، وقدمت الإدمان في كثير من الأعمال كوسيلة للتغلب على المشكلات، فالبطل حين تواجهه مشكلة لا يقدر على التعامل معها يلجأ إلى (بار الخمر) أو (غرزة المخدرات) بدلا من اللجوء إلى الله أو استشارة أصحاب العقل، أنها تفرط في تصوير الحالة المزاجية السعيدة للمدمن بعد تعاطيه، بصورة تجعل كثيرا من الذين يتعرضون لضغوط الحياة يشعرون بأن هذا المخدر هو الوسيلة الوحيدة للتغلب على الآلام ومعاناتهم للانطلاق إلى عالم السعادة واللذة، وفي الكثير من الأفلام والمسلسلات يرتبط تعاطي المخدرات بجلسات الأُنس والمرح الغائبة عن الواقع، والتي يطمح أي مشاهد -حتى لو لم يكن مدمنًا- إلى أن يكون فيها لبعض الوقت، كذلك اقتران تعاطي المخدرات بممارسة الجنس

والإباحية في كثير من الأعمال الدرامية، وهو الأمر الذي يحفز كثيرا من الشباب إلى دخول عالمها لأنه دخول إلى عالم اللذة المحرمة بكل أنواعها، وكثير من الأفلام والمسلسلات تقدم المدمن في صورة بطل يتعاطف معه الجمهور إلى درجة التوحد، ولا تتعرض بالنقد الشديد لشخصيته المرتبكة نفسيا واجتماعيا، وقد يدفع هذا التوحد بالجمهور إلى سلوك مسلكه، ورغم أن كثيرا من الأعمال التي تعرضت لعالم المخدرات عاقبت في نهاية الأمر مدمن المخدرات، إلا أن هذه العقوبة بدت باهتة أمام ساعات المتعة والنشوة التي قدمتها للجمهور أثناء عملية التعاطي، وهو ما يجعل هذه العقوبة سريعة النسيان لدى المتلقي الذي يلتفت فقط إلى اللذة التي عاشها المدمن، وقليلة هي الأعمال التي ركزت بعمق على تصوير الآثار الاجتماعية والنفسية والعملية الخطيرة التي يتعرض لها المدمن، وقدمت حجم خسارة يفوق دقائق اللذة التي يشعر بها.

والأشد خطورة مما سبق، انتشار الأفلام والمسلسلات التي تصور مدمني المخدرات بأنهم ظرفاء وسعداء في حياتهم وهذا خلاف الواقع، في ظل غياب الوازع الديني ورقابة الأهل وتوعيتهم لأبنائهم، كما أن بعض الأعمال الدرامية قدمت للشباب وسائل مبتكرة للتغلب على رقابة الأهل ورقابة المجتمع والسلطات للحصول على جرعات المخدر وتعاطيه، وكثير من المدمنين ذكروا أنهم تعلموا فنون الهروب والاختفاء من أعمال درامية.

وعلى عكس ما سبق طرحه، فإن برامج التلفزيونات الجادة يتم إنتاجها بشكل رديء أو فقير بما يجعلها بعيدة عن ذوق الشباب، كما أن طبيعتها الوعظية والمباشرة تتنافى تماما مع طبيعة الشباب الذي يريد أن يشعر بذاته، ولا يروق له أن يسمع وعظا مباشرا، بما يجعل من هذه البرامج مادة لا يشاهدها إلا المتخصصون وحدهم، أما الشباب وهم جمهورها الأصلي في وادٍ آخر، الأمر الذي ينطبق بصورة خاصة على البرامج الدينية والصحية والعلمية والبرامج الاجتماعية وهذا، ما أكدته نتائج الجدول أعلاه.

وبالمقابل، للوسائل الترفيهية تأثيرات مباشرة على الاستجابات الانفعالية والاتجاهات والسلوك عند الشباب، فالفرد يتأثر متأثراً كبيراً ومباشراً بما يشاهده على الشاشة من أعمال العنف والسلوكيات السيئة والأساليب الإجرامية المتعددة خاصة المراهقين، فيبدؤون بتقليد وممارسة بعضها على الواقع، والبرامج التي يشاهدها الأطفال سواء كانت مخصصة لهم أو للكبار تسير خيالهم وتدفعهم في الغالب إلى التقليد وتقمص نماذج الشخصيات التي تمارس أشكال العنف والقسوة، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة نسبة جنوح الأحداث وانحراف الشباب، فانعدام الرقابة على وسائل الإعلام التي لها تأثير كبير على سلوكيات الأبناء تؤدي إلى نتائج وخيمة لا تحمد عقباه.

وفي سياق آخر، أصبحت غرف الدردشة على الانترنت اليوم بلا حدود أو قيود، نتج عنها الوقوع في الرذيلة والمعاصي والكذب والخيال والضياع، حيث يقع مرتادوها في مصيدة المفاهيم المغلوطة باسم العولمة، يدعمها غياب الرؤية الشاملة للحياة، والاعتماد على العاطفة التي تسير في المكان والزمان الخاطئ، ويتعامل الشباب مع الإنترنت بكثرة بسبب الخصائص التي ميزتها عن باقي وسائل الإتصال الأخرى، حيث استمالت طائفة من الناس غالبيتهم الكبرى شباب، المتفاوتون في السن والمهن والمستويات الدراسية والعلمية، فاندفاع الشباب نحو تلك المقاهي يعود لأسباب مختلفة، يأتي على رأسها الفراغ المعتاد في يومياتهم والفرار من الواقع خاصة مع ارتفاع نسبة البطالة، فيبحثون عن مكان يضيعون فيه وقت فراغهم، لكنهم قد يصادفون عبر فضائها الافتراضي نماذج مجهولة من المنحرفين والمجرمين الذين يسوقوهم عن جهل منهم إلى عالم الرذيلة والانحراف والتعاطي، فقد أثرت الوسائل التكنولوجية الحديثة على العلاقات الأسرية من خلال توسيع الفجوة بين أفرادها، وأثرت على آليات ممارسة الأسرة لدورها الرئيسي في التربية والتوجيه.

وفي الأخير، لا جدال في أن وسائل الإعلام والاتصال أسهمت بشكل كبير في تعزيز التواصل الاجتماعي، وتؤثر وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفزيون وفضائيات وسينما وصحف

ومجلات وكتب وإعلانات.... في عملية التنشئة الاجتماعية، لما تقدمه من معلومات وحقائق وأخبار ووقائع وأفكار وأراء لتحيط الناس علما بموضوعات معينة، مع إتاحة فرصة الترفيه والترويح عن النفس، ومع ذلك، فإن الاعتماد الدائم على تلك الوسائل بطريقة عشوائية وبدون رقابة، يجعلها مصدرا أساسيا لتصدير القيم المنحرفة للشباب مستغلة افتتانه بها، ومن ناحية أخرى، سوف تخلق جيلا من المراهقين فاقدين للقدرة على التواصل مع الآخرين، بعد أن أصبحت الدردشة عبر الشبكات تشكل القدر الأكبر من اهتمامهم على حساب التفاعل مع باقي أفراد الأسرة والمجتمع وقد أدى تطور التكنولوجيا وظهور الأجهزة الذكية المحمولة، إلى التأثير بشكل سلبي على العلاقات الاجتماعية والتنمية الاجتماعية للمراهقين والأطفال والبالغين على حد سواء، وبناء على ذلك، فإن الاستخدام الغير عقلائي للتكنولوجيا يمكن أن يتسبب في الترويج لنماذج منحرفة، تساهم بطريقة غير مباشرة وغير معلنة في القضاء على أجيال كثيرة، كان من المعول عليها أن تخدم المجتمع لا أن تهدمه، فخلال العقدين الأخيرين وبسبب التطورات العلمية والتقنية الهائلة، ودخول العالم في مرحلة العولمة كمنظومة ثقافية سياسية اقتصادية واجتماعية، تعكس تحالف القوى الرأسمالية العالمية العملاقة، تفاقمت أزمات الشباب أكثر فأكثر في البلدان النامية، حيث بات الشباب يعاني من أزمة مزدوجة متولدة عن الأزمات المتوارثة والمركبة القائمة أصلا، والتي تعكس ثقافة ومفاهيم مجتمعات أخرى غربية، تتحدث عن رفاهية خيالية بالنسبة لشباب البلدان الفقيرة مما يهدد الشباب بأزمات جديدة جراء المد العولمي.

إستنتاج الفرضية الثانية:

نستنتج من خلال نتائج تحليلنا للفرضية الثانية، التي مفادها بأن وجود نماذج منحرفة داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، على رأسها الأسرة والمؤسسات التربوية والإصلاحيات وكذا وسائل الإعلام، والإختلاط بجماعة رفاق السوء، قد يؤثر أو يساهم في انحراف واكتساب سلوك التعاطي عند الشباب، ويتجلى ذلك في:

- إن العيش في كنف أسرة يتواجد ضمنها مدمنون لا يشعر أفرادها بدفء العائلة ولا برباط ما يجمع شملهم، يسبب الشعور بالضجر والبؤس والحرمان، خاصة في ظل الحرمان من حنان وعطف ورعاية الوالدين.

- معاملة الأب القاسية وممارسة العنف مع الأبناء والأم أو الزوجة، بشتمها وتعنيفها تخلق في نفسية الأطفال حقدا وكرها لأبيهم، خاصة إذا كانت الأم منفصلة بدون طلاق عن الأب ولا تعمل ولا تملك دخلا معيناً تعتمد عليه في عيشها، مع عدم تولى الأب نفقات الأسرة، تحول هذه المعاملة الظالمة إلى كره دفين في أعماق الأطفال، وعندما تبلغ ذروتها وما أن تتهيأ الفرصة يكون رد الفعل الإنحراف والتعاطي.

- الاسترسال والمضي في طريق الانحراف أشواطاً أخرى، فليس المدمن هو الذي أدمن تعاطي المخدرات أو الخمر أو التدخين فقط، فالذي يدمن التحرش الجنسي، والألفاظ البذيئة، والتهاون في العبادات والتساهل في أحكام الشريعة، هو مدمن من نوع آخر، أي أن أزدل الأمور تصبح مع الإصرار والمداومة صفات ملازمة ولصيقة ومتحكمة بالشباب، مما يشكل فاتحة لعهد الانحراف الذي إذا لم تغلق بابه مبكراً دخلت منه الشرور كلها، فالانحراف عن طريق معين، قد يؤدي إلى الانحراف عن طريق آخر.

- إقامة علاقات غير مدروسة مع قرناء السوء، فإن الانحرافات التي تستتبع ذلك ستكون نتائج حتمية للإنحراف، ولو تتبعنا انحرافات بعض الشبان لرأيت إنها ابتدأت بانحراف واحد خلف صديق منحرف، ثم أهمل فتطور فجر إلى انحرافات أخرى.

- المحيط الأسري يجب أن يكون متماسك في كل مرحلة عمرية، لاسيما مرحلة سن الحداثة المرحلة التي تعتبر أساساً لبناء الشخصية، وتحدد السلوك في الحياة المستقبلية، خاصة وأنها تتزامن مع فترة المراهقة التي تعتبر مرحلة حساسة كونها فترة تغيرات في حياة الطفل أو الحدث حيث تتسع دائرة معاملاته ومجال الاختلاط لديه، فيحاول إسقاط ما يعيشه داخل أسرته في

سلوكياته وعلاقاته مع الآخرين سواء داخل أسرته أو مع أفراد مجتمعه، لذا لا بد من توفير جو أسري سليم، يكون النموذج الذي يقتدي به الطفل وينعكس في تصرفاته وسلوكياته، هذا الجو داخل الأسرة يجب أن يتوفر ويقوم على الحب والمودة والتماسك بين أفرادها،

- العامل المشترك الذي يربط بين العوامل المتعددة هو البعد الثقافي الديني والأخلاقي والقيمي فهو الذي يضمن حصانة الإنسان المعرفية والنفسية، التي تحبذ رفض فكرة التعاطي ونبذها وإبعادها عن خاطر، فبالرغم من صعوبة المشكلة بتعدد عواملها وتفاعلها إلا أن أكثر الطرق يسرا لحل المشكلة هو توظيف البعد الديني والأخلاقي، انطلاقا من تعاليم الدين التي تحرم استعمال الخمر والمخدرات، إلى الممارسات الدينية في دور العبادة التي تزيد مناعة الإنسان ضد مساوئ وأضرار المخدرات، وقد غاب في كثير من الأحوال عن أصحاب الاهتمام هذا البعد الديني والأخلاقي في تحديد ملامح استراتيجية الوقاية والعلاج، والتأكيد على إيلاء العامل الديني والأخلاقي الاهتمام وغرس القيم الدينية والأخلاقية الواقية من التورط في الانحراف وسوء استعمال المخدرات بوجه خاص.

- إذا كان الإنسان هو المستهدف من سوء المخدرات وهو المقصد أيضا والوسيلة لحمايته منها، فإنه يمكن احتواء المشكلة والتقليل من أضرارها، وإذا ما تأملنا في العوامل والظروف التي تقود إلى إنتشار الظاهرة وتوزعها الإجتماعي، لوجدناها لا تختلف كثيرا عن العوامل والظروف السيئة التي يعاني منها الفرد في ثنايا عملية التنشئة الإجتماعية، تلك العملية التي يفترض أن يمتص الفرد من خلالها القيم والمثل العليا والعادات والتقاليد والأعراف التي يرتضيها الدين والمجتمع، ويتعلم أنماط السلوك المقبول في المجتمع، فالعوامل غير المؤاتية في نشأة الفرد والمحيطه بظروفه الإجتماعية والأسرية والإقتصادية والعملية قد تدفع إلى الإنحراف والإدمان والجريمة.

- تعد الجماعة نقطة مرجعية مهمة في حياة الفرد تتوزع السلطة فيها بين الأفراد، والرفاق في فترة المراهقة تلعب دورا هاما في تشكيل شخصية المراهق، وإذا ما انتشرت تعاطي المخدرات بين الشباب في جماعة معينة، فمن المرجح أن ينتشر تعاطيها بين بقية أفراد الجماعة بسبب الضغط الإجتماعي الذي يمارس من الجماعة على أفرادها وإغراءات رفقاء السوء، فلكي يكون مقبولا بين الجماعة يجب أن يسايرهم في عاداتهم واتجاهاتهم، فالجرعات الأولى من العقاقير التي تسبب الإدمان لا تأتي عن طريق المصادفة بل تكون بعد علم مسبق ورغبة في الإستطلاع عن آثارها ومن العوامل السببية للإدمان كذلك أن يكون الأب نفسه مدمنا، فيشب الأبناء على هذه العادة السيئة. قد تؤدي حوادث عارضة إلى الإرتداء في براثن الإدمان، ووجود أفراد متعاطين داخل الأسرة لن يكونوا قدوة حسنة لأولادهم، بالتالي نقول أن المحيط الأسري يلعب دورا هاما في ضبط سلوكيات الفرد وتشكيل طباعه، فهو ينعكس على شخصية الفرد ويساهم بشكل كبير في صوغ أخلاقياته وميوله النفسية والثقافية والاجتماعية. فعندما ينشأ الفرد على اتجاهات وسلوكيات سلبية، بوجود أفراد متعاطين للمخدرات داخل الأسرة خاصة من قبل ربه المسؤول الأول على عملية التربية يتعرض فيها الفرد إلى مخاطر الجنوح والافتداء بهذا السلوك.

الفصل الثامن

الفرضية الثالثة

المبحث الأول: الجانب الإقتصادي وعلاقته بالإنحراف وسلوك التعاطي

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي وعلاقته بالإنحراف وسلوك التعاطي

المبحث الثالث: الجانب النفسي وعلاقته بالإنحراف وسلوك التعاطي

إستنتاج الفرضية الثالثة

الإستنتاج العام

الخاتمة

المراجع

الملاحق

تساهم عوامل إقتصادية، إجتماعية ونفسية في ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب.

تتضافر عوامل كثيرة تدفع بالشباب إلى الانحراف، وتصنف عادة إلى عدة أقسام منها العوامل الاقتصادية، النفسية، والإجتماعية، عكف العديد من الباحثين على دراستها مجتمعة باعتبارها تتكامل في تكوين شخصية المنحرف، ويأتي هذا التداخل أو يبرز في هذه المجموعات الرئيسية التي يمكن تناولها بالتحليل والمناقشة من خلال هذا الفصل.

وتبعاً لعرض بعض خصائص الانحراف وتعاطي المخدرات خلال الفصول والمباحث السابقة أمكن الخروج بخلاصة، أن الانحراف والتعاطي كلاهما سلوك مضاد لقواعد المجتمع ومعاييره وحسب طبيعة الحياة الإقتصادية والاجتماعية والنفسية فإن السلوك يتعلم انطلاقاً من البسيط إلى المعقد، ولا تتلخص محاولة تعاطي المخدرات عند الشباب في مجرد الرغبة في التجربة، بل هناك عوامل نفسية وجسدية واجتماعية تدفع إلى تجربة المخدرات، والوصول للاعتماد الكامل عليها، كما للظروف الاقتصادية والاجتماعية أثر في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد وفي إعدادة لتكوينه النفسي والاجتماعي، ومن خلال هذا العرض سوف يتم التعرف على ماهية تلك الظروف التي نشأ فيها هؤلاء المبحوثين، وقياسها من خلال متغيرات ومؤشرات تدل عليها، وبالتالي الكشف عن أثرها في تبنيهم لهذا السلوك المنحرف، حيث أن هذه المتغيرات تلعب دوراً مهماً في تحديد شكل ومضمون سلوك الأفراد، وتؤثر بشكل كبير على مستوى إشباع حاجاتهم الإقتصادية، النفسية والإجتماعية¹.

وفي هذا السياق، سنحاول الكشف عن أسباب الإنحراف عند الشباب من خلال التعرف على مختلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تعيشها أسرهم، والتي قد تكون

¹ - مجمد الصيرفي، مرجع سابق، ص 129.

سببا في تعرضهم للانحراف والتعاطي، إلى جانب التعرف على الحالة النفسية لهم باعتبارهم يمرون بفترات وحالات نفسية متناقضة وغامضة في بعض الأحيان، والتي قد تكون دافعا للانحراف والإدمان.

المبحث الأول: الجانب الاقتصادي وعلاقته بالانحراف وسلوك التعاطي:

تتعدد عوامل وأسباب الإنحراف وعلى رأسها العوامل الإقتصادية، حيث تدفع بعض الأسر بأبنائها إلى براثن الإنحراف والتعاطي، بعيدا عن الرعاية والمتابعة بسبب الظروف المعيشية التي يواجهونها، مما يفتح أمام الأبناء أبوابا واسعة للقيام بالأعمال والسلوكيات الطائشة والمتهورة والانغماس في الشذوذ الأخلاقي والاجتماعي.

وهناك عوامل ترتبط بحاجات الفرد، والمقصود بها الحاجة إلى أشياء أساسية كي يحيا حياة كريمة وسوية، فكثيرا ما تؤدي مشاعر الإحباط واليأس وخيبة الأمل نتيجة الفقر والعوز والحاجة، وأحيانا شح الوالدين وبخلهما وتقديرهما بالمصروف على أبنائهم، إلى انحراف الشباب واتباع السلوكيات السيئة، مثل السرقة لشراء ما يسد حاجتهم من المستلزمات الضرورية.

وقبل تحليل الدور الذي تلعبه حاجة الفرد الإقتصادية إلى دفعه لارتكاب سلوك منحرف يحتاج الأمر إلى معالجة الحاجات الإنسانية وعرض مختلف تقسيماتها، حيث تشير الحاجة إلى شعور الكائن الحي بالافتقار إلى شيء ما، ويستخدم مفهوم الحاجة للدلالة على الحالة التي يصل إليها الكائن نتيجة حرمانه من شيء معين، وهي تعبير على نقطة البداية لإثارة دافعية الكائن الحي وتحفيزه في الاتجاه الذي يحقق إشباعها¹، وهي تعبير عن استعداد أو حالة داخلية دائمة أو مؤقتة تثير السلوك الظاهر والباطن في ظروف معينة حتى ينتهي إلى غاية معينة².

¹ - عبد اللطيف محمد خليفة، الدافعية للإنجاز، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص 78.

² - فرج طه، الشخصية ومبادئ علم النفس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979، ص 53.

ويؤكد العلماء والباحثون على وجوب معرفة الآباء والمربين لهذه الحاجات، حتى يتمكنوا من توفير المناخ الصحي الملائم الذي يساعد الطفل على تفتح طاقاته حتى يتوازن وينتظم في حاجات حياته المتعددة، ذلك أن قوة الحاجة التي تكمن وراء أي جزء نوعي من السلوك، تصبغه بصبغة انفعالية تصاحب خبرات الشخص الأولى¹.

الجدول رقم (35): العلاقة بين الدخل الأسري، وتلبية الدخل للحاجيات الأسرية.

المجموع	80000 فما فوق	70000-50000	الدخل الأسري		تلبية الدخل للحاجيات
			40000-20000	00	
19	08	11	00.00%	00	نعم
08.63%	88.88%	25.58%			
201	01	32	100%	168	لا
91.36%	11.11%	74.41%			
220	09	43	76.36%	168	المجموع
100%	04.09%	19.54%			

تكمن أهمية متغير دخل الأسرة في أنه يصف لنا الحالة الاقتصادية لها، حيث يكشف لنا المستوى المعيشي للمبحوثين ومدى تأثيره على ظهور سلوك التعاطي لديهم، فنلاحظ أن الإتجاه العام كان عند الفئة التي صرحت أن دخلهم لا يلبي حاجياتهم الأساسية بنسبة 91.36%، يرتفع عند المبحوثين الذين يتراوح دخلهم الأسري ما بين 20.000 إلى 40.000 دج، بنسبة 100%، تقابلها نسبة 08.63% عند الفئة التي صرحت أن دخلهم الأسري يلبي احتياجاتهم الأساسية، ترتفع عند المبحوثين الذين دخلهم الأسري أكثر من 80.000 دج بنسبة 88.88%.

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه، أن الأغلبية الساحقة من أفراد العينة ينتمون إلى أسر ضعيفة الدخل، والتي لا محالة تكون عاجزة عن تلبية حاجياتهم المطلوبة، ويعزز ذلك العجز اختلاف أحجام هذه الأسر واختلاف أعبائها المادية ومتطلباتها الكثيرة، وكنتيجة لذلك، فإن

1- كمال دسوقي، النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت، 1997، ص.123

معظم هذه الأسر يتأثر أبناءها من نتائج تلك الحاجة المادية وضغوط الحياة الباهظة، وقد نتج ذلك بسبب التغيرات الاقتصادية الحاصلة، خاصة الأزمات التي شهدتها مجتمعنا وظهور فوارق إجتماعية كبيرة، وتزايد مستمر لعدد الفئات المحرومة حتى من أدنى الحاجات الضرورية، مما عرضها إلى الضياع نتيجة صراعها الدائم من أجل اللحاق بركب الطبقة الغنية أو المرتاحة ماديا التي تتباهى بثرائها بكل المظاهر، هذا، في الوقت الذي لم يتحمل فيه بعض أبناء الأسر المحرومة اتساع عمق الفجوة بينهم وبين أبناء الميسورين ماديا، فقد أصبحت الأسر ذات المستوى المعيشي المتدني تشكل بابا واسعا لسقوط أفرادها في بئر الإنحراف والتعاطي، فهم يفتقرون لوسائل العيش الكريم ولأسباب الراحة، والمراهقين والشباب هم الفئة الأكثر عرضة للتوجه نحو الإنحراف بصفة عامة كنتيجة لعدم إشباع رغباتهم وحاجاتهم.

ومن جهة أخرى، فإن تراجع الوضع الاقتصادي للأسرة بسبب الإدمان يؤدي في بعض الأحيان إلى ضعف الاهتمام بتعليم أبنائهم وقد يصل لسوء التغذية، وقد يتم ترك الأبناء ليكونوا معيّلين لأنفسهم في الوقت الذي يجب على الآباء التواجد معهم، لذلك يتعرضون لسرقة طفولتهم ويجبرون على أن يكونوا أكبر من أعمارهم الحقيقية، وأغلبية المبحوثين يعانون من الحرمان للأسرة التي حاولت وسهرت على ضمان احتياجاتهم في صغرهم بإمكانياتها المتواضعة، اليوم أصبحت عاجزة عن توفير رغباتهم التي هي في تزايد مستمر وهم في هذه السن، وكنتيجة لذلك يتحتم عليهم تلبيتها بأنفسهم، وما أصعب ذلك خاصة وأن معظمهم بطالين، وعند عجزهم واقتناعهم بأن الأسرة غير قادرة على ذلك، يجدون أنفسهم يواجهون واقعا يحاولون الفرار منه من خلال انتهاج سلوكيات إنتقامية، ويبحثون عن السبل الغير المشروعة والغير معترف بها اجتماعيا لتحسين مستواهم المادي، من خلال التقرب من المخدرات والمتاجرة بها حتى يقعون في تعاطيها.

وبناء على ما سبق طرحه، فالقصور في إشباع احتياجات الأفراد داخل الأسرة، يجعل الأبواب مغلقة في وجوههم، مما يجعل الحافز يضعف ويتلاشى عندهم، وبضياع الحافز والهدف

الطموح فهم يحفزون بحافز اليأس والملل وعدم الثقة والقلق من المستقبل، فالظروف الاقتصادية السيئة التي تتجسد لنا في هذه الحالة لها تأثير كبير في بروز سلوك التعاطي، ذلك أن مشكلة الفقر ومرارة العيش وانخفاض المرتبات وغلاء المعيشة، كلها عوامل تكون أسبابا لتعاطي المخدرات كشكل من أشكال الانحرافات التي يلجأ إليها الفرد للهروب من واقعه المعاش، حيث بينت نتائج بعض الدراسات التي أجريت على الإدمان وتعاطي المخدرات، أنها ظاهرة منتشرة أكثر على مستوى الطبقات الكادحة وبعض الطبقات المتوسطة، وتعميم هذه النتيجة ممكن لأن الطبقات الكادحة ذات الدخل المتدني لا يمكنها تلبية حاجياتها الاجتماعية والاقتصادية، مما يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس والعلاقات الاجتماعية حتى داخل العائلة نفسها، ونتيجة لضغوطات هذا العصر فإن الطموحات تكون عالية في أن يعيش الفرد عيشا كريما، لكن إذا عايش العكس فإن القلق والتوتر سيكونان من ضمن النتائج الطبيعية التي سترتب عليها الكثير من النتائج السلبية¹.

وفي سياق الموضوع، يلفت الانتباه إلى أن مشاكل الشباب والأسر التي تؤدي إلى الإنحراف والتعاطي، تعود إلى تراجع النفقات وتدهور القدرة الشرائية نتيجة ارتفاع تكاليف وأسعار جل المواد الأساسية والخدمات، ويقصد بالقدرة الشرائية مقدار السلع والخدمات التي يمكن اقتناءها من خلال الراتب الشهري أو الدخل الفردي، الذي تبين من خلال نتائج الجدول أنه ضعيف ولا يسمح بالعيش الكريم لهم، وفي هذا الإطار، فإن تكاليف المعيشة ارتفعت بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة وتراجعت معه القدرة الشرائية، واستبدل النمط الاستهلاكي العائلي وحتى العادات الاجتماعية تغيرت بسبب ارتفاع الأسعار وتراجع قيمة الدينار، ويشار إلا أن الدخل الشهري لأسر المبحوثين لا يكفي ليس بسبب زيادة الطلبات، بل يعود إلى ارتفاع أسعار نفس النفقات والحاجيات العائلية بطريقة مستطردة، فالنفقات والطلبات العائلية تمثل الحد الأدنى

¹- قازان عبد الله، إدمان المخدرات والتفكك الأسري، دراسة سوسيوولوجية، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص99.

من المتطلبات الأساسية، كالتعليم والتبضع وتكاليف إيجار المسكن وكلفة التنقل...إلخ، ولا وجود لحاجيات الترفيه كالخروج إلى المطاعم أو التنزه خارج مقر الإقامة.

وفي ذات السياق، وبسبب غلاء الأسعار وتراجع القدرة الشرائية، الراتب بات لا يصمد لنهاية الشهر، وهذا ما يحمل المبحوثين وأسرهم أوزار معيشة ثقيلة، أنهكت جيوبهم المكوية بغلاء الأسعار، قابلتها ندرة في المواد واسعة الاستهلاك، ما يجعل العائلات تدخر كما في الماضي، ومن ادخر أنفق ما عنده لمواجهة الغلاء وتراجع القدرة الشرائية، التي تضاعفت لمستويات جعلت التفاؤل يبدو غائبا عن المبحوثين الذين تركت فيهم الأزمة أثارا يصعب محوها، كان نتائجها ولوجهم إلى عالم الإنحراف والجريمة والتعاطي، حيث صرح أحد المبحوثين أن كل شيء زاد سعره إلا كرامتنا رخصت، وتختزل هذه الكلمات الظروف الصعبة في رحلة البحث عن القوت في ضل غلاء المعيشة، ورغم غنى الجزائر من ناحية أموالها وقدراتها الطبيعية والبشرية، إلا أنها بالمقابل عاجزة نوعا ما عن تأمين أسواقها وضمان العيش الكريم الذي يقي شبابنا من الوقوع في حبال الإنحراف والإجرام، في مشهد لم يكن أشد المتشائمين بحاضر ومستقبل الجزائر يتوقعه، وبات ملف غلاء المعيشة وتدهور المستوى الاقتصادي للأسر ملفا سياسيا، ومادة إعلامية وموضوع الساعة حتى على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث يبدأ الجزائري يومه بطابور الحليب، ثم طابور مركز البريد، ثم ينتقل لطابور البطاطا ثم الزيت ثم الخبز...إلخ، وتمضي الحياة في التنقل والانتظار من طابور إلى طابور، ومن المؤسف أن الجزائر بلد نفطي وزراعي وصناعي، وفوق كل ذلك تزخر بنسبة كبيرة جدا من الطاقات الشابة.

ونستنتج من خلال ما سبق، أن الأسر تبحث عن بصيص أمل في نفق الأزمات ويخشون أن يستمر ذلك، حيث يؤثر تأثيرا مباشرا على انحراف الأبناء المحرومين من كل ما يتمنونه، وقد يصل الحرمان حتى من أساسيات العيش الكريم، كل شيء زاد سعره ومداخيل العائلات تراجعت والشباب يعاني البطالة والحرمان من فرص العمل، والحكومة تتحدث عن مشاريع تنموية، لكن

ماذا تفعل الأسر الهشة بالمشاريع وهي لا تجد ما تأكله، ويأمل أن يتعافى المستوى المعيشي من خلال تحسين القدرة الشرائية ورفع الرواتب وخلق مناصب شغل....، فالعائلات تتحمل تبعات الركود الاقتصادي لوحدها على كل الأصعدة، في بلد مساحته بحجم قارة أو بحجم 10 دول أوروبية مع مداخيل نفطية وغازية معتبرة، تسمح بالعيش أحسن مما هو عليه الحال اليوم ويعود ذلك إلى تأثير عدة عوامل ناتجة عن انعكاسات الأزمة الصحية، وأزمة الطاقة الدولية المرتبطة بالصراعات الدولية، والتضخم، وعدم ضبط التجارة الخارجية... إلخ، مما أدى إلى تدهور أوضاع معيشة فئات واسعة من المجتمع الجزائري، ويعني ارتفاع معدلات التضخم زيادة أسعار السلع والبضائع والخدمات، كالمواد الغذائية الأساسية ووسائل النقل، والطاقة والخدمات وغيرها، ما يؤدي إلى رفع تكلفة المعيشة وتدهور القدرة الشرائية.

وختاما لما سبق طرحه، فإنه في ظل ارتفاع الأسعار وهشاشة الوضع المعيشي للعائلات قد أدى ذلك إلى تغيير مسّ جوانب كثيرة من أنماط وأسلوب الحياة، واستبدال الكثير من العادات الاجتماعية، وهذا لا يضعف القدرة الشرائية فحسب، بل الاقتصاد بكامله، القائم على الإنفاق والاستهلاك العائلي، فالحياة باتت أكثر صعوبة ومتعبة نتيجة ارتفاع أسعار الغذاء والإيجار والنقل... إلخ، ورفع نسبة الأجور من حين لآخر لا تؤدي بشكل ملوس إلى تحسن في القدرة الشرائية، بل العكس، تراجعت بشكل هائل، يتقرر في كنفها التكيف وتغيير العادات والاستغناء على بعض المتطلبات التي كانت تعد أساسية من قبل، شملت النمط المعيشي والغذائي الاستهلاكي اليومي للتأقلم مع الأوضاع الراهنة، والذي يمثل مخرجا من الوضع الصعب الذي يعيشونه، فالراتب الشهري بات لا يغطي حتى النفقات الأساسية، وباتت الكثير من الأسر تعتمد على مساعدة الأقارب والأهل أو الاستدانة من أجل الصمود أكثر، ويرجع الخبراء سبب ذلك إلى انعكاسات التحولات الاقتصادية والاجتماعية خلال ثلاث عقود الأخيرة، والانتقال من الاقتصاد المركزي إلى اقتصاد السوق، وما ترتب عنه من فقدان الآلاف من مناصب العمل القارة، وبداية الألفية التي شهدت تفاوتات كبيرا بين الفئات المجتمعية من الوسط الجغرافي والسكاني الواحد

دون إمكانية فهم ميكانزمات التفاوت، كل تلك التدايعات التي تم شرحها بالتفصيل، تؤدي إلى هدر الطاقات الشابة ودخولها في حالة اكتئاب والخوف من مستقبل مهم، لا يمكنها العيش براحة أو التفكير في الزواج وبناء أسر، وكحل للهروب من هذا الواقع المرير يلجؤون إلى المهلوسات والمخدرات لنسيان ما يمكن نسيانه ولو مؤقتاً، والدخول في حالة النشوة والسعادة ولو كانت مزيفة.

الجدول رقم (36): العلاقة بين الحالة المهنية، وتلبية الدخل الأسري للحاجيات.

المجموع	لا	نعم	تلبية الدخل الأسري للحاجيات الحالة المهنية	
			نعم	لا
35	24	11	57.89%	15.90%
71	66	05	26.31%	32.27%
08	07	01	05.26%	03.63%
106	104	02	10.52%	48.18%
220	201	19	89.09%	100%

من خلال معطيات الجدول أعلاه، الذي يربط علاقة الحالة المهنية بتلبية الدخل الأسري للحاجيات الأساسية، سجلنا نسبة 48.18% من البطالين الذين يرون أن الدخل الأسري ضعيف وغير كاف لتلبية الاحتياجات الأساسية 51.74%، وسجلنا نسبة 32.27% عند العمال الغير قارين الذين يرون أن الدخل الأسري غير كاف لتلبية الاحتياجات الأساسية 32.83%، في حين سجلنا نسبة 15.90% من الموظفين في مناصب قارة الذين يرون أن الدخل الأسري مناسب ويكفي لتلبية الاحتياجات الأساسية 57.89%، وفي الأخير سجلنا نسبة 03.63% عند المبحوثين الذين لا يزالون طلبة أو متربصين الذين يرون أن الدخل الأسري كاف لتلبية الاحتياجات الأساسية 05.26%.

تتحمل مؤسسة الأسرة في قلب العديد من الأحداث والضغوطات مسؤولية إقتصادية أخلاقية واجتماعية إتجاه أبنائها وخاصة في مراحل حياتهم الأولى، ولعل مفهوم " الاحتياجات المادية والإقتصادية " وجه من أوجه هذه المقاربة، ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، نستنتج أن ضعف المستوى المعيشي والبطالة والتفرغ عند المبحوثين الغير مؤهلين الذين يتجاهلون أهمية التعليم في تغذية العقل، أو هوايات أخرى التي يمكن أن تكون سببا في صلاحهم، والذين يعيشون في كنف أسر لا تكاد تلبى تغذية أجسامهم من مأكّل وملبس، وضمنان احتياجاتهم الأساسية بالنظر إلى معدلات دخلها الضئيلة التي تواجه بها الغلاء المذهل للمعيشة، يساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في توجيههم إلى تعاطي السموم، ويمكن القول، أن أفراد الأسر الذين يعانون من شبح البطالة ويعانون من مستوى معيشي منخفض، الذي يتجلى في عدم التمكن من توفير وسائل العيش الكريم لحياة أفضل، والافتقار لأساليب الترفيه والراحة، هم أكثر عرضة للتوجه نحو الانحراف نتيجة لعدم إشباع رغباتهم بعيش متعة الحياة الرفيعة التي لا يرونها إلا في الأفلام والأحلام.

وتعد البطالة مشكلة اقتصادية، كما هي مشكلة نفسية، واجتماعية، وأمنية، وسياسية وجيل الشباب هو جيل العمل والإنتاج، لأنه جيل القوة والطاقة والمهارة والخبرة، فالشباب يفكر في بناء أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية بالاعتماد على نفسه من خلال العمل والإنتاج، لا سيما ذوي الكفاءات والخريجين الذين أمضوا الشطر المهم من حياتهم في الدراسة والتخصص واكتساب الخبرات العملية، ويعاني الكثير من الشباب في الجزائر من البطالة بسبب نقص التأهيل وعدم توافر الخبرات لديهم، بسبب تدني مستوى تعليمهم وإعدادهم من قبل حكوماتهم أو أولياء أمورهم أو أنفسهم، وبالتالي يعانون من الفقر والحاجة والحرمان، وتخلف أوضاعهم الصحية، أو تأخرهم عن الزواج وتكوين الأسرة، أو عجزهم عن تحمل مسؤولية أسرهم.

ونتيجة لما سبق طرحه، فإن للبطالة كظاهرة إقتصادية آثارها السيئة من كل النواحي فنجد نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل يفتقدون إلى تقدير الذات ويشعرون بالفشل وأنهم أقل من غيرهم، كما أن نسبة كبيرة منهم يسيطر عليهم الملل ويقظتهم العقلية والجسمية منخفضة، ومن ناحية أخرى، تعيق البطالة عملية النمو النفسي بالنسبة للشباب الذين ما زالوا في تلك المرحلة، كما أن القلق والكآبة وعدم الاستقرار يزداد بين العاطلين أكثر من غيرهم، بل يمتد هذا التأثير النفسي على حالة المحيطين بهم، وينعكس سلبا على العلاقة بالوالدين أو الإخوة أو الزوجة أو الأبناء..... ونتيجة لذلك، تتزايد المشاكل العائلية، ويقدم البعض من الشباب الذين يفتقدون الوازع الديني والأخلاقي والإجتماعي على الإنحراف وشرب الخمر وتعاطي المخدرات، ونتيجة للتوتر النفسي بسبب العجز عن تلبية الحاجيات الإقتصادية، تزداد نسبة الجريمة كالسرقة والاعتداء وحتى القتل بين هؤلاء العاطلين، كطريقة غير مشروعة لعيش حياة يعتقدونها مشروعة.

وفي سياق متصل، ومن مشاكل البطالة أيضا، تفاقم المشكلات الإجتماعية التي تصل إلى حد الهجرة وترك الأهل والأوطان، أو الإنتقام من المجتمع بشتى الأساليب وبصور مختلفة، أبرزها الانحراف والشذوذ الإجتماعي والتمرد على المجتمع وقوانينه، فتعطيل الطاقة الجسدية للشباب الممتلئ قوة وحيوية التي لا يجدون المجال لتصريفها بسبب الفراغ، يؤدي إلى أن ترتد عليهم لتهدمهم نفسيا مسببة لهم مشاكل كثيرة، والسبب الأساس في كل هذه المشاكل بين العاطلين عن العمل هو الافتقار إلى المال وعدم توافره لسد الحاجة، وتتحول البطالة في كثير من بلدان العالم على غرار الجزائر إلى مشاكل أساسية معقدة، قد تطيح ببعض الحكومات، فحالات التظاهر والعنف والانتقام توجه ضدها، فهم المسئولون في نظرهم عن مشكلة البطالة والفقر الذي يعيشونه وأهلهم، ويا لها من فرصة ثمينة ومربحة لمروجي السموم والمخدرات لتقتات على أولئك المهمشين المحرومين الناقمين على وضعهم المزري، مانحين لهم فرصة عيش لحظات من النشوة

والسعادة ونسيان واقعهم المر، فيزدادون غرقا وفقرا وإدمانا ويزداد المروجون للمخدرات غنى ورفاهية.

ومن جانب آخر، فقد حلل الإسلام مشكلة الحاجة المادية والبطالة تحليلا اقتصاديا ماديا كما حللها تحليلا اجتماعيا ونفسيا، ومن ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "إن النفس إذا أحرزت قوتها استقرت"، وهذا ما يكشف بطريقة تحليلية العلاقة بين الجانب الاجتماعي والنفسي عند الإنسان، وبين توافر حاجاته المادية وأثرها في الاستقرار والطمأنينة، وأن الحاجة والفقر يسببان الكآبة والقلق وعدم الراحة، وما يتبع ذلك من مشاكل إجتماعية ونفسية وصحية معقدة، وبما أن البطالة هي السبب الأول في الفقر والحاجة والحرمان، دعا الإسلام إلى العمل وكره الكسل والفراغ في أكثر من سورة وأكثر من حديث، بل أوجب العمل من أجل توفير الحاجات الضرورية للفرد، وكل ذلك يوفر لجيل الشباب وعيا لقيمة العمل وفهما عميقا لأخطار البطالة، مما يدعوهم إلى توفير الكفاية المادية والكرامة الشخصية بالعمل والإنتاج والابتعاد عن البطالة والكسل، ومن الأسباب التي تدفع الشباب إلى العمل المساعدة في مصروف الأسرة والاستقلال الاقتصادي، ولكن في كثير من الأحيان نجد العديد من الشباب ينفرون من العمل لأسباب غير مقنعة تنم عن عدم الرضى، مثل تدني الأجر أو أن العمل يتطلب مجهودا كبيرا، أو طول ساعات العمل، وغيرها من الأسباب والمبررات التي يبتدعونها لتبرير سبب امتناعهم ورفضهم للعمل، بيد أنه من أولى مستلزمات العمل في عصرنا الحاضر هو التأهيل الحرفي والمهني واكتساب الخبرات العملية، فالعمل يملأ الفراغ وينقذ الشباب من الأزمات النفسية والانحراف، ويلبي له طموحه في توفير السعادة وبناء المستقبل.

وبناء على ما سبق، فقد أصبحت طبيعة المستوى المعيشي اليوم متغيرة بسرعة أكثر من أي وقت مضى، مما يترتب عنها الضغط الأسري الذي بات يهدد صحة الشباب، ولا يوجد اختلاف على أن الضغط الأسري يصدر من التفاعل بين طموحاتهم وظروفهم المعيشية، وهذا ما

ذهبت إليه نتائج الجدول، وباعتبار مؤسسة الأسرة نظام إجتماعي يقوم على التفاعل بين أفرادها، فمن الطبيعي أن ينشأ من خلال تفاعلات العديد من مسببات الضغوط النفسية لاختلاف الطباع والشخصيات والدوافع والأهداف الفردية، وما يمكن أن يشكل ضغطا بالنسبة لفرد ما لا يعتبر كذلك للآخر، وبالرغم من أهمية الفروق الفردية التي لا ينبغي أن نتجاهلها، فإن الواقع الإقتصادي والإجتماعي يوحي بأن بعض ظروف الحياة تعد عوامل ضاغطة لأغلب الأفراد ذلك أن هذه العوامل تعد من بين أهم مصادر ضغوط الحياة، تشمل أحدهما عوامل ومتغيرات لها علاقة ببيئة الأفراد، والأخرى متغيرات ذات علاقة بشخصية الأفراد، التي تختلف من حيث أبعادها من فرد لآخر، بحيث ينشأ الضغط الإجتماعي من تفاعل قوي بين تلك المتغيرات ومدى استجابة الفرد لها.

وفي الختام، فإن عجز المجتمع عن توفير فرص عمل للشباب، يترتب عليه مواقف سلبية تقف عقبة في طريق صلاحه، ومن ثم سخطه على المجتمع، ناهيك عن حالات الانحراف والتفكك وتعاطي المخدرات، لذلك يتوجب زيادة الاهتمام والوعي بمشاكل تشغيل الشباب، لاسيما من واقع الاعتراف المتزايد بحجم مشاكل البطالة وأبعادها التي تتطلب أنماطا متميزة من التدابير العلاجية وتوسيع الرؤية لدور الشباب ومهامهم في حل المشاكل التي تخصهم، وهو أمر أساسي وهام لا يجوز تجاهله، فالشباب ليس مجرد يد عاملة في سوق العمل، وإنما ينبغي التوقف طويلا عند دوره في الحياة العامة، وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على أن الحل الأمثل لمشاكل الشباب بما في ذلك توفير فرص العمل لهم، يبدأ من خلال مشاركتهم واندماجهم في عملية التنمية على كل الأصعدة، فالشباب قوة اقتصادية جبارة ينتجون بسواعدهم وبجهدهم الذهني، ويساهمون في بناء صرح الوطن وضمنان قوته الاقتصادية، ودورهم في التنمية الشاملة أساسي ومحوري من أجل ضمان النجاح والتقدم الاقتصادي والتنموي أيضا، والفقر ليس بالضرورة يكون العامل الرئيسي في التأثير على العلاقات الأسرية وأسلوب التعامل مع أفراد المجتمع، ولكن يكون عامل خطر على الأبناء الذين قد لا يحصلون على احتياجاتهم الأساسية، وهذا أيضا يحصل لدى الأسر

الغنية التي قد تدلل أبناءها مع عدم مراقبتها لتصرفاتهم، وقد يكون الاتجار بالمخدرات بسبب مصاعب الحياة وطلباً للكسب السريع والثراء الفاحش، حيث يشكل الفقر وعدم تساوي الفرص والظلم الإجتماعي، أهم العوامل التي تدفع الشباب إلى البحث عن طرائق غير مقبولة اجتماعياً (الإتجار بالمخدرات) لتحقيق أهداف مقبولة اجتماعياً مثل الثراء.

الجدول رقم (37): العلاقة بين تقديم الأسرة للمصرف الشخصي، والحالة المهنية.

المجموع	بطل	طالب-متربص	عامل	موظف	الحالة المهنية	
					تقديم المصرف الشخصي	دائماً
13 %05.90	13 %05.90	33 %20.62	00 %00.00	00 %00.00		دائماً
47 %21.36	47 %21.36	45 %28.12	00 %00.00	00 %00.00		أحياناً
160 %72.72	160 %2.72	78 %48.75	39 %82.97	35 %53.84		أبداً
220 %100	106 %08.18	08 %56.36	71 %20.45	35 %15.00		المجموع

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، سجلنا ما نسبته 72.72 % عند الإجابة بأن الأسرة لا تقدم مصروفاً شخصياً أبداً، ترتفع عند المبحوثين الموظفين والعاملين الذين لديهم مصدر دخل بنسبة 100%، تقابلها نسبة 21.36% عند المبحوثين الذين تقدم لهم أسرهم أحياناً مصروفاً شخصياً، ترتفع عند البطالين بنسبة 34.90%، في حين سجلنا نسبة 05.90% عند المبحوثين الذين أجابوا بأن الأسرة تقدم لهم مصروفهم الشخصي، ترتفع عند المبحوثين الذين لا زالوا طلاباً أو متربصين بنسبة 87.50%.

من خلال معطيات الجدول أعلاه، يتبين لنا أن أغلبية المبحوثين تقريبا لا توفر لهم عائلاتهم مصروفهم الشخصي، خاصة عند الموظفين أو العاملين بسبب استقلالهم المادي، وحتى عند البطالين والطلبة الذين ليس لهم استقلال مادي، وذلك يعود إلى تدني مستوى دخلها، إذن فالقصور في إشباع احتياجاتهم داخل الأسرة يجعلهم أكثر عرضة للانحراف وتعاطي المخدرات نتيجة لما يتعرضون له من حرمان وإهمال كبير، بسبب الظروف المعيشية القاسية التي تتجسد لنا في هذه الحالة في عدم تمكن أسر هؤلاء المبحوثين من تلبية احتياجاتهم وتوفير مصروف يقيمهم إخراج العوز والحاجة، ولذلك تأثير كبير في بروز سلوك التعاطي كأحد أنواع الانحرافات التي يلجأ إليها الشباب بسبب عدم تلبية رغباتهم، ونتيجة للضغوطات التي يعيشونها في ظل الحرمان، وقد تكون تلك الظروف الاقتصادية السيئة سبب رسوبهم وعدم تمكنهم من مواصلة دراستهم لعجز أسرهم عن تحمل النفقات المدرسية، وكل تلك الأمور وغيرها أدت بهم إلى طريق الانحراف.

وبناء على ما سبق طرحه، فإن أعدادا كبيرة من الشباب تحاصرهم مشكلة البطالة يقابلها عجز أسرهم عن توفير المال الكافي لتلبية احتياجاتهم الأساسية، وذلك يرهقهم اجتماعيا ونفسيا واقتصاديا، ويرغمهم على أن يكونوا فريسة للفراغ، وبالتالي يدخلون عالم العنف والجريمة، فحلهم الحصول على وظيفة بات يتبخر أمام عوائق كثيرة تقف حجر عثرة في طريقهم مما يؤدي بهم إلى سلوكيات غريبة عنهم أوجدتها إحيابات الواقع، ولأن البطالة ناقوس خطر يندربانتشار الانحراف والعنف بين فئة الشباب العاطلين، فمن الضروري الانتباه لها والعمل على حلها، حتى لا تتفشى الجريمة في المجتمع ويصبح من الصعب السيطرة عليها، فسنوات من الانتظار تكون كفيلا بأن تقلب حياة الشباب الذين أتعبهم الفراغ ونالت منهم الإحيابات والقلق حيث تحدث تغيرات جذرية على شخصيتهم، فيصبحون أشخاصا آخرين نتيجة انعدام فرص يستطيعون من خلالها تحقيق طموحاتهم واستغلال طاقاتهم، فينطلق حماسهم وشغفهم ويتحول إلى ضغوط ويئس وعدوانية، بل أكثر من ذلك يصبحون يميلون لمصادقة الأشخاص السيئين لدرجة أنهم يدمنون على المخدرات، فحرمانهم من العمل والفراغ الذي يتخبطون فيه

يدفعهم أيضا لأن يسلكوا طرقا تبرر العنف وتمهد له، حتى يصبحون غرياء عن كل من حولهم فالبطالة دمرت أحلامهم وجعلتهم عنيفين مع محيطهم، يعيشون على الهامش بدون هدف فينطون على أنفسهم مستسلمين للأفكار السلبية المؤدية للاحتراف والعنف، والانسحاق وراء تصرفات عدوانية تتسبب غالبا في خلق مشاجرات مع أسرهم والمحيطين بهم، الذين يستهجنون أفعالهم غير اللائقة وعصبيتهم التي لا تحتمل، ونتيجة لذلك يختارون الانسحاب من تلك الحياة الاجتماعية فقد أزهقت أحلامهم على قارعة الطريق وباتوا فرائس للعنف والعدائية والتعاطي والسبب هو انعدام فرص عمل يستطيعون من خلالها إعالة أنفسهم ومساعدة غيرهم.

ويرى الأخصائيون الاجتماعيون والنفسانيون أن فترة الحياة المزدهرة بالنسبة للإنسان هي فترة الشباب، فإذا لم يستطع خلالها أن يحقق ذاته ويوفر دخلا يساعده في تكوين أسرته الجديدة للحصول على متطلبات العيش بشكلها الآمن، سيشعر بالإحباط ويمكن أن يتحول إلى مشارك سلبى خطر، مما يعني أن يكون أكثر تطرفا وتوترا، ويضيفون أن هذا الشاب قد يلجأ للمخدرات والعنف وبالتالي يتحول من عامل بناء إلى عامل هدم، لأن الحياة التي حلم بها أو التي يفترض أن يصبح قادرا على تحقيقها ليس لها وجود، وقد يحمل الأسرة والمجتمع مسؤولية ذلك مما يؤدي إلى تدميره للقواعد والأنظمة والقوانين التي وقفت أمام وصوله، خصوصا إذا شعر بمسؤولية على عاتقه كأن يسدد دينا ما عليه أو أن عليه واجبا لمساعدة عائلته... إلخ، مما قد يحوله إلى قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي وقت، تؤثر على الهيكل الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ككل.

كما يرى الأخصائيون النفسانيون أيضا، أن الفراغ بحد ذاته حاله غير سوية عند الشباب خصوصا العاطلين عن العمل، الأمر الذي يشعرهم بالإحباط واسوداد الدنيا أمامهم، مما ينعكس سلبا على نفسياتهم ويؤدي إلى سهولة اختراقهم بالفكر أو بالجرائم أو بالمخدرات، ويؤكدون على ضرورة إدراك خطورة البطالة، وضرورة وجود مؤسسات تكفلهم وتعمل على تشغيلهم

بأشكال مختلفة حتى يستطيعوا على الأقل أن يمارسوا حياتهم اليومية بحيوية ونشاط، لافتين إلى أن البطالة قد تؤدي بدورها إلى تشكيل "جماعات تخريبية"، لذلك ينبغي إيجاد استراتيجيات وحلول للتعامل مع هذه الفئة ودمجهم إجتماعيا، كما أن البطالة تعد من أكبر الأخطار التي تهدد حياة الشباب وتؤثر على توافقهم النفسي والاجتماعي، وتؤدي في حالات كثيرة إلى حدوث اضطرابات نفسية وشخصية لديهم، مما يؤدي إلى اعتلال في صحتهم النفسية وتكوين سلوكيات واتجاهات سلبية تجاه المجتمع، وتظهر حالة الاكتئاب لديهم وتتفاقم باستمرار مما يؤدي إلى الانعزالية والانسحاب، وبات موضوع الآثار الناجمة عن البطالة يشد انتباه الباحثين ويلفت نظرهم إلى ما يترتب عنه من أوضاع اقتصادية كانت أو اجتماعية أو ثقافية أو نفسية أو سياسية وبطبيعة الحال، فإن هذه التأثيرات المترتبة تتفاوت ليس فقط من حيث الزمان والمكان وكم ونوع البطالة، وإنما أيضا من حيث حدتها ودرجة إلحاحها، وتشكل سببا رئيسا لمعظم الأمراض الاجتماعية في أي مجتمع، كما أنها تمثل تهديدا واضحا للاستقرار الاجتماعي والسياسي، فهي بمعناها الواسع لا تعني فقط حرمان الشخص من مصدر معيشته، وإنما تعني أيضا حرمانه من الشعور بجدوى وجوده،

وختاما لما سبق طرحه، وجب على مؤسسات المجتمع العمل على إيجاد بدائل تغطي وقت الفراغ لدى الشباب، من خلال برامج هادفة تستثمر طاقاتهم وتؤدي إلى تحقيق أهدافهم وأهداف المجتمع، من خلال مشاريع صغيرة ومتوسطة تدر دخلا عليهم وتكفيهم حاجة الطلب من الأهل، كما يقع على الأهل والأسرة دورا كبيرا في توفير بيئة إيجابية تساعد الشباب في استثمار طاقاتهم وانتهاج طريق الصلاح.

الجدول رقم (38): العلاقة بين نوع السكن، ونوع الحي.

المجموع	بيت قصديري	شقة	بيت تقليدي	فيلا	نوع السكن نوع الحي

شعبي	39	62.90%	120	75.94%	00	00.00%	159	72.27%	159	02.27%
عادي	21	33.87%	38	24.05%	00	00.00%	59	26.81%	59	26.81%
راقي	02	03.22	00	00.00%	00	00.00%	02	00.90%	02	00.90%
المجموع	62	8.18%	158	81.00%	00	00.00%	220	100.00%	220	100.00%

من خلال قراءتنا لنسب الجدول أعلاه، سجلنا 72.27% من أفراد العينة الذين صرحوا أنهم يعيشون في حي شعبي، ترتفع عند الإجابة بأن نوع السكن شقة 92.14%، في حين سجلنا نسبة 22.27% عند الإجابة أنهم يقطنون حيا عاديا، ترتفع عند الإجابات أن نوع السكن عبارة عن منزل تقليدي 63.04%، وفي الأخير سجلنا نسبة 05.45% عند الإجابات أن نوع الحي راقى ترتفع عند الإجابات أن نوع السكن فيلا 100%.

لقد شهدت المدن عدة تغيرات على الصعيد الاجتماعي، الإقتصادي، السياسي والثقافي تزامنت مع التدفق العفوي عليها، مما أدى إلى حدوث عدم التوازن وخلل في البنية الاجتماعية التي عجزت عن القيام بوظائفها أمام الازدياد المستمر لحاجيات الأفراد من سكن وصحة وعمل.....إلخ، مما أدى إلى ظهور عدة مشاكل ومظاهر سيئة، أهمها ارتفاع معدلات الإنحراف وبالأخص تعاطي الممنوعات بسبب التكديس السكاني في المدن على حساب عملية التحضر.

ويعتبر السكن هو الحاجة الأساسية الملحة والضرورية لاستقرار أي إنسان، ويعتبر الموقع الجغرافي للمسكن ونوعه العامل الأساسي الذي يتم من خلاله تحديد باقي الأمور، فمن المعلوم أن السكن في المناطق النائية والريفية أرخص معيشيا من السكن في مركز المدينة، حيث أن الخدمات في مراكز المدن أكثر غلاء من كافة النواحي، ويلجأ الكثير من الناس الذين لا يملكون منزلا إلى الإيجار، والإيجارات في المدن الكبرى تكلف مبالغ عالية وخيالية مقارنة مع معدل الدخل الفردي.

ونلاحظ من خلال نتائج الجدول، أن أغلبية المبحوثين يعيشون داخل مسكن ضيق مهما كان انتماءهم الجغرافي (شعبي أو عادي)، وأعلى نسبة من المبحوثين يعيشون داخل شقة في عمارة والتي تصل إلى 59.09%، تليها نسبة 25.45% من من يعيشون في منزل تقليدي، ونجد نسبة 10.00% من من يعيشون في بيت فوضوي، وفي الأخير نسبة ضئيلة جدا ممن يعيشون داخل فيلا 05.45%، ولفهم هذه النتائج أكثر، نحاول قراءتها من خلال مقارنة مكان الإقامة بنوع الحي ويتضح لنا جليا من خلال معطيات الجدول دائما، أن الظروف المهيأة للانحراف والمتعلقة بالعوامل الاقتصادية قد تتصل بكثافة السكان، نوع الحي والسكن، مستوى المعيشة... الخ وبناء على ذلك، يساهم البيت والحي في تشكيل شخصية الإنسان ويلعب دورا في تفعيل روح المشاركة والانتماء للأفراد، كما له أهمية كبيرة في بناء المجتمع وعلى الخصوص فئة الأطفال، وقد بينت عدة دراسات أن العديد من الأحياء لا تعطي هذا الجانب حقه الكافي، نظرا لغياب بعض العناصر المهمة في بناء الأحياء السكنية التي يجب توفرها للتنمية المتوازنة للأفراد، حيث من المهم تطوير أحياء صديقة لأن ذلك سيؤدي في الأخير إلى تكوين مجتمع أفضل.

ونلاحظ أنه غالبا ما يكون الجنوح في هذا النوع من الأحياء والسكنات، نتيجة الإتصال والإختلاط ببعض المنحرفين والإستعمال السيئ لوقت الفراغ، والإشكال المطروح أن الجنوح الخفي لا يظهر عند الجهات الرسمية، أي لا يظهر في الإحصائيات الرسمية، وهذا ما يثير الرعب والخوف في نفوس المواطنين الذين أصبحوا يعيشون حالة من اللأمن، إلى درجة أنهم لا يجروؤون على إخراج هواتفهم المحمولة في الشارع أو أن تضع النساء المجوهرات، والإمساك جيدا بالحقائب وإخراج محفظة النقود بحذر شديد خوفا من سرقتها، إلى جانب التدابير المتخذة في الحياة اليومية وفي المنازل، مثل تغطية الأسوار وتأمينها وتركيب الأبواب والنوافذ الحديدية ووضع كمرات المراقبة وحراسة السيارات، وحتى المساجد لم تسلم من هذه الظاهرة.

وترتفع ظاهرة انحراف الشباب في الجزائر في المجتمع الحضري الذي يتميز بكثافة سكانية معتبرة، كما تتميز العلاقة بين سكانها بقلّة التماسك وكثيرة التفاعل والإتصال والتعقيد والتباين وشدة الحراك الإجتماعي، وبخاصة في الأحياء الشعبية، بالرغم من أن المجتمع الريفي الجزائري يمثل أعلى نسبة من مجموع السكان، وكما سبق لنا وأن وضحنا، تساهم البيئة الجغرافية التي يقطن بها الفرد في تزويده ببعض القيم والإتجاهات والعادات والمعايير السلوكية، التي يتضمنها الإطار الإجتماعي الذي يميز تلك البيئة، والتفاعل العاطفي والظروف الجغرافية تؤدي دورا حاسما في تحديد ميول الجنوح لدى الأفراد، وهذا نتيجة للتغيرات الإجتماعية الحاصلة فيها بفعل عدة عوامل، وما جلبته الصناعة من مظاهر التفكك الإجتماعي داخل المدينة، كالصراع القائم بين المستويات الحضرية، واختلاف الأفراد وضعف الروابط الإجتماعية بينهم، واختلاف الثقافات وتباين المعتقدات، ذلك أن الروابط في الأسرة الريفية لا تزال قوية ولا تزال الجماعة تتحكم في سلوك الأفراد، ففي مؤسسة فعالة في مراقبة وضبط سلوك كل فرد فيها حفاظا على شرفها وسمعتها.

ومن جهة أخرى، فقد ساهم التكديس السكاني في المدن إلى الاكتظاظ داخل السكنات مقارنة بعدد أفرادها، مما أدى إلى نفور الأحداث والشباب منها وتفضيل البقاء في الشارع بعيدا عن الرعاية والرقابة الأسرية، ومع وجود نقص كبير في مرافق الترفيه والرياضة ومراكز التسلية التي لها دور هام في امتصاص الطاقة الزائدة وبناء شخصية الأحداث والشباب، تسبب ذلك الفراغ في الاحتكاك وإقامة علاقات مع الأصدقاء المنحرفين، الشيء الذي جعل الأحداث والشباب يسلكون بعض السلوكيات المنحرفة بالتدرج، كالتدخين واستهلاك المخدرات والكحول والسرقة وتكوين جماعات أشرار... إلخ، ونستنتج من خلال ذلك، أن المسكن يلعب دورا واضحا في تماسك الأسرة أو تفككها، وذلك من حيث مكانه ومحيطه أو من حيث اتساعه أو ضيقه، فالمساكن المتسعة التي يجد فيها أفراد الأسرة فرصا للتجمع والترويح، تحقق كثيرا من الراحة النفسية وتدعم الروابط والعلاقات بين أفرادها، بخلاف المساكن الضيقة، فإنها تدفع أفراد الأسرة إلى

قضاء وقت كبير خارج المنزل، مما يضعف من علاقات أفرادها بعضهم ببعض، وكذلك قد تتيح الفرص أمام الأبناء لألوان من الترويح الخارجي الذي قد يأخذ منحى غير سوى، مما يترتب عنه اندفاعهم واندماجهم في مجالات منحرفة كثيرة.

وما يمكن قوله عن طابع البيئة الشعبية بصفة عامة، أنها تتميز بالازدحام والفقر، تنقصها الكثير من المقومات التي تجعل الفرد يعيش أو يحس بالأمان فيها، حيث نجد أطرافها تتميز بانحطاط المستوى من الناحيتين الطبيعية والاجتماعية، فمن الناحية العمرانية تتميز بالشوارع الضيقة الغير مخططة والغير ممهدة، منازلها قديمة وبعضها آيلة للسقوط، مكتظة بعدد يفوق طاقتها من السكان، كما أنها لا تتمتع إلا بقسط ضئيل من الحدائق والمساحات ووسائل الراحة الحديثة، ناهيك عن القذارة المنتشرة في كل مكان، أما من الناحية الاجتماعية، فهي تتميز بفقر سكانها وتفشي الرذيلة والجريمة وسوء الخلق، وبالتالي اضطراب الحياة الأسرية والاجتماعية فيها بالإضافة إلى انتشار التسكع والبطالة بداخلها، كل هذه الظروف تجعل هذا النوع من الأحياء يوفر فرص مهيأة لارتكاب الجريمة وموقع استقطاب لها، حيث يتوافد الجانحون والمتعاطون عموماً إليها من كل الجهات، مما يزيد من احتمالات إنزلاق الأشخاص الذين يعيشون فيها في مهاوي الانحدار الخلقي وتبني سلوك التعاطي، وما يقال عن الأحياء الشعبية يقال بدرجة أكبر عن الأحياء القصدية أو الفوضوية، تلك الأحياء التي تعتبر أكبر مرتع لكل أنواع وأشكال الإنحرافات والجريمة بدون منازع.

وقد أكد الكثير من العلماء الذين عالجوا موضوع الانحراف والتعاطي على الدور الكبير الذي يلعبه الحي الفاسد في تنشئة الفرد، لأن الإنسان يلاحظ أن نظامه الاجتماعي يعين له منذ ولادته نفس الفرص سواء كي يكون لصاً أو عالماً¹، وعليه، فإن الوسط أو الحي الفاسد الذي

¹ - مغربي عبد الغاني، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تر: محمد شرين بن دالي حسين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص203.

ينتمون إليه له أثر كبير ومباشر في إمكانية انحرافهم وتعاطيهم للمخدرات، ومن خلال محاولة تشخيص عناصر الحي الفاسد وتحديد معالمه التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتكوين السلوك الإجرامي، فإن الحي الفقير والمزدحم بسكانه تشيع فيه الرذائل الإجتماعية، والذي أصبح فيه السرقة ومزاولة الدعارة والقمار عملا من أعمال العيش، ويسكنه عصابات الجريمة وكأنهم أفراد عاديين، وهو محيط مغلق يفصله عن المجتمع الكبير فوارق إجتماعية واضحة وهو يعيش على هامشه، الحي الذي يترك الشباب في حالة ضياع تام لا يحسنون استخدام أوقاتهم في حالات كثيرة، وبالرجوع إلى الحالة الواضحة للوحدات السكنية المتواجدة في بعض الأحياء الشعبية بالمدن، يتبين للعيان الوضع السيئ والخطير لبعض المناطق التي تعتبر مناطق تفريخ للانحراف والجنوح، أيضا البناءات والأحياء الفوضوية الغير قانونية، التي تزايدت أعدادها بشكل مدهش بحواف المدن الكبرى والمتوسطة، خاصة في فترة الثمانينات، كل هذه الظروف أصبح عاملا هاما للانحراف واكتساب سلوك التعاطي.

وبالرجوع إلى بيانات الجدول، يظهر لنا جليا أن أغلبية المبحوثين المتعاطين يعيشون داخل شقق في عمارة، وقد يؤثر هذا النوع من السكن في ظهور السلوك المنحرف، ذلك أنه من الشائع أو غالبا ما تتكون من غرفتين إلى أربع غرف ضيقة كحد أقصى، تحوي عددا كبيرا من الأفراد لا يسمح لهم باستئثار غرف منفردة لمساحة من الخصوصية، مما يدفعهم إلى مغادرة المنزل والغياب عنه لفترات طويلة، ويقتصر حضورهم أحيانا على أوقات الأكل والنوم، مما يجعل علاقتهم بأفراد العائلة تتقلص بالأخص مع الوالدين فيصبحون مغتربين فيها، وبهذا تتحول الأسرة من فضاء اجتماعي يمنح الفرد الأمان والراحة والاستقرار النفسي ومراقبة سلوكه وتوجيهه، إلى فضاء محدود مليء بالمشاحنات وسوء العلاقات، مما يدفع الفرد للبحث عن فضاء آخر يعوضه، ولكن قد يصادف خلال رحلة بحثه فضاءات ألعن وأقسى مثل فضاء الانحراف والمخدرات.

وكما وضحنا سابقا، فإن المسكن الضيق المزدحم قد يخلق نزاعات وضغوطات تدفع إلى النفور بين أفراد العائلة، وتلك المشاكل والصراعات إذا ما استمرت تهدد استقرار الفرد وتؤدي إلى تفاقم الشعور بالإحباط عنده، فينتابه نوع من الاضطراب وتتأزم وضعيته النفسية، مما يضطره إلى قضاء معظم وقته خارج المنزل، ليستقبله الشارع أو أماكن أخرى كالملاهي والنوادي وغيرها، وبدون شك يسهم ذلك كثيرا في ارتفاع نسبة وقوعه في مشكلة الإلتقاء بالمواد المخدرة وهو ما يقوي عنده الرغبة في التعاطي والإدمان.

وفي سياق متصل، فقد شهدت الأسر ظهور سلوكات جديدة متأثرة بقيم حديثة أنتجتها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل المدن، وهو ما حدث من خلال التمدن الذي طال مجتمعنا، فيتضح لنا أن العوامل المختلفة التي تميز مكان الإقامة والتوزيع الجغرافي ونوعية المسكن تتضافر وتتشابك فيما بينها، قد تهيئ للأفراد انتهاج سلوك التعاطي والانحراف، فالعيش في مسكن صغير في الغالب لا يتسع إلا لزوجين وعدد ضئيل جدا من الأبناء، غير ملائم ولا يتناسب لا صحيا ولا اجتماعيا مع حجم الأسرة الجزائرية التي تعرف عموما بكثرة عدد أفرادها.

وفي الأخير وانطلاقا مما سبق، يتضح لنا جليا أن نوع السكن والمحيط يمكن أن يساعد على انتشار ظاهرة الإنحراف وترويج المخدرات، باعتبار أن السكن أحد الحاجيات الأساسية للإنسان، فهو يقدم المأوى ويضفي على الحياة الطمأنينة والأمان، وعامل مؤثر في الصحة النفسية والجسدية والاجتماعية... وقد عرف ميدان السكن اختلالا توازنيا كبيرا بين النمو الديموغرافي السريع وبين نمو البناءات السكنية، فمعظم الأسر تعيش ظروفًا خطيرة نتيجة الضيق والإختلاط والاكتملاظ، الذي له أثر كبير على ظهور السلوك الإنحرافي للشباب، وقد توفر ظروفًا من شأنها أن تقذف بالأبناء إلى الشارع دون رقيب ولا حسيب، تنتظرهم فيه مختلف الآفات الاجتماعية في مقدمتها آفة المخدرات، وهناك علاقة طردية بين نمو المدن وارتفاع معدلات الإنحراف في المناطق المعروفة بالفقر وانتشار الأمراض والجرائم، التي تنقصها وسائل المحافظة

على التنظيم الإجتماعي، وبالخصوص عند فئة المراهقين والشباب، الذين كانوا سيكولوجيا أسوياء لكنهم انخرطوا في سلوكيات منحرفة، تحت تأثير الظروف السائدة في المنطقة التي يعيشون فيها، حيث تزود المناطق التي ترتفع فيها نسبة الإجرام والإنحراف الشباب والمراهقين بظروف ومواقف تساعد على تكوين السلوك المنحرف أو تقود إلى ارتكابه، حيث تشكل هذه المناطق المناخ الملائم لإقامة بعض المجرمين الذين عرفوا بتاريخ إجرامي طويل، فالمجرم الجديد غالبا ما يحاول الإقتداء بمثل إجرامي جانح.

الجدول رقم (39): العلاقة بين قضاء أكثر الأوقات، وعدد الغرف.

المجموع	الشارع	أماكن الترفيه والرياضة	المنزل	قضاء أكثر الأوقات	
				عدد الغرف	عدد الغرف
43 19.54%	43 19.54%	21 11.86%	22 51.16%	غرفتان	
77 35.00%	77 35.00%	67 37.85%	10 23.25%	3-4 غرف	
100 45.45%	96 45.45%	89 50.28%	11 25.58%	5 غرف فما فوق	
220 100%	175 100%	18 80.45%	27 19.54%	المجموع	

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه، أن فئة المبحوثين الذين أجابوا أن عدد الغرف في منازلهم لا تتعدى الغرفتان 35.00%، ترتفع عند الذين صرحوا بأنهم يقضون أكثر أوقات فراغهم

في الشوارع 84.41%، وبالمقابل سجلنا نسبة 60.00% عند الذين أجابوا أن عدد الغرف في منازلهم بين 3 إلى 4 غرف، ترتفع عند الذين يقضون معظم أوقاتهم في الشوارع 82.57%، في حين سجلنا نسبة 05.00% عند الذين أجابوا أن عدد الغرف في منازلهم من 05 غرف فما فوق ترتفع عند الذين يقضون معظم أوقاتهم في المنزل 72.72%.

إن للشارع أثر كبير في حياة الأفراد، فهو مكمل لدور الأسرة في التوجيه، فقد يكون الشارع داعما لما تقدمه الأسرة من سلوكات سليمة، وقد يكون هادما لما يحمله من علاقات التأثير والتأثير بين الأفراد بعضهم ببعض، ويعود ذلك إلى طبيعة الشارع من حيث مستواه الاقتصادي والاجتماعي، فعندما يكون هذين المستويين متدهورين تسوده سلوكيات ينبذها المجتمع، مما يعود بالسلب على الأفراد.

ويتبين لنا من خلال نتائج الجدول، أن أغلبية المبحوثين المتعاطين يقضون معظم أوقات فراغهم في الشارع، مما يدل على نقص أو عدم توفر أماكن الترفيه الصالحة التي تمتص طاقتهم في المناطق التي يسكنون فيها، خاصة وأن معظم المبحوثين لا يتعدى عدد غرف منازلهم الغرفتين (02) إلى ثلاث غرف (03)، كما تبين من خلال معطيات الجدول أعلاه، وبالمقابل معظم الأسر عدد أفرادها كبير، مما يولد الازدحام والملل الذي يعود إلى ما يحدث بداخله من صراعات، فهذا الأخير لا يوفر لهم أسباب الراحة الكاملة، وبالتالي ضجر الأفراد من ذلك المناخ يدفعهم لمغادرته للالتحاق بالشارع لأوقات طويلة ومتأخرة، يضاف إلى ذلك، اتساع وقت فراغهم الذي يقضونه في التكاثر والتسكع بين الطرقات كون أغليتهم بطالين، وهذا ما يبرئ الفرصة للالتقاء برفقاء السوء الذين يؤثرون عليهم بالسلب، وغالبا ما تكون بعض الأماكن فيها تشجيع على السكر والتدخين وممارسة الموبقات.

كما تبين نتائج الجدول أيضا، أن أغلبية المبحوثين يقضون وقت فراغهم في الشارع بغض النظر عن مساحة مساكنهم وعدد غرفها، ويمكن تفسير ذلك بطبيعة المجتمع الجزائري الذي

يخص الشارع بالذكور عكس الإناث، ليمثل البيت المجتمع النسائي والشارع المجتمع الرجالي وبقية المبحوثين الذين يفضلون البقاء في البيت غالبا ما تمثل فئة العاملين، حيث يستغلون وقت فراغهم للاجتماع مع أفراد عائلتهم بعد ساعات العمل المتعبة، وبناءا على ذلك، يتضح لنا أن الشارع يعتبر البيئة الثانية للشباب التي تؤثر عليهم سواء بالسلب أو بالإيجاب، فقد تعوضهم مشاعر الحرمان العاطفي وعدم التقبل واختفاء الإحساس بالأمن داخل أسرهم، وذلك من خلال الاحتكاك بالجماعات الإيجابية والصالحة المتواجدة فيه، أو قد يؤدي في بعض الحالات إلى معايشة أصدقاء السوء، مما يؤدي إلى تعلم سلوكيات منحرفة كتعاطي المخدرات، والمشكل الذي يواجهه الكثير من المراهقين والشباب لا يتمثل فقط في فشلهم في الاستمرار في الدراسة والتعليم وفي إيجاد عمل، وإنما نقص وسائل الترفيه واستثمار وقت الفراغ بشكل مشكلا جديا أيضا، وقد خلصت بعض الأبحاث المقارنة بأن نقص وسائل الترفيه وبالتالي الشعور بالملل يعد عاملا مؤديا إلى الجنوح والانحراف، والمناطق التي تتوفر على الوسائل التربوية الترفيهية تجذب الصغار والشباب وبالتالي يكونون أقل توجهها إلى الجنوح والانحراف.

ويمكن القول، أن المبحوثين الذين انصرفوا نتيجة الظروف المادية السيئة التي من بينها ضيق مساحة البيت التي لا تتسع غالبا لحجم أسرهم، والتي أرهقها الفقر وجعلها غير قادرة على توفير رقعة أكبر ليعيش أفرادها في أمان وراحة، ينتابهم القلق واليأس، خاصة وأن وقت فراغهم كبير، فيتوجهون إلى الشارع أين يكتسبون سلوكيات سلبية باعتبار أن الحي الذي يعيش فيه الفرد يعد عاملا قويا في تكوين شخصيته وأسلوبه، فإذا كان يعيش في حي راقى وهادئ يتواجد بجواره أفراد ملتزمين ومحترمين، فعندها سيتربى على تربيتهم وسيصبح إنسانا محترما، ولكن وللأسف فإن مثل هذه الأحياء تتواجد في مناطق قليلة ومتفرقة، فقد أصبحنا في عالم تسوده المناطق الشعبية أكثر، وهذا بسبب إهمال الحكومة لمثل تلك المناطق، وهذا تصرف خاطئ سيؤدي إلى ظهور الكثير من المناطق العشوائية، التي سوف تنتج وتفرخ الكثير من الفاسدين

الذين يضررون المجتمع والذين سينجبون بدورهم الكثير من الأبناء على نفس شاكلتهم وبنفس خاصيتهم وسينتشرون في المجتمع كله ويفسدونه، لذلك يتوجب الحذر جدا من هذه الشريحة.

ومن المعروف أن البيئة تسهم في تكوين شخصية قاطنيها، ولها تأثيراتها على المجتمع بشكل كامل، فمن يسكن مناطق الريف وبين المزارع، غير الذي يسكن المناطق الساحلية، وكذلك الأمر بالنسبة لمن يسكن الصحراء أو الجبال وفي السهول، كما أن الساكن في شقة في بناية، غير الذي يسكن في حي شعبي وغير الذي يقطن في فيلا حديثة، كل هذه المؤثرات تترك في النفس عوامل مختلفة من السلوك والتصرف والتفكير، ولا شك أن اختيار السكن يخضع لجملة من العوامل النفسية والاجتماعية، إلا أنه يكون في معظم الأحيان تبعاً للحالة الاقتصادية، فالأسر الفقيرة ذات الدخل المحدود وعدد أفرادها كبير تضطر إلى اختيار سكن يناسب دخلها المادي، فلا عجب إن سمعنا عن الكثير من الأسر التي تعيش في سكن واحد صغير، هذه الاختيارات الإجبارية أحيانا أو الاختيارية تترك آثارها على الفرد، ومنها العامل النفسي الذي يظل مؤثرا ويترك انطباعات مختلفة، فبطبيعة الحال وكما سبق لنا وأن وضحنا، فإن السكن والبيئة يلعبان دورا كبيرا في تكوين الحالة النفسية للأفراد وتأثيرات كبيرة على الأسرة، فمن أهم مميزات تقارب بيوت العائلة الواحدة سابقا والتي تشكل نمطا خاصا من السلوك والتعامل، قوة ومتانة العلاقة بين أفرادها التي يكون أساسها الألفة والمحبة والتآزر، الصغير يحترم الكبير والكبير يرعى الصغير، حيث يجتمع أفراد الأسرة أثناء تناول الطعام وفي أوقات الراحة، وجميع سكان الحي من جيران يعتبرون أسرة واحدة، فهم يتبادلون الزيارات وأطباق الحلوى والمأكولات، وهذا التجسيد يعبر عن صدق المودة القائمة بينهم وعن الرحمة بين قلوبهم، على غرار القاطنين في المناطق الريفية، فمن يسكن في مكان معين لا بد أن يتأثر بهذا المكان، وتصبح له عاداته وتقاليده وتفكيره الخاص به، ولكنه وللأسف الشديد لم يبقى شيء مما سبق ذكره في الآونة الأخيرة في الكثير من المدن والأرياف على حد سواء، حيث تأثرت هي الأخرى بالمتغيرات التي مست المدن ولو بشكل أقل حدة عنها، حيث تفككت العائلات الكبيرة إلى أسر نووية صغيرة وانتقلت إلى سكن مستقل ومريح، ومع هذا

الانتقال تغيرت الكثير من الطباع في النفوس، فزيارات الأهل والأقارب قلت إن لم تختف نهائيا تتبادل التهاني بالهواتف وعبر الإيميلات، ومن يسكن في بناية لا يعرف جاره ولا يأبه له حتى وإن أصابه مكروه، وغيرها من المظاهر والسلوكيات المستحدثة، ونستخلص من كل ما تم طرحه أن السكن حقيقة مؤثر في حياتنا وسلوكنا وأيضا في سلوك أبنائنا، فاليوم يعيش أبناء بعض الأسر دون رقيب ولا حسيب، التي تكون هي الأخرى منشغلة بأمورها الخاصة، لذلك فالتربية منشأها البيت، والفساد قد يصدر من البيت أيضا.

وفي الأخير، نستخلص أنه من يسكن الأحياء الشعبية والأحياء الفوضوية غير الذي يسكن الفلل والمساكن الفارهة، فالتفكير مختلف والطباع أيضا تكون مختلفة، ومعروف أن ذلك يؤثر نفسيا وسلوكيا على الأفراد على اختلاف مساكنهم ومناطقهم، والتأثير الأكثر يكون على فئة المراهقين والشباب، فالذين يسكنون المناطق الفقيرة وفي بيوت صغيرة عدد غرفها قليل يصبحون أكثر عدائية وشراسة، بينما الذين يسكنون الأحياء الراقية في منازل كبيرة يبدون أقل عداء، وهناك دراسات أثبتت أن للسكن تأثيرات نفسية وسلوكية، وأن من يقيم في السكن الواسع يكون مرتاح نفسيا وينعكس ذلك على سلوكه، بينما المنزل الضيق يسبب الكآبة لصاحبه ويكون غير قادر على التفكير الصحيح، ومن يسكن قبالة الشاطئ يكون أكثر تفكيراً وأكثر إبداعاً بينما الذي يسكن في الأرياف والمناطق الزراعية يكون أكثر ميلاً للعمل، وهذا ينطبق على المرأة والرجل على حد سواء، فالبيئة المعيشية لها آثار نفسية مختلفة على الأبناء وعلى أفراد الأسرة الكبار، فإذا كانت البيئة مكتظة بالأفراد ويعيشون في منازل صغيرة، هذا الوضع قد يؤدي إلى انعدام الخصوصية، وبالتالي قد يؤثر سلباً إذا كان البيت يشهد نزاعاً عائلياً، خاصة عند فئة المراهقين والشباب، دون أن يكونوا قادرين على فهم طبيعة الصراع أو النزاع الذي يشهدونه ويصبحون محبطين كما أشارت بعض الدراسات والبحوث النفسية، وعموماً، السكن في حد ذاته يؤثر في الغالب على النفس وكل هذه الأمكنة لها تأثير في حياة الناس وفي طريقة تفكيرهم خاصة الشباب الذين يؤثر فيهم السكن كما تؤثر عليهم البيئة التي يعيشون فيها، ويظهر التأثير

النفسي والسلوكي للسكن على الساكنين كذلك في طبيعة نشاطهم وحياتهم اليومية، حيث أكدت العديد من الدراسات أن سكان المناطق الريفية والزراعية هم الأكثر نشاطاً في عملهم وأيضاً في صحتهم، بينما الذين يسكنون المناطق الحضرية والمكتظة بالسكان هم الأكثر قلقاً واكتئاباً ويعيشون أوضاعاً غير مستقرة ويعانون كثيراً، فالسكن الملائم والمختار بعناية والذي يجهز تجهيزاً متكاملًا، هو في الواقع سكن العمر، ولا ننسى في الوقت نفسه، أن السكن يجمع عائلة وربما أكثر، وهنا لابد من أن يجمعهم هدف واحد وهو التفاهم والتلاحم فيما بينهم، وهذا ما يقوي من القيم والسلوكيات ويزيد من روابط العلاقة بين الأسرة الواحدة، فالسكن في حد ذاته مصدر أمان وملاذ لساكنيه، ينشأ فيه أجيال ويتربى فيه الأطفال، ومتى كانت قواعد البيت متينة وقوية من حيث التربية، فلاشك أن أجيالاً صالحة سوف تتخرج منه، وعلى العكس من ذلك، فإن البيت إذا كان فيها أعداداً كبيرة من الساكنين تكثر فيها المشاكل وعدم التفاهم.

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي وعلاقته بالانحراف وسلوك التعاطي:

تعد ظاهرة الانحراف من الظواهر القديمة والمنتشرة في كل المجتمعات، ولكنها تختلف مع ذلك في الدوافع والأسباب المؤدية إليها، تبعاً لاختلاف محددات السلوك والمعايير والقيم السائدة في المجتمع، وكذلك الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المميز لها.

ويوضح علم الاجتماع أن الانحراف نموذج من نماذج السلوك الاجتماعي، يقوم المنحرف من خلاله بتصرفات مخالفة للقوانين الاجتماعية والأعراف والقيم السائدة في المجتمع، ويسبب به إلى نفسه وأسرته ومجتمعه، وتتعدد عوامل وأسباب الإنحراف الاجتماعي واكتساب سلوك التعاطي، فقد بينت الدراسات أن الجنوح جمعي وليس فردياً، فالشباب لا يقوم بتنفيذ أعمال منحرفة أو يتعاطى الممنوعات بمفرده، وتشمل البيئة الاجتماعية كل العوامل المحيطة بالإنسان منذ ولادته المتمثلة في البيئة الداخلية أو الخارجية، وتعمل البيئة الاجتماعية الخارجية على تلقين الشباب مجموعة من العادات والتقاليد تحدد سلوكه وتساهم في تشكيل شخصيته، فإذا تذبذبت العلاقات التي تربط الشباب بمحيطه الاجتماعي يصبح رافضاً للمعايير التي يقدمها له المجتمع، فيأتي بالبديل الذي يخرج عن المألوف ويعطيه مكانة مميزة حسب تصوره.

وباعتبار أن الانحراف هو انتهاك للقواعد وخروج على حدود التسامح العام في المجتمع، فإن استخدام مصطلح الانحراف الاجتماعي بمعناه الواسع، يتمثل في تطبيقه على أي سلوك لا يكون متوافقاً مع التوقعات والمعايير التي تكون معلومة داخل النسق الاجتماعي، وهنا يعتقد أن الانحراف يكمن في عملية الصراع بين رغبات الشباب التي يسعى لتحقيقها والواقع الاجتماعي المعاش، ومن هنا ينظر للانحراف باعتباره نتيجة لفشل عوامل الضبط الاجتماعي في تهذيب الغرائز والسيطرة عليها، فأنحراف هاته الفئة تتوقف على درجة انسجامهم مع المجتمع والظروف الاجتماعية التي تحيط بهم.

الجدول رقم (40): العلاقة بين نوع العلاقة بين الوالدين، وسن التعاطي لأول مرة.

المجموع	19 سنة فما فوق	18-16 سنة	أقل من 15 سنة	سن التعاطي
				أول مرة نوع العلاقة بين الوالدين احترام وتقدير
72	45 %56.21	26	01	

			%08.33		
%32.72		%19.69			
%50.45 111	%27.63 21	88	02	خلافات دائمة	
		%66.66	%16.66		
37	%31.15 10	%13.63 18	09	علاقات مقطوعة	
%16.81			%75.00		
%100 220	%34.54 76	%60.00 132	%05.45 12	المجموع	

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، سجلنا ما نسبته 50.45 % عند المبحوثين الذين أكدوا أن العلاقات بين والديهم تتسم بالخلافات والصراعات الدائمة، ترتفع عند المبحوثين الذين كان سنهم عند التعاطي أول مرة من 16 إلى 18 سنة 66.66%، تقابلها نسبة 32.72% عند المبحوثين الذين تتسم علاقات والديهم بالاحترام والتقدير، ترتفع عند المبحوثين الذين كان سنهم عند التعاطي أول مرة أكثر من 19 سنة 56.21%، وفي الأخير سجلنا ما نسبته 50.45 % عند المبحوثين الذين أجابوا بأن العلاقات بين والديهم تتسم بالقطيعة، ترتفع عند المبحوثين الذين كان سنهم عند التعاطي أول مرة أقل من 15 سنة 75.00%.

أظهرت نتائج الجدول أعلاه، أن الجنوح يبدأ غالباً عند الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و 18 سنة، وهي بداية فترة المراهقة التي تعتبر من أخطر مراحل العمر في حياة الإنسان، وتؤكد الدراسات النفسية والاجتماعية على أهمية الظروف الاجتماعية المحيطة بالفرد خاصة في المراحل الحساسة من حياته، والتي تتأثر بالعلاقة التي تجمع بين الوالدين ومدى إسهامهما في التربية الصالحة للشباب منذ الطفولة في كنف أسرة متفاهمة ومترابطة، ثم المدرسة ومؤسسات التنشئة اللاحقة، فإذا تلقى الشاب منذ صغره رعاية وتربية جيدة ينشأ إنساناً صالحاً، وإن كانت تربيته سيئة تظهر لديه ظواهر الانحرافات في وقت مبكر وتتطور مع الوقت.

وتتحمل الأسرة مسؤولية كبيرة تجاه المجتمع باعتبارها أول مجال ومحيط اجتماعي تربوي يتواجد فيه الطفل ويتفاعل معه، واكتساب السلوك المنحرف ينتج من خلال الظروف الاجتماعية التي ينشأ ضمنها، فغالبا ما يرجع المنحرفون عن الطريق الصحيح والمتعاطين لمختلف السموم

والذين سلكوا طريق الإجرام سبب كل ذلك إلى الظروف الإجتماعية القاهرة التي عايشوها، على رأسها التفكك الأسري الذي من أهم مظاهره النزاعات والصراعات والمشاكل التي تحدث بين الزوجين، وأكثر فئة تتأثر بتلك الصراعات والمشاحنات هم المراهقون والشباب لأنهم في مرحلة انتقالية، وهي أصعب مرحلة عمرية يمرون بها، نظرا للتغيرات الكثيرة التي تطرأ عليهم سواء الفيزيولوجية والعقلية والنفسية، فهم بحاجة إلى رعاية الأسرة واهتمامها الدائم بهم.

ومن جهة أخرى، يكتسب هؤلاء المراهقين والشباب السلوك المنحرف من خلال عمليات التعلم والملاحظة، القائمة على مضامين التنشئة الاجتماعية في اتجاه الانحراف بسبب محيطهم الإجتماعي والتفكك الأسري، وهذا ما يتم من خلال الدوافع الاجتماعية في إطار الجماعات المنحرفة، فقد يكون البديل هو السلوك الشاذ أو غير السوي في بداية الأمر لكن ممارسته تكون بداية لتعلمه، وقد يستمر الحدث في ممارسته أو يتخلى عنه تبعا لما يدور من عمليات وظروف اجتماعية وأسرية يجد نفسه فيها في كل مرة، وتعلم السلوك يكون بعدة طرق أهمها التعلم المباشر والتعلم بالملاحظة.

وتبعا لما سبق طرحه، قد يكون النقص في الدعم الاجتماعي والأسري في ظل الجو المكهرب والغير صحي داخل الأسرة، السبب الرئيسي في انعدام التواصل بين أفراد الأسرة الواحدة، أو الطريقة الخاطئة التي يتواصل فيها أفرادها للتعبير عن أنفسهم، من خلال النزاعات والمشاجرات الدائمة بين الوالدين من جهة، ومعاملتهم القاسية والعنيفة مع أبنائهم من جهة أخرى، بسبب ضغط المشاكل التي يعايشونها والعلاقات المتشججة التي تؤثر على أعصابهم، وانهاجهم العصبية والقسوة في التعامل كرد فعل إنفعالي بسبب تلك الضغوط، فضلا عن مستوى الدعم العاطفي من الأسرة والمجتمع ككل، الذي من المفترض أن يكون داعما إيجابيا لا سلبيا، ويمكن أن تكون بمثابة عامل وقائي ضد الظواهر السلبية الاجتماعية والنفسية التي قد تواجه الأبناء خاصة في فترات المراهقة والشباب، فالأسرة التي تعيش بطريقة سوية من دون صراعات ومشاكل في جو

يسوده التفاهم والمحبة، يمكنها تثقيف أبنائها منذ حدثهم عن الطبيعة السلبية للانحراف بكل أشكاله خاصة تعاطي المواد المخدرة، من خلال تعريفهم بها وبالأماكن التي قد تروج فيها وطرف الإيقاع بهم من أجل تعاطيها... إلخ، وبذلك يصبح بمثابة عامل إيجابي للحماية، خاصة في ضل التغييرات الاجتماعية التي تشمل التحضر والعولمة، بالإضافة إلى الاعتماد المفرط على التكنولوجيا التي يصعب التحكم فيها أو السيطرة عليها، التي قد تؤدي إلى التأثير على العلاقات بين أفراد الأسرة، والتي تؤدي غالبا إلى العزلة والوحدة، ونتيجة لهذا التحول الثقافي والنفسي والاجتماعي تظهر أعراض مثل القلق والاكتئاب وعدم التركيز.

وقد اتفق علماء الاجتماع أن ظاهرة الانحراف في ضل التفكك الأسري له تبعات خطيرة تعد من المعوقات الوظيفية للنسق الاجتماعي، حيث تتضح خطورتها وأهميتها دراستها من خلال تعدد الجوانب المرتبطة بها، خاصة إذا تعلق الأمر بالأحداث الذين لم يبلغوا بعد سن الرشد بعد وتورطوا في قضايا منافية للعرف والمعايير والأخلاق والقانون، حيث أصبحت ظاهرة انحراف هؤلاء الأحداث مشكلة اجتماعية خطيرة، سواء تعلق الأمر بالحدث نفسه أو بالمجتمع المحيط به فهو يشكل خطرا على نفسه عندما يتعرض لمقاومة المجتمع والأسرة وعدم تقبل سلوكاته، الشيء الذي يعرضه لمشكلات نفسية خطيرة تزيد من إحباطه وشعوره بعدم التقبل من الآخرين، وهو خطر على المجتمع لأنه أصبح يشكل مصدر للقلق والاضطراب لمؤسسات المجتمع ونظمه وأفراده أيضا، كما تتمثل خطورة هذه الظاهرة في عدم قدرة الحدث على إقامة علاقات سليمة مع الغير لإحساسه الدائم بأنه منبوذ وغير مرغوب فيه من طرف جماعته الأولية (الأسرة) أو في المجتمع الكبير، وعليه، فإن ظاهرة انحراف الأحداث الذين يعيشون ظروف إجتماعية سيئة في أسر مفككة وهشة، من الظواهر الاجتماعية التي تهدد استقرار النظم الاجتماعية، وكذلك حياة الأفراد الشخصية، حيث تعكس مجموع الاختلالات التي تحدث على مستوى الأبنية والوظائف الاجتماعية، خاصة العلاقات داخل الأسرة وبين الوالدين خصوصا، والتي تعد البناء الاجتماعي الأكثر أهمية وحساسية في حياة الفرد، فهي مصدر التربية والتنشئة الاجتماعية السوية، وهي

منبع الرعاية والاهتمام، وهي المحدد والموجه لسلوك الأبناء، هذا إلى جانب التأثير الكبير للوسط الاجتماعي بصفة عامة.

وفي سياق متصل، قد يصبح الشاب منحرف السلوك كلما تقدم في العمر، وهذا ما أكدته نتائج الجدول، إذا لم تعالج مشكلاته ولم تشبع حاجاته، ويجلب إشباع الحاجات النفسية له اعتراف الآخرين بقيمته كشخص خاصة من طرف والديه وأسرته المصغرة، وهو يعبر عن هذه الحاجات بطرق تختلف عن طرق الآخرين، فهو يعبر عن حاجته إلى التقدير والمكانة الاجتماعية بشعوره بالغضب والغيرة، أو ميله للخضوع وشدة الخوف من التنافس، أو الإنحراف والميل إلى التمرد على أسرته والمجتمع، وانهاج سلوكيات شاذة كتعاطي الخمر والمخدرات، ولتفادي هذه التأثيرات السلبية فهو بحاجة إلى جو أسري يشجعه على التعرف على محيطه، حيث يساعده الوالدان والمدرسة على التفتح على بيئته واكتسابه معارف جديدة تفيده في مختلف المواقف الاجتماعية، أما عدم إشباع هذه الحاجة في ظل التفكك الأسري وكثرة المشاكل بين أفراد الأسرة فسيؤثر ذلك سلباً على سلوكه ونفسيته، ويخلق منه شخصاً منطوياً على ذاته ضعيف الثقة بنفسه، منحرفاً مدمناً للسموم منساقاً لكل شخص أو رفيق يأخذ بيده إلى الهاوية، كما قد يؤدي إلى نقص أو تشوه في بعض من مظاهر نموه العاطفي والنفسي، وبالتالي فهو بحاجة إلى مساندة أسرته من أجل إحراز النجاح في حياته وأثناء قيامه بعمل معين، كما أنه بحاجة إلى الاهتمام به وتوجيهه خاصة من طرف والديه، وذلك بتبادل مشاعر الحنان والعطف وإظهار نواحي الفهم نحوه والتلفظ بالعبارات الرقيقة والمساندة الاجتماعية، فيشعر أنه محبوب ومرغوب فيه لذاته مما ينمي فيه روح الانتماء لأسرته ويتحقق عنده الأمن العاطفي، ومن هنا، فإن الفرد وخاصة الشاب الذي لم تشبع حاجاته الأساسية في أوانها إنما تبقى عالقة في لا شعوره، سيبحث عن تعويض نقصها بأساليب غير سوية في سلوكه وتعامله مع الآخرين.

وفي الأخير، فإن فترة المراهقة هي فترة مزعجة ومتوترة لكل من المراهقين والشباب والأهل خاصة في ضل التغيير الإجتماعي السريع، وما يترتب عن ذلك من تفكك إجتماعي وأسري، إنها الفترة التي تحدث فيها تغيرات جسدية ومزاجية جوهرية وحادة، كما أنها فترة تثير أيضا مشاكل عديدة في كيفية تقبلهم للتغيرات الجسدية والتغيرات الاجتماعية والبيئية والسياسية المحيطة بهم وعليه، يجب الإمام بكيفية تدرّيبهم على مواجهة هذه التغيرات، من خلال توفير جو من المودة والرحمة والتفاهم بين الزوجين الذي ينعكس بالإيجاب على كل أفراد الأسرة، وقد جاء في حديث الأثر: " لاعب أبناءك سبعا وعلمهم سبعا وصاحبهم سبعا ثم اترك الحبل على الغارب"، الشيء الذي سوف يؤثر حتما على ثبات وقوة شخصيتهم وشعورهم بالاستقرار في مواجهة هذه المشاكل، ففترة المراهقة تتميز برغبة جامحة للتجربة خاصة على المستوى السلوكي في نمط وأسلوب حياتهم، في علاقتهم بأصدقائهم وفي علاقتهم بالجنس الآخر، وقد يرفضون تقليد الأهل ويختارون أسلوب حياتهم بأنفسهم، وهذه الرغبة للتجربة هي رغبة قوية لدرجة تجعل إحساسهم أن القيود التي يفرضها الأهل عليهم تنم عن عدم الثقة بهم، حتى مع علمهم المسبق بأنهم يمارسون الخطأ وما يحمله من خطورة بالغة، وذلك يحتاج من الأسرة إلى الحكمة والتحكم في مواجهة هذه الرغبة في استقلالية القرار، من خلال توفير الإستقرار الأسري الذي يستظل بالعلاقات الطيبة والسوية التي تجمع بين الزوجين من جهة والأبوين والأبناء من جهة أخرى، وبين الإخوة من جهة ثالثة.

بالإضافة إلى ذلك، يعد حب المغامرة ورؤية المجهول أحد أسباب الجنوح، وهو حب الاستطلاع ورؤية العالم المجهول، وهنا يقع الفرد في المحظورات، كأن يقوم بممارسة بعض الممنوعات على سبيل التجربة مثل التدخين واحتساء الخمر ثم تعاطي المخدرات، كما تعد حياة اللامبالاة وانعدام المسؤولية عند الحدث والشباب من أسباب الجنوح، أي أن يعيشوا حياة الإتكالية ويشعرون أن وجودهم وعدمه سواء، ويتجسد هذا الشعور عندهم لعدة أسباب منها عدم وعي الوالدين بأساليب التربية السليمة، مما يدفعهم لإتباع أساليب تشعر المجتمع بوجودهم كالإنحراف والجرائم، وعليه يقع على عاتق الآباء القيام بعملية التغيير والتأثير على

سلوكيات أبنائهم، فالأب يرسم أهدافا من خلال تربيته لأبنائه ويسعى إلى المساهمة في تنفيذها والأم كذلك، لذلك من الضروري الشعور والإحساس بأهمية هذه الأهداف أو الدوافع إليها من طرف الأولياء، وأن يستشعرها الأبناء وجعلها مجالا لإبراز مهاراتهم وقدراتهم¹.

. الجدول رقم (41): العلاقة بين علم الأسرة بالتعاطي، ومن منهم على علم بذلك.

المجموع	لا أحد	أحد الأقارب	أحد الإخوة	الأم	الأب	من من الأسرة على
						علم بذلك علم الأسرة بالتعاطي
57 %25.90	00 %00.00	03 %05.26	43 %75.43	06 %10.52	05 %08.77	نعم
163 %74.09	163 %100	00 %00.00	00 %00.00	00 %00.00	00 %00.00	لا
220 %100	163 %74.09	03 %01.36	43 19.54 %	06 %02.72	05 %02.27	المجموع

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، يتبين لنا أن الإتجاه العام كان عند فئة المبحوثين الذين أجابوا أن الأسرة ليس لها علم بتعاطيهم المخدرات، وذلك بنسبة 74.09%، ونجد إجابات المبحوثين التي تقر بأن أسرهم على علم بموضوع تعاطيهم المخدرات، تقدر ب: 25.90% ترتفع عند الإجابة أن أحد الإخوة على علم بذلك، بنسبة 53.84%.

من خلال تحليلنا للجدول أعلاه، وباعتبار أن الأسرة من أهم الدعائم الرئيسية للتربية وخلق الروابط الإنسانية بين أفرادها، وبالرجوع إلى الإتجاهات العامة، نلاحظ أنها تفيد أن أغلب المبحوثين يقرون بعدم علم أسرهم أنهم يتعاطون المواد المخدرة، إذ بلغت نسبة ردود أصحاب هذا الإتجاه أعلى نسبة، وعند إدخال متغير من منهم على علم بذلك نجد الأغلبية ممن يعلمون ذلك هم الإخوة مقارنة بالأم والأب.

1- د/ عبد الغفار حنفي، السلوك التنظيمي وإدارة الأفراد، المكتبة الإدارية، بيروت، 1997، ص 529.

إن أشد ما يعانیه الأبناء والذين وصلوا إلى مراحل متقدمة من الإدمان على المخدرات، خلو البيت من الإهتمام بهم ومتابعتهم والتواصل معهم فيما يخص حياتهم الشخصية، ما يفعلون وما يفكرون به مشاكلهم أحلامهم طموحاتهم، وغالبا ما يحدث ذلك بسبب الظروف الإجتماعية المحيطة بهم نتيجة هجر الآباء أو الأمهات لهم من أجل العمل لفترات طويلة، حيث يخرجون من الصباح ويعودون في ساعات متأخرة من المساء، يعودون منهكين من العمل وغير متفرغين لمشاكل أبنائهم ولا يهتمون بهم، أو نتيجة المرض، أو نتيجة الانفصال بطلاق أو بدونه، وغيرها من الأسباب.

والمراهقون والشباب عادة ما يجنحون إلى تجربة كل شيء في الحياة خاصة ما يعتبرونه من مفاتيح النضوج والرجولة، وقد يحملون مفاهيم خاطئة عن المخدرات والمؤثرات النفسية، لذلك يجب مراقبة صداقات الأبناء وتحذيرهم من التجربة الأولى خاصة السموم البيضاء، من خلال وضع مفاهيم سليمة عن الرجولة والحياة، والكثير من الآباء قد يتغاضون عن الحديث مع أبنائهم وتحذيرهم إذا علموا بأن أبنائهم يتعاطون المخدرات أو الخمر، وذلك يؤدي حتما إلى كارثة، فإنه من الأشياء الجوهرية التي يجب أن يتحدث الولي عنها إلى أبنائه تحديدا أخطار التعاطي والحقائق عن كوارث حدثت لمن تعاطوا هذه السموم، لأنه ما لم يضع اللبنة الأولى للوقاية فإن إمكانية إقدامهم على التجربة والتعاطي قائمة وبنسبة عالية.

وبناء على ما سبق، فإنه من الواجب على الوالدين أن يولوا أبنائهم الرعاية والحنان والحب والعطف، وألا يقتصر اهتمامهم بهم على تأدية الواجبات المتعلقة بالإحتياجات المادية فقط، فالأبناء على اختلاف مراحلهم العمرية يشعرون بذلك ويميزون ويشعرون بالسعادة والرضا إذا شعروا بأنهم يرعاهم ويحبونهم ويعطفون عليهم، ويبينوا أهمية هؤلاء الأبناء في الأسرة وبمكانتهم، فالآباء الذين يؤدون واجباتهم نحو أطفالهم من مأكّل وملبس وأدوات أخرى، لا يشعرون بالسعادة وبلذة الحياة مثل الآباء الذين يقدمون الرعاية والعطف والحنان والحب

لأطفالهم، حيث يظنون أن الطفل لا يفكر ولا يشعر بذلك، ويظنون أيضا أن إقامة العلاقة مع الطفل تكون فقط عندما يكبر.

ومن جهة أخرى، على الآباء عند علمهم بتعاطي أحد أبنائهم المخدرات، التحدث معه مباشرة في هذه المشكلة، وأن يبدوا إهتمامهم بها وما لها من آثار صحية ونفسية وعصبية خطيرة ولتحریم الله لها، ويجب أن يكونوا متفهمين لأسباب المشكلة، ولكن وبالمقابل، يجب التعامل بحزم مع أبنائهم وضرورة الانتهاء سريعا من المشكلة حتى لا تتطور أكثر وتتداعى إلى مشاكل أكبر وأعمق، من خلال الوقوف بجانبهم لتخطيها، ومحاولة عدم أهانتهم حتى لا يتحولوا إلى الإنكار والدفاع عن أنفسهم ورفضهم المساعدة، حيث أن الغضب سوف يشغلهم عن حزمهم واهتمامهم بصلاحتهم، كذلك محاولة استخدام الأحاديث التي لا تؤذيه أكثر وتجنب الأحاديث الساخرة التي تلحق به العار والأحاديث السلبية وأحاديث الضعف وأحاديث لوم النفس، وبدلا من ذلك كله، يجب الحزم وإظهار أن استمرار سلوك التعاطي والإدمان مستحيل، والوقوف بجانبه حتى ينتهي من هذه الكارثة بإعطائه الكثير من الوقت والرعاية لحمايته من نفسه ومن تجار المخدرات وأصدقاء السوء الذين يسعون خلفه، وبخاصة أصدقاءه الذين يعطونه كثيرا من الوقت والإهتمام، حيث إن انقطاعه فجأة عن هؤلاء الأصدقاء الذين صاحبه سنوات طويلة صعب عليه بداية الأمر، لذلك يجب على الأولياء أن يكونوا أصدقاء لأبنائهم حتى يتجاوزوا هذه المرحلة الصعبة، ومنعهم من الخروج من المنزل إلا بصحبة الأب أو الولي سوف يتيح للأخير الوقت للتعلم في فهم مشاكله، ومنعه من الاتصال بمسببات التعاطي عنده ومساعدته على عبور فترة الانقطاع الأولى، وشغل وقت فراغه بنشاطات بناءة كالرياضة والهوايات المفيدة التي تساعد على وقاية الشباب من خطر الإدمان ويجعلهم ينشغلون عن التفكير في المخدرات ويجعلهم أكثر بعدا عنها، إنهم يحتاجون لنشاط جماعي مع الأسرة من زيارات للأهل ورحلات مع الأسرة والذهاب للمساجد وأماكن العبادة، وأن يكون أهم شيء عند الأولياء هو قضاء وقت كاف معهم، فهم بحاجة إلى نشاط وقائي مشترك بين الأسرة والهيكل الاجتماعي المحيطة مثل النوادي والجمعيات الخيرية، وبالمقابل، يجب محاولة الإهتمام

بالكشف عن أماكن تعاطي أبنائهم، وبذل جهد حثيث لجعل الاتجار بالمخدرات حول المسكن ومحيطه ليس سهلاً، بل محفوفاً بالخطر حتى يبتعد مروجو المخدرات عن أبناء تلك الأسر.

وفي سياق متصل، وكما سبق لنا وأن وضحنا من قبل، يجب التحدث مع الأبناء منذ حدوثهم عن خطورة المخدرات وطبيعتها وأضرارها وتأثيرها على أجهزة الجسم المختلفة، وسؤالهم عما يعلموه عنها حتى تصحح لهم معلوماتهم الخاطئة، وحسن الاستماع إليهم والرد على أسئلتهم مهما كانت مزعجة بالنسبة لهم، وأن يكون الوالدين قدوة طيبة لهم، من خلال الحفاظ على تماسك الأسرة والالتزام بالتعاليم الدينية والفروض والسنن، وغرس هذه القيم فيهم لإعطائهم مناعة طيبة، ووضع قواعد سلوكية وعقوبات تطبق على من يخرج عنها من الأبناء، وتعليمهم الفطنة والاعتماد على النفس، وكيف يتعاملون مع أصدقاء السوء ومراقبة سلوكهم وتقويم انحرافاتهم والبحث عن أسبابها.

ومن خلال ما سبق طرحه، فإن الهدف الأساسي للوقاية في مجال مكافحة المخدرات هو حماية الشباب والمراهقين من خلال دفاعاتهم النفسية ودعم قيمهم، مما يجعل فرصة إقدامهم على تعاطي المخدرات أو تجربتها فرصة ضئيلة أو مستحيلة أو شاقة، ولا يحدث ذلك إلا إذا كان الوالدين على دراية وعلم بكل ما يحيط بأبنائهم من خلال المراقبة والإهتمام والمتابعة، وكما يقال الوقاية خير من العلاج، والكثير من الآباء قد شرعوا فعلاً في غرس بذور الوقاية من المخدرات بدافع غريزي، ويحدث ذلك من خلال اهتمامهم بالاستماع إلى مشاكل أبنائهم والاهتمام بإعداد حلول لها وأن يكونوا على مقربة منهم مع ملاحظة مستمرة بحب وعطف، وأن يكونوا قدوة حسنة لهم، إن ذلك كله يساعد النشء في بناء الدفاعات النفسية السليمة التي تقف في وجه محاولات تجربة أو تعاطي المخدرات، فالوقاية من المخدرات تتمثل في بناء مقاومة داخلية تقول لا لمحاولة تجربة المخدرات وليس تعاطيه، هذه الوقاية تشمل جهوداً مختلفة وواسعة لمساعدة الشباب في اكتساب خبرات ومهارات حتى تتكون الثقة في النفس عندهم والتعلق بالقيم الصحيحة، والإهتمام بتعليمهم احترام

أجسامهم والحياة الصحية السليمة، وإذا ما وثق هؤلاء الشباب في أنفسهم وفي والديهم وأسرتهم ومؤسسات التنشئة الإجتماعية اللاحقة، فإنهم لا محالة سوف يكونون بعيدين عن احتمال تعرضهم لخطر الإدمان.

وتأكيدا لما سبق طرحه، يتضح لنا جليا أن الوالدين يلعبان دورا هاما في وقاية أبنائهم من الإنحراف وتبني سلوك التعاطي، من خلال فتح قنوات الإتصال التي تجمعهم وأبناءهم، الشيء الذي يساهم في تحقيق التوافق والمحبة والمودة بينهم، فالتواصل البناء بين الآباء وأبناءهم من خلال العلاقة الوالدية التي لا تستطيع الأسرة الإستغناء عنها للقيام بدورها الطبيعي، سوف يولد لديهم حالة من الرضا والروح المعنوية المرتفعة، مما يحفزهم على نهج الطريق السوي أثناء أدائهم لحباتهم الشخصية، ويمكن للوالدين نقل أفكارهم إلى أبنائهم لتربية صالحة التي يقع على عاتقهم واجب دمغهم بها، ومن جهة أخرى يتمكن الأبناء من خلال ذلك التعرف على مشكلات الحياة وتفهم طبيعة العالم الخارجي.

وتتوقف فاعلية العلاقات الأسرية على بعض الإعتبارات، أهمها أن يحس الوالدين من خلال علاقاتهم بأبنائهم بأهمية الجوانب النفسية والتغيرات الفيزيولوجية التي يمرون بها خلال مراحل نموهم، فالأب والأم الناجحين يجب أن يكون لديهم موهبة التعامل المرن مع أبناءهم عبر المراحل العمرية المختلفة، فلا يجب أن تكون علاقاتهم مركزة على مجرد إعطاء الأوامر والتوبيخ والمسائلة....، وإنما يجب أن يحيطوهم بالعطف والحنان بروح المودة والتعاون، فينمون فيهم روح الحماس والتصميم على تحقيق الأهداف المنشودة، وبمعنى آخر يجب على الوالدين الإهتمام بالجانب العاطفي لأبناءهم حتى يكون هؤلاء الأبناء أكثر استعدادا وقبولا لتنفيذ أوامرهم ورغباتهم التربوية، حتى يتم تحقيق الهدف المنشود في تربية صالحة ويتم حل المشاكل المتصلة بهم، إذ يجب أن يتمتع الأبناء بروح الانتماء لأسرتهم بغض النظر عن أعمارهم وترتيبهم داخل الأسرة، بهدف تحقيق الإستقرار الأسري خاصة أن المرء من الناحية النفسية يكون أميل إلى عدم

الإقتناع بما يعارض رغباته أو ما لا يجاري ما يؤمن به من قيم، باعتبار أن الأسرة مؤسسة معقدة تتفاعل داخلها ظواهر إجتماعية وثقافية ونفسية متعددة تؤثر على حياة أعضائها.

ومما سبق، يجب أن تكون طريقة التعامل بالمودة والرحمة لكل الفئات العمرية من أجل تقوية العلاقات وخلق جو من الثقة والتعاون، فالأبناء عادة ما تكون لديهم حساسية شديدة في مواجهة كل ما يخالف المألوف من عاداتهم أو ما يعتقدونه حقا أو باطلا، وعلى الوالدين في هذه الحالة توفير نظام سليم وفعال للعلاقات التي تعتبر واحدة من أهم وظائفهم، لأن تحقيق التوافق الأسري يتوقف على سلامة العلاقات والقرارات، وصحة المناخ الأسري والنفسي والإجتماعي داخل الأسرة، ويتأتى ذلك من خلال إفساح المجال أمام تحسين العلاقات من أجل تحقيق الإنسجام داخل الأسرة.

وفي الأخير، إن أكبر مشكلة يواجهها هؤلاء المدمنين هو عدم اعترافهم بوجود مشكلة لديهم حتى عندما يكونوا في حالة الوعي المعتدل، لكن يجب مساعدتهم في نيل المساندة وتوضيح مدى تأثير تلك المشكلة على العائلة، وكيف أن تعاطي المخدرات يؤثر على تصرفاتهم في العائلة وما هو الإجراء المتبع حتى يمكنه التخلص من تلك العادة المميتة، ففي حالة تعاطي أحد الأبناء يجب أن يتقرب الوالد أو الوالدة لمساعدته للتخلص من التعاطي، ويجب أن يكون لديهم القدرة على تقديم يد العون والمساعدة للرجوع إلى حياته الطبيعية مرة أخرى، ومن ثم فإنهم يستطيعون أن يتوجهوا إلى إحدى المراكز العلاجية ومستشفيات علاج الإدمان حتى يحصلوا على أحد البرامج التأهيلية التي سوف تعافهم تماما من تلك المواد المخدرة، فالبحث عن إحدى المستشفيات لعلاج الإدمان والتوجه إليها هي الخطوة الرئيسية في المساعدة للتخلص من الإدمان التي لها القدرة على علاج الأفراد من تلك المواد، من خلال برنامج علاجي يقدم إلي الشباب والمراهقين سواء من الفتيان والفتيات.

ونستنتج، أنه يتوجب توسيع دائرة المراقبة والإهتمام بين أفراد الأسرة على إختلاف حالاتهم، وفتح المجال أمام هؤلاء لمناقشة المواضيع المتعلقة بحياتهم اليومية ومشاكلهم من خلال تشجيع الإتصال المتبادل، لأن ذلك سيزيد من درجة التفاعل الإيجابي بين الأطراف داخل الأسرة باعتبارهم حلقات مترابطة تكمل كل واحدة الأخرى، مما يؤثر إيجابا على مستوى التآلف والإستقرار الأسري من جهة ومستويات الوقاية من السقوط في برائن الإنحراف والتعاطي من جهة أخرى، بالإضافة إلى الرفع من قدرة الإصغاء والإنصات لمشاكل الأبناء وإفساح المجال لهم للتزود بالمعلومات اللازمة من أجل مجابهة تلك المشاكل، لذلك فإن تنظيم لقاءات عائلية بصفة منتظمة ومتكررة بين أفراد الأسرة من خلال توفير جو حوار مستمر وفعال، يساهم في تحقيق وقاية الأبناء من كل ما يضر بهم ويهدد مستقبلهم واستقرارهم بفعالية، ومن الضروري العمل على أن تكون تلك الحوارات بين أفراد الأسرة حقيقة وهادفة وليست شكلية وهذا ما يحقق التربية الصالحة.

الجدول رقم (42): العلاقة بين الحالة المدنية للوالدين، وفي حالة الوفاة.

المجموع	لا أحد	كليهما	الأم	الأب	في حالة
					الوفاة الحالة المدنية للوالدين
157 71.36%	157 100%	00 00.00%	00 00.00%	00 00.00%	على قيد الحياة
06 2.72%	00 00.00%	06 100%	00 00.00%	00 00.00%	متوفيان
57 25.90%	00 00.00%	00 00.00%	21 52.27%	36 47.72%	متوفى أحدهما
220 100%	157 71.36%	06 2.72%	21 9.54%	36 16.36%	المجموع

على ضوء نتائج الجدول أعلاه، سجلنا ما نسبته 71.36% عند المبحوثين الذين صرحوا أن كلا والديهم على قيد الحياة، ونسبة 25.90% عند المبحوثين الذين صرحوا بأن أحد والديهم

متوفي، ترتفع عند المبحوثين الذين توفيت لهم الأم 52.27%، وفي الأخير سجلنا ما نسبته 02.72% عند المبحوثين الذين أجابوا بأن كلا الأبوين متوفيين.

إن فقدان الطفل لأحد الوالدين في سن مبكرة حدث يصعب تحمله نظرا لآثاره النفسية السيئة عليه، والتي تساهم في خلق ظروف ومشاكل إجتماعية تكون من تبعات هذا الفقد بسبب انهيار المنزل الذي كان يعيش حالة من الإستقرار الإجتماعي والنفسي لأفراده، خاصة الأبناء الذين تنقلب حياتهم رأسا على عقب وتتغير ظروفهم بصفة جذرية، هذه الظروف الإجتماعية الطارئة قد تأخذ بيدهم إلى طريق الإنحراف والإدمان، لذلك يجب التعامل معهم بطريقة استثنائية حتى يتمكنوا من تخطي هذه المرحلة بسلام والاستمرار في حياتهم بشكل طبيعي، ومن الطبيعي أن يترك اليتيم آثارا إجتماعية ونفسية سيئة، حيث أن تجربة فقد أحد الوالدين أو كليهما تعتبر من أقسى التجارب إيلاما، تجعل الفرد يشعر بالوحدة وفقدان الأمان ويعايش ظروفًا قاسية لا يتحملها بسهولة، وصلة الأطفال الصغار مع الأم أو الأب لا تكون محكومة بالمنطق بل تكون العاطفة غالبية على ارتباطهم، وحزنهم عند رحيل أحد الوالدين صدمة نفسية وعاطفية كبيرة تحتاج إلى عناية خاصة ومتابعة نفسية متخصصة.

وغياب الأب في عيون أبنائه يمثل غياب القوة والسلطة النازمة للمنزل، ويشعر الأطفال ذكورا وإناثا بحالة من الخطر وانعدام الأمان، فعندما يفقد الإنسان والده الذي كان يرعاه ويدبر أموره وأسباب معيشتة سيزوره الهم والغم، مما قد يدفعه لكثير من السلوكات السيئة كالسرقة وبيع المخدرات وغيرها، وبالتالي لطريق الانحراف، ويؤثر غياب الأب على نمو الطفل وعلى ثقافته وشخصيته، والحرمان من العطف يؤثر على تشكيل الضمير الأخلاقي لديه.

وتماسك الأم وصمودها من أجل أطفالها أمر جوهري في حالة فقدان الأب، حيث سيستمد الأطفال القدرة منها على مجابهة الحزن، وعلى الأقارب أيضا أن يلعبوا دوراً إيجابياً في مساعدة الأطفال على الخروج من محنتهم، وزواج الأم بعد وفاة الأب من الأمور التي تشغل بال الأطفال

رغم أن نسبة حدوث ذلك قليلة مقارنة بالأب الذي غالباً لا يتوانى عن الزواج مرة أخرى، وهنا يجب أن تكون صريحة معهم بهذا الخصوص، ومن الواجب عليها أن تنقل لهم صوراً طيبة عن والدهم حتى ولو كان قد جرى بينهما خلافات ومشكلات في السابق، وأن تكون قادرة على تأمين البدائل المادية والعاطفية لهم، وتحمل مسؤولية تربيتهم منفردة أو بالمشاركة مع الأقارب فالدور الذي تقوم به الأم من تمالك أعصابها والمحافظة على اتزانها النفسي واستغلال قدراتها الذاتية والخارجية وقيامها بدور الأب والأم معاً، كل ذلك يخفف من الآثار السلبية والنفسية لغياب الأب، ولذلك يجب أن تكون على قدر من الكفاءة.

ولكن أشد ما يعانیه الأطفال في حالة وفاة الأم زواج الأب من أخرى وإقامته معها سواء بعيداً عن الأسرة الأولى أو معهم، ففقدان الأم قد يؤدي إلى التعرض للظلم من قبل العمّة أو الخالة أو الزوجة الثانية للأب في حالة زواجه قصد مساعدته على تربيتهم، وهذا يؤدي لمشكلة عصبية للأبناء، فعند فقدان الأم يشعر الأبناء بأنهم تقدموا في السن فجأة، وأن عليهم تحمل المسؤولية والتفكير في أمور لم تخطر لهم من قبل، ويشعرون بأن كل ما حولهم أصبح جافاً بلا معنى وأن طفولتهم سلبت منهم، فهي تمثل الحنان والعاطفة والارتياح والطمأنينة، وفقدانها يسبب الشعور بعدم الارتياح وغياب الإحساس بالأمان والشعور الدائم بالضعف وعدم الاستقرار، وبطبيعة الحال هناك العديد من العوامل التي تلعب دوراً يمكن أن يزيد أو يقلل من خطورة الإقدام على الانحراف، مثل الحياة العائلية الهادئة والتفوق الدراسي والنجاح الاجتماعي والاقتصادي...

والخلاصة، إن غياب أحد الوالدين عن الأسرة خاصة الأم له أثر سلبي على حياة الأطفال حيث يؤثر على نموهم العقلي والانفعالي والاجتماعي والجسدي والنفسي، وعلى ثقافتهم وتفاعلهم مع الآخرين وعلى مستوى تحصيلهم الدراسي.

الجدول رقم (43): العلاقة بين الرغبة في مغادرة الأسرة، والعلاقات داخل الأسرة معظم الأحيان،

المجموع	سيئة	عادية	جيدة	العلاقات داخل الأسرة معظم الأحيان الرغبة في مغادرة الأسرة	
				نعم	لا
96	104	00	00		
%43.63	%100	%00.00	%00.00		
124	08	92	24		
%56.36	%00.00	%100	%100		
220	104	92	24		
%100	%47.27	%41.81	%10.90		

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، ومن خلال النسب المسجلة، نلاحظ أن المبحوثين الذين يرغبون في مغادرة أسرهم إذا ما سنحت لهم الفرصة لذلك 43.63%، ترتفع عند فئة المبحوثين الذين تتصف العلاقات داخل أسرهم بالسيئة، بنسبة 100%، تقابلها ما نسبته 56.36% ممن لا يرون داع لمغادرة أسرهم، ترتفع عند الذين تتصف العلاقات داخل أسرهم بالجيدة، وذلك بنسبة 100%.

ونفهم من خلال بيانات الجدول، أن الشعور بعدم الارتياح داخل جماعة الأسرة يعكس صفو العلاقات ويتصف الأفراد بالسلوك العدائي والغير تعاوني، وعلى العكس من ذلك فإن الارتياح في مؤسسة الأسرة من المؤشرات الدالة على العلاقات الطيبة والتعاون الذي يجمع بين أفرادها وعلى حسن العلاقات داخلها التي تنعكس إيجابيا عليها، ويفسر ذلك على أن العلاقات الطيبة بين أفراد الأسرة لها طابع محفز، تتخلله العلاقات الشخصية والإجتماعية السوية، مما يغذي مشاعر الرضا والتعاون بين أفرادها.

وقد تكون الظروف الإجتماعية للأسرة من أسباب عدم إرتياح أفرادها، وما يتعرضون إليه من تقليص قدراتهم أو ثباتهم لعدم توفر فرص الترقى والنجاح، أو تأثير ظروف بيئتهم ومحيطهم أو بعض المعوقات الإجتماعية والإقتصادية، وكذلك ظروف المعيشة الصعبة...إلخ، كلها عوامل تساهم في عدم الراحة والإحباط، التي تؤدي لا محالة إلى طريق الإنحراف والتعاطي.

ونستنتج مما سبق، أن الأسرة تؤثر على الفرد كمصدر للإرتياح وخلق جو من المودة والتفاهم بين أفرادها، من خلال توفير فرص التفاعل والتعاون الذي يؤدي إلى حدوث حالة من الإرتياح النفسي والإجتماعي، تتجسد في صورة التعاون والتضامن بغية تحقيق الإستقرار الأسري لأفرادها ضمن علاقة تبادلية بينهم، مما يدل على توفر أحد أهم المبادئ لتحقيق التربية السوية في حين أن عدم الراحة في جماعة الأسرة يصبح مصدرا للتوتر والصدام، مما يؤثر سلبا في سلوكيات أفرادها فبأخذ مناخ منحرفة وشاذة.

وتمثل ثقافة الأسرة مجموع القيم والأعراف والتقاليد والتطلعات التي تحدد إطار سلوكيات الأفراد داخلها على مختلف الأصعدة، يكون تأثير هذه الثقافة واضحا ومنعكسا على العلاقات التي تجمعهم ودرجة التعاون بينهم، وتظهر التصرفات السلبية من خلال بعض المظاهر السلبية في سلوكيات الأبناء، كتقلص روح التعاون والمحبة وعدم الشعور بالارتياح، الذي يؤدي بهم في كثير من الأحيان إلى سلوكيات سلبية، ولاحتواء العوائق الشخصية لهم يجب على الآباء التركيز

على توضيح النقاط الهامة بطريقة سليمة، والصفات التي يجب أن يتحلى بها الأبناء، وذلك بالسماح لهم بإبداء آرائهم وتعقيباتهم في الفترات التي تتسم بتوتر الجو العام، ويتطلب ذلك التعاون والاشتراك بين أفراد الأسرة، ومن الضروري الاهتمام براحة الأبناء باعتبارهم أمانة يسأل الآباء عنها أمام الله وأمام المجتمع، لذلك يجب وضع معايير موضوعية ومضبوطة للتربية السليمة للأبناء، وهذا من خلال المتابعة والمراقبة المستمرة.

وهناك نوعين من المساندة الاجتماعية للمنحرفين، المساندة الانفعالية المتمثلة في سلوك الاستماع وإبداء التعاطف مع صاحب المشكلة، والمساندة الأداتية والمقصود بها تقديم المساعدة الملموسة أو المادية، وقد تلجأ الأسرة إلى طريقة التخويف والعقاب عندما تكون مهددة بالخطر فهذا الأسلوب يدفع معظم الأبناء لبذل جهود من أجل كسب ثقة العائلة، وهذه الطريقة هي في الواقع طريقة مؤقتة رغم أنها تسهم كثيراً في ردع الأبناء من الانحراف وتعاطي المواد المخدرة، إلا أنها لا تعمر طويلاً وسرعان ما ينتهي تأثيرها بانتهاء الخطر، وإذا رغب الوالدين في الاستمرار بتحفيز الأبناء عن طريق التخويف فإن ذلك سيولد الحقد والنفور منهم لاحقاً، وعادة ما يسعى الأفراد لكي يكونوا منضبطين في حياتهم الاجتماعية، ولكن الرقابة المباشرة قد تؤذي هذا الشعور بالانضباط الذاتي، ولذلك فالرقابة الغير مباشرة من الأسرة مع إشعار الأبناء بأنهم مسئولون عن أعمالهم وسلوكياتهم وتصرفاتهم، يمكن أن يعمق الإحساس بالانضباط الذاتي وينشر حالة من الرقابة الذاتية على السلوك.

ويختلف سلوك الأفراد على حسب الموقف الذي يتعرضون له، وكذلك تختلف طريقة الوالدين المثلى في التصرف مع الأفراد على حسب هذه الظروف، ولذلك يختلف النمط المناسب على حسب الموقف، فمثلاً يفضل النمط العقابي مع الأفراد المتسيبين، بينما يفضل النمط الديمقراطي مع الأفراد المنضبطين، أي أن التصرفات الصحيحة التي يجب أن تتخذ للتحكم في سلوك الأبناء تتوقف على حسب الموقف القائم والظروف المحيطة به والأشخاص المعنيين بهذا

الموقف، ويعني الاستقرار الأسري تقليل التغيرات في محيط الأسرة إلى أدنى مستوى، وقد يختل التوازن الأسري في حالة خروج الأفراد عن نظام الأسرة لأنه تبعاً لذلك قد تكون هناك تأثيرات غير محمودة العواقب إذا انعكس التأثير على معنويات الأفراد.

وشخصية الفرد هي الخصائص التي يتمتع بها في تكوينه الشخصي وقدراته ومهاراته والدوافع وكذا أنماط السلوك التي يمارسها، قد تكون ضغوط بيئة المحيط الاجتماعي واحدة ولكن يمكن أن يتأثر بها شخص ولا يشعر بها آخر لاختلاف شخصياتهم، كما هناك تفاوت في مدى التعامل والتأقلم مع الضغوط، لأن درجة الإدراك غير متساوية نظراً لتباين المعاني المدركة ومدى فهمهم وتفسيرهم لها، وبالعلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات التي تتوقف وفقاً لمفعول التحفيز وشدته على نتيجة المقارنة التي يقوم بها الأشخاص لما يعطونه وما يأخذونه من المجتمع مع ما يعطيه ويأخذه الآخرون، والأفراد يسعون بجهد وعناية نحو ما يجعلهم في حالة من الرضا والاطمئنان¹.

وفي الأخير، إن حسن التربية والجدية في التعامل مع الأبناء والتحلي بروح المسؤولية عوامل مشتركة تدفع بالأفراد إلى الحد من الصراع والمنافسة داخل الأسرة، وتعتبر حافزاً إيجابياً يترتب عليه الرفع في السلوكات السوية للأفراد وخلق مناخ صحي، ويجب على الأسرة الاعتماد على الطرق الصحيحة في التربية التي تساعد على فهم واقع الأبناء المعاش وخبائاه، لتحسين وضعهم وتسمح بتحسين العلاقات ورفع المستوى المعنوي لأفرادها، لتصل الأسرة إلى الاستقرار وتحقيق نتائج مثالية في ظل التغيرات الراهنة، ونلاحظ أن العلاقات الإنسانية داخل الأسرة تعتبر من العوامل المهمة في توطيد الثقة في النفوس، وتوفير بيئة مناسبة ومشجعة لمقاطعة المدمن للمخدرات وممارسة حياة سوية، والقدرة على التميز والمستوى العالي من التحكم في الذات

¹ - شوقي ناجي جواد، مرجع سابق، ص 95.

فالفرد بطبيعته يرغب أن تكون كل الأجواء والتعاملات في بيئته تتم بصفة ملؤها الروح الاجتماعية البعيدة عن الانحراف والتعاطي.

الجدول رقم (44): العلاقة بين الحالة المدنية للوالدين، ومناقشة مواضيع حساسة مع الأسرة.

المجموع	لا	نعم	مناقشة مواضيع حساسة مع الأسرة الحالة المدنية للوالدين
79 35.90%	21	43	متزوجين 64.17%
76 34.54%	39	15	منفصلين 22.38%
65 29.54%	93	09	مطلقين 13.43%
220 100%	153	67	المجموع 30.45%

يعد مؤشر الحالة المدنية للوالدين من أهم المؤشرات التي تعكس الظروف الاجتماعية التي يعيشها الأبناء داخل الأسرة، وتبين مدى اندماج الأفراد داخلها، من ناحية طبيعة العلاقات ومن

ناحية سهولة أو صعوبة التواصل بين أفرادها ومناقشة المواضيع الحساسة التي تهمهم، والتي تؤثر على سلوكهم ومواقفهم إتجاه بعضهم واتجاه الآخرين، ومن خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، سجلنا نسبة 35.90% عند المبحوثين الذين والديهم متزوجين، ترتفع عند المبحوثين الذين صرحوا أنهم يناقشون دائما مواضيع حساسة معهم 64.17%، تقابلها نسبة 34.54% عند الإجابات التي تفيد أن الأبوين منفصلين بدون طلاق رسمي، ترتفع عند المبحوثين الذين صرحوا أنهم لا يناقشون مواضيع الحساسة معهم 25.49%، وفي الأخير سجلنا نسبة 29.54% عند المبحوثين الذين والديهم مطلقين، ترتفع عند المبحوثين الذين لا يناقشون مواضيع الحساسة معهم أبدا بنسبة 60.78%.

من خلال نتائج الجدول، نلاحظ أن العلاقات داخل الأسرة التي تتسم بالإتصال ومناقشة مختلف المواضيع الخاصة بالأبناء، تعتبر من العوامل المهمة في توطيد الثقة في نفوس أفرادها وتوفير بيئة مناسبة ومشجعة لممارسة نشاطها بكل قدرة على التميز بين الصواب والخطأ، الممنوع والمسموح به، الشيء الذي يقي من الانحراف الإجتماعي وتبني سلوك التعاطي عند الشباب، وهذا ما يميز ويتوفر داخل الأسر التي تعيش جوا من الإستقرار أين يجتمع الزوجين والأبناء تحت سقف التفاهم والمودة والرحمة، بينما لا تتوفر داخل الأسر التي تعيش جوا من القطيعة والإنفصال سواء بطلاق أو بدونه، فالشباب بطبيعتهم يميلون إلى إنسانيتهم ويرغبون أن تكون كل الأجواء والتعاملات في بيئة الأسرة تتم بصفة ملؤها الروح الإجتماعية البعيدة عن التشنج وبرودة التعامل، مما يعزز شعورهم بالانتماء إلى أسرهم.

ونستنتج مما سبق، أن هناك علاقة طردية مباشرة بين مناقشة الأمور الخاصة بالأبناء والحالة المدنية للوالدين، وذلك أنها تتأثر بعوامل أخرى ذات أهمية بالغة مرتبطة بطبيعة العلاقات الأسرية، مثل خصائص شخصية الزوجين والأبناء والظروف التي يعيشونها طبيعة العلاقات السائدة داخل الأسرة، نظام الاتصال والحوار، المساندة الاجتماعية وشخصية

الأفراد... إلخ، ومن المؤكد أن للحالة المدنية للآباء علاقة ودور هام في خلق جو أسري يسوده التفاهم والتفاعل لرفع معنويات الأبناء، من خلال شعورهم بالراحة بسبب الإنتماء لأسرة موحدة يسودها التفاهم والإستقرار الذي يجمع بين الزوجين، نتيجة القدرة على مناقشة الأبناء القرارات المتعلقة بهم، والأهم من ذلك عدم تعرضهم لأي صعوبات أثناء محاولة إيصال مشاكلهم همومهم مشاعرهم إلى والديهم، فوظيفة التوجيه التي يمارسها الآباء ما هي إلا تبادل للآراء والحوار والتشاور بين الأولياء الذين يعلمون بواطن الأمور وأبنائهم، من خلال التفاعل البناء من أجل فعالية العلاقات الأسرية ورفع روحها المعنوية بالأخذ والعطاء وفق عملية تبادلية، فإن حدث وأن تعرضت هذه الخطوة لأي نوع من المعوقات والتي منها الانفصال الجسدي والروحي بين الزوجين سواء بالإنفصال أو الطلاق، فإن ذلك سيؤثر على العلاقات الأسرية بسبب شعور الأبناء بالإغتراب، وأنهم مجرد أفراد وليسوا جزءا من الأسرة التي يقضون معظم سنوات عمرهم داخلها، كل ذلك بسبب عدم المتابعة والرقابة بسبب الانفصال والمشاكل والتبعات التي تحدث قبل أثناء وبعد الانفصال، والتي تأثر بطريقة مباشرة وعنيفة على الإستقرار النفسي والإجتماعي للأبناء وتحول حياتهم إلى جحيم لا يطاق، أبطاله الزوجين ومشاكلهم الخاصة البعيدة كل البعد عن متطلبات الأبناء من سكينه واستقرار وحوار، بسبب مشاكلهم التي لا تنتهي في كثير من الأحيان حتى بعد الطلاق، فكل من الزوجين لا يلتزمان بالإصغاء والحديث مع أبنائهم، بل بالعكس فقد يحملونهم سبب العيشة الضنك التي جمعت بينهم، وأنهم السبب المباشر لتحمل كل منهم الآخر، مما يعزز عندهم مشاعر الإغتراب أكثر فأكثر.

وتبقى محاولات الوالدين المنفصلين للبحث عن أنماط مناسبة للتعامل مع الأبناء بعد الانفصال لتحقيق الإستقرار الأسري لهم، ضعيفة الفعالية إذا لم تهتم بالجانب النفسي والإجتماعي للأبناء، والذي يعتبر الهدف الأساسي والمهم الذي وجدت من أجله مؤسسة الأسرة ويظهر ذلك جليا من خلال مظاهر اللامبالاة والتمرد والانحراف التي شاع بروزها داخل الأسر المفككة، وما تحمله من خلفيات إجتماعية ونفسية، جعلت الكثير من الأبناء يرجعون أسباب

انحرافهم وتعاطيهم المخدرات إلى التأثير السلبي لإنفصال والديهم وتشتتهم بعد هذا الانفصال وبالرغم من أن الجميع ينبذ ولا يستحسن الطلاق والإنفصال بين الزوجين خاصة عندما ينتج عن هذا الزواج أطفال، وأن هذا النوع من السلوك مستهجن خاصة في المجتمعات الإسلامية والعربية، إلا أنهم جميعا يمارسونه أو يمارس عليهم، ولأنه بطبيعة الحال ظاهرة الطلاق ظاهرة إجتماعية، فإنها تمارس قهرا على الأفراد وتبقى تسيطر عليهم لأنها مستقلة عن الأفراد، وفي كثير من الأحيان تبقى الحل الوحيد المتبقي بعد استنزاف كل المحاولات في حل المشكلات المستعصية التي يستحيل معها الإبقاء على رابطة الزواج.

وقد تأكد لنا، أن العلاقات الإجتماعية تظهر بشكل جلي في طريقة التواصل والتعامل بين أفراد الأسرة، حيث يتم تعميقها من خلال عدة تصرفات، منها حسن السلوك وسلامة النية في التعامل، الأدب والتقدير المتبادل، الشعور بقيمة الأسرة والعمل الذي يؤديه داخلها، تشجيع الأبناء على الأفعال والسلوكيات الجيدة ومكافئتهم عليها، ويمكن للآباء أن يتبنوا عملية توطيد مبدأ الإتصال والحوار ومناقشة الأمور والمواضيع الحساسة مع أبنائهم في بيئة العائلة، كما يمكنهم التأكيد عليها من خلال فتح قنوات الإتصال وتشجيع الحوار بين أفرادها، كما يمكنهم التأكيد على أداء الواجبات الإجتماعية خارج الأسرة وحث الجميع على ذلك، إنها توجب الشعور بالانتماء للأسرة بسبب ما تكونه العلاقات الإنسانية في بيئة العائلة من الألفة والمحبة والتعاون والصدق، إنها من العوامل التي تؤدي إلى إشباع الرغبات الثانوية للأفراد مثل توفير فرص التعبير عن الذات الإنسانية لديهم، أو الإحساس بالأمن والاطمئنان والمكانة الإجتماعية، وهذا سيؤدي بدوره إلى تحقيق الرغبات الأولية عندهم وشعورهم بالانتماء، ويأمل الأبناء دائما أن يكون الآباء في علاقة دائمة معهم لمساعدتهم في حياتهم، والذي يكون في إطار مراقبتهم لاكتساب السلوكيات السوية بالطريقة الصحيحة، ويشارك الآباء أبنائهم الأفكار والآراء حول طريقة بناء مستقبلهم، وتعزز هذه المناقشات والأحاديث شعورهم بالتقدير والانتماء للأسرة، نتيجة تدخل بعض العوامل الإجتماعية والثقافية في الرفع من روح الإستقرار لجماعة الأسرة الذي يخلق التفاعل

الإيجابي، والتي من شأنها خلق جو من التفاهم والإرتياح، فالشعور بالإستقرار الأسري الذي يجمع بين الزوجين وأبنائهم يعطي الأفراد القدرة على امتصاص التوترات والصدمات التي قد تحدث من حين لآخر، ويساعد على تحسين الحياة الإجتماعية للجميع، وللشورى أهمية كبيرة في العلاقات الأسرية سواء بين الأزواج أو بين الوالدين وأبنائهم حيث أنه أسلوب يعمق جو العلاقات الإنسانية من خلال توثيق رابطة الألفة والمحبة بين الأزواج وبين الآباء والأبناء، مما يؤدي إلى الطمأنينة التي تؤدي إلى تدريب وتوجيه الأبناء ليكونوا مثلاً يحتذى به، ويعترف بالسلوك الجيد ويقيمه ويساعد الأبناء على النمو والتطور وتحمل المسؤولية وذلك من خلال خلق مناخ جيد من طرف الآباء وإشراك الأبناء في عملية التخطيط لمستقبل العائلة ومستقبلهم، والطلب منهم الإلتزام بالطريق السوي، وعلى العموم، يمكن القول أنه لا بد من توسيع دائرة الإتصال والتشاور بين أفراد الأسرة، والإبتعاد عن المشاكل التي قد تتسبب في الإنفصال بين الزوجين والتعامل معها بطريقة رزينة وحكيمة، لأن ذلك سيزيد من درجة التفاعل الإيجابي بينهم مما يؤثر إيجاباً على حياتهم وازتاهم النفسي والإجتماعي بصورة دائمة ومباشرة.

وفي الأخير، فإن مؤسسة الأسرة بطرقها وأساليبها ومبادئها، تهدف إلى توجيه الأبناء وجهة تخدم أغراض تنمية مهاراتهم في علاقاتهم الإجتماعية وسلوكهم في اتجاه الكيف والنوعية، وليس في اتجاه الأنانية وحب الذات، من خلال تعزيز العلاقات الراشدة وذلك بضبط السلوك الذاتي ذا الغاية الأحادية وتنظيمه من أجل الإرتقاء بالعلاقة إلى مستوى راشد، وتطوير العلاقات في اتجاه التعاون والترابط والتلاحم الأسري لتنمية الروح الجماعية، ومن خلال توجهات الجدول، فإن الإستقرار الأسري الذي يتجسد من خلال علاقة الزوجين وارتباط كل منهما بالآخر، يعتبر أحد الوظائف الأساسية الداعمة للإتصال على المستوى الأسري، وهو الإرتقاء بالعلاقات الإجتماعية إلى مستوى الإستقرار والتفاهم¹، ولأن الطريق أثناء المراهقة محفوف بالمخاطر فإن الوقاية هامة

¹ - مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص 185.

قبل وصول الأبناء إلى سن الشباب، فالآباء يستطيعون فهم مشاكل فترة المراهقة والشباب عند أبنائهم، ولكنهم يكونون أقل قابلية لتوجيههم ومتابعتهم والتواصل معهم بسبب انفصالهم أو طلاقهم، وما ينجر عن ذلك من مشكلات وأزمات نفسية وانحرافات إجتماعية، إن الأبناء في هذه المراحل الحرجة يحتاجون إلى الحديث صراحة عن أخطار المخدرات وتعليمهم كيفية مواجهة ضغوط الأصدقاء الذين يحاولون دفعهم للتعاطي لحمايتهم من هذه الأخطار مبكرا، وإنه من الهام إعطاءهم المعلومات الدقيقة عن المخدرات والخمور، وحتى يكون ذلك دقيقا يجب الإلمام بقاعدة معلومات سليمة عامة عن المخدرات تكفي للرد على تساؤلاته، ذلك أن تجار المخدرات يروجون بأنها تعطي السرور والرجولة والجنس والقوة، وبسهولة العلاج منها وعدم ضرر تعاطي كميات بسيطة منها، ويحتاج ذلك من الوالدين الرد السليم على هذه الإيحاءات المغرضة. مع أهمية توضيح الآيات والأحاديث القرآنية والدينية عامة، التي تتحدث عن خطورة المخدرات لجعل الحديث أكثر قبولا وأسرع تأثيرا، ولن يتأتى كل ذلك عند الأسر المفككة المنفصلة نفسيا واجتماعيا، فتترك المكان شاعرا لرفقاء السوء ومروجي المخدرات ليعتوا فسادا بعقول الشباب المحطم نفسيا والمتخبط في مشاكل اجتماعية لا حصر لها دون رعاية أو رقابة.

المبحث الثالث: الجانب النفسي وعلاقته بالانحراف وسلوك التعاطي:

تظهر الفعالية والحيوية في مفاهيم العلاقات الإنسانية أنها تركز اهتمامها على الأفراد، وهو أمر طبيعي لأن الأفراد هم من يمتلك الشعور والإحساس بالآخرين، إضافة إلى ذلك فالأفراد هم من يستجيبون عاطفيا ومعنويا، ويتجسد الجانب النفسي وعلاقته بالانحراف وسلوك التعاطي داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في عدم القدرة على تكييف ثقافة الأفراد مع ثقافة هذه المؤسسات حتى يكون هناك إنسجام وتأقلم، وكنتيجة لذلك، يجب التركيز أكثر على الجوانب النفسية لهم من خلال فتح باب الحوار والرفع من الروح المعنوية، والابتعاد عن كل ما يؤثر سلبا على نفسياتهم، كضغوط الحياة وما يترتب عنها من مشاكل تؤثر على فعالية مؤسسات

التنشئة الاجتماعية، وتهدف إستراتيجية مؤسسات التنشئة الاجتماعية تغيير العقائد والإتجاهات وقيم الأفراد، لتستطيع التعايش مع التحديات التي تفرضها التغيرات الهائلة في البيئة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية¹.

ولا تقتصر آثار المخدرات على الأضرار الحيوية على مستوى الفرد، بل إن العلاقة العضوية الحيوية تؤثر وتتأثر بالجهاز النفسي، ومن ثم فإن البعد النفسي قد حظي بكم هائل من الدراسات والبحوث في مجالات التعاطي والإدمان سواء بالنسبة للمخدرات أو الكحوليات وتعتبر قضية الإنحراف من القضايا المعقدة وليست مفهومة بالشكل الدقيق، ولذلك فقد تعددت على مر التاريخ نظريات وأبحاث كثيرة حول أسبابه، وبالأخص إدمان المخدرات، فارجع البعض نظرياتهم إلى أنها قضية وراثية، وآخرين إلى أنها قضية عقلية، وآخرين إلى أنها ترجع إلى الاعتمادية النفسية التي تنشأ عند الشخص للسلوك الإدماني الذي يمارسه، سواء كان باستخدام المخدرات أو بأنواع أخرى من الإدمان.

الجدول رقم (45): العلاقة بين الحالة المدنية للوالدين، في حالة الوفاة.

لقد سبق لنا وأن تطرقنا في جدول سابق إلى تأثير الجانب الاجتماعي على المبحوثين الفاقدين لوالديهم أو لأحدهم، ومن خلال هذا الجدول سنركز على الجانب النفسي لهذا الفقد وتأثيره على انتهاج سلوك الإنحراف والإدمان.

المجموع	لا أحد	كليهما	الأم	الأب	في حالة
					الوفاة الحالة المدنية للوالدين على قيد الحياة
157 71.36%	157 100%	00 00.00%	00 00.00%	00 00.00%	

¹- محمد الصيرفي، مرجع سابق، ص 55.

متوفيان	00	00	06	00	06	02.72%
	00.00%	100%	00.00%	00.00%	00.00%	
متوفى أحدهما	36	00	00	21	25.90%	
	47.72%	00.00%	52.27%	00.00%	00.00%	
المجموع	36	157	06	21	220	100%
	16.36%	71.36%	02.72%	09.54%	02.72%	

سجلنا من خلال معطيات الجدول ما نسبته 71.36% عند المبحوثين الذين صرحوا أن كلا والديهم على قيد الحياة، ونسبة 25.90% عند المبحوثين الذين صرحوا بأن أحد والديهم متوفي ترتفع عند المبحوثين الذين توفيت لهم الأم 52.27%، وفي الأخير سجلنا ما نسبته 02.72% عند المبحوثين الذين أجابوا بأن كلا الأبوين متوفيين.

من خلال تحليلنا لنتائج الجدول من الناحية النفسية، وانعكاساتها على سلوك الإنحراف والتعاطي عند المبحوثين، نستنتج أن فقدان الأبناء لأحد الوالدين قد يؤدي إلى صراعات نفسية واضطرابات وانعدام التوازن العاطفي والأمن النفسي، مما يؤثر على مدى تقبلهم لواقعهم الاجتماعي ويقلل من كفاءتهم مستقبلاً، ويؤثر على مستوى تحصيلهم الدراسي وعلى نموهم النفسي والعقلي، حيث يتعرض الغائب عنهم أحد والديهم أو كليهما للخوف والحرمان والتهديد والاكئاب، ويؤثر في اكتسابهم الأدوار الاجتماعية والتي تعد أساس عملية التعلم والاندماج الاجتماعي، فيؤثر على استقلال شخصيتهم وفي اعتمادهم على أنفسهم، أو قد يؤدي إلى الاضطرابات السلوكية والجنوح والانحراف أحياناً.

وبناءً لما سبق طرحه، قد يكون فاقد الأب لفترة طويلة أو نهائياً أكثر إحساساً بالقلق والشعور بالنقص وأقل نضجاً ورغبة في التفاعل الاجتماعي مع غيره، ويكون أكثر إتكالية ولا مبالاة، وقد يكون ضعيف الثقة بالنفس وأقل التزاماً بالنظام الاجتماعي، وقليل الانتباه والتركيز والاستجابة، وأقل قدرة على السيطرة على نوبات الغضب التي تنتابه، وفي هذه الحالة، فإنه من الضروري ربط الأبناء بأب بديل من الكبار، من خلال الإخوة الكبار أو الأعمام أو الأخوال أو

الأقرباء للتخفيف من معاناتهم أو من خلال مؤسسات بديلة كفرق الكشفافة ودور الرعاية والمدارس.

ومن ناحية أخرى، فإن فقدان الأم يعتبر فقدان الجلل بالنسبة للأبناء، يؤدي إلى تشتت العائلة وتفككها، وقد يدخل الأبناء في حالة نفسية مرضية تؤثر على صحتهم الجسدية والعقلية وقد تسبب أمراض التوحد أو حالات من العنف والعدوانية والانطوائية، وقد يؤدي ذلك للانحلال الأخلاقي وإهمال الدراسة وإتباع الطرق السلبية التي تؤدي بهم إلى الدمار، ففقدان الأم قد يؤدي إلى التعرض للظلم من قبل العممة أو الخالة أو الزوجة الثانية للأب في حالة زواجه قصد مساعدته على تربيتهم، وهذا يؤدي لمشكلة نفسية وعقلية عصبية للأبناء، فعند فقدان الأم يشعرون بأنهم تقدموا في السن فجأة، وأن سندهم في الحياة قد غاب وللأبد، وأن عليهم تحمل المسؤولية والتفكير في أمور لم تخطر لهم من قبل، ويشعرون بأن كل ما حولهم أصبح جافاً بلا معنى وأن طفولتهم سلبت منهم، فهي تمثل الحنان والعاطفة والارتياح والطمأنينة والاستقرار النفسي والاجتماعي، وفقدانها يسبب الشعور بعدم الارتياح وغياب الإحساس بالأمان والشعور الدائم بالضعف وعدم الاستقرار، مما يدخلهم في دوامة لا مهرب منها، فمن الناحية النفسية يترسخ في ذاكرة الأبناء إحساس الأمان في وجود والدتهم، ويصبح عدم وجودها يستدعي الذاكرة التي تستدعي الخوف بشكل مبسط فيقوم الأبناء بالبكاء والحزن، وتجعلهم يشعرون بالتعب والإحباط النفسي، فيلجأون إلى ممارسة سلوكيات منحرفة كتعاطي المخدرات بحثاً عن الراحة النفسية التي تجعلهم لا يتذكرون ألم الفقد وينسون مصابهم الجلل، ففقدان الأم قد يسبب صدمة نفسية عنيفة خاصة إذا ما ارتبط ذلك بمعاملة الآباء والمقربين القاسية.

وبالمقابل، في بعض الأحيان يستطيع الأبناء التغلب على هذا الفقد ويستكملون مسيرة حياتهم من دون آثار نفسية مستديمة، ويتأتى ذلك عند توافر الظروف المناسبة لذلك، كوجود البديل الذي يعوض نفسياً وعاطفياً الفراغ الذي تركه فقدان أحد الوالدين، خاصة إذا كان المفقود هو الأب، فلأم في أغلب الأحيان تحاول بكل ما أوتيت من قوة تعويض أبنائها فقدان

والدهم، وتعمل جاهدة على ملأ الفراغ النفسي عند أبنائها، ولعب دور الأم والأب في نفس الوقت، ولكن هناك البعض منهم من تترك لهم هذه الحوادث مشاكل نفسية عنيفة تحول دون استكمال حياتهم بشكل طبيعي، فحادثة وفاة أحد الوالدين يمكن أن تؤثر في حياتهم لفترات طويلة جدا، وبطبيعة الحال هناك العديد من العوامل التي تلعب دورا يمكن أن يزيد أو يقلل من خطورة الإقدام على الانحراف من خلال توفير حياة عائلية هادئة بعد الفقد، والاهتمام والتركيز على تفوقهم الدراسي والنجاح الاجتماعي والاقتصادي، مما يحول دون انحرافهم وانتهاجهم الطريق اللاسوي.

وفي الأخير، فإن الفرد عندما يفقد والديه أو أحدهما خاصة في سن مبكرة، يؤدي ذلك مروره بعدة مراحل، منها مرحلة الصدمة ثم مرحلة الإنكار ثم الإكتئاب، وبعدها مرحلة تقبل الواقع، وهذه المراحل تختلف من شخص لآخر تبعا لطبيعة حياته وشخصيته ومدى استقباله لهذه الصدمة، وغياب الأب بشكل خاص له تأثير مختلف عن غياب الأم، فالأب له تأثيره في جوانب قد لا تستطيع الأم أن تحيط بها عند غيابه والعكس صحيح، خاصة الجانب النفسي الداعم الذي يشكل حيزا كبيرا في تنشئة الأبناء خاصة في مقتبل العمر، وتختلف نسبة الأعراض بين الذكور والإناث، وهناك تأثيرات نفسية مباشرة وغير مباشرة لنشأة الطفل دون وجود أبوين يقومون برعايته، ومن التأثيرات المباشرة فقدان الحنان والعطف الذي يولد شعورا بالوحدة والعزلة، خاصة عندما يشاهد الطفل أقرانه ومن حولهم مع آبائهم، أما غير المباشرة، فهي العوامل التي تظهر على شكل سلوكيات، خاصة عندما يكون الطفل دون رقيب، فيكون الانحراف الأخلاقي وارد بشكل كبير والتمرد لعدم وجود من يحاسبه، وهذا من شأنه أن جعل الطفل لا يشعر بالأمان والطمأنينة والدعم والمساندة بوجود أبويه حوله، وقد يكون فقدانه في مرحلة ما بعد المراهقة أقل تأثيرا، بعكس غيابه في المرحلة الأولى من عمر الطفل أو في سن المراهقة، والتي يصبح معها عدوانيا وغير اجتماعي، يميل إلى الفظاظة عند تعامله مع الآخرين، وهذا نتاج غياب القوة التي كان لابد أن يستند عليها ويستمد منها من والديه.

الجدول رقم (46): العلاقة بين تعامل الوالدين في حالة اقترافك خطأ، وسن التعاطي أول مره.

المجموع	19 سنة فما فوق	16 - 18 سنة	أقل من 15 سنة	سن التعاطي
				أول مرة تعامل الوالدين في حالة اقترافك خطأ
33 15.00%	06 07.89%	21 15.90%	06 50.00%	التوجيه والإرشاد
152 69.09%	50 65.78%	98 74.24%	04 33.33%	الشدّة والقسوة
35 15.90%	20 26.31%	13 09.84%	02 16.66%	عدم التدخل في شؤونك
220 100%	76 34.54%	132 60.00%	12 05.45%	المجموع

من خلال ما سجلناه في الجدول أعلاه من معطيات، نلاحظ أن أغلب مفردات العينة صرحت أن الشدة والقسوة غالبية في أسلوب التعامل من طرف الوالدين 69.09%، ترتفع عند المبحوثين الذين كان سن تعاطيهم أول مرة من 16 إلى 18 سنة، بنسبة 74.24%، وبالمقابل سجلنا نسبة 15.90% ممن يقرون بعدم تدخل الوالدين في شؤونهم، ترتفع عند المبحوثين الذين كان سن تعاطيهم أول مرة من 19 سنة فما فوق، بنسبة 26.31%، وأخيرا نسبة 15.00% عند الفئة التي صرحت بالتوجيه والإرشاد كطريقة لتعامل الوالدين، ترتفع عند المبحوثين الذين كان سن تعاطيهم أول مرة أقل من 15 سنة، بنسبة 50.00%.

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه، أن اضطرابات الطفولة والمراهقة ومشكلاتها قد تتدخل في تكوين شخصية الإنسان عند الكبر، بحيث قد تؤدي التربية الصارمة المتصفة بالشدّة والقسوة إلى اضطرابات نفسية عميقة، وقد أبرزت نتائج الجدول من ناحية أخرى، أهمية مرحلة المراهقة وأثرها في نمو شخصية الفرد ومدى سلامتها أو انحرافها في المستقبل، وفي هذا الشأن أكد العلماء والباحثون أن كل ما يلاحظ من سلوك معين لدى المراهقين أو الراشدين، يفسر

بالرجوع للسنوات الأولى من مرحلة الطفولة ونوعية التنشئة التي تلقونها آنذاك، التي تتميز بمجموعة من الخصائص أهمها سرعة النمو على مستويات: الذكاء، العاطفة، اللغة، العلاقات الاجتماعية... الخ، وقد اهتمت الدراسات الإنسانية عموماً وعلم النفس الاجتماعي خصوصاً بدراسة سلوك الإنسان بالتركيز على فهمه وقياسه وتفسيره ومحاولة التنبؤ به... الخ، حيث تدخل أفعال الناس ضمن نوعين من السلوك سلوك فردي وآخر اجتماعي، ولكل منهما مبادئ لنموه وطرائق لاكتسابه، وينمو الفرد البشري بدنياً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً عبر مراحل حياته، ولكل مرحلة خصائصها في النمو وأثرها في المراحل اللاحقة، وفي كل مرحلة من هذه المراحل يكتسب الفرد مجموعة من المفاهيم والقيم والمعايير الاجتماعية، التي من خلالها يقرر سلوكه وعلاقاته مع الآخرين، تبرز خلال هذه المرحلة المبكرة من عمر الإنسان أهم المؤهلات والقدرات لديه، ومن خلالها ترسم الخطوط الكبرى لملامح شخصيته المستقبلية.

ويربط أنصار الاتجاه النفسي في تفسيرهم لأسباب الظاهرة، بين الأسلوب الوالدي في التعامل والتنشئة خاصة في حالة ارتكاب الأبناء لأخطاء، وبين الانحراف والتعاطي عند المراهقين والشباب، حيث يرون أنه توجد حياة نفسية لا شعورية إلى جانب الحياة النفسية الشعورية فهناك تفكير لا شعوري وإدراك لا شعوري وتذكر لا شعوري، كما أن هناك رغبات ومخاوف لا شعورية، ولكنها تحرك جميعها الفرد وتدفع به إلى كثير من مظاهر الفعل والسلوك، التي لا يتفطن إلى أسبابها الواضحة أو المعقولة والمنطقية، كما أنها قد تكون سبباً في كثير من الاضطرابات النفسية والعقلية، والسلوك المنحرف هو إذن صورة أو إنطلاقة رمزية لبعض جوانب الحياة المكبوتة، ولا يتسنى الوقوف عليها وفهمها إلا بدراسة مرحلة الطفولة، فقد يكون السلوك الانحرافي تعبيراً عن عقدة تكونت في هذه المرحلة بسبب أسلوب القسوة والإضطهاد الذي تعرض إليه من طرف الآباء أثناء تنشئته، في حين يرى البعض الآخر أن شخصية الفرد لا تتأثر كثيراً بالوراثة أو تكوين الجسم بل تتأثر إلى حد كبير بالعوامل النفسية التي تتكون خاصة خلال مرحلة الطفولة المبكرة والمراهقة، نتيجة العلاقات الخاصة والتصرفات المتبادلة بين أفراد

الأسرة، وما يميزها من أساليب في المعاملة، إذ تبقى رواسب هذه الحوادث عالقة بشخصية الفرد أو تنغرس جذورها في حياته العاطفية عبر المراحل العمرية اللاحقة، وتصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته، فإذا كانت مثلا حياة البناء العائلية قاسية ومليئة بالمنغصات، فإن اثر ذلك قد ينعكس على حياته المستقبلية مؤديا إلى إنحرافه وإدمانه للمخدرات وإرتكابه للجرائم.

ومن جهة أخرى، يفسر بعض العلماء النفسانيين أسباب السلوك الإنحرافي لدى المراهقين والشباب، إلى الصراع المستعر في نفوسهم أثناء تنشئتهم داخل أسرهم، وما يشيع عن أساليبها في التربية والتهديب، والذي يجعلهم عاجزين عن إتخاذ موقف لحسمه بحيث يكون مرضيا لهم وللأسرة وللنظام العام للمجتمع، وتقوم مبادئ النظرية الأنثروبولوجية على أن شخصية الفرد هي الأساس وأن دور البيئة الاجتماعية محدود، وأن العوامل الأساسية في الإنحراف قد تكون وراثية أو خاصة بالتكوين العضوي والنفسي والعقلي للمنحرف، أو خاصة بالتكوين الغريزي والصفات الشخصية له، والعوامل الداخلية النفسية هي في أغلب الأحيان عوامل لا شعورية تؤثر في الفرد دون أن يدري عنها شيئا، وهي تتفاعل مع العوامل الخارجية لتوليد السلوك الإنحرافي، فهناك عدة عوامل إرتقائية لا شعورية منها على سبيل المثال: الإضطراب العاطفي حيث يرى الكثير من الباحثين أن سوء العلاقات بين الفرد ووالديه وخاصة الأب القاسي هو السبب الرئيسي في كثير من حالات الإنحراف والجريمة، ويترتب عن الإضطراب العاطفي كثير من المشاكل التي تتمثل في الفشل في تهذيب الغرائز البدائية عند الأبناء والسيطرة عليها، وفشل في تكوين (الأنا) أو الذات (Ego) بصورة سليمة وقوية، وعدم القدرة على تكوين الضمير أو (الأنا الأعلى)، وهكذا يصبح الأفراد ذوي هذا التكوين غير إجتماعيين في طفولتهم ثم يجنحون بعد ذلك.

وفي سياق متصل، قد تكون قيم بعض الأسر مختلفة عن تلك السائدة في المجتمع، والتي تكون من العوامل النفسية اللاشعورية التي تؤدي للإنحراف أيضا، ومن ذلك الذات العليا المعكوسة، والتي قد تسود فيها النزعات اللا إجتماعية أو الإجرامية، ويحدث أن تؤثر هذه القيم

الشاذة في تكوين الضمير أو الأنا العليا لذلك الفرد وكذلك عقدة النقص، حيث تتأثر بأسلوب المعاملة الأسرية، وعلى ما لدى الإنسان من طموح في الحصول على مكانة هامة داخلها وفي المجتمع، وعندما يدرك الشخص أنه إنسان فاشل بسبب معاملة والديه وأسرته له خاصة في حالة الخطأ أو التعثر، فإنه يلجأ للانحراف على سبيل التعويض، ومن الممكن أن تعرض بعض اضطرابات الشخصية على السلوك المنحرف ومنه تعاطي المواد المخدرة والإدمان عليها، إما بسبب أن شخصية الفرد تكون أكثر قابلية للعطب والانحراف، أو لأن هذه الشخصية تجد في المواد المخدرة سبيلاً لتغيير وتعديل الحالة النفسية المتأثرة بطريقة المعاملة داخل الأسرة.

ومجمل القول، وبناء على ما سبق طرحه، فإن أي اختلال يطرأ على سلوك الأبناء أو نموهم ولا يكتشف في الوقت المناسب ولا يعالج بطريقة جدية، يقلل من قدراتهم العاجلة والأجلة، حيث تخلف آثاراً سلبية لا تزول حتى على المدى البعيد في حالات كثيرة، ففي بداية حياتهم تبرز لدى الأبناء بعض النزعات التي قد يكون لها استمرارية في المستقبل، مثل نزعة السيطرة أو التبعية أو الأنانية أو العدوانية... الخ، عن طريق ممارستهم لبعض العادات الاجتماعية السائدة في بيئتهم أو ملاحظتها وتخزينها في لا شعورهم، أو محاكاتهم لها في بعض المواقف الاجتماعية، فعموماً ينمو الأبناء في عدة اتجاهات في آن واحد، وهذه الاتجاهات متداخلة ومتكاملة مع بعضها البعض وبالتالي، فإن أي خلل في أحد اتجاهات النمو هذه أو في جزء من أجزائها، يكون له الأثر المباشر أو غير المباشر على بقية الأجزاء والاتجاهات الأخرى باعتبار أن الطفل يولد صفحة بيضاء تضع التربية والبيئة بصماتها عليه وتشكله بحسب أساليب المعاملة والظروف المحيطة به، والمواقف الحياتية التي يمر بها خلال فترة نموه في جميع الاتجاهات، وخاصة النمو العقلي والنفسي، المعرفي والاجتماعي، لذلك فإن التربية والمعاملة الوالدية التي تتسم بالتوجيه السليم والإحتواء البناء، تكسبه الكثير من العادات ونظم الحياة السوية.

وفي ذات السياق، فإن الوراثة والبيئة عاملان يتصارعان من أجل ترك بصماتهما على شخصية الإنسان، ولل فرد الدور الأكبر في تكوين شخصيته وصقلها وجعلها بالشكل الذي يبتغيه كون كل فرد لديه صفات ذاتية و صفات مكتسبة، تتأثر بأسلوب المعاملة التي يتلقاها من خلال تنشئته، فهناك عوامل غير اجتماعية تؤثر في نمو الشخصية، وعملية التنشئة تحدد معالم شخصيته، ومسألة تقبله لوضعه وكيفية تعامله وتفاعله معه، ولكن هذا لا يعني بأننا نستطيع جعل أطفالنا رجالا على شاكلتنا، بل لكل عصر ولكل زمن متطلباته، وخير من وضح لنا هذا الجانب سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) عندما قال: (لا تطلبوا من أبنائكم ما طلب منكم فإنهم خلقوا في زمان غير زمانكم)، لكن الطفل لا يجني أي شيء من السلوك الاجتماعي العام في هذه المرحلة المبكرة من عمره، وإنما يكون في حالة خضوع لتوجيهات الأفراد الذين يسهرون على تنشئته، فيعمل أثناء ذلك على تخزين الكثير من الاتجاهات نحو أنماط السلوك السائدة في بيئته الاجتماعية ويستظهرها عندما يحين وقتها، وفي مرحلة لاحقة يتميز الطفل فيها بدخوله المدرسة واندماجه في جماعات اللعب أو الرفاق، مما يساعده على إبراز تفوقه الفردي على أقرانه واختبار ما اكتسبه من قدرات جديدة، وتصبح جماعات الرفاق من المصادر الأساسية لاتجاهاته وعاداته وميوله، وهنا يبدأ نضال الطفل من أجل التحرر والاستقلال من سلطان الكبار عليه، وبناء على معرفة هذه الخصائص يمكن استغلال ذلك من خلال توجيه الطفل نحو النشاط الاجتماعي والألعاب الجماعية، مما يعزز عنده السلوك التعاوني والكثير من السلوك الاجتماعي السوي.

وفي الأخير، يصحب النمو البدني للفرد دوما نمو في الجوانب الأخرى من شخصيته، ولكن تجدر الإشارة إلى أن النمو البدني يتم عن طريق التغذية أما النمو العقلي والنفسي والاجتماعي فيتم عن طريق التعلم، لذلك اعتنى العلماء والباحثون في مجال تنمية سلوك الأفراد الاجتماعي بالطرق التي تستخدم في تعليمهم ذلك، وتعلم السلوك الإنساني والاجتماعي يتم أصلا ضمن عملية التفاعل بين الأفراد، فالسلوك الإنساني هو دلالة على استجابة ما نحو دافع ما لدى

الفرد، وتلعب البيئة المحيطة بالفرد دورا في التأثير على طريقة استجابته لدوافع السلوك، فمن ناحية اكتساب السلوك الاجتماعي، يمكن القول أن مرحلة المراهقة بصفة عامة هي المرحلة التي تصبح فيها الحياة الجماعية مسألة ذات أهمية بالغة بالنسبة للمراهق، فوجوده وسط جماعة من الأصدقاء يساعده على التخلص من مخاوفه واضطرابه، كما يحصل منها على الدعم الذي يحتاج إليه في حالات صراعه مع الكبار، ومن هذه الاعتبارات تكون الجماعات المراهقة بحاجة إلى قيادات راشدة وخيرة تستطيع أن تخلق لهم فرصا للنمو بأسلوب الكفاح والتجربة على أن تكون هذه القيادات مؤهلة لتأطيرهم ومستعدة للتدخل ووقايتهم من أية عواقب وخيمة.

الجدول رقم (47): العلاقة بين الرغبة في مغادرة الأسرة، والشعور بالراحة والتقدير.

المجموع	لا	نعم	الرغبة في مغادرة الأسرة	
			الشعور بالراحة والتقدير	
93	89 51.14%	04 08.69%	نعم	
127 70.90%	85 48.85%	42 91.30%	لا	
220 100%	174 79.09%	46 20.90%	المجموع	

من خلال القراءة الإحصائية للجدول، لاحظنا أن عدم الرغبة في مغادرة الأسرة 70.90% يتعزز كلما زاد الشعور بالراحة والتقدير 91.30%، في حين نسبة من يرغبون في مغادرة الأسرة 29.09%، تزيد كلما نقص الشعور بالراحة والتقدير 51.14%.

إن الشاب ليس عبدا لحاجته كما يرى ماسلو، إنما سلوكاته هي إجابة مباشرة وصریحة للوضع المادية، النفسية والاجتماعية التي يعيش فيها داخل أسرته ومحيطه الخارجي، فسلوكه إذن ما هو إلا رد فعل واع منطلق من قراءة ذكية للوضع التي يعيشها، وما تتضمنه من إيجابيات أو امتيازات، وقد أهمل الآباء هذه النقطة من خلال السلوك الذي يبديه الفرد في الأسرة، فهذه الإستجابات هي ردود أفعال لقواعد وأنظمة العقوبات أو المكافآت أو غير ذلك من

المؤثرات، وعليه، يجب أن تركز فلسفة العلاقات الأسرية على مبدأ الإيمان بقيمة الفرد واحترام حقوقه الأساسية، وأن تراعى في ذلك واجبات الفرد ومسؤولياته في المجتمع، ولا بد من إنشاء نظام يحفز ويحركه فالإيمان بالشئ هو خير دافع للإهتمام به.

وتشير نتائج الجدول، أن غياب عنصر الراحة والتقدير داخل الأسرة قد يؤدي إلى تحريك الأفراد سلبا، مما يكون له الأثر الكبير في ظهور الإتجاهات السلبية تصل إلى حد الرغبة في مغادرة الأسرة إذا ما توفرت لهم فرصة التواجد خارجها، فالحاجة إلى التقدير والانتماء لها أهمية كبيرة من الناحية النفسية في تحديد الروح المعنوية للأفراد، ويعتبر من العوامل الأولية التي تدفع الأفراد إلى العمل الجاد لإنتهاج السلوك السوي، وتحدد إتجاهاتهم نحو تحقيق أعلى مستويات الرضا، فارتفاع الروح المعنوية والشعور بالرضا يخفض معدل الرغبة في مغادرة الأسرة ومنه انتهاز طريق الإنحراف والجريمة.

وبناء على ما سبق طرحه، على الآباء الإهتمام بالجانب النفسي والإدراكي لأولادهم وتحسيسهم بالتقدير من خلال دورهم في تحقيق فعالية الإندماج، بفتح قنوات الإتصال وتوضيح الخطوط التي يمكن تخطيها والتي لا يمكن تخطيها، وإشعارهم بأنهم موضع إهتمام وتقدير بإشراكهم وإستشارتهم عند إعداد ووضع خطط مستقبلهم ومستقبل الأسرة التي سيقومون بتنفيذها في آخر المطاف، وعلى الوالدين الإهتمام بالأبناء وتطوير مهاراتهم من خلال تشجيعهم حسب قدراتهم وإنجازاتهم، ويكون ذلك من خلال تحفيزهم بطرق مناسبة لتشجيعهم على مواصلة أدائهم الفعال (كمنحهم العطف والحنان، أو توفير نشاطات ثقافية جديدة تجمعهم، أو إعطائهم مصروف إضافي وهكذا)، ولكن في كل الأحوال يجب أن يركز الأب على العوامل التي تؤثر على حماس الأبناء في الأسرة خاصة العوامل الكامنة في داخل كل واحد منهم، والعمل على بناء الشعور بالاحترام والتقدير ولو بالكلمة الطيبة، كإطرائهم والثناء على ما أنجزوه من أعمال جيدة

وإشراكهم في العمل والطلب منهم المزيد من الأفكار، وكل ذلك يساهم في الرفع من روحهم المعنوية ويزيد من التقارب الأسري.

ومن ناحية أخرى، فإن الأمراض والاضطرابات النفسية التي تنجم عن الانحراف عن الخط أو الطريق السوي، تجر إلى اضطرابات كثيرة في الصحة البدنية والنفسية والروحية والعقلية والسلوكية، فالسارق قد لا تبدو عليه علامات الانحراف بدنياً، لكن سرقة سترتها أثرها في نفسيته وقد يعيش حالة التأنيب الداخلي، وفي نفس السياق، الكثير من حالات الكآبة والقلق والأرق والتشاؤم واليأس والإحباط، والشعور بالعجز وتأنيب الضمير، والإعراض عن الطعام والهزال والانطواء، هي ثمار للعديد من الانحرافات التي يبتلى بها الشباب، وقد يدفع بعضها إلى العصبية والنرفزة وضيق الصدر بالآخرين، وإلى الملل والسأم السريعين، والرغبة بالانتقام والحقد، والميل إلى الأفكار السلبية ومنها الانتحار، كما تؤدي إلى تدهور وضعف الإيمان أو الوازع الديني الذي يعتبر عامل منع للانحراف، فالمنحرف إذا تعايش مع انحرافه وازداد تدهوره القيمي والديني والأخلاقي، فلا يعود يقيم وزناً للعفة والطهارة والنزاهة والاستقامة بين الناس، حيث تبدأ مؤشرات الانحراف عنده بالشعور بعدم جدواها أولاً، ثم بالتقصير في أدائها، ثم ينتهي إلى إهمالها تماماً، وفي الكثير من الحالات لا يبقى المنحرف مواظباً على تقديم نفس المستوى من النشاط والفعالية والجدية والتجاوب مع الأفكار الإيجابية والإبداع، فكما يضعف التزامه الديني يضعف كذلك مستواه الدراسي والثقافي والأخلاقي والاجتماعي، أي أن منعكسات الانحراف لا تقف عند حد واحد، وهذه كلها انحدرات وانحرافات متلاحقة تضعف الأداء في مختلف المجالات، وكنيجة لذلك، فإن الشاب المنحرف أو الفتاة المنحرفة سيجدان إعراضاً أو جفاءً وامتناعاً من الناس والمجتمع الذي يعيشان فيه، خاصة إذا كان للمجتمع تقاليده وأعرافه والتزاماته التي يراعيها، وإذا تمادوا في الانحراف، فإن ذلك قد يؤدي إلى مقاطعتهم تماماً ونبذهم، مما يخلق لهم متاعب نفسية واجتماعية هم في غنى عنها، فلا يجدون من يوظفهم أو يزوجهم بل لا يجدون من يصادقهم مخافة أن يتهموا بهم، اللهم إلا النفر الضال الذي يماثلهم في الانحراف على طريقة

"شبيه الشيء من جذب إليه" ، وبالتالي، فإن أجواء الانحراف التي تحتضن الشاب ستوقعه في المزيد من الانتكاس والتردي في مهاوي الادمان والضياع، وضعف الإرادة والانحلال، أو فقدان السيطرة على النفس التي هي سبب وأيضا نتيجة، فالإرادة الواهية تقود إلى الانحراف، والانحراف يزيد في ضعفه وانحلاله حتى يغدو الشاب المنحرف كالمريض ضعيف البنية، يسهل على الجراثيم والميكروبات والفيروسات افتراسه فيصاب بأذى عارض، أي أن قابليته للإصابة تزداد عنده بسبب نقص المناعة أو اندثارها.

وفي سياق منفصل، للتكوين العاطفي الإنفعالي أثر على الإنحراف، والمقصود به سرعة التهييج والحساسية النفسانية، ومعناها عدم قدرة الشخص على أن يحتمل تأجيل رغباته وحاجاته حتى الوقت المناسب لإشباعها، ويتسم هذا الخلل غالبا بارتكاب جرائم العنف، ويرى العلماء أن الشذوذ الذي يتعلق بالنواحي العاطفية يعتبر شذوذا أصيلا، أي أنه موجود منذ الميلاد ويطلقون عليه إسم "السيكوباتية"، وتعبر الشخصية السيكوباتية المضادة للمجتمع عن الأفراد غير المتطبعين اجتماعيا بشكل أساسي، والذين تؤدي بهم أنماطهم السلوكية إلى صراع مع المجتمع بشكل متكرر، كما أنهم عاجزون عن الانتماء الحقيقي للأفراد أو الجماعات أو القيم الاجتماعية، لا يتحملون المسؤولية وعدوانيون، وعاجزون عن الشعور بالذنب أو التعلم من الخيرة والعقاب، ولا يتحملون الإحباط ويلقون اللوم على الآخرين، ويظهرون تبريرات مقبولة لسلوكهم، ويعتبر سلوك التعاطي الناتج عن الانحراف السيكوباتي كخروج عن سنن الطريق الذي تقره معايير الجماعة، وقد ينحرف الشاب لضعف سيطرة الأب أو لقساوته أو لإختفائه الكلي بالموت أو بالطلاق، ويشب المنحرف فتكبر معه جرائمه حتى تصل إلى ذروتها في أواخر مراهقته وشبابه، ويظم الانحراف السيكوباتي أشكالا عديدة، منها الميل للتعدي على الغير وإيقاع الضرر بهم دون مراعاة السلطة القانونية الضابطة.

وبناء على ما سبق طرحه، يعتبر الإنحراف شكل آخر يميز الشخصية السيكوباتية التي يمكن أن نصادفها في الأوساط الاجتماعية والفئات الاقتصادية المختلفة، حيث يعبر الشباب عن احتجاجهم وعدم قبولهم لأساليب التنشئة ونوع الحياة التي وجدوا أنفسهم فيها، في صورة عدوان أو كذب أو سرقة أو اغتصاب جنسي أو إدمان على المخدرات، أو أي نوع آخر من السلوك الإجرامي، ومن الملاحظ أن الفرد السيكوباتي يكون التنبؤ بتصرفاته أو فهمه أمر صعب، فقد يلجأ مثلا إلى الكذب حين يكون من السهل عليه أن يقول الصدق، وهو قد يسرق حين لا يدفعه شيء ظاهر إلى ذلك، كما أن أفعاله المنحرفة قد ترتكب سرا كما هو الحال في سلوك التعاطي، في حين أنه قد يتباهى مثلا في بعض الأحيان بتمرده على المجتمع، ومهما تكن الصورة التي يتخذها سلوكه نجده يتميز بطابع لا تخطئه العين، وهو عدم الاعتراف بالقواعد الاجتماعية والعرف السائد في المجتمع، عدم القدرة على الاستمرار في تحمل المسؤولية العائلية والاجتماعية.

وفي الأخير، الرغبة في مغادرة الأسرة مؤشر قد يدل على عدم الراحة النفسية والإختلاف والصراع أو الإنقسام داخلها، والنظرة إلى الأفراد على أنه لا يتعدى دورهم نزلاء في المنزل الذي يضمن إستمرار إيوائهم لا غير، فهذا ما يؤدي إلى التشتت وعدم الشعور بالرضا حيث تقتصر العلاقات داخل الأسرة بين أفرادها في المجالات المادية، وإهمال الجوانب النفسية والمعنوية مثل التقدير، مما يؤثر في العلاقات الإنسانية داخلها، فيلجئون إلى أماكن أخرى كالشارع أو أشخاص آخرين كجماعة الرفاق، لكي يشبعوا حاجياتهم النفسية للتقدير والإهتمام، والتي قد تلعب دورا عكسيا فتلقي بهم في طريق الإنحراف والجريمة والشذوذ.

الجدول رقم (48): العلاقة بين الرغبة في الانقطاع عن التعاطي، وسبب الرجوع إليها.

المجموع	لا	نعم	الرغبة في الإنقطاع عن التعاطي	
			سبب الرجوع إليها	سبب الرجوع إليها
104 47.27%	32 35.55%	72 55.38%	الإعتماد النفسي عليها.	
96 43.63%	45 50.00%	51 39.23%	تأثير الرفقاء والمتعاطين في محيطك	
20 9.09%	13 14.44%	07 50.38%	أخـــــرى	
220 100%	90 40.90%	130 59.09%	المجمـــــوع	

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه، أن الفئة التي ترغب في التوقف عن التعاطي 59.09% ترتفع عند إجابات الذين لم يتحصلوا على التحفيز للتوقف بسبب إعتمادهم النفسي عليها 55.38%، وبالمقابل سجلنا أن الفئة التي لا ترغب في التوقف عن التعاطي 40.90%، ترتفع عند إجابات الذين لم يتحصلوا على التحفيز للتوقف بسبب مجارات الرفاق أو وجود نماذج من المتعاطين في محيطهم 50.00%.

يرتبط الانحراف في علم النفس بالصراع القائم بين الرغبات والغرائز الفردية والضغوط التي يفرضها أعضاء المجتمع، فعوامل إنحراف الأفراد لا تخرج على اختلاف أنواعها عن طائفتين كبيرتين، الأولى العوامل الشخصية وهي العوامل المولدة للجانب المعنوي للإنحراف أي النية والقصد، وهي متصلة بالحالات النفسية والأمراض العصبية والعقلية (مما يكشف عنه التحليل النفسي والطب العقلي)، يضاف إليها ما للوراثة من أثر في التكوين العضوي والتركيب الجسدي (مما تكشف عنه الفيزيولوجيا وعلم الوراثة)، ويكون السلوك المنحرف في بعض الحالات مصاحبا لمشكلات عقلية أو انفعالية أو تربوية، ومن ذلك، فإن الفرد المتأخر عقليا ربما يخرج

على القانون أو يخالفه عن غير قصد، أي أنه يكون ضحية بريئة لانخفاض ذكائه وضعف قدرته على الحكم، وأما بالنسبة للأفراد أصحاب الإضطرابات الانفعالية، فإن السلوك الجانح ربما يكون تعبير بسيط عن مشاعر العداوة القوية بعد أن أصابها الإزاحة فاتجهت إلى المجتمع، أو ربما يكون استجابة لخبرة هلوسة أو خبرة هذاء، أو مجرد إستنجد للرعاية والاهتمام والعلاج.

وحسب نتائج الجدول دائما، ومن أسباب الإعتماد النفسي اعتياد الشخص ومداومته على إدمان المخدرات، وترجع أبرز أسباب ذلك إلى الإصابة باضطراب نفسي مثل القلق أو التوتر أو الاكتئاب أو اضطراب ثنائي القطب، والرغبة في التخلص من الحزن والضيق والشعور بمزيد من السعادة والبهجة، وبعض الصفات الشخصية مثل العزلة والخجل التي تدفع الشخص إلى الإدمان السلوكي، ومن أسباب الإعتماد النفسي على تعاطي المخدرات عند الشباب أيضا، بعض العوامل النفسية والجسدية، كالتعرض لصدمة قوية خلال مرحلة الطفولة أو المراهقة، المعاناة من الاكتئاب أو التوتر أو القلق، الرغبة في تجربة الشعور الناتج عن تعاطي المخدر، الإصابة بمرض خطير أو مزمن، التعرض للاعتداء الجنسي، الرغبة في زيادة القدرة الجنسية، الشعور بالوحدة الشديدة وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع.

وفي سياق متصل، فإن تعاطي المخدرات قد يكون أكثر من مجرد تجربة، فقد يكون عرضا لمشكلة مزاجية داخلية، فالإنسان الخجول أو الذي لا يملك الثقة بالنفس أو الضعيف، قد يجد نفسه أكثر ثقة في نفسه تحت تأثير المخدرات وأكثر قبولا عند زملائه، فضغوط أصدقاء السوء قد تدفع البعض إلى التعاطي حتى يكون مقبولا من طرفهم، أو أن يصبح رجلا مثلهم على حسب ظنهم ذلك أنه عندما يكون تحت تأثير أصدقاء السوء تتكون عنده مفاهيم ضعيفة وأهداف غير واضحة في الحياة، وإنه من المهم أن نعلم أن التغيرات الجسمية والمزاجية والسلوك التجريبي في مرحلة المراهقة، هي جزء لا يتجزأ من مرحلة النضوج، ولكن تعامل الأبناء مع هذه المتغيرات والدوافع يعتمد اعتمادا أساسيا على حجم ما نالوه من آباءهم من الحب والتوجيه والفهم والدعم، فإن ذلك

كله يجعل رحلتهم خلال فترة المراهقة رحلة هادئة مستقرة ناضجة بدون تجربة المخدرات، وتعرض الشخص للنبد من جانب الآخرين وميله إلى العزلة والوحدة يقلل من ثقته بنفسه، ويدفعه إلى إدمان المخدرات للاندماج مع من حوله، والأصدقاء من المحفزات الأساسية التي تدفع إلى الإدمان، حيث يستطيعون بسهولة إقناع الشخص بتجربة المخدر، ومن ثم يبدأ الاعتياد عليه ويصل الشخص إلى مرحلة الإدمان بسرعة.

ومن الأسباب التي تعيق التوقف عن الإدمان على المخدرات، عوامل تتعلق بنشأة الفرد في بيئة يتخللها الإدمان والفقر والجريمة، كأن يكون أحد الأبوين أو أفراد الأسرة مدمن، حيث تعد البيئة المحيطة من المحفزات الأساسية التي تدفع الشخص إلى تعاطي المخدرات سواء إجتماعية أو نفسية، كما وقد تدفع ضغوط العمل أو الدراسة أو الضغوط الشخصية الفرد إلى تعاطي المخدرات للهروب من كافة المشاكل، والحصول على قدر كبير من الراحة والاسترخاء الذهني والجسدي، كما أن سهولة الحصول على المخدرات بأنواعها المختلفة زادت من معدلات انتشارها بين الشباب، وهو ما ساهم في رفع نسب الإدمان.

وقد يرجع فشلهم أيضا، بسبب الدور السلبي لمراكز العلاج، والتي أصبحت مراكز إيواء فقط في غياب تدخل الهيئات المعنية لإيجاد الحلول المناسبة، ومن جهة أخرى يجب على الوالدين في مرحلة تلقي العلاج أن يقفوا جنبا إلى جنب مع أبناءهم حتى ينتهي البرنامج العلاجي على أكمل وجه حتى يستطيعوا تخطي هذه المرحلة، حيث تساهم المراكز الإستشفائية في علاج العديد من حالات الإدمان على المواد المخدرة ويجب الاستمرار في ذلك، إذ يتوقع أن الشخص في منتصف الطريق أثناء تلقي البرنامج العلاجي من المخدرات سوف يشعر بأنه محرج من المجتمع، وذلك من خلال تقديم برنامج علاجي متخصص بما يضمن لهم سرية تامة، ويضمن لهم الرجوع إلى أعمالهم والقيام بمسئوليتهم في أسرع وقت، لذلك فإن الدور الذي يقع على عاتق الأولياء في تلك الحالات أكبر مفعول حيوي بالنسبة إلى أبناءهم، والذي من شأنه أن يساعد في عودتهم مرة أخرى إلى كيان

الأسرة، لذلك ينبغي التأكد أن تقديم الدعم في بداية مراحل الإدمان سوف يعود بمزيد من الراحة على جميع الأفراد، ذلك لأن التأخر في تلك الحالات من شأنه أن يؤدي إلي تراكم المشاكل الأسرية والتي ربما قد تنتهي إلي الطلاق بين الزوجين والانفصال، لذلك يجب على الطرف الآخر أن يتعاون مع الأبناء حتى يساعدهم على التعافي تماما.

وفي الأخير، يمكن القول أن هناك بعض المخدرات التي استخدمت ومازالت تستخدم في المعالجة الطبية مثل المورفين، فقد تستخدم بعض المخدرات لعلاج بعض الحالات النفسية كذلك، ولكن وبسبب ما يتعرض له الأفراد خاصة فئة الشباب من ضغوط نفسية اجتماعية واقتصادية تجعلهم أكثر عرضة للإكتئاب والقلق، فقد يهربون من مواجهة هذه الضغوط بالالتجاء إلى المخدرات وخصوصا المنهات والمسكنات، وهنا قد يستخدم الشباب هذه المخدرات لعدة أسباب، ككشف قدراتهم العقلية، ولأسيما أن هناك أفكار شائعة في المجتمعات عن تأثير القدرات العقلية بإستعمال بعض المخدرات، وهناك بعض العقاقير والمخدرات التي تشجع على تفاعل الفرد مع الآخرين، فقد يلجأ الشباب إليها لزيادة الجرأة في التفاعل مع الآخرين وخصوصا مع الجنس الآخر، كما يسعى الشباب إلى الحصول على اللذة وتجنب الألم وخصوصا عندما تشيع أفكار إجتماعية حول بعض المخدرات، مثل الماريجوانا مع الجنس والكونياك مع السيجار، وقد تستعمل المخدرات كمثيرات للأداء الفني، خاصة عند أصحاب القدرات الفنية كالكتابة والرسم، وقد يستخدم الشباب المخدرات من أجل الحصول على لياقة رياضية عالية وتحمل التعب والمشاق، أو قد تستعمل للمحافظة على بنية جسدية قوية (كمال الأجسام أو المصارعة)¹، كل تلك الأسباب وغيرها والتي تم التطرق إليها بالتفصيل من خلال الجداول السابقة تجعلهم عبيدا للمادة المخدرة وتحطمهم من كل الجوانب.

¹ - الرشيد محمد بن ابراهيم رشيد، أضرار المخدرات الإجتماعية، دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع، الرياض، 1990 ص 24-26.

الجدول رقم (49): أنواع المخدرات المستهلكة.

النسبة	التكرار	أنواع المخدرات المستهلكة
48.63%	107	الحشيش
04.09%	09	الأفيون
40.45%	89	المعقاقير والمستنشقات
06.81%	15	أخرى
100%	220	المجموع

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، نسجل أن أكبر نسبة من المبحوثين يتعاطون الحشيش 48.63%، وسجلنا ما نسبته 04.09% عند المبحوثين الذين يتعاطون الأفيون، وسجلنا نسبته 40.45% عند المبحوثين الذين يتعاطون العقاقير والمهلوسات، وفي الأخير سجلنا نسبة 06.81% عند المبحوثين الذين يتعاطون أنواع أخرى من المخدرات، ومن خلال قراءتنا لمعطيات الجدول، نلاحظ أن الحشيش أكثر أنواع المخدرات استهلاكاً في الجزائر، تأتي بعدها المثريات والمهلوسات العقلية ثم الأفيون ثم أنواع أخرى.

وبناءً على نتائج الجدول، ومن خلال تفسيرنا للآثار النفسية والعقلية لاستهلاك مختلف أنواع المخدرات، نستنتج أن الإدمان يسبب ضغطاً شديداً طويل المدى على العقل، مما يؤدي إلى الإشتياق بشدة والإعتمادية تجاه المخدر، يصعب التوقف عنه وفقدان السيطرة عند استخدامه يصحبه لا مبالاة والاستمرار فيه دون النظر لعواقب الأمور، فيقوم الإدمان بتحويل الاهتمامات في عقل المدمن إلى البحث عن السعادة فقط وفقدان المهارات، وتؤكد العديد من دراسات الآثار النفسية للإدمان والتي تؤثر على الوظائف العقلية، حيث تضعف الذاكرة، ويزعم المدمنين على قدرتهم الجيدة في حل المشكلات، وبسرعة انتقالهم من موضوع إلى آخر في الكلام أو التفكير، وقد يتفق هذا مع الخيال الشعبي بأن الحشاش سريع الخاطر، ويفسر البعض بأن هذه صورة من

حالات الهوس (آمنيا)، أما حياتهم الوجدانية فتميل نحو الاستكانة وانخفاض نسبة التحكم، ومن الآثار النفسية أيضا، الاختلاف في إدراك الزمن حيث يتجه نحو الزيادة في البطء، واختلال إدراك المسافات المكانية نحو زيادة الطول وزيادة التضخم بالنسبة للأحجام، ونصوع الألوان ووضوح الأحداث، وتزول هذه الاختلالات بالنسبة للمتعاطي في اليوم التالي على تعاطيه، ويلخص الأثر المحتمل لأنواع مختلفة من المخدرات، بأنها يمكن أن تقلل من العمليات والقدرات المعرفية وتعوق أثناء مرحلة المراهقة والشباب تنمية قيمهم ومثلهم، كما تؤدي إلى انخفاض مستوى الكفاءة المعرفية وانخفاض المستوى الأكاديمي، وتقلل من التركيز الدائم وحضور الذاكرة وتعرض المهارات الميكانيكية للضياع، وعلى نفس نسق ما أوردناه من أثر المخدرات على القدرات المعرفية في العملية التعليمية، فإن نفس النتائج المشابهة تتكرر في عمليات الأداء الإنتاجي وفي الكفاءة الذهنية والمهارات اليدوية، مما يؤدي إلى التقليل من شأن الإنسان لنفسه، كما تسهم في عدم الاستقرار النفسي والشعور بالهوية، وقد تهيم المخدرات على تفكير الشخص إلى درجة إصراره على اللجوء إليها كمهرب لحل مشكلاته الخاصة، فإنه من الواضح أن التورط في سوء استعمال المخدرات يخفض من الإتيان في العمل ويضعف من الدقة في الأداء، ومآل تكرار التعاطي يجعل من الإدمان احتمالا أكبر بل مؤكدا بالنسبة للمخدرات القوية أو النفاذة، خاصة أن هذا التكرار يوثق الارتباط بالمخدر، الذي بسبب الرغبة العارمة أو الحاجة القهرية للاستمرار في تعاطيه والحصول عليه بأي طريقة، وميل واضح لزيادة الجرعة، واعتماد جسي ونفسي على تأثيراته، مما يؤدي إلى نتائج وتأثيرات ضارة على الفرد والمجتمع.

وفي ذات السياق، تشير نتائج العديد من البحوث أن الدوافع النفسية لتعاطي الحشيش في سن مبكرة وفترة الشباب كان قويا بسبب مجارة الأصحاب والحصول على المتعة والسعادة وتؤكد الدراسات المعاصرة إيجابية الارتباط بين زيادة استهلاك الحشيش بما فيه أوراق البانغو الذي انتشر وبين ثقافة الشباب السائدة، وثمة زيادة درامية متوازية في العقاقير المصنعة، حيث أن أضرار سوء استعمال القنب (الحشيش) هو أقل شدة ونفاذا من المواد القاسية الأخرى كالعقاقير

المصنعة، ولكن الاستعمال المزمن أو الحاد له قد يؤدي إلى إضعاف الذاكرة والوظائف العقلية والقدرة على تسلسل الأفكار، والإضرار بالنمو الاجتماعي والعاطفي للأطفال والمراهقين والشباب على حد سواء، وإضعاف مستوى الأداء الدراسي، وترتبط درجة الإضعاف بالكمية أو الجرعة المتناولة، فالحشيش يفسد الوظائف المعرفية، ويزيد من زمن الاستجابة أو رد الفعل وانخفاض الدقة الميكانيكية، ويؤدي سوء استعمال الحشيش إلى تغيرات أساسية في الشخصية، إذ تجعل الإنسان قابلاً للأمراض النفسية والذهانية، وهناك آثار حادة عند الاعتياد عليه، من أهمها القلق والهلع والبارانويا، خاصة بالنسبة للمتعاطين الحديثين، والوهن الإدراكي وخاصة بالنسبة للتركيز والذاكرة وضعف الآلية النفسية وتأخر ردود الأفعال، مما يترتب عليه مخاطر حوادث الطرق والسيارات، وأيضا توقع المخاطر الزائدة للأعراض الذهانية بين هؤلاء المدمنين الذين في سجل أسرهم تاريخ أمراض ذهانية، أما الآثار المزمنة فهي تنتج من جراء الاستخدام المزمن للحشيش لعدد من السنين للوهن الإدراكي الذي يؤثر على الانتباه والذاكرة، وأيضا انخفاض مستوى الأداء والمهارات والتحصيل الدراسي عند البالغين.

أما الآثار البدنية والصحية للحشيش باعتباره أكثر المواد انتشارا في العالم والجزائر على وجه الخصوص، وبالرغم من إباحته من قبل بعض الدول، فإنها ثابتة لمن استعمله يوميا وعلى مدى عدد من السنين، وذلك غالبا ما يكون على شكل أمراض في الجهاز التنفسي وضعف القدرة الإدراكية وسوء الهضم، أما استخدامه أثناء فترة الحمل فيؤدي إلى تقصير فترة الحمل وانخفاض وزن المواليد أو تشوه بعضهم، وقصور أيضا في عمليات الولادة، واتضح كذلك، أن ثمة احتمالا كبيرا لمن يستخدمونه بشكل متكرر ومكثف وقوفهم على حافة الإصابة بمرض السرطان واحتمال الإصابة باللوكميميا.

أما الآثار النفسية للأفيون ومشتقاته، فهي من المواد المثبطة التي تؤدي عادة إلى تخفيض مستوى العصبية والنشاط البدني، وتقلب الأمزجة ولو بجرعات صغيرة، وتقلل من النشاط

وتضعف من المهارات الآلية النفسية، فألى جانب الارتخاء العضلي والرغبة في الخمول، هناك إحساس بالانصراف والشعور بالسعادة والرضا، ويجد المدمن عليها نفسه ينظر إلى المشاكل بطرق مختلفة، فكل شيء هادئ، مما يجعله يشعر بحاجته إلى محاربة العالم، وهذا الابتهاج هو نوع من التخيل والوهم، إذ إن مثل مشاعر الابتهاج تنحصر غالباً في المراحل المبكرة للتعاظم، أما في المراحل المتأخرة، فالنتائج عكس ذلك تماماً، فالشعور بعدم الابتهاج وعدم الرضا والسعادة هو واقع المدمنين.

وفضلاً عما ذكرناه عن الآثار النفسية لتعاظم الأفيون، فإن الارتباط وثيق بينها وبين الآثار البدنية والصحية، ويعتبر استعمال الأفيون لتسكين الآلام البدنية من الأسباب المكتسبة بيولوجياً، وذلك بدعوى أنه يخفف الآلام المرتبطة بأمراض معينة، وقد يؤدي هذا المسلك في كثير من الحالات إلى الاعتماد على المخدرات أن يقصد المريض أي إساءة أخلاقية، وهو مدخل "ظاهرة الرحمة وباطنه من قبله العذاب"، ويطلق على مادة الأفيون عند الكثير من الشعوب منذ القدم بأنه القاتل للألم، وكذلك المواد الأخرى التي يطلق عليها أيضاً الملقحة للمشاعر، وهي من مشتقات الأفيون أو المناظرة له، وأشهرها المورفين والهيروين، وأخرى تشتمل على الكوديين والميبيردين (ديميرول) والميثادون (أميدون، دولوفين)، وفضلاً عن إزالة الألم، فإن الأفيون يحدث الارتخاء العضلي وقلّة النشاط الحركي، والميل إلى الخمول والكسل والنعاس.

وإذا كان الكوكايين ولو بجرعات صغيرة قد يحسن الأداء في الأعمال الصغيرة، فإنه بالإضافة إلى المواد المشتقة منه يؤدي إلى نوع من القهر عند تكرار الاستعمال والإدمان عليه، أما بالنسبة لعقار الميث أو الكراك المصنع معملياً فإن خطورته شديدة بمجرد تعاظمه، لأنه يسبب تغيرات حادة في المخ ويشعر المستعمل له خلال ساعتين بالسعادة.

. وقد كان العلم والأطباء قديماً يتعاملون مع الإدمان من الناحية العقلية والجسدية، حيث

أنهم يرجعون دائماً أسباب الإدمان إلى الاعتمادية الجسدية على المخدر، وظل الكثيرون حتى الآن

يتبعون هذا المنهج العلمي القديم، مما أدى إلى طرح تساؤلات كثيرة منها إذا صح افتراض أن الإدمان يرجع إلى الإعتماد الجسدي، فما هي أسباب الانتكاس بعد فترات من التعافي؟ وكانت إجابتهم أن الإدمان النفسي أو بمعنى أدق الاعتمادية النفسية التي تنشأ بين المخدر أو السلوك الإدماني القهري، هي أكبر وأشد تأثيراً من الإدمان الجسدي، ومنه لا يجب التعامل مع أسباب الإدمان على أنها ترتبط فقط بالشكل الجسدي والدوائي، وتفسر أسباب الإدمان من الناحية العقلية أو الجسدية على أساس الشعور بالنشوة أو التلذذ أو الفرح، وهو شعور طبيعي أنعم الله به علينا، والحقيقة أن المشاعر والأحاسيس التي يشعر بها الإنسان هي ترجمة لإشارات كهرومغناطيسية يبثها الجسم عبر مسارات دقيقة للدماغ، والتي تقوم بدورها عن طريق المستقبلات العصبية بإفراز مواد كيميائية هي المسؤولة عن الشعور بهذا الاحساس، لأن مخ الإنسان يتعامل مع الشعور بالمتعة واللذة، ويقوم بتسجيلها واستقبالها بنفس الطريقة عن طريق المستقبلات العصبية بغض النظر عن سبب هذا الشعور سواء من مخدرات، أو من متعة جنسية، أو من موقف، أو كلمات معينة، أو حتى وجبة شهية، ففي جميع الأحوال يتفاعل مخ الإنسان بنفس الطريقة لكي يشعر في نهاية الأمر بهذا الشعور، ويحدث هذا الشعور الذي نتحدث عنه عند فرز الجسم لمادة الدوبامين أو ما يسمى هرمون السعادة داخل المخ، ولأن الشخص المتعاطي دائماً يبحث عن السعادة فجميع أنواع المواد المخدرة من النيكوتين إلى الهيروين يسبب إفراز الدوبامين بشدة، ولذلك فإن إغراق الجسم بهذه المشاعر غير الحقيقية عن طريق زيادة نسبة الدوبامين في المخ، يجعلها تتعود على هذا الشعور بهذه القوة، مما يخلق عندها رغبة دائمة في هذا الشعور المزيف بنفس القوة والإستخدام المتكرر للمواد المخدرة يؤثر على الخلايا العصبية التي لها دور أساسي في التخطيط وتنفيذ المهام، ولذلك بعد وقت من التعاطي والاستمرار في إدمان المادة المخدرة يفقد الشخص السيطرة على حياته، ولا يستطيع متابعة أداء أو تنفيذ حتى مهامه اليومية العادية، وبناء على ما سبق شرحه، فإن الاعتمادية هي العامل الأساسي في الإدمان من الناحية النفسية، حتى أن في بعض الأبحاث تحدثوا أنهم قبل تسمية الإدمان باسم الإدمان في المعاجم العلمية كانوا يسمونه مرض

الاعتمادية، والاعتمادية النفسية بشكل مبسط هو اعتماد الشخص على مؤثر خارجي لتغيير الحالة المزاجية أو المشاعر أو الأحاسيس الداخلية، وتلك الاعتمادية هي قضية صعبة في التعامل مع مرضى الإدمان.

والكثير من المدمنين كانوا يهابون التعامل مع الجنس الآخر، ويرون أنهم لا يجدون الثقة في أنفسهم للتعامل بسبب إحساسهم بعدم الثقة، وعندما تعاطوا المخدرات أصبحت لديهم الجرأة بشكل كبير، وهذا أدى إلى إدمانهم واعتمادهم على المادة المخدرة للتغلب على مثل هذه المشاعر فبدون هذا المؤثر الخارجي لا يستطيعون التعامل مع هذه المشاعر، وآخرون إعتمدوا عليها بسبب الهروب من المشاكل والضغوط النفسية التي تمر عليهم، وهنا تنشأ الاعتمادية النفسية للشخص على المخدر، ومتى تعاطي أو تعامل مع نوع من أنواع المخدر تخزن في الذاكرة أنه تناسي هذه المشاكل، وعند تكرار هذه العمليات أو التعاطي يحدث أنه يتخزن في هذه الذاكرة اعتماد نفسي لدى الشخص أنه عند التعاطي يستطيع أن يتعامل مع هذه المشاعر، وبما أن المخدر يعطيه نتيجة مرضية فيتخزن في ذاكرته هذا الاحساس بالقوة أو الجرأة، فيصبح بعد الاستمرار عليه مدمن لهذا الإحساس ويصبح أسيراً لهذه المشاعر التي تنشأ عند التعاطي، وهنا تكمن خطورة الإدمان والتعامل معه، فعند الامتناع عن التعاطي تهب هذه الذاكرة المؤقتة مع المشاعر والمواقف المختلفة لتستدعي مشاعر التعامل معها في وقت تعاطي المخدرات، فيصبح الشخص المدمن في صراع نفسي كبير لا يستطيع التعامل معه بشكل بسيط فيلجأ إلى الرجوع إليها والإنتكاس، ولذلك نرى الكثير من النساء يتعاطون المهدئات للتعامل مع الحياة اليومية أو القلق أو اضطرابات النوم فتلجأ إليها حتى يصبح هناك اعتماد نفسي عليها أكثر من الاعتماد العضوي، فتراها عند الامتناع أو التوقف عنها كلما واجهت مشاعر من القلق أو الخوف أو غيره تقفز إلى ذاكرتها الهروب بالاعتماد على هذه الأدوية للتعامل مع هذه المواقف أو المشاعر، ولذلك تجد الكثير من المدمنين حتى بعد تعافيم ترتبط في ذاكرتهم مشاهد، ومواقف، وأحداث، ومناسبات بالتعاطي، ولذلك في العادة يطلق عليها في برامج العلاج باعادة التأهيل المواقف، أو الأحداث عالية الخطورة.

ومن جهة أخرى، تشير الكثير من الأبحاث إلى أنه ثمة ارتباطا إيجابيا بين تعرض الشباب لثقافة المخدرات وبين احتمال الإقبال عليها، وتعتبر وسائل الإعلام من أهم القنوات الاجتماعية التي تنشر ثقافة التعاطي، كما اتضح وجود جماعات من الشباب لا يستهان بحجمهم لا يتعاطون المخدر ولكنهم على استعداد نفسي لتعاطيها، ويطلق عليهم الفئات الهشة، وتزداد احتمالية التورط في مشكلة الانغماس في عالم التعاطي أكثر في مرحلة المراهقة والشباب، وثمة أعداد كبيرة نسبيا تقبل على تجربة التعاطي بدافع نفسي أو أي دوافع أخرى، ويعتبر أفرادها وهم في وسط جماعات المدمنين أشبه ببؤر تشيع الفساد، وتروج لمصطلحات السخرية من النظم والقيم والآداب الاجتماعية السائدة والحاكمة للدين والأخلاق، التي تورط فيها مجموعة من المراهقين والشباب كانت المخدرات هي طريقهم للأوهام والبهذيان الذي مهد لهم طريق الانحراف والزيغ.

وفي سياق ذا أهمية وجب التطرق إليه، هو علاقة التعاطي أو الاعتماد على المخدر بالسلوك الجنسي غير المشروع، حيث يقوم الكثير من المتعاطين المتزوجين منهم والغير متزوجين بإقامة علاقات جنسية خارج إطار الزوجية، ويتبين أنه بجانب الوصم الاجتماعي والأخلاقي الذي تسفر عن هذه الممارسات، فإن الخطورة كامنة وواضحة إزاء المخاطر الصحية المرتبطة بانتقال عدوى العديد من الأمراض، على رأسها مرض الإيدز بسبب العلاقات الجنسية غير الشرعية ونفس المشكلة تحدث بسبب المشاركة في استعمال أدوات الحقن، خاصة في ضل انتشار في مناطق مختلفة من العالم على غرار الجزائر، نماذج مستحدثة في استعمال المخدرات والتحول من التعاطي التقليدي إلى طرق الحقن، الذي يعتبر من أهم العوامل المساعدة للزيادة السريع في معدلات الإصابة بمرض الإيدز وانتشاره بين مستعملي المخدرات عن طريق الحقن.

كذلك ظهور حالة التفرد التي نتجت عن التصنيع والتقدم العلمي والتكنولوجي، وسيطرة الآلة على الإنسان واتساع الرقعة الجغرافية التي يعيش فيها الأفراد، وتقدم وسائل الإتصال السلوكية واللاسلكية والإلكترونية، وصغر حجم الأسرة وضعف السيطرة الأبوين واشتغال المرأة

خارج المنزل، وسيطرة المادة على عقول الناس وارتفاع مستوى المعيشة، جميع هذه العوامل عملت على تبلور ظاهرة التفرد أي انعزال الفرد وتغريبه عن إنسانيته وإحساسه ووجدانه وابتعاده عن الآخرين، مما خلق عنده عدم الراحة والطمأنينة وازدياد حالة القلق والإضطراب النفسي والسلوكي، الأمر الذي أضعف عنده المعايير الأخلاقية الإنسانية والتعاطف مع الآخرين والإحساس بالمسؤولية الإجتماعية والإلتزام بالتعاليم الدينية القويمة مما يدفعه للانحراف والإستمرار في ذلك¹.

وفي الختام، فقد ألفت بعض الدراسات النفسية المعتمدة على نظرية التعلم الضوء على مختلف جوانب مشكلة الإنحراف والإدمان، ولكن ذلك لا يمكن أن يصف الظاهرة بأبعادها المتعددة، وهناك مشكلة بأنه لا يوجد شخص يؤكد ما إذا كانت التغيرات النفسية المرضية أو التغيرات في الشخصية يمكن اعتبارها سببا ونتيجة للاعتماد على المخدرات، وهذا يتضمن الإدمان العدوانى الذي يتصف بمستوى عال من القلق في العلاقات الشخصية، وإحباط في التسامح ومشاعر التقليل من شأن النفس أو تقويم الذات، وثمة اتجاه يعزو سوء استعمال المخدرات أو القابلية لتعاطيها إلى عوامل جينية فطرية، ترتبط وراثيا بخصائص إفرازات المورفين الذاتية، إذ إن ثمة إفرازات لنوع من الأفيون في المخ، قد يكون له دور في إقبال صاحبه على الأفيون، وهناك وجهة نظر ترجع نفس الأسباب إلى الكحول أيضا، ويؤثر هذا وذاك على الجهاز العصبي المركزي.

¹- معن خليل العمر، علم ضحايا الإجرام، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 90.

استنتاجات الفصل الثالث:

من خلال الاستنتاجات المتوصل إليها للفرضية الثالثة، يمكننا القول أن العوامل الإقتصادية، الإجتماعية والنفسية تساهم في ظاهرة الإنحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب ويظهر ذلك عند الوقوف على الجانب الإقتصادي، الإجتماعي والنفسي للمبجوثين، ومن خلال جملة من المؤشرات التي تتفرع عنها مؤشرات فرعية أخرى، تحصلنا من خلالها على نتائج قمنا من خلالها بالتأكد من مدى صدق أو عدم صدق الفرضية الثالثة المقترحة، خاصة وأن مشكلة المخدرات بأبعادها المتعددة التي تناولناها مشكلة في غاية التعقيد بوضعها الراهن على مستوى العالم والمستويات المحلية القومية، وتتشابك فيها العوامل المكونة لها اقتصادية، اجتماعية نفسية، ولكل عامل من هذه العوامل وزنه الخاص، ويختلف من مجتمع لآخر ومن فئة اجتماعية إلى أخرى..

فقد تبين لنا أن أغلبية هؤلاء المبجوثين محاطين بظروف اقتصادية واجتماعية ونفسية تدفعهم إلى الجنوح والتعاطي والتي يمكن تلخيصها في:

- سوء الأحوال الاقتصادية لأسرهم، حيث تظهر لنا في تدني معدل الدخل عندها، ضيق مساحة المسكن خاصة وأن معظمها ذات أحجام كبيرة، وطبيعة الحي ونوعه، فهذه العوامل كلها ولدت لدى هؤلاء المبجوثين الملل والضجر، وبالتالي الرغبة في النفور من ذلك الوسط الأسري حيث تبين لنا أن أغلبيتهم يقضون وقت فراغهم في الشوارع، مما يضعف العلاقات بينهم وأسرهم وتجعلها سطحية، وهذا يؤدي إلى تقصير الآباء معهم في مدهم الحب والحنان الذي يحتاجون إليه.

- إن كثرة المشكلات وتفاقمها لدى الطبقات الفقيرة، أو حتى المرتاحة ماديا، يفسر إنتشار تعاطي المخدرات بين هذه الطبقات، إلى جانب الآثار الاقتصادية والصحية لتعاطي المخدرات على

الأسرة الذي يصيبها بأضرار بالغة من وجوه كثيرة، من تدنى المستوى الصحي والغذائي والاجتماعي والتعليمي والأخلاقي لدى أفرادها، وإنفاق المتعاطي لجزء كبير من الدخل على المخدرات، قد يثير انفعالات وضيق وتوتر وشقاق لدى أفراد الأسرة، ويزيد الأمر بلة عند قيام المتعاطي بعادات غير مقبولة، مثل تجمع عدد من المتعاطين في بيته وسهرهم إلى آخر الليل، مما قد يولد لدى أفراد الأسرة الخوف والقلق خشية أن يهاجم المنزل لضبط المخدرات والمتعاطين من طرف القوات الأمنية، بالإضافة إلى العوامل المرتبطة بالتطور الحضري، والمتمثلة في ضخامة المدينة، وقلة الإمكانيات والتجهيزات، أو عدم توزيعها بالشكل الذي يتيح للجميع الاستفادة منها، وتمركزها فقط في أجزاء معينة من المدينة دون أخرى، وما ينتج عن ذلك من انحراف وشدوذ، وتطرف وجماعات هامشية، كنتيجة للتمييز والإقصاء، ومن خلال التطرق للجوانب أو الظروف الاقتصادية للأسرة وعلاقتها بالانحراف، وبمقتضى ما تقدم، ينبغي اتباع نهج لمعالجة مشكلة بطالة الشباب. وضرورة تكامل سياسة تشغيل الشباب وبرامجها بشكل أكثر فاعلية مع سياسات التعليم والتكوين.

- كما شمل أيضا على المستوى الإجتماعي داخل الأسرة والسلوك الانحرافي للشباب، من حيث المشكلات الأسرية بين الوالدان وإهمال في التربية الأبناء، أو بأذى المتعاطين أنفسهم لأنهم يفقدون أخلاقهم ويفقدون السيطرة حتى على أنفسهم، أو يولد لديهم رغبة لتعاطي المخدرات تقليدا للأشخاص المتعاطين، ناهيك عن الخلاف، الزواج الغير موفق، الخيانة الزوجية، عدم التكافؤ بينهما ثقافيا أو إقتصاديا أو إجتماعيا، الانفصال أو الطلاق أو الهجر، أو الزواج الثاني أو التضارب في الإهتمامات، وفرض القوانين الجامدة، سوء استقبال الطفل أو سوء المعاملة وهناك ارتباط بين الانحرافات السلوكية عند المراهق والشباب ودينامية الحياة الأسرية عند الأهل، أي أن الأزمات التي تطبع علاقة الأهل فيما بينهم تستثير مجموعة من ردة الفعل الراضية والانحرافية والهامشية من قبل الأبناء، وهذا كله يظهر على شكل معاناة صامتة أو ناطقة.

- ومن الناحية النفسية فإن تكرار التعاطي واستمراره وارتباط ذلك بالتركيبية الكيميائية في المخدرات الطبيعية أو المصنّعة تؤثر في الجهاز العصبي المركزي وتنشط الجهاز النفسي أثناء إساءة الاستعمال، ويمكن القول بأن التكوين النفسي لا يؤدي إلى الإنحراف دائماً، وإنما قد يكمن فيه الإستعداد للإنحراف أو الإجرام والتعاطي، ويرى بعض الباحثون أن أي اضطراب سواء أظهر نفسه في صورة سلوك إنحرافي أو إجرامي يمكن أن يكون ناتجا عن تفاعل عدة عوامل تم شرحها بإسهاب في هذا الفصل.

الإستنتاج العام:

تمحورت دراستنا حول موضوع انحراف الشاب وتعاطي المخدرات، دراسة تحليلية الهدف منها إبراز الأسباب التي تؤدي إلى السلوك المنحرف والتعاطي، وكذا الوقوف على أهم الآثار التي تتركها هذه الظاهرة على أمن المجتمع واستقراره، ومن خلال تحليلنا للنتائج المتوصل إليها في الجداول من خلال الفصول السابقة، وفي نهاية الدراسة تم التوصل إلى عدد من النتائج، لعل من أهمها أن الإنحراف وسلوك التعاطي يعد مؤشرا من المؤشرات التي تظهر قصورا من قبل مؤسسات التنشئة الإجتماعية في تربية وتوجيه وإدماج الشباب اجتماعيا وتأثير العوامل الاقتصادية، الإجتماعية والنفسية في تبني السلوك المنحرف ومنه التعاطي، في ظل وجود نماذج منحرفة في محيطهم الداخلي والخارجي.

واتضح جليا من خلال الدراسة وتحليلها، ضعف دور مؤسسات التنشئة (الأسرة المؤسسات التربوية التعليمية والدينية ووسائل الإعلام والإتصال...إلخ)، في التربية والرقابة والإندماج الإجتماعي للشباب، والتي تعد عاملا من العوامل الأساسية المؤثرة في سلوك الفرد وتسجيل خلل في برامج ووسائل التنشئة في هذه المؤسسات، واستنتجنا أن التفكك وعدم الإستقرار أسريا وتربويا وأخلاقيا وثقافيا...إلخ، في ظل جو عائلي مضطرب ومشحون، يعطل الأسرة على أداء وظائفها على أكمل وجه في تربية أبنائها وتكوينهم تكوينا سليما، مما ينعكس سلبا على المجتمع، فتعاطي المخدرات بين الأحداث الذين تقل أعمارهم عن 20 عاما يتزايد تزايدا خطيرا، كما تبين أن المتعاطين يعانون من إهمال أسرهم لهم، وهم أكثر تعرضا لأثر الصراع بين الوالدين، فإذا كان للأسرة دورها الإيجابي في الرعاية والحماية والتنشئة، والوفاء بالحاجات الأساسية البدنية والصحية والتربوية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك من الاحتياجات، وتأثيرها الكبير في تشكيل الاتجاهات والقيم وضروب السلوك، فإنه يمكن أيضا أن يكون لها دور سلبي إذا ما ساد فيها أجواء التوتر والاضطراب والمشكلات المرضية والنفسية والتعرض للقسوة في المعاملة والأذى، والتحول نتيجة لذلك لتعاطي

المخدرات، ومن أهم ما يتمخض عن الاضطراب والتفكك الأسري، هو ما يجلبه غياب أحد الوالدين بسبب الانفصال بالهجر أو الطلاق أو الوفاة من مخاطر كبيرة لمشكلات وجدانية في الشخصية، كذلك افتقاد المودة والحب والتفاعل الأسري الإيجابي، وكل ذلك أو بعضه قد يسهم في مشكلات تكون إحدى آليات الهروب منها هو تعاطي المخدرات والاعتماد عليها.

وقد توصلت نتائج البحث أيضا، أن تعاطي أحد أفراد العائلة للمخدرات يؤثر تأثيرا بالغا على الحياة الأسرية فتصيبها إصابات بالغة في تكوينها ووظيفتها، فالقدوة السيئة من أبرز الأسباب للوقوع في عالم المخدرات، خصوصا إذا كانت تلك القدوة من النوع المؤثر، كالأب أو الأخ أو أحد الأقارب أو الأصدقاء...إلخ، خاصة أن توزيع المخدرات يتخذ صورة غريبة ومنظمة للغاية ويصعب الكشف عنها، حيث أنها تتم بين المعارف والأصدقاء، والمدمن خاصة إذا كان المعيل لا يملك القدرة الكافية على رعاية أطفاله عاطفيا وماديا، مما يضعهم عرضة إلى انحرافات سلوكية أو اضطرابات نفسية، ناهيك أن المخدر يستحوذ على أكبر قسط من دخل الفرد، كما سجلنا أنه من أهم دوافع التعاطي هي مجارات أصدقاء السوء، اللهو، حب الاستطلاع، ومحاولة الظهور بمظهر الرجال الحقيقيين، محاولة نسيان المشكلات الشخصية...إلخ، حيث يتأثر الإنسان في إبداءه أي سلوك بما يسود في محيطه الاجتماعي وذلك من خلال التفاعل المباشر أو الغير المباشر به، ويختلف مقدار التأثير بالوسط الاجتماعي بمدى قوة التفاعل والاتصال والانتماء إليه، ويوجد نوعان من الجماعات تلك المنظمة لسلوكيات أفرادها، وأخرى تقوم على تفكيك التنظيم والتأثير على وسائل الضبط، فتسود فيها أفكار واعتقادات لا تحترم القوانين ولا تعير اهتماما للعادات، وقد تعرض الأفراد إلى إبداء سلوكيات إجرامية ومنحرفة، فالأفراد عرضة للاختلاط بالجماعات السوية والغير السوية فالأولى تؤكد على احترام القوانين، أما النموذج الثاني فتكون النتيجة المنطقية أن ينحرف فيها الفرد كونها جماعات مختلة، ولا يعيش البناء الأسري في معزل عن الجماعات والمؤسسات المحيطة به وعلى رأسها جماعة الأصدقاء والرفاق، وأثبتت دراستنا أن تأثيرهم قد يكون أكبر

من تأثير الوالدين أنفسهم، وتبدو خطورة ذلك في تأثير بعضهم بعضا في مجال سوء استعمال المخدرات.

ومن جهة أخرى، اتضح جليا من خلال نتائج الدراسة كذلك، أن الانحراف والإدمان بترك آثارا مختلفة على حياة الشباب (نفسيا واجتماعيا واقتصاديا)، ولا يقتصر تأثيرها على الفرد وحده بل يشمل المجتمع ككل، وهذا بدوره ينعكس سلبا على الأمن والإستقرار المجتمعي، فلتعاطي المخدرات والإدمان عليها قدرة هائلة على تحطيم الأفراد، وآثاره تمس جميع جوانب حياتهم، ليس فقط الجانب الإجتماعي والنفسي بل الجانب الصحي والاقتصادي أيضا، ونستنتج من خلال نتائج البحث أيضا، أن الآثار السلبية للتعاطي على نفسية الفرد تخضع هي كذلك إلى عوامل كثيرة، منها التكوين النفسي للشخص، والذي يشمل مستوى ذكائه واتزانه الإنفعالي وحالته المزاجية بصفة عامة، وسمات شخصيته كالقلق والإكتئاب...إلخ ولعل أهم ما يميز المتعاطي للمخدرات إلى جانب أنه يصبح شخصا مترددا وجد عدواني أنه قد يأخذ مناجي إجرامية، وبالمقابل، فإن الحرمان الاقتصادي للأسرة والبطالة وانخفاض المستوى التعليمي والمسكن والحي السيئ...إلخ، تعد من بين العوامل التي ترتبط بجناح الشباب بالإضافة إلى العوامل المرتبطة بالتطور الحضري، والمتمثلة في ضخامة المدينة وقلة الإمكانيات والتجهيزات، أو عدم توزيعها بالشكل الذي يتيح للجميع الاستفادة منها، وتمركزها فقط في أجزاء معينة من المدينة دون أخرى، وما ينتج عن ذلك من انحراف وشدوذ وتطرف وتكون جماعات هامشية كنتيجة للتمييز والإقصاء، كما أن الظروف الاقتصادية المادية للأسرة ترتبط هي الأخرى بالظروف النفسية السيئة، مثل كثرة الصدمات النفسية، فالبيئة الاجتماعية التي يزدهر فيها إدمان المخدرات بين الشباب تتصف عادة بخصائص الفقر وانخفاض المستوى التعليمي، والتفكك الأسري، كما أن هذه البيئة ينتشر فيها أيضا مع إدمان المخدرات إدمان الخمر والسلوك المضاد للمجتمع بصفة عامة والجريمة بصفة خاصة.

كما دلت نتائج البحث أيضا، أن الإدمان على مختلف أنواع المخدرات يؤثر على إنتاجية الفرد كما وكيفيا، وذلك نتيجة ما يطرأ من تغيرات فيزيولوجية تؤثر على جهازه العصبي فتحدث اضطرابات في الإدراك واضطرابات في الذاكرة...إلخ، ومن الناحية الصحية تختلف الأعراض باختلاف طريقة التعاطي والتكوين البدني للفرد والحالة الصحية، وكذلك وقت أخذ المخدر، وباستقراء الخبرات البشرية عبر القرون، ثبت أن الحشيش ومعه الأفيون كان وبالاً على الأمم التي أساءت استعمالهما لغير أغراض طبية أو صيدلانية، فالمخدر يخلف أضرارا فادحة، فعلى المستوى الفردي يتعرض المستهلكون لمشكلات صحية خطيرة نتيجة لاستهلاك أنواع معينة من المخدرات، كانهيار الجهاز العصبي للمتعاطي، وإمكان نقل عيوب خلقية إلى جيل الأبطال القادم...إلخ.

وفي الأخير، فقد شغلت مشكلة المخدرات الباحثين والمفكرين عبر مختلف بقاع العالم إذ أصبحت معضلة من معضلات هذا العصر التي استعصى علاجها، لاسيما أنها شاعت وزادت بين الصغار والكبار، وبين الشباب والشباب، ونظرا لانتشار وتوسع الظاهرة سواء المتاجرة بها أو تعاطيها، فإنها تلقي ثقلا وعبئا باهظ التكلفة على عاتق المجتمع والإقتصاد الوطني، لذلك من الضروري إدماج سياسات ومبادرات لمكافحة الإتجار بالمخدرات في برامج التنمية الوطنية والدولية، وبناء برامج الوقاية الفعالة والناجحة، والتي تهدف إلى بناء مجتمعات محلية وأسر متماسكة، والعمل على تزويد الشباب بالمهارات والكفاءات اللازمة للعمل على بناء اقتصاد قوي ومتطور.

الخاتمة:

تعالج هذه الدراسة موضوع الإنحراف وتعاطي المخدرات عند الشباب، ومن أجل البحث عن تفسيرات لهذه الظاهرة من غير الممكن تصور سبب واحد لها، بل هناك مجموعة من الأسباب والعوامل المتكاملة لا يقصي أحدها الآخر، بل إن الأخذ بعين الاعتبار مجموع هذه العوامل هو وحده الكفيل بأن يساهم في فهمها وتفسيرها، وليس من السهولة بمكان أن نحدد أو نقيس النتائج والآثار لعدد من المتغيرات المعقدة والمتفاعلة التي تسهم في تكوين الظاهرة إلا أنه يمكننا التركيز على بعض الأبعاد المحورية.

وتعد مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأُسرة والمؤسسات التربوية والدينية ووسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات عامل مهم جدا للوقاية من الإنحراف والإدمان، حيث تشكل مرحلة الشباب مرحلة عدم استقرار وأزمة، ويلعب الآباء دورا كبيرا في عملية الموازنة بين مستويات الإحتياجات للأفراد ومستوى الإشباع المطلوب تحقيقه، ولا بد على الآباء أن يكسبوا أبنائهم صفات السلوك السوي، وأن يكون سلوكهم مقبولا من قبل الجميع، ويكون ذلك من خلال مهارة المراقبة أو المتابعة، والإستماع إليهم والحرص على حل مشاكلهم المطروحة، فهناك أهمية كبيرة يجب أن تعطى لتهيئة القناعة والرضا وإزكاء روح الأسرة لكي تتحقق بصورة سليمة والعلاقات الإيجابية الطيبة بين الآباء و الأبناء لها تأثير كبير على زيادة درجات الثقة والراحة النفسية كعامل أساسي في زيادة الإندماج الإجماعي، بسبب إتجاه الوالدين نحو تحسين سلوك الأبناء دون إهمال الجوانب النفسية والاجتماعية والإقتصادية لهم، لأن تلك العلاقات الحسنة تعتبر من العوامل المهمة للقضاء على مظاهر الصراع وعدم الرضا داخل الأسرة، لكن الصرامة المبالغ فيها في التعامل مع الأبناء تجعل بعضهم لا يلجؤون للوالدين عند مواجهة مشاكل، وهذا لخوفهم من رد فعلهم، وقد يعكس روح اللامبالاة لديهم وأن نظرة الوالدين لهم

هي تحصيل حاصل، خاصة عند الفئة المنحرفة أي فئة المشاكسين لأنه ليس لديهم طموح أو ما يخسروه.

ومن بين الأسباب التي تجعل الأفراد وبخاصة الشباب يتعاطون المخدرات والتي تطرقنا إلى معظمها بالتفصيل من خلال الدراسة، ضغوط الحياة وكثرة الأزمات النفسية والاجتماعية والإقتصادية التي يتعرضون لها، وعدم وجود تدريب سابق للتعامل مع هذه المشكلات، وسد القنوات التي تمكن الشباب من التعامل معها، ما يجعلهم يبحثون عن مصادر حلول للهروب من أزماتهم والإختباء وراء المتعة المؤقتة للمخدرات، وبالتالي يسهل اختراقهم، ونزعة الشباب إلى البحث عن اللذة والمتعة وبخاصة في ظل غياب التنشئة الاجتماعية والتربوية السليمة، قد يدفعهم إلى تجريب كل ما هو جديد بقصد فحص آثاره أو من أجل الظهور أمام الرفاق بمظهر التميز، كذلك المعتقدات الخاطئة لدى الشباب والتي تستثمر من قبل مروجي المخدرات فكثيرا ما تشيع أفكار ومعتقدات غير صحيحة من الناحيتين العلمية والموضوعية حول المخدرات بأنواعها المختلفة، والهدف من إشاعة مثل هذه المعتقدات جذب الشباب إليها بقصد تجربتها والإعتماد عليها، وجود عوامل بيئية تتسبب في الإدمان كالضغوط المختلفة مثل الضغوط المعيشية وضغوط العمل والدراسة والاعتداءات الجسدية أو الجنسية المبكرة، أو تعاطي الأقران والأصدقاء للمخدرات، كذلك توفر وإتاحة وسهولة الوصول للمخدرات، وكذا رؤية أو مشاهدة مشاهد العنف، ومن منطلق المنظور الإسلامي لمشكلة التعاطي والاعتماد على الخمر والمخدرات فإن أوصاف هذا الضرب من السلوك المحرّم هو منع الإنسان إراديا أن يغيّب عقله الذي يمثل جوهر المسؤولية في العبادات والمعاملات الاجتماعية، وينفي مسؤولية الاستخلاف على عمارة الأرض وتنمية المجتمع.

وفي الأخير، من المؤكد هناك ضرورة قصوى لإطلاق المزيد من حملات التوعية ضد المخدرات على جميع المستويات وفي جميع الأماكن، مثل "دور العبادة وأماكن الدراسة

والعمل..."، للحد مبكرا من ظاهرة تعاطى المخدرات، والتوعية بمخاطره الصحية على الفرد والمجتمع، وفيما يتعلق بالفرد فإنه يجب عليه تعلم سلوكيات جديدة تخرجه من ضغوط الحياة، والابتعاد وعدم التواجد في الأماكن التي تتواجد بها المخدرات، والتحول للعلاج الصارم وذلك بالحرص على القيام بخطوات عدة، منها العلاج الطبي والنفسي لتنقية جسم المدمن من جميع الآثار السلبية التي يسببها المخدر، ثم ترك رفقاء السوء لأنهم أكبر مشكلة يعاني منها المدمن وتسبب الانتكاسة تلو الأخرى، ومصاحبة الأختيار حتى يتأثر المدمن بخصالهم الخيرة ويعتدي بسلوكهم السوي، أيضا الابتعاد عن بيئة الإدمان حتى لا تحدثه نفسه بالعودة إليه، مع التركيز على القيام بالفرائض الدينية لتقوية الإرادة والاستعانة بما هو أقوى منه وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا لا يمكن ان يتأتى إلا من خلال القيام بما أمرنا به من الفرائض والابتعاد عما نهانا عنه من الذنوب، مع شغل وقت الفراغ وربطه بالرياضة والرحلات وزيارة الارحام والقراءة والاشتراك في دور القرآن الكريم والنوادي الصحية وحضور مجالس العلم وغيرها، ثم عليه بمراجعة الطبيب بين فترة وأخرى لمتابعة الحالة الصحية وتطورها، وأخذ المزيد من التوجيهات والنصائح الطبية والنفسية، ثم التفكير بأسلوب فعال في معالجة النفس والارتقاء بها إلى الأفضل مما يقوي جانب الاصرار والثبات على التوبة والتفكير الايجابي.

المراجع

قائمة المراجع باللغة العربية

كتب المنهجية:

- 1- أحمد عبد الله اللحج ومصطفى محمود أبو بكر، البحث العلمي، الدار الجامعية الجزائر، 2002.
- 2- أمين سغاتي، تبسيط كتابة البحث العلمي، المركز السعودي للدراسات الإستراتيجية ط 03، 1993.
- 3- إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمنهج البحث الإجتماعي، دار الطبع والنشر لبنان، 1981.
- 4- إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمنهج البحث الإجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط03، بيروت، 1994.
- 6- القاضي أبو محمد عبد الحق ابن عطية، المحرر الوجيز، بدون دار للنشر، ج11، 1988.
- 5- سمير أحمد نعيم، المنهج العلمي في البحوث الإجتماعية، جامعة عين الشمس، ط04 مصر، دون سنة.
- 6- عبد الرحمان بدوي، منهج البحث العلمي، مكتبة النهضة العربية، مصر، 1968.
- 7- عبد العزيز رأس مال، منهجية وتقنيات في علم الإجتماع، معهد علم الإجتماع، الجزائر 1992.
- 8- عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 9- فتحي عبد العزيز، الطرق الإحصائية في العلوم الإجتماعية، دار المعرفة الجامعية بيروت، 1997.
- 10- فضيل دليو وآخرون، أسس المنهجية في العلوم الإجتماعية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1999.

- 11- كامل محمد المغربي، أساليب البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الدار العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2000،
- 12- مسعودة كنونة، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، دار البحث، الجزائر، 1999.
- 13- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة: كمال بوشرف وآخرون، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2004.

المعاجم و القواميس:

- 14- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الإدارية، دار الكتاب المصري، مصر القاهرة، 2003.
- 15- إبراهيم مذكور، معجم علوم الاجتماع، نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المختصين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975.
- 16- إدارة العمل الاجتماعي، معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1983.
- 17- طاهر الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983.
- 18- عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون سنة.
- 19- عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ط02، دون سنة.
- 20- فريدريك معتوق، قاموس علم الاجتماع (إنجليزي- فرنسي- عربي)، مراجعة محمد دبس، أكاديمية بيروت، 1993.
- 21- كمال محمد علين، معجم مصطلحات والإدارة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1984.
- 22- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2006.
- 23- محمد فتحي، 766 مصطلح إداري، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2002.

- 24- محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.
- 25- معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2000.
- 26- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.
- 27- محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
- 28- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج 61، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2008.

الكتب العامة:

- 29- أحمد مظهر عقبات، طرق إنتاج برامج التوعية الإعلامية للوقاية من أضرار المخدرات، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2008.
- 30- أحمد ضياء الدين خليل، الظاهرة الإجرامية بين الفهم والتحليل- دراسة نفسية جنائية للجريمة سلوكا ومواجهة-، مطابع الطويجي، القاهرة، بدون سنة.
- 31- أحمد أبو الروس، مشكلة المخدرات والإدمان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1996.
- 32- أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي-المفهومات-، ط07، الهيئة العامة للكتاب الإسكندرية، 1980.
- 33- أيمن رفعت المحجوب، الشباب طريق السلام الاجتماعي، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1999.
- 34- أكرم نشأت إبراهيم، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن، مطبعة الفتیان بغداد، 1998.
- 35- أبو بكر ياسين، انحراف الشباب، أسبابه ووسائل علاجه، دار الصيحة، السعودية 2010.

- 36- أيمن محمد الجابري، القواعد المنظمة للتعامل بالمخدرات في دولة الإمارات الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2011.
- 37- إبراهيم عبد الرحمان الطحنيس، دراسات في علم الإجتماع الجنائي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1985.
- 38- إبراهيم بيومي مذكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- 39- أبو جاد وصالح محمد علي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط02، دار ميسرة عمان، 2000.
- 40- أبو خليل شوقي، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، ط1، دار الفكر المعاصر بيروت، 1997.
- 41- السيد علي الشتا، الإنحراف الاجتماعي-الأنماط والتكلفة، مكتبة الإشعاع الإسكندرية، 1999.
- 42- الهادي علي يوسف أبو حمرة، المعاملة الجنائية لمتعاطي المخدرات، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، بدون سنة.
- 43- السدحان عبد الله بن ناصر، قضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحراف الأحداث، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1995.
- 44- العربي بختي، التربية العائلية في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992.
- 45- الزعبي محمد أحمد، التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 02، بيروت، 1979.
- 46- بدر الدين علي، الجريمة والمجتمع، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969.
- 47- بهلول محمد بلقاسم، سياسة تخطيط التنمية وإعادة تنظيم مسارها في الجزائر ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999.
- 48- جلال ثروت، علم الإجرام وعلم العقاب، دار الهدى للمطبوعات، الإسكندرية، 2007.
- 49- جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001.

- 50- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، ج 03، بيروت، بدون سنة.
- 51- جلال الدين عبد الخالق، الجريمة والانحراف، الحدود والمعالجة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، الأردن، 1999.
- 52- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مكتب أنجلو المصرية، القاهرة، 1978.
- 53- حنان عبد الحميد العناني، الطفل والأسرة والمجتمع، دار صفاء للنشر والتوزيع الأردن، 2000.
- 54- حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، علم الإجتماع الجنائي، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 2005.
- 55- خالد أحمد الشنتوت، دور البيت في تربية الطفل المسلم، المطبعة العربية، الجزائر 1990.
- 56- خالد الجريسي، انحراف الشباب وطرق العلاج على ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1999.
- 57- خفاجي حسن علي، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مطبعة المدينة، جدة، 1977.
- 58- خيري خليل الجملي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993.
- 59- رشاد صالح دمنهوري، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، دراسة في علم النفس الإجتماعي التربوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- 15- زين العابدين درويش، علم النفس الإجتماعي، أسسه وتطبيقاته، دار الفكر العربي القاهرة، 1999.
- 16- زيدان عبد الباقي، الأسرة و الطفولة، دار الشباب للطباعة، القاهرة، 1980.
- 17- سليم نعام، سيكولوجية الانحراف، مكتبة الخدمات الطباعية، بيروت، 1985.
- 15- سمير نعيم أحمد، الدراسة العلمية للسلوك الانحرافي، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة 1985.
- 16- سميرة احمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.
- 17- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دارا لنهضة العربية، بيروت، 1984.

- 18- سامية محمد جابر، سوسيولوجية الانحراف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2004.
- 19- سعد المغربي الليثي، الفئات الخاصة وأساليب رعايتها، المركز العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1975.
- 20- سعد المغربي، ظاهرة تعاطي الحشيش، دار الراتب الجامعية، لبنان، 1984.
- 21- سليمان بن سليم الله الرحيلي، إنحراف الشباب، أسبابه ووسائل علاجه، دار الصبيحة، السعودية، 2010.
- 22- سليمان عبد المنعم سليمان، أصول علم الإجرام القانوني، الجامعة الجديدة للنشر القاهرة، 1994.
- 23- سليمان الرياشي وآخرون، الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996.
- 24- صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، دار المعارف، مصر، 1982.
- 25- صالح إبراهيم الصنيع، التدين علاج الجريمة، إدارة الثقافة والنشر، الرياض، 1993.
- 26- صابر طعيمة، منهج الإسلام في تربية النشء وحمايته، دار الجيل، بيروت، 1994.
- 27- طارق السيد، الانحراف الإجتماعي، الأسباب والمعالجة، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2012.
- 28- طارق بن علي حبيب، الطب النفسي المسسط، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1999.
- 29- عصمت عدلي، الجريمة وقضايا السلوك الإنحرافي بين الفهم والتحليل، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2009.
- 30- عبد الله بن الحسن العيادي، الفكر الإجتماعي وتطوره عند العرب والمسلمين، مطابع سمحة، الرياض، 1992.
- 31- عبد الرحمان العيسوي، سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر، دار الوثائق، الكويت 1987.
- 32- عبد العزيز خواجه، مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار الغرب لنشر والتوزيع، وهران الجزائر، 2005.

- 33- عبد الفتاح الصيفي، علم الإجرام -دراسة حول ذاتيته ومنهجه ونظرياته-، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996.
- 34- عبد العظيم مرسي وزير، علم الإجرام والعقاب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991.
- 35- عبد الفتاح تركي موسى، التنشئة الإجتماعية، منظور إسلامي، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
- 36- عبد اللطيف محمد خليفة، الدافعية للإنجاز، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة 2000.
- 37- عبد الحميد الشواربي، جرائم المخدرات، مؤسسة الثقافة الجامعية، الجزائر، 1987.
- 38- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الإجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3 1971.
- 39- عصام إبراهيم الترساوي، مكافحة الجريمة المنظمة والمخدرات-التاريخ والسياسات إصدارات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2004.
- 40- عصمت عدلي، الجريمة وقضايا السلوك الإنحرافي بين الفهم والتحليل، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، 2009.
- 41- عدلي السمري، السلوك الإجرامي- النظريات-، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999.
- 42- عزت سيد اسماعيل وآخرون، جنوح الأحداث، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1 1984.
- 43- علي حسن محمد طوالبه، علم الإجرام والعقاب، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 1998.
- 44- علي عبد القادر القهوجي، فتوح عبد الله الشاذلي، علم الإجرام وعلم العقاب، مطابع السعدني، الإسكندرية، 2007.
- 45- علي حسين المشرفي، المنهج الإسلامي في تدريس علوم الإجرام، أعمال مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، جامعة الأزهر، القاهرة، 1992.
- 46- علي عبد الرازق جبلي، العنف والجريمة المنظمة، دراسات في المشكلات الاجتماعية دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 2007.

- 47- علي الزعل، التنشئة الإجتماعية بعد الطفولة، دار الفكر للنشر، عمان، 1982.
- 48- علي اسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، جامعة دمشق للنشر والتوزيع، دمشق 1993.
- 49- عدنان الدوري، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، دار السلاسل، الكويت 1984.
- 50- عمر السعيد رمضان، علم الإجرام والعقاب، جامعة القاهرة، مصر، 1975.
- 51- عارف مقضي البرجس، التوجه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، دار الأندلس بيروت، دون سنة.
- 52- علياء شكري، وآخرون، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية مصر، 1991.
- 53- عز الدين عبد الله، القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، دار النهضة العربية القاهرة، 1969.
- 54- عنصر العياشي، نحو علم إجتماع نقدي، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- 55- فاطمة العرفي، ليلى إبراهيم العدوانى، جرائم المخدرات في ضوء الفقه الإسلامي والتشريع، دار هومة، الجزائر، 2010.
- 56- فاطمة الزهراء مشتاوي، العلاج الأسري والطفل الحامل للمشاكل النفسية، دار النشر دحلب، الجزائر، 2016.
- 57- فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة العربية ط03، القاهرة، دون سنة.
- 58- فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام والعقاب، المكتبة الجامعية، ليبيا، 1998.
- 59- فرج طه، الشخصية ومبادئ علم النفس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979.
- 60- فؤاد بهي السيد، علم النفس الإجتماعي، دار الفكر العربي، ط02، القاهرة، 1993.
- 61- قازان عبد الله، إدمان المخدرات والتفكك الأسري، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1 الأردن، 2005.
- 62- كمال دسوقي، النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت، 1997.

- 63- لبيب عبد العزيز لبيب، الاتجاهات الوالدية وعلاقتها باتجاهات الأبناء نحو النشاط الرياضي وسلوكه في وقت الفراغ، جامعة حلوان، مصر، 1993.
- 64- مأمون محمد سلامة، أصول علم الإجرام والعقاب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979.
- 65- ماهر أبو المعاطي وآخرون، الممارسة العامة للخدمة الإجتماعية في مجال رعاية الشباب، مركز نور الإيمان للطباعة، القاهرة، 2000.
- 66- محمد سلامة الغباري، الانحراف الإجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الإجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1980.
- 67- محمد ضو، ظاهرة جنوح الأحداث الأسباب والعلاج، دون دار للنشر، حلب، سوريا 2002.
- 68- محمد التومي الشيباني، الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، الدار العربية للكتاب، دون سنة.
- 69- محمد بن ابراهيم السعيد، أسباب الانحراف الفكري عند الشباب، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جامعة أم القرى، السعودية، دون سنة.
- 70- محمد غنيم، الشباب الجامح، دار المعارف، مصر، 1971.
- 71- محمد زكي أبو عامر، دراسة في علم الإجرام والعقاب، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
- 72- محمد شحاته ربيع وآخرون، علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995.
- 73- محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، بدون سنة.
- 74- محمد الجوهري وآخرون، التغير الإجتماعي، سلسلة علم الإجتماع المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- 75- محمد شلال حبيب العاني، علم الإجرام والعقاب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 1998.
- 76- محمد زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشرق، جدة 1990.

- 77- محمد فتحي، علم النفس الجنائي علما وعملا، مكتبة النهضة المصرية، ط 02 القاهرة، 1969.
- 78- محمد عارف، الجريمة في المجتمع نقد منهجي لتفسير السلوك الاجرامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975.
- 79- محمد شحات وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دون دار للنشر، جدة، 1995.
- 80- محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع، نظريات وتطبيقات، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985.
- 81- محمد أحمد عز الدين، تربية الولد عند الغزالي، مطبعة الترقى، دمشق، 1963.
- 82- محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1990.
- 83- محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشروق، جدة، 1990.
- 84- محمد عودة الريماوي، في علم نفس الطفل، دار الشروق، مصر، 1998.
- 85- محمد علي محمد، المجتمع المصنع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975.
- 86- محمد علي محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت 1985.
- 87- محمد علي حسن، علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جناح الأحداث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970.
- 88- محمد الجوهري وآخرون، المشكلات الاجتماعية، ط1، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 1995.
- 89- محمد عارف، الجريمة في المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971.
- 90- محمد سعيد الحفار، المخدرات مأساة البيئة المعاصرة، جامعة دمشق، سوريا 1993.
- 91- محمود السباعي، حسن المرصفاوي، مبادئ علم الإجرام، مكتبة الأنجلو، القاهرة 1968.

- 92- مصطفى الخشاب، دراسة في علم الإجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت 1981.
- 93- مصطفى العوجي، دروس في العلم الجنائي، الجريمة و المجرم، مؤسسة نوفل، ط02 بيروت، 1986.
- 94- مصطفى شريك، علم إجتماع الجريمة والانحراف، أكاديمية علم النفس، الجزائر 2008.
- 95- مصطفى زيدان، دراسة سيكولوجية للتربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، السعودية بدون سنة.
- 96- مصطفى عبد المجيد كارة، مقدمة في الانحراف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي الأردن، 1985.
- 97- مصطفى بوتفنشنت، العائلة الجزائرية التكور والخصائص الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- 98- مصطفى فهمي محمد القطان، علم النفس الاجتماعي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1979.
- 99- مصطفى حجازي، الأحداث الجانحون، دار الطليعة، ط2، بيروت، 1973.
- 100- مصباح الصالح، النظريات الاجتماعية المعاصرة وظاهرة الجريمة في البلدان النامية مؤسسة الوراق، عمان، 2000.
- 101- معن خليل العمر، علم إجتماع الأسرة، دار الشروق، الأردن، 1994.
- 102- معن خليل العمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، دراسة تحليلية ونقدية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1991.
- 103- معن خليل العمر، علم ضحايا الإجرام، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
- 104- منيرة حلمي، مشكلات الفتاة المراهقة وحاجاتها الإرشادية، دار النهضة العربية القاهرة، بدون سنة.
- 105- مسعودة كسال، مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986.
- 106- مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، دار الفكر، ط 03، دمشق، 1986.

- 107- مصباح عامر، التنشئة الإجتماعية والسلوك الإنحراقي لتلميذ مدرسة الثانوية، دار الأمة الجزائرية، الجزائر، 2002.
- 108- ميخائيل إبراهيم أسعد، مشكلات الطفولة والمراهقة ، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- 109- مغربي عبد الغاني، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون. ترجمة: محمد شرين بن دالي حسين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 110- نبيل السمالوطي، الإيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع، النظرية والمنهجية والتطبيقية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، 1989.
- 111- ناجي سفير، محاولات في التحليل الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1989.
- 112- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر، ط03، بيروت 1981.
- 113- وليد سرحان، ظاهرة تعاطي المخدرات، جامعة البرموك، عمان، الأردن، 1994.
- 114- يسر أنور علي، أمال عبد الرحيم عثمان، علم الإجرام وعلم العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.
- 115- يونس فاروق زكي، الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة 1970.

المجلات والمذكرات:

- 116- أكرم نشأت إبراهيم، جنوح الأحداث عوامله والرعاية الوقائية والعلاجية لمواجهته الحلقة الدراسية الخاصة بوقاية الأحداث من الإنحراف، 17-19 تشرين الثاني، بغداد 1983.
- 117- الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، الشباب في منظومة المجتمع المدني، التقرير السنوي السادس للمنظمات الأهلية العربية، القاهرة، 2007.
- 118- بدر الدين علي، عرض عام لتطور النظريات المتعلقة بسببية الجريمة، بحث مقدم للندوة العلمية السادسة المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1987.

- 119- بلقاسم سلاطينية وآخرون، المجتمع العربي-التحديات الراهنة وآفاق المستقبل- سلسلة علم الاجتماع، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999-2000.
- 120- حورية محفوظ، رغبة المرأة في إنجاب الذكور، دراسة ميدانية لمكانة الذكر في الوسط العائلي في الجزائر العاصمة، رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر2، 1996.
- 121- خالد عبد السلام، عوامل الانحراف الإجتماعي لدى الشباب واستراتيجيات التكفل والعلاج، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، سطيف، العدد 13 ديسمبر، 2014.
- 122- خيثر فاطمة، ارتباط جرمي الإرهاب والمخدرات وآليات مواجهتهما، المدرسة العليا للقضاء، الجزائر، 2016.
- 123- خيري علي إبراهيم، المفهوم الإسلامي للتنشئة الإسلامية، مجلة الهداية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، العدد 192، البحرين، 1993.
- 124- زياد ذياب مزهر، المعالجة الأمنية والوقاية لجرائم المخدرات والمؤثرات العقلية، مقال منشور منتدى الأبحاث القانونية، 2012/05/15.
- 125- سليمان بن قاسم العبد، وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد 28، المجلد 14، الرياض، 1999.
- 126- سمير أنور زغلول، الأبعاد الحديثة للمتغيرات الأمنية وانعكاساتها على منظومة إعداد ضباط الغد، مجلة كلية الشرطة، العدد الثاني، القاهرة، يناير 1993.
- 127- سمير نعيم أحمد، الدراسة العلمية للسلوك الإجرامي، مقالات في المشكلات الإجتماعية والانحراف الإجتماعي، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1969.
- 128- صالح بن محمد الصغير، التكيف الاجتماعي للطلاب الوافدين، مجلة العلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، المجلد 13، العدد 1 مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة 2001.
- 129- صباح عياشي، الآليات العقلانية للاستقرار الأسري في الإسلام من منظور سوسيولوجي، أعمال المؤتمر الدولي، - الإسلام والعقل بين الحاضر والماضي في العموم الطبيعية والعموم الاجتماعية والإنسانية -، تنظيم المجلس الإسلامي الأعلى، مارس 2010/29.30،31.

- 130- عائشة بن قطب، التحضر وتغير بناء الأسرة الجزائرية، دراسة ميدانية لعينة من الحي وسط حضري بمدينة البليدة رسالة ماجستير معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر 1992-1993.
- 131- عبد الرزاق السنهوري، مجلة القضاء، العدد الأول، عمان، الأردن، 1936.
- 132- عز الدين دخيل، أعمال الندوة العلمية الدولية الإدماج والاندماج... الرهانات والاستراتيجيات والمرجعيات، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي، جامعة تونس، بدون تاريخ.
- 133- محمد شفيق، التغير الاجتماعي وأثره على الجريمة، المجلة العربية لعلوم الشرطة الأمن العام، العدد 124، يناير 1989.
- 134- محمد عبد الصمد، ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ومعالجتها دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، المجلد الرابع، الرياض، ديسمبر 2007.
- 135- نوار الطيب، جرائم القتل في المجتمع الجزائري - دراسة العوامل والآثار وطرائق العلاج- ، معهد علم الاجتماع / جامعة باجي مختار، عنابة، 1997.
- 136- ولد معمروتوفيق، المخدرات بين التجريم والعقاب، مجلس قضاء، باتنة، 2015.
- 137- إحصائيات الديوان الوطني لمكافحة المخدرات للسنوات 2014، 2015، 2016.
- 138- سورة الشمس، الآية 7-8.
- 139- سورة الشمس، الآيات 7-10.
- 140- سورة النساء، الآية 46.
- 141- سورة البقرة، الآية 179.

قائمة المراجع الأجنبية

- 141- Sayad, Ali, (R), Basagana ; Habitat traditionnel et structures familiales en Kabylie, Grapes, Alger.
- 142- Grawitz, Madlin : L'exique des sciences sociales, édition Dalloz. Paris, 1991.
- 143- Teulon, Freed : 100 mots clés en sciences économique et sociales, édition Ellipse, Paris, 1999 .
- 144- Megherbi (A), Le miroir aux Alouettes, (Alger, ENAL, OPU, 1985
- 145- MEGHERBI (A), Culture et personnalité algérienne de Massinissa à nos jours, ENAL/OPU Alger, 1986.
- 146- Sheldon & Eleanor (G), Physique and Delinquency, Harper & Brothers, New York, 1956.
- 147- Wolter (R), The Crime Problem, appleton – Century – Crofts, New York, 1961.
- 148- BOUTFNOUCHET Mostefa, La famille algérienne, évolutions et caractéristique récents, Alger, smed, 1982.
- 149- Healy (w), The Individual Delinquent, Boston, Little Brown, 1915.
- 150- Martin (H) & Lewis (Y), Criminology, Crime and Criminality, 3re ed, Houghton Mifflin, boston, 1983.
- 151- Mostefa, Boutefnouchet : La Société Algérienne en Transition, Office des Publication Universitaires, Alger, p 32.
- 152- Merton (R), Eléments de théorie et de méthode sociologique, éd, Armand colin, Paris, 1997.
- 153- Gabriel (T), Penal Philosophy, Little/ Brown, Boston, 1912.

- 154- William (b), *Criminality and Economic Condition*, Little Brown, Boston, 1916,.
- 155- west (D,j) & Farrington (D,P), *the délinquant way of life*, heineman, Londres,1977, P157
- 156- Tarde (G),*La criminalité « comparee »*, 4 édition, Paris,.
- 157- durkhiem (E), *Les regles la méthode sociologique*, (p,u,f), 1977.
- 158- Cohen (A.K), *the study of Social disorganization and daviant Behavior*, Sociology Tody, Basic Books, N,Y, 1952.
- 159- Merton (K), *Social Problems and Sociological Theory*, from Merton A, Insebet (eds), *Contemperory Social Problems* , N,Y, 1961.
- 160- Marshall (B.C), *Sociology of Daviant Behavior*, holt rinebert and Winston, Inc, N,Y,1968,.
- 161- Mostefa, Boutefnouchet : *La Société Algérienne en Transition*, Office des Publication Universitaires, Alger,
- 162- west (D,j) & Farrington (D,P), *the délinquant way of life*, heineman, Londres,1977.

الأملا ف

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	توزيع أفراد العينة حسب الجنس.	245
02	توزيع أفراد العينة حسب فئة السن.	347
03	توزيع أفراد العينة حسب الحالة المدنية.	351
04	توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي.	354
05	توزيع المبحوثين حسب الفئة المهنية.	358
06	العلاقة مع الأسرة معظم الأحيان وقضاء أكثر الأوقات.	267
07	نوع العلاقة مع الوالدين وقضاء أكثر الأوقات.	272
08	العلاقة بين مناقشة مواضيع حساسة مع الأسرة وطبيعة الأسرة.	277
09	العلاقة بين التعامل في حالة اقتراح خطأ ونوع العلاقة بين الوالدين.	282
10	العلاقة بين محاولة الأسرة منع التعاطي ورقابة الوالدين.	286
11	العلاقة بين المستوى التعليمي ومتابعة الوالدين لدراستك.	291
12	علاقة التغيب عن المدرسة ونوع المشاكل داخلها.	295
13	إعلام الأسرة عن المشاكل ومتابعة الوالدين لمشوارك الدراسي.	300
14	العلاقة بين إلتزام الوالدين بالصلاة والذهاب إلى المسجد.	302
15	العلاقة بين الدخول إلى مدرسة قرآنية والتربية الدينية.	307

312	العلاقة بين الذهاب إلى المسجد وقضاء الوقت داخل المنزل.	16
317	العلاقة بين مشاكل في استعمال الوسائل التقنية وقضاء الوقت داخل المنزل.	17
320	العلاقة بين قضاء الوقت داخل المنزل والبرامج الأكثر مشاهدة.	18
325	العلاقة بين التواصل مع الموزعين عن طريق الفضاء الأزرق ورقابة الوالدين.	19
331	العلاقة بين قضاء وقت للتحدث ومناقشة الأمور مع الأسرة، وتأثير وسائل الإعلام على الشخصية.	20
342	العلاقة بين تعاطي أحد أفراد الأسرة والمتعاطين من الأسرة.	21
345	العلاقة بين تعاطي أحد أفراد الأسرة، والحالة العائلية للوالدين.	22
350	العلاقات داخل الأسرة وتعاطي أحد أفرادها للكحوليات.	23
354	العلاقة بين سن التعاطي لأول مرة والمتعاطين للخمور من الأسرة.	24
359	العلاقة بين رقابة الوالدين وسن التعاطي لأول مرة.	25
364	العلاقة بين تشجيع الأصدقاء على التعاطي وتعاطي بعض الأصدقاء.	26
370	العلاقة بين المزود بأول جرعة من المخدرات وطريقة التزويد.	27
377	العلاقة بين المزود بأول جرعة من المخدر وأول جرعة كانت.	28
382	العلاقة بين تلقي المساعدة للحصول على المخدر من الأصدقاء وكيفية المساعدة للحصول عليه.	29
386	العلاقة بين أول مزود بالجرعة وموقف الأصدقاء عند محاولة العلاج.	30

391	العلاقة بين المستوى التعليمي وسن التعاطي لأول مرة.	31
396	العلاقة بين سن تعاطي المخدرات أول مرة ونوع المشاكل في المدرسة.	32
400	عدد مرات الدخول للإصلاحية أو السجن.	33
404	العلاقة بين قضاء الوقت في المنزل وسن التعاطي أول مرة.	34
416	العلاقة بين الدخل الأسري وتلبية الدخل للحاجيات الأسرية.	35
421	العلاقة بين الحالة المهنية وتلبية الدخل الأسري للحاجيات.	36
426	العلاقة بين تقديم الأسرة للمصروف الشخصي والحالة المهنية.	37
429	العلاقة بين نوع السكن ونوع الحي.	38
436	العلاقة بين قضاء أكثر الأوقات وعدد الغرف.	39
442	العلاقة بين نوع العلاقة بين الوالدين وسن التعاطي لأول مرة.	40
447	العلاقة بين علم الأسرة بالتعاطي ومن منهم على علم بذلك.	41
453	العلاقة بين الحالة المدنية للوالدين وفي حالة الوفاة.	42
456	العلاقة بين الرغبة في مغادرة الأسرة والعلاقات داخل الأسرة معظم الأحيان.	43
460	العلاقة بين الحالة المدنية للوالدين ومناقشة مواضيع حساسة مع الأسرة.	44
466	العلاقة بين الحالة المدنية للوالدين وفي حالة الوفاة.	45
469	العلاقة بين تعامل الوالدين في حالة اقترافك خطأ وسن التعاطي أول مره.	46

474	العلاقة بين الرغبة في مغادرة الأسرة والشعور بالراحة والتقدير.	47
479	العلاقة بين الرغبة في الانقطاع عن التعاطي وسبب الرجوع إليها.	48
483	أنواع المخدرات المستهلكة.	49

في إطار البحث الميداني المتضمن إنجاز أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع تخصص ثقافي، تحت عنوان: ظاهرة الإنحراف في الأوساط الشبابية في المجتمع الجزائري، نطلب من حضرتكم الإجابة عن الإستبيان بكل صراحة وحرية، ونحيطكم علما بأن إجاباتكم ستكون محفوظة في سرية تامة، ولا يكون لها أثر على حياتكم الشخصية، فالغرض الأساسي من هذا الإستبيان إجراء دراسة علمية فقط، نشكر فيكم روح التعاون والمبادرة العلمية.

1-البيانات الشخصية:

- 1- الجنس: ذكر أنثى
- 2- السن: أقل من 22 سنة 23-7 31 فما فوق
- 3- المستوى التعليمي: ابتدائي متوسط وحي جامعي
- 4- الحالة العائلية: أعزب متزوج م
- 5- المهنة: موظف ع طالب- م ل
- 6- نوع السكن: فيلا بيت تقليدي شقة في ع بيت قصير
- 7- نوع الحي: شعبي ع
- 8- عدد الغرف: 02 3 5 ما فوق
- 9- الحالة المدنية للوالدين: متزوجان منفصلان مطلقان

2-البيانات الخاصة بالواقع الاقتصادي- الاجتماعي والنفسي،

الواقع الاقتصادي:

- 10- المستوى الاقتصادي للعائلة: مرتفع متوسط منخفض
- 11- كم يقدر الدخل الأسري بالتقريب: 20.000 - 40.000 50.000 - 0.000 80.000 ف ق
- 12- هل يلبي الدخل الأسري حاجياتكم الأسرية: نعم

13- هل تقدم لك أسرتك مصروف شخصي: دائما أحي

14- إذا كانت الإجابة أبدا من أين تتدبر مصروفك الشخصي

الواقع الإجتماعي:

15- أين تقضي أكثر أوقاتك: المنزل أماكن الترفيه والرياضة

16- نوع العلاقة بين الوالدين: احترام وتقدير خلافات دائمة علاقات مقطوعة

17- سن التعاطي أول مرة: أقل من 15 سنة 16-18 سنة 19 سنة فما فوق

18- هل كانت أسرتك على علم بتعاطيك للمخدرات: نعم لا

19- إذا كانت الإجابة نعم من من الأسرة على علم بذلك: الأب إخوة أحد الأقارب

20- هل حاولت الأسرة منعك من التعاطي عند علمهم بذلك: نعم لا

الواقع النفسي:

21- هل الوالدان: على قيد الحياة متوفيان متوفى أحدهما

22- في حالة الوفاة: الأب الأم كليهما

23- هل تشعر بالراحة والتقدير داخل أسرتك: نعم لا

24- هل رغبت يوما في مغادرة أسرتك: نعم لا

25- هل حاولت سابقا الإنقطاع عن التعاطي: نعم لا

26- في حالة نعم ما هي مدة الإنقطاع:

27- ما هي أسباب الرجوع إليها: الإعتماد النفسي عليها تأثير الرفاق والمتعاطين في محيط

28- هل سبق أن زرت أحد مراكز العلاج من الإدمان: نعم لا

29- منذ متى وأنت تتعاطى المخدرات:

30- ما نوع المخدر الذي تتعاطاه:

3/البيانات الخاصة بمؤسسات التنشئة الاجتماعية

مؤسسة الأسرة:

- 31- كيف هي علاقتك بأسرتك في معظم الأحيان: جيدة عاد
- 32- هل تتناقش مع أسرتك حول المواضيع الحساسة أو موضوع التعاطي بكل حرية: نعم
- 33- كيف يتعامل الوالدين معك في حالة إقترافك خطأ: التوجيه والإرشاد الشدة والقسوة في التعامل عدم التدخل في شؤونك
- 34- هل طبيعة أسرتك: محافظة متفتحة
- 35- هل يمارس الوالدين رقابتهم عليكم: نعم لا

المؤسسة التربوية والدينية:

- 36- هل كان والديك يتابعون دراستك: دائما أحيانا لا
- 37- هل كنت تتغيب عن المدرسة: دائما أحيانا نادرا
- 38- ما هو نوع المشاكل التي كانت تواجهك في المدرسة: مشاكل مع الزملاء مشاكل مع الأساتذة ضعف التحصيل الدراسي
- 39- هل كنت تعلم الأسرة عن هذه المشاكل: نعم لا
- 40- هل تلقيت تربية دينية داخل أسرتك: نعم لا
- 41- هل والديك ملتزمين بالصلاة: نعم أحيانا
- 42- هل سبق لك وأن دخلت مدرسة قرآنية أو كتاب: نعم لا
- 43- هل تذهب إلى المسجد: طوعا مكررا لا أذهب

مؤسسة الإعلام والاتصال:

44- هل تواجهكم مشاكل في استعمال الوسائل التكنولوجية: نعم لا

45- كيف تقضي وقتك في المنزل: مشاهدة التلفاز تصفح الأنترنت المطالعة

..... أخرى اذكرها:

46- ما هي البرامج الأكثر مشاهدة عندك: التثقيفية التسلي الأفلام و

47- في رأيك هل لوسائل الإعلام تأثير على شخصيتكم: نعم أحيانا لا

48- هل سبق وأن تواصلتم عبر الفضاء الأزرق مع مروجين للمخدرات: نعم لا

4/البيانات الخاصة بسلوك التعاطي

49- هل يوجد أحد من أفراد أسرتك يتعاطى المخدرات: نعم لا

50- إذا كان نعم من هم: الأب أ أحد الأقارب

51- هل يوجد أحد من أفراد أسرتك يتعاطى الخمر: نعم لا

52- إذا كان نعم من هم: الأب أ أحد الأقارب

53- من زودك بأول جرعة مخدرات: أحد الأقارب الأصدقاء وحدك

54- هل كانت بطريقة: مباشرة غير مباشرة

55- هل كانت أول جرعة: بمقابل بدون مقابل

56- هل يتعاطى بعض أصدقاءك المخدرات: نعم لا

57- هل يشجعك الأصدقاء على التعاطي: نعم لا

58- هل تتلقى المساعدة من أصدقائك في حالة عدم إستطاعتك الحصول على المخدر: نعم لا

59- إذا كانت الإجابة نعم كيف تتم المساعدة: بيعه إقرض المال جلبه لك
تقاسم الكمية

60- ما هو موقف الأصدقاء في حالة محاولتك العلاج من الإدمان: إيجابي سلبي لا يوافق

61- هل سبق لكم الدخول للإصلاحية أو السجن: مرة أكثر من مرة لا

62- ما رأيك في سلوك تعاطي المخدرات:

63- هل تريد إضافة شيء لم نتطرق إليه في أسئلتنا؟